مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء التاسع

٧٠ - ٩٣ هـ

حقق هذا الجزء وعلق عليه

محمد رضوان عرقسوسي

عمار ريحاوي

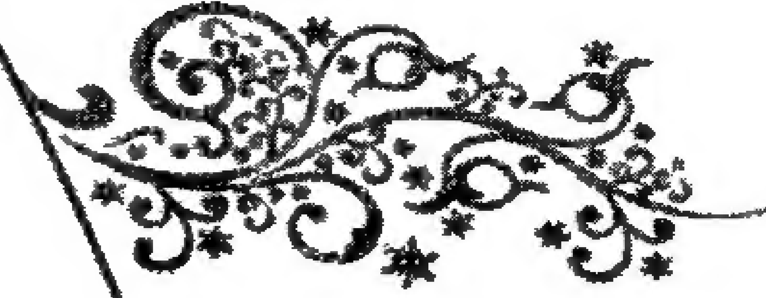
الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

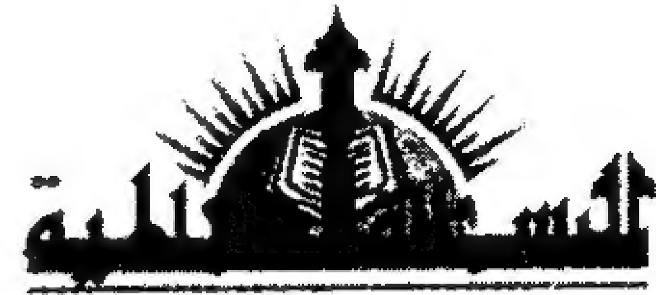
مرآة الزمان

في تواريخ الأعيان

٩



بسم الله الرحمن الرحيم



دار الرسالة العالمية

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

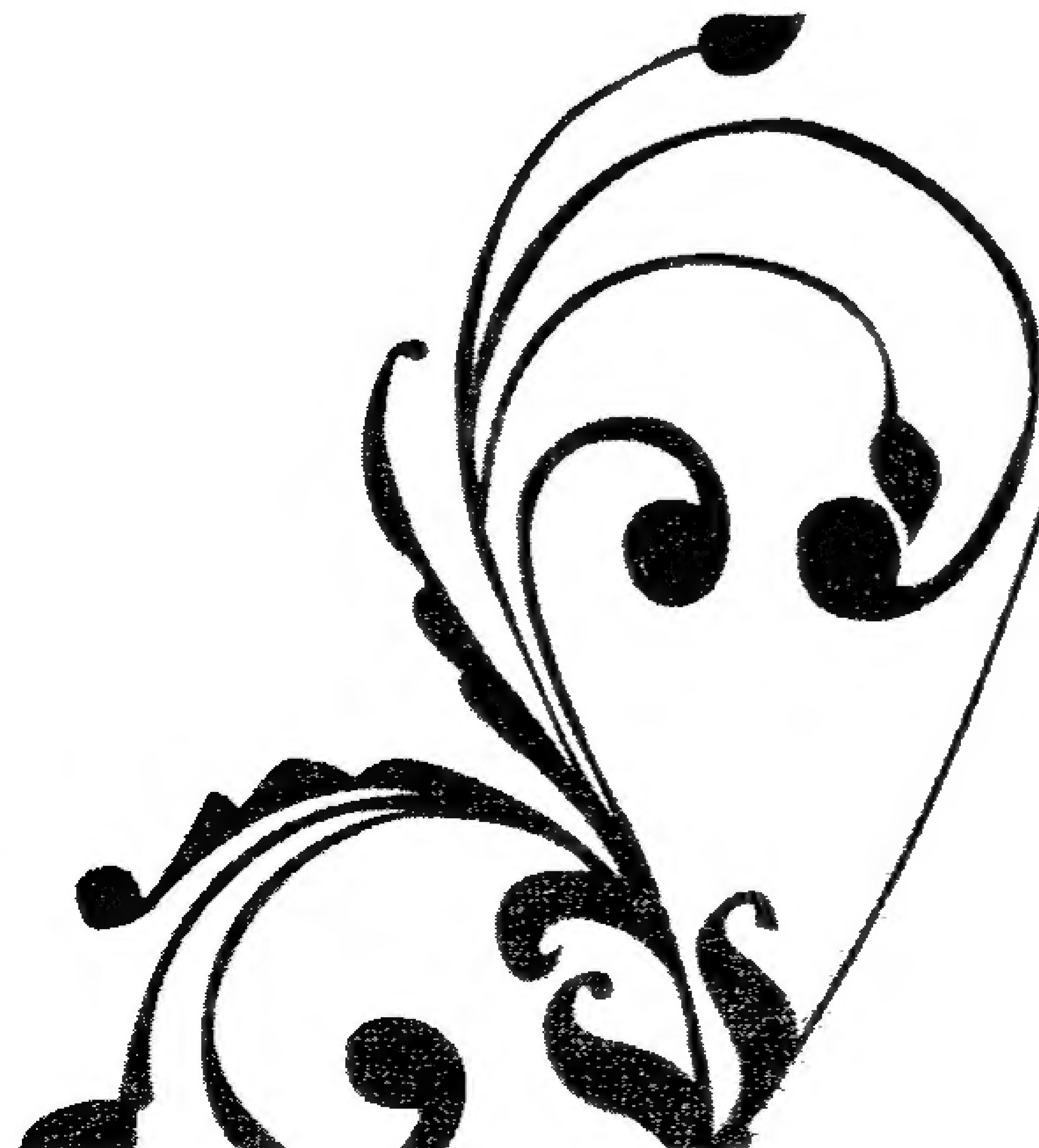
BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



السنة السبعون

وفيها قدم مصعب بن الزبير [مكةَ] بأموالٍ عظيمة ودوابَّ وظهرٍ، ففرَّق الجميع في قومه وغيرهم، وأرسل إلى عبد الله بن صفوان وعبد الله بن مطيع وجُبير بن شيبة من ذلك شيئاً كثيراً[١]، ونحرَ عند الكعبة [بُدْناً كثيرة.

وقال هشام: كانت] ألفَ بَدَنة وعشرين ألف شاة، وأغْنَى ساكني مكة، وعاد إلى الكوفة.

وفيها قصد ملكُ الروم الشام بجموع عظيمة، فصالحه عبد الملك على أن يعطيَه في كل جمعة ألفَ دينار خوفاً على المسلمين[٢]، وكان قد اتفق معه نصارى الشام أن يثوروا بالمسلمين.

وفيها بعث عبد الملك بن مروان خالد بنَ عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العِيص ابن أمية إلى البصرة ليأخذَها له في غَيْبَة مصعب بن الزبير عنها.

وكان خالد وأخوه عبد الله مع مصعب أوَّلاً، فلما أراد مصعب المسير إلى المختار اتَّهَمَهما، فسيَّرهما إلى الشام، فلحقا بعبد الملك.

فلما قدم مصعب مكة في هذه السنة قال خالد لعبد الملك: جهِّزْني حتى آخذَ لك البصرة.

وقيل: خرج عبد الملك في سنة سبعين يريد مصعباً ومعه خالد، فقال لعبد الملك: إن وجَّهتَني إلى البصرة وأتبعتني خيلاً يسيرة؛ أخَذْتُها لك، ورجوتُ أن أغلب لك عليها.

ثم سار خالد إلى البصرة مستخفياً في مواليه وخاصَّته، فنزل على عَمرو بن أصمع، فأجاره.

---

(١) في النسخ الخطية (عدا (م) فهي غير مجودة فيها): شيء كثير. وأثبتُّ اللفظ على الجادة. وفي «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٠ : مالاً كثيراً... وما سلف سيرد بين حاصرتين من (م).

(٢) المصدر السابق.

وكان عبّاد بن الحُصين على شرطة البصرة، وابنُ معمر خليفة مصعب عليها. فأرسل ابنُ أصمع إلى عبَّاد بن الحصين يخبره بنزول خالد عليه، ورجا أن يكون عبَّاد ظهيراً له، فوافاه رسولُه وقد نزل عن فرسه، فأبلغَه الرسالة، فقال عبَّاد: قل له: واللهِ لا أضعُ لِبْدَ فرسي حتى آتيَك في الخيل.

فعاد الرسولُ إليه وأبلغه ما قال عبَّاد، فقال ابنُ أصمع لخالد: واللهِ ما أغرُّك، الساعةَ يأتينا عبَّاد، ولا أقدرُ أمنعك منه، فاخْرُجْ إلى مالك بن مِسْمَع، فهو أمنع منّي.

فخرج خالد من عنده، وأتى مالكاً، فاستجارَ به، فأجاره، وأرسلَ إلى الأَزْد وبكر ابن وائل: البسُوا السلاح، وأقبلُوا بالرايات من بني تميم وغيرهم، وجاءه صعصعة بنُ معاوية، وعبدُ العزيز بنُ بشر، ومُرَّة بن مَحْكَان، وعُبيد الله بن أبي بَكْرة، وحُمران مولى عثمان، وغيرُهم.

وأقبل ابنُ معمر وعبَّادُ بن الحُصين، وأمدَّهم مصعب بنُ الزُّبير من الكوفة بزَحْر بن قيس الجُعفي في ألف فارس، ووجَّه عبدُ الملك عُبيدَ الله بنَ زياد بنِ ظَبْيان مدداً لخالد، فتربَّص ولم يدخل البصرة.

وأقاموا يقتتلون أربعة عشر يوماً[1]، ثم اتفقوا على أن يخرجَ خالد من البصرة، بأمان وكانت عين مالك قد أُصيبت في هذه الحرب.

فخرج خالد إلى الشام بأمان، وبلغ عُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيان، ففرَّق الناسَ عن خالد، فلحق بعبد الملك.

وفي ذلك يقول الفرزدق يذكر مالكاً ولحاقَ بني تميم وخالداً وخروجَه:

عـجـبـتُ لأقـوامٍ تـمـيـمٌ أبـوهُـمُ ... وهـم في بني سعدٍ[2] عِظامُ المَبارِكِ
وكـانـوا أعزَّ الـنـاسِ قـبلَ مـسيرِهـم ... إلى الأزْد لـمَّـا أقـبـلـوا بـالـسَّـنـابكِ[3]
فـمـا ظنُّكـم بـابـنِ الـحَـوَاريِّ مـصعبٍ ... إذا افْـتَـرَّ عـن أنـيـابـه غـيـرَ ضـاحـكِ

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٣ ، و«الكامل» ٤/ ٣٠٧ : أربعة وعشرين يوماً. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٦٥ .

(٢) في (أ) و(خ) و(د): وهم وبنو سعد، وفي (ب): وهم بنو. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٦٦، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٣ . وكذلك هي في «ديوان» الفرزدق ٢/ ٥٧ .

(٣) عجز البيت في المصدرين السابقين: إلى الأزد مُصْفَراً لِحاها ومالكِ.

ونــحــن نَــفَــيْــنــا مــالــكــاً عــن بــلادِهِ ونــحــن فَــقَــأْنــا عــيــنَــه بــالــنَّــيــازِكِ

ورجع عبدُ الملك إلى دمشق، وقدمَ مصعب البصرة، وأرسلَ فأحضرَ الذين خرجوا مع خالد، فسبَّهم ووبَّخهم، وقال لعُبيد الله بن أبي بَكْرَة: يا ابنَ مَسْرُوح[1]، إنَّما أنتَ ابنُ كلبةٍ تَعاوَرَتْها الكلاب، فجاءت بأحمر وأصفر وأسود، من كلِّ كلب بما يُشبهه، وإنَّما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف، ثم أقمتُم البيِّنة أن أبا سفيان زنى بأمِّكم. أما واللهِ لئن بقيتُ بكم لأُلحقنَّكم بنسبكم.

ثم قال لِحُمْران: يا ابنَ اليهودية، إنما أنتَ عِلْج نبطيّ سُبيتَ من عين التمر.

ثم قال للحَكَم بن المنذر بن الجارود: يا ابنَ الخبيث، أتدري مَنْ أنت ومَنْ أبوك؟ إنما كان عِلْجاً بجزيرة ابنِ كاوان فارسيّاً، فقطع إلى ساحل البحر، فانتمى إلى عبد القيس، وواللهِ ما أعرفُ حيّاً أكثرَ اشتمالاً على سَوْءَةٍ منكم، ثم أنكحَ أختَه المُكَعْبَرَ الفارسيَّ، فأولاده منها.

ثم قال لعبد الله بن فَضَالة الزهراوي: ألستَ من هَجَر، ثم سَمَاهيج، واللهِ لأَرُدَّنَّك إلى نَسَبك.

ثم قال لعبد العزيز بن بشر بن حَنَّاط: يا ابنَ المشتور، ألم يسرق عمُّك عيراً في عهد عمر، فأمر بقطعه؟ أما واللهِ ما أعيبُ[2] إلا من ينكح أختَك. وكانت أختُه تحت مُقاتل ابن مسمع.

ثم قال لعبد الله بن عثمان الثقفي: أَعَلَيَّ تمالىء[3]؟! إنَّما أبوك عِلْجٌ من أهل هَجَر لحقَ بالطائف، أما والله لأَرُدَّنَّك إلى أصلك.

ثم عدَّد لكلِّ واحد ممّن خرج عليه أشياءَ من هذا الجنس، ثم ضرب كلَّ واحد منهم مئة جلدة، وحلق رؤوسَهم ولِحاهم، وهدمَ دورهم، وأقامَهم في الشمس ثلاثاً،

---

(١) اسم أبي بَكْرَة: نُفيع بن مسروح، وقيل: بن مسروق، وقيل: اسْمُه مسروح. وقيل غير ذلك. ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٥، و«تهذيب الكمال» ٣٠/ ٥.

(٢) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٤-١٥٥: أعنت. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٦٩.

(٣) لعلها كذلك، فقد رسمت في (ب) و(خ) و(د): سمالي، وفي (أ): شمالي. وفي المصدرين السابقين: أعليَّ تكثّر؟

وحملَهم على طلاق نسائهم، وسيَّر أولادهم(١) في البُعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة، واستحلفَهم على أن لا ينكحوا الحرائر.

وكان عزمَ على قتلهم، فشفَعَ فيهم أعيانُ الصحابة، فاقتصر على هذا.

[وقال هشام:] وفيها وقع الطاعون الجارف، فمات أهل الشام(٢) إلا اليسير، ومات بنو عجل، فلم يبقَ منهم إلا جارية ماتَ أهلُها، فسمعت عُواء الذئب، فقالت:

ألا أيُّها الذِّئبُ المنادي بسُحْرَةٍ(٣) ... هلمَّ أُنبِّئْكَ الذي قد بَدَا لِيا
بدا ليَ أنِّي قد يَتِمْتُ وأنَّني ... بقيةُ قومٍ أورثُوني المَباكيا
ولا ضَيْرَ أنِّي سوف أتبعُ مَنْ مَضَى ... ويتبعُني مَنْ كان بعديَ تاليا(٤)

وحجَّ بالناس ابنُ الزبير [في هذه السنة] وكان الولاة والقضاة في هذه السنة هم العمال والقضاة في السنة الماضية.

وفيها توفِّي

الحارث بن عبد الله

ابن كعب بن أسد الهَمْدَاني الكوفي الأعور، راوية عليّ عليه السلام، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

قال عامر: لقد رأيتُ الحسنَ والحسين يسألان الحارثَ الأعور عن حديث عليّ عليه السلام(٥).

وكانت وفاتُه بالكوفة في هذه السنة(٦). وقيل: سنة ستّ وستين.

---

(١) في المصدرين السابقين: وجمَّر أولادهم. أي: سيَّرهم في البعوث، وحبسهم عن العودة.

(٢) الخبر في «الاعتبار» لابن أبي الدنيا ص ٥٨، و«أشعار النساء» للمرزباني ص ٢١١-٢١٢، وفيهما أن الطاعون الجارف وقع بالبصرة.

(٣) السُّحْرَة: آخر الليل قُبيل الفجر.

(٤) في المصدرين السابقين: ويتبعني من بعدُ من كان تاليا.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ١٥٠.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٨.

أسند الحارثُ عن عليّ عليه السلام، وابنِ مسعود، وكان ضعيفاً في روايته، وكان له قولُ سوء.

وقال الشعبي: حدثني الحارثُ الأعور وكان كذّاباً[(١)].

عاصم بن عمر بن الخطاب

[وكنيتُه] أبو عُمر[(٢)]، وأمُّه جميلة بنت عاصم[(٣)] بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري.

[قال ابن سعد:] وكان اسمُها عاصية، فسمَّاها رسول الله ﷺ جميلة.

وكان عمر رضي الله عنه طلَّقَها، فخاصَمَتْه إلى أبي بكر رضوان الله عليه، فقضى لها بولدها عاصم[(٤)]. وقال: مَسُّها وريحها خيرٌ له منك[(٥)].

وعاصم من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل المدينة.

[وقال الموفَّق:] وُلد قبل وفاة رسول الله ﷺ[(٦)] [ثم طلَّق عُمرُ أمَّهُ وأخذَ عاصماً منها، فخاصَمَتْهُ إلى أبي بكر وعاصمٌ يومئذٍ ابنُ أربعِ سنين].

وكان جسيماً [وكان ذراعه ذراعاً وشبراً ـ أو نحواً من شبر ـ وكان] حليماً خيّراً، من أحسن الناس خُلُقاً[(٧)]؛ خاصمه الحُسين بنُ عليّ في أرض، فتركَها له.

[وقال الواقدي:] وكلّم رجل عاصماً في لهو، فأنشد:

قَضى ما قَضى فيما مضى ثم لا تَرَى ... له صبوةً فيما بقي آخرَ الدَّهْرِ[(٨)]

---

(١) المصدر السابق. وينظر «تهذيب الكمال» ٥/ ٢٤٤ .

(٢) في (م): أبو عمرو. قلت: ويقال كذلك كما في «تهذيب الكمال» ١٣/ ٥٢٠ . وما بين حاصرتين في هذه الترجمة من (م).

(٣) كذا في «التبيين في أنساب القرشيين» ص ٤١٦ ، وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٥ و«الاستيعاب» ص ٥٧٥ وغيرهما: أخت عاصم، وقال ابنُ قُدامة: وقيل: أخت عاصم. قال ابنُ عبد البَرّ: وهو الأكثر.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥ . ونُسب الكلام في (م) إليه، والكلام فيها بنحوه.

(٥) التبيين في أنساب القرشيين ص ٤١٦ ، وهو بنحوه في «مصنف» عبد الرزاق (١٢٦٠١) و«مصنف» ابن أبي شيبة ٥/ ٢٣٨ . ولم يرد قوله: ومسُّها وريحها...إلخ في (م).

(٦) ولد قبل وفاته ﷺ بسنتين، كما في «الاستيعاب» و«التبيين». ووقع في (أ) و(م): بعد، وهو خطأ.

(٧) التبيين في أنساب القرشيين ص٤١٦ . وينظر «الاستيعاب» ص ٥٧٥ .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦ ، وأنساب الأشراف ٩/ ٢٣٠ ، والاستيعاب ص٥٧٦ .

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال:] توفي عاصم بن عمر بالمدينة سنة سبعين، فقدم أخوه عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما بعد وفاته بثلاثة أيام، فأتى قبره، فصلَّى عليه[(١)].

وقال:

فليتَ المنايا كنَّ خلَّفْنَ عاصماً فَعِشْنا جميعاً أو ذَهَبْنَ بنا معا[(٢)]

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عُمر، وأمُّ سفيان؛ أمُّهما بنتُ سفيان بن عوف[(٣)]، كنانية.

وعُبيد الله، وسليمان، وأمُّ سلمة، وأمُّهم عائشة بنت مطيع بن الأسود العدويّ.

وحفص، وأُمُّه سِدْرَة بنت يزيد بن قيس عيلان.

وحفصة، وأمُّ عاصم - وهي أمُّ عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - وأمُّهما أمُّ عمارة[(٤)] بنت سفيان، ثقفيَّة.

وكان لعاصم[(٥)] ولدٌ اسمُه حفص، وأمُّه يُقال لها[(٦)]...

...أمُّ مسكين[(٧)] تزوَّجها يزيد بن معاوية، ثمَّ طلَّقها، فتزوَّجها عُبيد الله بنُ زياد.

---

(١) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٧. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) الاستيعاب ص ٥٧٥، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٤١٧.

(٣) في «الطبقات» ٧/ ١٦: وأمها بنت سفيان بن عويف.

(٤) في المصدر السابق: أم عمَّار.

(٥) في النسخ الخطية: لعامر. وهو خطأ (والكلام ليس في م).

(٦) في النسخ الخطية: وأمُّه يقال لها: أمُّ مسكين تزوَّجها يزيد... (وهو الكلام الآتي بعده). وهو خطأ، وفي الكلام سقط، فأمُّ حفص بن عاصم سِدْرَة، وسلف ذكر ذلك، فلا معنى لتكراره. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦١، و«طبقات» ابن سعد ٧/ ٤١٠. وينظر التعليق التالي.

(٧) الكلام في النسخ الخطية متصل بما قبله، وفيه سقط كما ذكرت. وأمُّ مسكين هي بنت عُمر بن عاصم بن عمر ابن الخطاب، زوجة يزيد بن معاوية، كما في «نسب قريش» ص ٣٦٠. و«تاريخ دمشق» ص ٥٤٨ (طبعة مجمع دمشق - تراجم النساء). لكن جاء في جمهرة «نسب قريش» ٢/ ٨١٨: و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٢١ و٩/ ٢٣١ أنها بنت عاصم بن عمر. وكذا في «تهذيب الكمال» ٣٥/ ٣٨٥، و«ميزان الاعتدال» ٥/ ٣٢٦، وغيرهما، وأكَّد المزي والذهبي أنها بنتُ عاصم، بقولهما: خالة عمر بن عبد العزيز. وينظر الكلام في «الجمهرة» فإن سياقَهُ يبين أنها بنتُ عمر بن عاصم، وليست بنتَ عاصم كما وقع في مطبوعه. والله أعلم.

وأمَّا حفص بن عاصم؛ فكان من رواة العلم، وابنُه عُمر[١] بنُ حفص، وفيه يقول المُزَنيّ[٢]:

جـزاكَ الـلـهُ يـا عُـمَـرَ بـنَ حـفـصٍ   عـن الإخـوانِ جـنَّـاتِ الـنـعـيـمِ

وكان لعُمرِ بنِ حفص من الولد: عَبْدُ الله، وعُبيد الله، ومحمد، وزيد، وعبد الرحمن، وعاصم، وأبو بكر، بنو عُمر بن حفص، وكلُّهم كانوا أصحابَ مروءة، وفضل في الدين والعلم، والخلُق الجميل[٣]. وكانوا يجلسون إلى نافع مولى ابن عمر في مسجد رسول الله ﷺ في الرَّوْضة، وكان مالك بنُ أنس يجلس معهم عند نافع، ويجلس مالك بعد موت[٤] نافع في مجلسهم.

وكان من طولهم وعظم أجسامهم يسمَّوْن الشراجع، يُشبَّهون بالإبل العظام.

ونظر إليهم رجل من آل أبي طالب ورأى الناس يُهرعون إليهم، فقال: من هؤلاء؟ فقيل له: بنو عُمر بن حفص بن عاصم بن عُمر بن الخطاب. فقال: واللهِ لا قامت للشيعة قائمةٌ مادام هؤلاء أحياءً. وكانوا يتشدَّدُون في الذنوب حتى يُخال أنهم يرون رأي الإباضيَّة.

---

(١) في النسخ الخطية: عمرو (وكذا في المواضع التالية). والمثبت من جمهرة «نسب قريش» ٢/ ٨٢٠ ، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص ٤١٧ . وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤١٠ـ٤١١ .

(٢) في النسخ الخطية (عدا (م) فالكلام ليس فيها) و«التبيين»: المُرِّي. والمثبت من جمهرة «نسب قريش» ٢/ ٨٢٠ ، ومعجم ما استعجم» ٤/ ١٢٥٤ .

(٣) بعده في (أ) و(ب) و(خ) و(د) (والكلام منها) ما صورته: «وعبد الله بن حفص هو الزاهد العمري الذي كان يعظ هارون الرشيد». وهو كلام مقحم ضمن السياق، على خطأ فيه. فإن المراد من سياق العبارة: هنا (وفي قوله الآتي قريباً: عبد الله الزاهد) أنه عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ومع ذلك فليس هذا بالزاهد العمري الذي كان يعظ هارون الرشيد، إنما ذاك هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كما في «حلية الأولياء» ٨/ ٢٨٣ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٨١ ، وتاريخ الإسلام» ٤/ ٨٧٧ . وغيرها. غير أن صاحب «مرآة الجنان» ١/ ٣٨١ ، وصاحب «شذرات الذهب» ١/ ٢٧٩ ذكرا خبراً فيه وعظُ عبد الله بن عمر بن حفص لهارون الرشيد، وذكر له ابنُ قدامة في «التبيين» ص٤١٨ خبراً آخر مع الرشيد. والله أعلم.

(٤) كذا في النسخ الخطية. وعبارة «التبيين»: وبعد موت...إلخ، بدل قوله: ويجلس مالك بعد موت...إلخ. فلو قال: وجلَسَ مالك بعد... الخ، لكان أنسب. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦٢ .

وسيِّدُهم عُبيد الله بن عُمر بن حفص، كان إماماً في العلم والحديث والدين، وكنيتُه أبو عثمان، وأخوه عَبْدُ الله الزاهد كان يُسأل عن الحديث، فيقول: أما وأبو عثمان حيٌّ فلا. يلزمُ الأدبَ مع أخيه؛ لأنه أخذَ العلم عنه.

وخرجَ عَبْدُ الله من المدينة، فاعتزلَ الناس، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقدَمُ على الخلفاء.

وابنُه عبد الرحمن بن عَبْد الله، وليَ قضاء المدينة لهارون الرشيد، وابنُه الآخر القاسم بن عَبْدِ الله رُوِيَ عنه الحديثُ[١].

وأخوه أبو بكر بن عمر بن حفص؛ وليَ القضاء بالمدينة[٢].

أسند عاصم الحديث عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره، وروى عنه ابنُ المسيِّب والزُّهْريّ، وغيرهما، وكان ثقة.

قيس بن الملوَّح

صاحب ليلى، وهما من بني عامر [في قول أبي عمرو الشيباني. وقال ابن الكلبي: هو قيس بن معاذ العقيلي، وصاحبتُه ليلى بنت مهدي، اشتهر بحبِّها، و] لم يزل به العشق حتى مات بين الحجارة والوحش.

[وقد ذكر أخباره أبو عَمرو بن العلاء، وابنُ الكلبي، وغيرهما. وقد ذكر طرفاً من أشعاره وأخباره هشامُ ابنُ الكلبي عن أبيه.

وكذا حكى أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، الكاتب المعروف بالأصبهاني، والرِّياشي، والأصمعي، والأخفش، والمدائني؛ الصحيحَ من الروايات أنه قيس بن المُلَوَّح بن مُزاحم، والدليل على أنه قيس قول ليلى:

ألا ليتَ شِعْري والخطوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، وأخوه القاسم؛ قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» في كلٍّ منهما: متروك الحديث.

(٢) وَلِيَهُ لمحمد بن خالد القَسْرِيّ، وذلك في أيام المنصور، كما في «نسب قريش» ص٣٦٢، «أنساب الأشراف» ٩/ ٢٣٢. وجاء في «التبيين» ص٤١٩ أنه وليَ القضاء لخالد القسري، وهو خطأ. وينظر الكلام السالف فيه ص٤١٧-٤١٨.

وحكى الرِّياشي عن الأصمعي قال: ثلاثة رجال ما عُرفوا في الدنيا قطّ إلا بالاسم: مجنونُ بني عامر، وابنُ القِرِّيَّة[(١)]، وابنُ أبي العَقِب، صاحب قصيدة[(٢)] الملاحم.

وقال المدائني: المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ، من بني عامر، ثم من بني عقيل.

وحكى طالوت بن عبّاد عن الأصمعي أنه سُئل عنه، فقال: لم يكن مجنوناً، وإنما كانت به لُوثة أحدثها العشق فيه، وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها: ليلى، واسمه قيس بن معاذ.

وقال أبو عبيدة: إن اسمه البُحْتريّ.

وقيل: الأقرع بن معاذ، وقيس أشهر.

وروي عن ابن الكلبي أنه قال: إن حديث المجنون وشعره وضعه فتىً من بني أمية كان يهوى ابنة عمّ له، وكان يكره إظهار ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون وأشعاره، ونسبها إليه.

قلت: وقد وهم ابن الكلبي، فإن معظم حكاياته حكاها ابن الكلبي عن أبيه.

قلت: وقد وضعتُ في هذا الكتاب ما اخترتُه من أشعاره على مقتضى الوقائع دون الترتيب.

حكى أبو الفرج الأصبهاني عن أبي الهيثم العقيلي قال:][(٣)] وكان خطبها المجنون ورجلٌ من بني عَقِيل يقال له: وَرْد[(٤)]، فزوَّجها أهلُها من وَرْد، فمرَّ به المجنون، فقال:

---

(١) الكلمتان غير واضحتين في (م) بسبب رطوبة فيها (والكلام منها). والمثبت من «الأغاني» ٢/ ٩ (والخبر فيه بنحوه). وابنُ القِرِّيَّة: هو أيوب بن زيد بن قيس، وهو من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، والقِرِّيَّة، بكسر القاف وتشديد الراء والياء هي جدَّتُه. قتله الحجاج سنة أربع وثمانين. ينظر «وفيات الأعيان» ١٠/ ٣٩، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٩٧.

(٢) في (م) (والكلام منها): قصة. والمثبت من «الأغاني» ٢/ ٩. وابن أبي العقب: هو يحيى بن عبد الله.

(٣) من قوله: وقد ذكر أخباره أبو عمرو... إلى هذا الموضع (وما قبله بين حاصرتين) من (م). وينظر «الأغاني» ٢/ ١-١٥.

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): قرد! وجاء على الصواب في (م).

بِربِّكَ هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلى قُبيلَ الصُّبحِ أو قَبَّلْتَ فاها
وهل رَفَّتْ عليك قُرونُ ليلى رفيفَ الأُقحوانةِ في نداها

فقال: اللَّهمَّ إذْ حلَّفْتَني فنعم. فقبضَ المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقَه حتى وقعَ مغشياً عليه، وسقط لحمُ كفَّيْه مع الجمر[1].

[وقال هشام: نزلَتْ ليلى منزلاً، ثم رحلت، فجاء المجنون، فألصقَ صدره بمكانها، وجعلَ يلثُمُ التراب ويبكي ويقول:

أيا حَرَجاتِ الحيِّ حيث[2] تحمَّلُوا بذي سَلَمٍ لا جادَكُنَّ ربيعُ
وخيماتُكِ[3] اللاتي بمنعرج اللِّوى بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
ندمتُ على ما كان منِّي ندامةً كما ندمَ المَغْبُونُ حين يبيعُ
فقدتُكِ من قلبٍ شَعاعٍ ألم أكُنْ نهيتُكِ عن هذا ونحن جميعُ[4]

وقال العُتبيُّ: مرَّ يوماً بحيِّ ليلى وهي جالسةٌ مع أترابٍ لها، فوقف عليهنَّ، وحادثَهنَّ، ونزل فعقرَ ناقتَه، فجعلنَ يشوينَ ويأكلْنَ، فأقبلَ غلامٌ حسن الوجه يقال له: مُنازل، فجلس إليهنَّ، فأَعْرَضْنَ عن قيس، فقال:

أَأَعقِرُ من جَرَّا كريمةَ ناقتي[5] ووَصْلِيَ مقرونٌ بوَصْلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعْقَعْنَ الحُلِيَّ ولم أكُنْ إذا جئتُ أرجو صوتَ تلك الخلاخلِ

وقال أبو عُبيدة مَعْمَر: ليلى بنتُ مهديّ، من ولد الحَرِيش، وكنيتُها أمُّ مالك.

وقال العُتبي: إنما سُمِّيَ المجنون لقوله:

يقولُ أُناسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ يرومُ سُلُوّاً قلتُ إنِّي لِمَا بِيا

(١) ينظر «الأغاني» ٢/ ٢٤-٢٥، و«المنتظم» ٦/ ١٠٧.
(٢) في (م) (والكلام منها): متُّ! والمثبت من «الأغاني» ٢/ ٢٧.
(٣) في (م): وجثمانك. والمثبت من «الأغاني».
(٤) الأغاني ٢/ ٢٦-٢٧، و«المنتظم» ٦/ ١٠٤، والديوان ص١١٢. قوله: شَعَاع؛ يقال: ذهبت نفسُه أو قلبُه شَعَاعاً، أي: تفرَّقت هِمَمُها وآراؤها، فلا تتَّجهُ لأمرٍ جَزْم.
(٥) من جرَّا، أي: من أجل. وكريمة: امرأة من قوم قيس، كان معها جماعة نسوة يتحدثن، ومعهن ليلى. ينظر «الأغاني» ٢/ ١٣ و٢٩-٣٠.

من أبيات[١].

وقال العُتبي: استعمل مروان بنُ الحَكَم رجلاً من قريش، يقال له: عَمرو[٢]، على صدقات بني كعب، فأتاه المجنون فقال: أُحِبُّ أن أخرج معك، وأتجمَّلَ بك عند قومي. فقال: نعم. فقيل لعَمرو: إنَّ قَصْدَه أن يخرج معك إلى حيِّ ليلى، وقد استعدى عليه أهلُها السلطانَ فأهدرَ دَمَه إنْ جاءهم، فمنعَه عَمرو الخروجَ معه، وأعطاه قلائصَ من الصدقة، فأبَى أنْ يأخذها وقال:

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها ... يميناً عليه[٣] جاهداً لا أزُورُها
وإني لمَجلُوبٌ إلى الشَّوق كلَّما ... بدا ليَ من أعلام ليلى رُسُومُها[٤]
وأوعدَني فيها رجالٌ أبوهُمُ ... أبي وأبوها خُشِّنَت لي صدورُها
على غير شيءٍ غيرَ أني أُحبُّها ... وأنَّ فؤادي عند ليلى أسيرُها[٥]
بَكَيْتُ فأنزفْتُ الدموعَ من البُكا ... فقد حُرِّقَتْ عيني وغُشِّي بصيرُها
فما رَحِمَتْ يوم التفرُّقِ عَبْرَتي ... وقد كاد يبكي رحمةً لي بعيرُها

وبعضُهم يروي في هذه الأبيات بيتاً آخر، وهو:

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ ... وقد رابني عند الغَداةِ سُفُورُها[٦]

وليس البيت للمجنون، إنما هو لتَوْبَةَ بن الحُمَيِّر، وقد ذكرناه في ترجمته.

وقال ابن الكلبيّ: خرج في رُفقة، فمرُّوا بمفرق طُرُق، أحدُها يأخذُ إلى ناحية ليلى، وبين الطريق وبين حيِّ ليلى ليلة، فسألهم أن يسلكوا به تلك الطريق، فأبَوْا، فقال: لو ضلَّ بعيرُ أحدِكم؛ أما كنتُم تقفون عليه حتى يَنْشُدَ ضالَّته؟! ثم قال:

أَرُوحُ بِشَجْوٍ ثم أغْدُو بمثلهِ ... ويعتادُ نفسي أَنَّةٌ وزَفِيرُ

---

(١) الأغاني ٢/ ٣٨، والديوان ص٢٩٥.

(٢) الخبر بنحوه في «الأغاني» ٢/ ١٦. وفيه: عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) في «الأغاني» ٢/ ٦٨: عليَّ يميناً.

(٤) كذا أُقحمَ هذا البيت هنا، وواضح أنه من قصيدة أخرى (لاختلاف الرَّويّ) هي في «الديوان» ص٢٥٢-٢٥٣. وهذا الشعر والكلام قبله وبعده من (م) وحدها.

(٥) هذا البيت، والأول والثالث في «الأغاني» ٢/ ٦٨ (بنحوها)، وفي «المنتظم» ٦/ ١٠٦.

(٦) ينظر «الديوان» ص١٤٦-١٤٨.

إذا ذكرَتْكِ النفسُ مِتُّ صَبابةً وكاد فؤادي عند ذاك يطيرُ
أأتركُ ليلى ليس بيني وبينَها سوى ليلةٍ إني إذاً لَصَبُورُ
هَبُوني امرءاً منكم أَضَلَّ بعيرَهُ له حُرْمةٌ إن الذِّمام كبيرُ[(١)]

وقال الأصمعي: قال له بعضُ أهله: أَقْصِرْ، فقد شاع أمرك في الدنيا، فقال:

سقى منزلاً منها بذي الرِّمْثِ قد عفا وبطنِ نقاها مُدْجِناتٌ بوارقُ
وماذا عسى الواشون أنْ يتحدَّثوا سوى أنْ يقولوا إنني لكِ عاشقُ
أَجَلْ صَدَقَ الواشون أنتِ حبيبةٌ إليَّ وإنْ لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ[(٢)]

وقال الأصمعي: قيل لأبيه: لو خرجتَ به إلى الموسم، وسألتَ اللهَ فيه لعلَّه أن يُخَفِّفَ عنه. فخرج به إلى الموسم، وجاء به إلى عرفات، ووقف مع الناس، وأخذ أبوه في الدعاء له، فقال المجنون:

دعا المُحْرِمُون اللهَ يستغفرونهُ بمكةَ يوماً أن تُمحَّى ذنوبُها
وقلتُ له يا ربِّ أوّلُ حاجةٍ لنفسيَ ليلى ثم أنتَ حسيبُها
فلو نلتُ ليلى في حياتيَ لم يَتُبْ إلى الله عبدٌ توبةً لا أتوبُها
يَقَرُّ بعيني قربُها ويزيدُني بها كَلَفاً مَنْ كان عندي يعيبُها
فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي بأوّلِ نفسٍ غابَ عنها طبيبُها
أراكَ إلى نجدٍ تَحِنُّ وإنَّما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ حلَّ حبيبُها
وما هَجَرَتْكِ النفسُ يا ليلَ أنها قَلَتْكِ ولكنْ قلَّ منها نصيبُها[(٣)]

ثم نزل أبوه إلى منى وهو معه، فصاح صائح: يا ليلى. فَخَرَّ مَغْشِيّاً عليه، ثم أفاق فقال:

وداعٍ دعا إذْ نحن بالخَيفِ من منى فهَيَّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يدري
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنَّما أطارَ بليلَى طائراً كان في صدري

---

(١) البيتان الثالث والرابع في «الديوان» ص١٣٩ .

(٢) البيتان الثاني والثالث في «الأغاني» ٢/ ٦١ ، و«الديوان» ص٢٠٣. ولم أقف على البيت الأول (والأبيات والكلام قبلها وبعدها من (م) وحدها). قوله: مُدْجِناتٌ، أي: سُحُبٌ سُود. وتحرَّفت في (م) إلى: مذخبات.

(٣) ينظر «أمالي» القالي ٢/ ١٢٧ و٢٦٢ ، و«المنتظم» ٦/ ١٠٥ ، و«الديوان»ص٦٧-٦٨ ، ونُسب البيتان الرابع والخامس في «الأغاني» ٩/ ١٩٣ مع بيت ثالث لقيس بن ذَرِيح.

إذا ذُكِرَتْ يرتاعُ قلبي لذكرها ... كما انتفض العصفورُ من بَلَلِ القَطْرِ
لقد فُضِّلَتْ ليلى على الناسِ كلِّهمْ ... كما أَلْفَ شهرٍ فُضِّلَتْ ليلةُ القَدْرِ[١]
أُحِبُّ الحِمَى من أجل ليلى وساكناً ... على الغَمْر إن نُبِّئْتُ ليلى على الغَمْرِ
مَرَرْتُ على الرِّعْيانِ أَنْشُدُ ناقتي ... وما ليَ فيهم من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ
وما أَنْشُدُ الرِّعْيانَ إلا تَعِلَّةً ... لواضحةٍ كالبانِ طيِّبةِ النَّشْرِ[٢]

وقال الرِّياشي: مرَّ به الأحوص الشاعر، فقال له قيس: أنْشِدْني، فأنشده، فقال المجنون:

عجبتُ لعروةَ العُذْريِّ أضحى ... أحاديثاً لقوم بعد قوم
وعروةُ مات موتاً مستريحاً ... وها أنا ذا أُموَّتُ كلَّ يومِ[٣]

وقال:

أَجِدَّكَ[٤] لا تُنسيك ليلى مُلِمَّةٌ ... تُلِمُّ ولا يُنسيك عهداً تَقادُمُهْ
أَفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنى ... لدائك أن يلقى طبيباً يلائمُهْ][٥]

ومن شعره:

أيا بانةَ الوادي أليس مصيبةٌ ... من الدهر أن يُحْمَى عليَّ ظِلالُكِ
ألا قد أرى واللهِ حبَّكِ شاملاً ... فؤادي وإني مُحْصَرٌ لا أنالُكِ
أرى الناسَ يرجون الربيعَ وإنَّما ... ربيعي الذي أرجوه حُسْنُ نَوالِكِ
فلو قلتِ طَأْ في النارِ أعلمُ أنَّه ... رِضًى لكِ أو مُدْنٍ لنا من وِصالكِ
لقدَّمْتُ رِجْلي نحوَها فوَطِئْتُها ... لعلميَ أنِّي قد خطرتُ ببالكِ[٦]

ومرَّ قيس يوماً بحمامةٍ على غصن وهي تهتف، فغُشِيَ عليه، فلما أفاق قال:

---

(١) رواية «الديوان» ص١٦٠ والمصادر: ... على الناس مثلَ ما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلَتْ ليلةُ القَدْرِ. وهي أجود.

(٢) لم أقف على جميع الأبيات، وينظر «الأغاني» ٢/ ٢١ـ٢٢ ، و«المنتظم» ٦/ ١٠٥ .

(٣) الأغاني ٢/ ٨٤ ، و«المنتظم» ٦/ ١٠٨ـ١٠٩ والديوان ص٢٥٦. بنحوه.

(٤) أي: أجِدّاً منك؟ قال الفيروز آبادي في «القاموس»: لا يقال إلا مضافاً، وإذا كسر (يعني الجيم): استحلفه بحقيقته، وإذا فتح استحلفه ببَخْتِه.

(٥) الأغاني ٢/ ٦ ، والديوان ص٢٤٨ بنحوه. ومن قوله: وقال هشام: نزلت ليلى منزلاً ثم رحلت (قبل ثلاث صفحات)... إلى هذا الموضع (وهو بين حاصرتين) من (م) وحدها.

(٦) الأبيات (عدا الثاني) ضمن قصيدة في «الحماسة البصرية» ٢/ ١٠٧ ونسبت لعبد الله بن الدمينة. وهي في النسخ الخطية غير (م) فلم ترد فيها.

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُدْوةً ... على الغصن ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتِ
تَغنَّتْ غِناءً أعجميّاً فهيَّجَتْ ... هوايَ الذي كانت ضلوعي أَجَنَّتِ
حلفتُ لها بالله ما حلَّ قبلَها ... ولا بعدَها من خُلَّةٍ حيث حلَّتِ
أقامَتْ بأعلى شُعبةٍ من فؤادِهِ ... فلا القَلْبُ ينساها ولا العينُ مَلَّتِ
وقد زعَمتْ أنّي سأبغي إذا نأَتْ ... بها بَدَلاً يا بئسَ ما هيَ ظَنَّتِ
ألا مَنْ لِعَينٍ لا ترى قُلَلَ الحِمَى ... ولا جَبَلَ الرَّيَّان[(١)] إلا استهلَّتِ
وما وَجْدُ أعرابيَّةٍ قَذَفَتْ بها ... صروفُ النَّوى من حيثُ لم تك ظنَّتِ
تمنَّتْ أحاليب الرِّعاء وخَيْمةً ... بنجدٍ فلم يُقْضَى لها ما تَمَنَّتِ
بأكثر مني لوعةً غير أنّني ... أُجَمْجِمُ أحشائي على ما أجنَّتِ
سقى الله داراً بالحَشَا يسكنونها ... فإنكُمْ نِعْمَ الجِوارُ لِمُهْجَتي[(٢)]

وله من أبيات.

خليليَّ لا واللهِ ما أنا راضياً[(٣)] ... بما قضى في ليلى ولا ما قضى ليا[(٤)]
قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهلَّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا
وأشهدُ عند الله أني أُحبُّها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا
وحدَّثْتُماني أنَّ تيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيفُ ألقى[(٥)] المراسيا
فهذي شهورُ الصيفِ عنَّا قد انقضت ... فما للنَّوى يرمي بليلى المراميا
فلو كان واشٍ باليمامة دارُهُ ... وداري بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا[(٦)]

---

(١) في (م): التَّوْباذ. وسيرد. وجبل الرَّيَّان في بلاد بني عامر. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ١١٠ .

(٢) ينظر «ديوان» المجنون ص٨٥-٨٧ . ونُسبت بعض الأبيات مع غيرها في «الأغاني» ٥/ ٣٥٩ و٩/ ٢٨٣ لبعض الأعراب، ونُسب بعضها أيضاً مع غيرها في «الحماسة البصرية»٢/ ١٤٣-١٤٤ لطارق بن نابي وقال مؤلفه البصري: وفيها أبيات تروى لابن الدمينة.

(٣) لم أقف على هذا اللفظ، وفيه إشكال. وروايته في «الأغاني» ٢/ ٥٤ ، و«الديوان» ص٢٩٣ وغيرهما: خليليَّ لا واللهِ لا أملكُ الذي بما قضى. . .

(٤) اضطرب الشطر الثاني في النسخ؛ ففي (أ): بما قد قضى ليلي ولا ما قضى ليا، وفي (ب) و(د): بما قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا. وفي (خ): بما قضى الله في ليلى وما قضى ليا.

(٥) في (أ): أرخى.

(٦) ينظر«الأغاني» ٢/ ٥٤ و٦٩ ، و«الديوان»ص٢٩٣-٢٩٤ .

ومنها:

علـى مـثـل لـيـلـى يـقـتـلُ الـمـرءُ نـفـسَـه ... وإن بات من ليلى على الحبِّ طاويا
أشـوقـاً ولـمَّـا يـمـضِ لـي غـيـرُ لـيـلـةٍ ... رُويـد الـهـوى حتـى تَـغِـبَّ لـيـالـيـا

ومنها:

وتـغـيـبُ لـيـلـى ثـم تـزعـم أنـنـي ... سَلَوْتُ ولا يخفى على الناس ما بيا
وقـد كـنـت أرجـو الـوصـل مـمـن أحـبُّـهُ ... فأصبحتُ والموتُ المريحُ مسائيا

[وقال ابن الكلبيّ: مرَّ بجبل يقال له: التَّوْباذ[1]، كانت تسكنُه، فأنشأ يخاطبُه ويقول لما رآه:

وأُذْهِـشْـتُ[2] لـلـتَّـوْبـاذِ حـيـن رأيـتُـهُ ... وكَـبَّـرَ لـلـرحـمـن حـيـن رآنـي
فـقـلـتُ لـه أيـن الـذيـن عَـهِـدْتُـهُـمْ ... بـجـوِّكَ فـي عـيـشٍ وخـفـضِ زمـانِ
فـقـال مـضَـوْا واسـتـودعـونـيَ ذِكْـرَهُـمْ ... ومـن ذا الـذي يـبـقـى عـلـى الـحَـدَثـانِ

قال الراوي: وديوانه مشهور، وهو أحسنُ من المنثور. وقد طرَّز جماعة من العلماء تصانيفهم بواقعاته، وزوَّجُوا ألفاظهم بألفاظه][3].

ورُويَ أن ليلى كانت مع أترابٍ لها في سفح جبل على عين ماء، وإذا بقيس قد أقبل في عانةٍ من الوحش[4]، كأنه غولٌ يطلبُ الماء، فلما رأينَه بين الوحش أكبَرْنَه وعجبن من أُنْسِهِ بالوحش وأُنسهم به، واستيحاشه من الإنس، فقلن لها: يا ليلى، هذا قيس، وليس معنا من يَنِمُّ عليك، والمكان خالٍ، فلو سلَّمْتِ عليه. فجاءت فوقفت على طريقه وهي تبكي عليه، وتتأسَّفُ على ما هو فيه، وكونها سببَ ذلك، فلما قربَ منها تعرَّضت له، فصرخ عليها صرخة عظيمة وقال: ابعدي عنّي في هذه الخلوة، فقد أفسدتِ عليَّ دنيايَ، ونغَّصتِ عليَّ حياتي، فلا تُفسدي عليَّ آخرتي. ثم هامَ مع الوحش.

(١) هو جبل بنجد والكلام من (م)، وسلفت هذه اللفظة فيها قريباً بدل لفظة: «الريَّان» في قوله: ولا جبل الرَّيَّان إلا استهلَّتِ. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ٥٥، وفيه الأبيات الآتية بنحوها.
(٢) في «الأغاني» ٢/ ٥٣، و«معجم البلدان» ٢/ ٥٥: وأجهشت.
(٣) الكلام بين حاصرتين من (م).
(٤) أي: قطيع من الوحش.

[وذكره جدِّي رحمه الله في مواضع من مصنَّفاته، فقال في كتاب «معاني المعاني في الوعظ»: يدهش الناسُ من عارفٍ قد هام على وجهه شوقاً إلى الحقّ، وينسَوْنَ أن قيساً مات في البراري.

وقال في هذا الكتاب أيضاً: كانت ليلى عند الخلق حسناء، وعند قيس الغايةَ في الحُسْن، فلهذا هام بها دون الكُلّ.

وذكر جدِّي رحمه الله في موضع آخر قال: كان قيس يأنسُ بالوحش، وإذا رأى آدمياً رماه بالحجارة خوفاً أن يرميَه بالعَذْل، فإنْ ذَكَرَ ليلى صار صديقاً له.

وذكر أبو عبيدة وقال:] وقيل لليلى: أيُّما أفضل؛ حُبُّ قيس إياكِ، أو حبُّكِ إياه؟ فقالت: بل حبِّي إيَّاه. قيل: ولِمَ؟ قالت: لأنَّ حُبِّي إيَّاه كان مستوراً، وحبُّه لي كان مشهوراً. ثم قالت:

لم يكن المجنونُ في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا
ولي عليه الفضل من أجل أَنْ باحَ وأني متُّ كتمانا[1]

وماتت قبله، ولما ماتت جاء يوماً إلى غدير ماء[2] ليشرب منه وهو قريب من منازلها، وهناك راعٍ يرعى إبلاً، فرآه، فعرفه فقال:

بَكَرَ النَّعِيُّ بموت ليلى فاتَّئدْ إنَّ المنايا قَصْرُ كلِّ خليلِ

[ففهم] وأشار إلى الراعي وقال: أين قبرُها؟ فأشار إليه، فجاء إلى قبرها، فعانقه، ومات.

وقيل: ماتت بعده لمَّا بلغَها موتُه. والأصحُّ أنه ماتَ في البَرِّيَّة بين الصخور، ولم يُعلم به إلا بعد مدَّة، والله أعلم.

ورُوي عن بعض المحبِّين أنَّه رآه بعد موته في منامه، فقال له: يا قيس، ما فعل الله بك؟ فقال: غَفَر لي وجعلني حُجَّةً على المحبِّين، إذا كان يوم القيامة أحضرهم وقال: يا مدَّعين محبَّتي، هذا قيسٌ أحبَّ مخلوقاً مثلَه؛ جرى عليه ما جرى، فهل فيكم من يصبرُ ساعةً على ما صبر عليه هذا في محبَّتي؟!

(١) ينظر «ثمار القلوب» ص ١١١.

(٢) عبارة (م): وقال ابن داب: قد اختلف علينا في موتها؛ هل ماتت قبله أو بعده؟ فقال قوم: ماتت بعده لما بلغها موتُه. وقال آخرون: جاء يوماً إلى غدير ماء... إلخ.

السنة الحادية والسبعون

فيها سارَ عبد الملك بنُ مروان إلى العراق لحرب مصعب بن الزُّبير في ثلاثين ألفاً ومعه زُفَر بنُ الحارث، ولم يقاتل معه حفظاً لأَيمانه لابن الزبير[١]، فنزل بمَسْكِن من أرض العراق على دُجَيْل.

وقدمَ مصعب من البصرة، فنزل الكوفة، ثم سار لحرب عبد الملك، فكتبَ عبدُ الملك إلى المروانيَّة الذين كانوا بالعراق، ووعدهم الولايات، واشترطوا عليه ولاية أصبهان ونواحيها، منهم حَجَّار بن أَبْجَر، والغَضْبان بن القَبَعْثَرَى، وعتَّاب بن وَرْقاء، وقَطَن بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وزَحْر بن قيس، ومحمد بن عُمير بن عُطارد.

قال رجاء بن حَيْوَة: لمَّا قَتَلَ عبد الملك عمرَو بنَ سعيد؛ صفا له الشام، وبعد أنْ قتلَ مَنْ خالفَه أمرَ الناس بالمسير إلى العراق، فأشار عليه رؤساء أهل الشام أن يقيم ويبعث الجيوش، فقال عبد الملك: إنَّه لا يقومُ بهذا الأمر إلا قرشي وله رأي، ولعلِّي أبعثُ من له شجاعة ولا رأي له، وإني أجد في نفسي أني بصيرٌ بالحرب، شجاعٌ إنْ ألجئت إلى السيف، ومصعبٌ في بيت شجاعة، أبوه كان أشجعَ قريش، وهو في نفسه شجاع، ولا علم له بالحرب، يحبُّ الخفض والدَّعَة، ومعه من يُخالفُه، ومعي من يُطيعني وينصحُ لي.

وسار عبد الملك، فنزل مَسْكِنَ، ونزل مصعب باجُمَيْرا[٢]، وكتبَ عبد الملك إلى أعيان أصحاب مصعب، فجاء إبراهيم الأشتر بكتاب عبد الملك مختوماً إلى مصعب، فقال: هذا كتاب عبد الملك. قال: ما فيه؟ قال: واللهِ ما فتحتُه. فقرأه مصعب، وفيه أنّه يدعوه إلى نفسه، ويجعلُ له ولايةَ العراق. فقال إبراهيم: واللهِ إنَّه قد كتبَ إلى أصحابك كلِّهم بمثلِ ما كتبَ إليّ، فأَطِعْني واضْربْ أعناقَهم. فقال مصعب: فإذاً لا تُناصِحُنا عشائرُهم. قال: فأوقِرْهم حديداً، وابْعَثْ بهم إلى أبيض كسرى، فاحْبِسْهُم

(١) ينظر ما سلف (أوائل أحداث سنة ٦٩).

(٢) موضع دون تكريت. «معجم البلدان» ١/ ٣١٤.

هناك، ووكِّلْ [بهم] مَنْ إن غُلِبْتَ قتَلَهم، وإنْ غَلَبْتَ مَنَنْتَ بهم على عشائرهم. فقال: يا أبا النُّعمان، إنّي لفي شُغل عن ذلك(١).

وحجَّ بالناس [في هذه السنة] عبد الله بنُ الزُّبير(٢).

وفيها توفِّي

البراءُ بنُ عازب

ابن الحارث بن عديّ بن الخَزْرَج، أبو عُمارة، من الطبقة الثالثة من الأنصار(٣).

قال البراء بن عازب: غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ خمسَ عشرةَ غزوةً، وأنا وعبدُ الله ابنُ عُمر لِدَة(٤).

وقال: صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثمانية عشر سَفَراً، فلم أره ترك ركعتين قبل الظُّهر(٥).

نزل البراءُ الكوفة، وتوفِّي بها في أيام مصعب بن الزبير، وكان يتختَّمُ بالذهب(٦).

وكان له من الولد: يزيدُ، وعُبَيْد، ويونُس، وعازب، ويحيى، وأُمُّ عبد الله(٧).

أسندَ البراء عن رسول الله ﷺ أحاديث.

عبد الله بن خازم

ابن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمي، أبو صالح، أمير خُراسان.

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٦-١٥٧، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٧-٣٥٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٦/ ١٦٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢ وقد سلفت الترجمة بأطول منها أوائل السنة (٦٨). وذكرتُ ثمة أنَّ ابنَ حِبَّان أرَّخَ وفاته سنة (٧١) و(٧٢).

(٤) أي: وُلِدا في وقت واحد. ويقال: التِّرْبُ أيضاً. ووقع في النسخ الخطية (عدا (م) فالكلام ليس فيها): بن عمرو غزوةً!

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٦.

(٦) المصدر السابق. وروى أيضاً حديث تختُّم البراء بالذهب أحمد في «المسند» (١٨٦٠٢). وينظر كلام ابن حجر العسقلاني عليه في «فتح الباري» ١٠/ ٣١٧.

(٧) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٨٢.

أدركَ رسولَ الله ﷺ، وروى عنه، وكان مشهوراً بالشجاعة والفضل والجهاد. وأصله من البصرة، وعلى يده فُتحت سَرَخْس.

وفي سنة ثلاث وثلاثين جمعَ قارن جمعاً كبيراً بباذَغِيش[١] وهَراة، [فأقبلَ في] أربعين ألفاً، فلقيَه عبدُ الله بنُ خازم في أربعة آلاف، فقتلَ قارناً، وهزمَ أصحابَه، وأصابَ غنائمَ كثيرة، وكتبَ إلى ابن عامر بالفتح[٢].

ولما قُتل مصعب كتبَ عبدُ الملك إلى عبد الله بن خازم: إنَّ لك خراسان سبع سنين على أن تُبايع لي. فقال ابنُ خازم للرسول وهو سَوْرَة بن أَشْيَم التميمي[٣]: لولا أنْ أضربَ بين بني سُليم وبني عامر لقتلتُك، ولكنْ كُلْ هذه الصحيفة. فأكلها.

وقيل: إن الرسول كان سنان الغَنَوي، فقال ابنُ خازم: إنما بعثك أبو الذِّبَّان[٤] لأنَّك من غَنِيّ[٥]، وقد علمَ أنّي لا أقتلُ رجلاً من قيس، ولكنْ كُلْ كتابَه.

وبلغ عبدَ الملك، فكتبَ إلى بُكير بن وِشاح أحدِ بني عوف بن سعد ـ وكان خليفةَ ابنِ خازم على مَرْو ـ بعهده على خُراسان، ووعدَه ومنَّاه، فخلعَ بُكيرٌ ابنَ الزُّبير، ودعا إلى عبدِ الملك، وأجابَه أهلُ مَرْو.

وبلغَ ابنَ خازم وهو يُحاصرُ أَبْرَشَهر[٦]، فخاف أن يجتمعَ عليه أهلُ مَرْو وأهلُ أَبْرَشَهْر، وكان يُحاصرُ بها بَحِيرَ بنَ وَرْقاء[٧] الصُّريمي، فرجع عن أَبْرَشَهْر طالباً مرو، يريد أن يأتيَ ابنَه [بالترمذ]. فخرج بَحِير خلفَه، فأدركه بقريةٍ يقال لها: شاه[٨]، بينها

(١) كذا في النسخ الخطية و«تاريخ دمشق» ص ٢٣٣ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم حرف العين) لكن قيّدها ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٣١٨ بالسين المهملة. وقال: هي ناحية تشتمل على قرى من أعمال هَراة ومروالرُّوذ. اهـ. وهَراة: مدينة عظيمة من مدن خُراسان.

(٢) تاريخ دمشق ص ٢٣٣ـ٢٣٤ (الطبعة المذكورة) وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ (والكلام منه): النُّمَيْرِيّ، وفي «تاريخ دمشق» ص ٢٣٤ : سَوْرة بن أبجر الدارمي.

(٤) هو لقب عبد الملك بن مروان؛ لبَخَرٍ كان في فمه.

(٥) غَنِيّ بطن من قيس عَيْلان، وهو غَنِيّ بن أَعْصُر: ينظر «معجم قبائل العرب» ٣/ ٨٩٥ .

(٦) يعني نيسابور. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٦٥ـ٦٦ . ولم تجوَّد اللفظة في النسخ الخطية (غير (م) فالكلام ليس فيها)، فوقع فيها: أبوبنهر (وكذا في الموضع الآتي). والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ .

(٧) كذا في النسخ الخطية، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ (وفي كل المواضع). وفي «أنساب الأشراف» ١٢/ ٢٨٥ : بَجِير بن وِقاء. وكذا هو في «المشتبه». ينظر «توضيحه» ٩/ ١٩٢ .

(٨) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦ : شاهميغد.

وبين مَرْو ثمانيةُ فراسخ، فقاتلَه ابن خازم، فاجتمعَ عليه وكيع بنُ عُميرة القُرَيْعي - وهو ابنُ الدَّوْرَقية - وبَحِير بنُ وَرْقاء، وعمَّارُ بنُ عبد العزيز الجُشَمي، فقتلُوه، وذَبَحه وكيع، وجعلَ يقول قبل أن يذبحه: يا ثارات دُوَيْلَة. [ودُوَيْلة] أخ كان لوكيع من أمّه قُتل في تلك الأيام.

قال وكيع: فتنخَّمَ ابنُ خازم في وجهي وقال: لعنكَ الله، تقتلُ كبشَ مُضَر لعِلْجٍ لا يُساوي كفّاً من تراب.

وبعث بُكير بن وشاح برأسه إلى عبد الملك.

ولما قُطع رأسُ ابنِ خازم أخذه بَحِيرُ بنُ وَرْقاء ليتقرَّب به إلى عبد الملك، فحمل عليه بُكير بن وشاح، فضربَه وأخَذَه، وحبس بَحِير مدَّة.

ولمَّا قُتل ابنُ خازم حملوه على بغل، فمال، فشدُّوا في مذاكيره حبلاً عَدَلُوه به، ودُفن جسدُه بنيسابور في رُسْدَاق جُوَين.

وقُتل سنة إحدى وسبعين، وقيل: سنةَ اثنتين وسبعين[١].

وكان ولدُه موسى شجاعاً فاتكاً؛ لمَّا قُتل أبوه؛ سار في مئة فارس إلى تِرْمذِ، فنزل ضيفاً عند ملكها، فقتله، ومَلَكَ تِرْمذ، فأقام والياً عليها إلى سنة خمس وثمانين، وحكم على ما وراء النهر، حتى وليَ المفضَّل بن المهلَّب خُراسان، فجهَّز إليه جيشاً، فخرج إليهم، فظهر عليهم، فنزل رجل، فعرقب فرسَه، وقتلُوه في سنة خمس وثمانين[٢].

عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، فأول مشاهدِه مع رسول الله ﷺ الحديبية، ثم خيبر، وما بعدها[٣].

وبعثه رسول الله ﷺ إلى مالك بن عوف[٤].

(١) الخبر في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٦-١٧٧ وقد ذكره في أحداث سنة (٧٢).
(٢) ينظر خبره مطولاً في «تاريخ» الطبري ٦/ ٣٩٨-٤١١.
(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٠٩-١١٠ (طبعة مجمع دمشق - تراجم حرف العين).
(٤) بعثه إلى مالك عيناً، حيث جمع مالك هوازن وثَقيف لقتاله ﷺ، وذلك في حُنين. ينظر «الطبقات» ٢/ ١٣٩.

واستعان ابنُ أبي حَدْرَد رسول الله ﷺ في مهر امرأته، فقال: «كم أصْدَقْتَها؟» فقال: مئتي درهم. فقال: «لو كنتُم تغرفونه من بُطْحان ما زدتُم».

توفّي ابنُ أبي حَدْرَد سنة إحدى وسبعين وهو يومئذ ابنُ إحدى وثمانين سنة[١].

أسندَ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، وروى عن أبي بكر وعُمر، وعثمان، وأبي هريرة، رضي الله عنهم.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا يعقوب، حدَّثنا أبي، عن ابن إسحاق[٢]، حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حَدْرَد، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدْرَد قال:

بعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَم، فخرجتُ في نَفَرٍ من المسلمين؛ فيهم أبو قَتادة الحارث بنُ رِبْعيّ، ومُحَلِّم بن جَثَّامة بن قيس، حتى إذا كُنَّا ببطن إضم؛ مرَّ بنا عامر بن الأضْبط على قَعودٍ ومعه مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ من لَبَن[٣]، فسلَّم علينا، فأمْسَكْنَا عنه، وحملَ عليه مَحَلِّم بنُ جَثَّامة، فقتلَه بشيءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بعيرَه ومُتَيِّعَه.

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ، أخبَرْناهُ الخَبَر، فنزلَ فينا قرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية [النساء: ٩٤].

ومُحَلِّم هذا هو أخو الصَّعْب بن جَثَّامة، والصَّعْب من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم بين الخندق وفتح مكة[٤].

قال شهر بن حَوْشَب: إنَّ الصَّعْبَ بن جَثَّامة وعوفَ بن مالك كانا مُتواخِيَيْن؛ قال صعب لعوف: أَيْ أُخَيّ[٥]، أيُّنا ماتَ قبل صاحبه فليتراءَ له. قال: أويكون ذلك؟!

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥، و«تاريخ دمشق» ص ١١٨-١١٩.

(٢) في النسخ الخطية (غير م فليس فيها): أبي إسحاق. والتصويب من «مسند» أحمد (٢٣٨٨١).

(٣) الوَطْب؛ بفتح فسكون: سقاء اللبن يُتَّخذ من جلد، و«مُتَيِّع» بتشديد الياء: تصغير متاع، والقَعود؛ بفتح القاف: ما أمكن أن يُركب عليه من البعير. قاله السندي، كما في حاشية «المسند» (٢٣٨٨١).

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ١٢٢.

(٥) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): تعرف أي أخينا! بدل قوله: قال صعب لعوف أي أُخي. والتصويب من «المنامات» لابن أبي الدنيا ص ٢٧-٢٨، و«الروح» ص ١٥٩.

قال: نعم. فمات صعب، فرآه عوف في المنام فقال: يا أخي، ما فعل الله بكم؟ قال: غفرَ لنا بعد المصائب[١].

قال: ورأيتُ لَمْعةً سوداء في عنقه، فقلت: أيْ أُخَيّ، ما هذه؟ قال: عشرة دنانير استلفتُها من فلان اليهوديّ، وهي في قَرَني[٢]، فأعطُوه إيّاها، واعْلَمْ أيْ أُخَيَّ أنه لم يحدثْ في أهلي حَدَثٌ بعدي إلا لحق بي خبرُه[٣]، حتى هرَّة لنا ماتت منذ أيام، وإنَّ ابنتي تموتُ إلى ستة أيام، فاستَوْصُوا بها معروفاً.

قال عوف: فلما أصبحتُ أتيتُ أهله، فقالوا: مرحباً، إنك لم تقرَبْنا منذ مات الصعب، أهكذا تصنعون بإخوانكم؟! فاعتذرتُ إليهم بما يعتذر الناس، فنظرتُ إلى القَرَن وهو معلق، فأنزلته، وقلبتُه، فبدرتُ الصُّرَّة التي فيها الدنانير، فأرسلتُ إلى اليهوديّ، فجاء، فقلت: هل كان لك على صعب شيء؟ قال: رحمه الله، لقد كان من خيار أصحاب محمد ﷺ، هي له. قلت: أخبرني. قال: استلف مني عشرة دنانير. فنبذتُها إليه، فقال: هي واللهِ بأعيانها. فقلتُ: هذه واحدة. وقلتُ: هل حدثَ فيكم حَدَثٌ بعد موته. قالوا: نعم هِرَّةٌ ماتت منذ أيام. قلتُ: هاتان اثنتان. قلت: وكيف بنتُ أخي؟ قالوا: ها هي. فجاءت، فلمستها فإذا هي محمومة. فقلت: استَوْصُوا بها خيراً. فماتت بعد ستة أيام.

[وفيها قُتل]

مصعب بن الزبير

ابن العوَّام، أبو عبد الله[٤] [ولم يكن له ولد اسمه عبد الله] من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة[٥]، وكنيتُه المشهورة أبو عيسى[٦].

---

(١) في النسخ: السائب. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٢) أي: جَعْبَتي (كِنانة النبل).

(٣) في النسخ: لحقني أجره، بدل: لحق بي خبره. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٤) في (م): وأمُّه الرباب بنت أُنيف بن عُبيد، كلبيَّة، وحكى ابن سعد أنه كان يُكنى أبا عبد الله...إلخ. وما سيرد بين حاصرتين من (م).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨١ـ١٨٢ .

(٦) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٥ (طبعة مجمع دمشق).

[وقال الزُّبير بن بكّار:] كان [مصعب] من أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، جواداً سمحاً مُمدَّحاً[١].

وكان يجالسُ أبا هريرة، ورآه جميل بثينة على عرفات، فقال: إن ههنا لشابّاً أكره أن تراه بُثينة. يعني لجماله[٢].

وكان يسمَّى آنية النَّحْل؛ لجُوده[٣].

قيل لعبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: أيُّ أولادِ الزُّبير أشجع؟ فقال: ما منهم إلا من يمشي إلى الموت وهو يراه، ولا كمصعب.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: ما رأيتُ أميراً قطُّ أجملَ من مصعب بن الزبير على المنبر[٤].

وقال الشعبي: استدعاني مصعب يوماً بالكوفة لأمر جرى بينه وبين عائشة بنت طلحة، فدخلتُ عليه وهي جالسة، فسألني عما أراد، فأجبتُه، فقال: يا شعبيّ، هل رأيتَ مثلَ هذه؟ قلت: لا. وقمتُ فخرجتُ، فقالت له عائشة: أتَجْلُوني عليه بغير نِثار[٥]؟ فقال لها: للهِ دَرُّكِ! فبعث إليَّ بعشرة آلاف درهم.

قال: وكنتُ جالساً عنده، فأُتيَ برجل، فأمرَ بضربِ عُنقه، فقال له: أيُّها الأمير، ما أقبحَ بمثلي أن يقومَ غداً في القيامة، فيتعلقَ بأطرافكَ الحِسان، ووجهك المليح الذي يُستضاء به، فأقول: يا ربّ، سَلْ مصعباً بمَ قتلَني؟ فرقَّ له وقال: قد عفوتُ عنك. فقال الرجل: إنْ رأى الأميرُ أن يجعلَ ما بقيَ من حياتي في عيش رقيق الحواشي فليفعل. فأمرَ له بمئة ألف درهم، فقال: فإني أُشهدُك أنَّ نصفَها لابن[٦] قيس الرُّقَيَّات. قال: ولِمَ؟ قال: لقوله فيك:

إنَّما مصعبٌ شهابٌ من اللهِ... تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلماءُ

---

(١) المصدر السابق ٦٧/ ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق ٦٧/ ٣٤١.

(٣) ثمار القلوب ص ٥٠٨، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٣٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٢. ونُسب الكلام في (م) إليه.

(٥) أي: عطاء. والنِّثار ما ينثر في الأعراس من مال أو حلوى. وفي «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٠: تجلوني عليه ولا تعطيه شيئاً؟

(٦) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): لبني. والتصويب من «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٤٩، والخبر فيه بنحوه.

وكان عبدُ الله بن الزَّبِير الأَسَدي قد هجا المصعب، فنذر دمه، ثم دخل عليه، فقال له مصعب: أنت القائل:

إلى رجبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعدَهُ ... توافيكمُ بيضُ المنايا وسُودُها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دِينُها ... مسوَّمةً جبريلُ فيها يقودُها[١]

قال: نعم.

ومن شعره أيضاً:

رَمَى الحَدَثانُ نسوةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودا
فَرَدَّ شُعورَهنَّ السُّودَ بِيضاً ... ورَدَّ وجوهَهنَّ البيضَ سُودا
فإنك لو سمعْتَ بكاءَ هندٍ ... ورملةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدودَا
سمعتَ بكاءَ باكيةٍ وباكٍ ... أبانَ الدَّهرُ واحدَها الفقيدا[٢]

فعفا عنه، وأجزل جائزتَه، فخرج من عنده وهو يقول:

جزى اللهُ عنِّي مصعباً إنَّ فضلَهُ ... يعيشُ به الجاني ومن ليس جانيا
ويعفُو عن الذنبِ العظيم اجترامُهُ ... ويُوليكَ من إحسانٍ ما لستَ ناسيا[٣]

وهذا الشاعر من شعراء الحماسة.

وذُكر بين يدي مصعب رجل بالكِبْر، فقال: العجب ممن يتكبَّر وقد جرى في مجرى البول مرتين[٤].

وقال مصعب: قلتُ لعبد الله بن عُمر[٥]: هل أدَّيْتَ حقَّ الله في هذا الأمر؟ قال: نعم، كتبتُ إلى عبد الملك آمرُه [بتقوى الله،] وأن يكفَّ نفسه، فكتبَ إليّ: فمُر ابنَ

(١) أنساب الأشراف ٦/ ١٢٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ٥١١ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عبد الله بن الزَّبِير). وينظر «الأغاني» ١٤/ ٢٣٢ـ٢٣٣ .

(٢) في النسخ (عدا م، فالكلام ليس فيها): الفريدا، والمثبت من «شرح الحماسة» للتبريزي ٣/ ٤ ـ٥ . وينظر «شرح الحماسة» للمروزقي ٣/ ٩٤١ .

(٣) في النسخ: ما كنت جانيا. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص ٥١١ (الطبعة المذكورة آنفاً).

(٤) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٤٧ (طبعة مجمع دمشق). ونُسب الخبر في (م) للزُّبير بن بكّار.

(٥) في النسخ الخطية: عَمرو. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ١٤ . وما سيرد بين حاصرتين منه. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٢ (طبعة مجمع دمشق).

الزُّبير أن يُخرجَ نَفْسَه من هذا الأمر، وأُخرجُ نفسي أيضاً، ونجعلُها بين المسلمين شورى. فقلت لأخيك، فقال: لستَ من هذا الأمر في شيء.

ذكر مقتله:

قد ذكرنا مكاتبة عبد الملك لأصحابه وما أشار به إبراهيم بن الأشتر من قتلهم أو حبسهم، وامتناع مصعب من ذلك.

والتقَوْا، فكان على مقدِّمة عبد الملك محمد بن مروان، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وكان على ميسرة مصعب إبراهيم بن الأشتر، وعلى ميمنته قَطَن بن عبد الله الحارثي، وعلى الخيل عتَّاب بن وَرْقاء. والتقوا عند دير الجاثليق بمَسْكِن.

قوله: عبد الله بن يزيد بن معاوية وهم، فإنَّ عبد الله بن يزيد قاتلَ يوم قُتل عَمرو بن سعيد، وهرب إلى مصعب، فقاتلَ معه هو وبنو عمرو بن سعيد حتى قُتل مصعب[1].

وكان عروة بن المغيرة بن شعبة مع مصعب، وكان عبد الملك في خمسين ألفاً، ومصعب بن الزبير في ثلاثين ألفاً.

قال عروة: نظر إليَّ مصعب وهو واقف على دابَّته يتصفَّحُ الناس يميناً وشمالاً وقد خذله أهل الكوفة، فقال: يا عروة، أخبرني عن الحسين بن علي، كيفَ صنعَ بإبائه النزولَ على حكم ابن زياد، وعزمه على الحرب؟ ثم أنشد:

وإنَّ الأُلَى بالطَّفِّ من آل هاشم ... تَأَسَّوْا فَسَنُّوا للكرامِ التَّأَسِّيا

قال: فعلمتُ أنه لا يَرِيمُ حتى يُقتَل[2].

ثم التقَوْا، فحمل إبراهيمُ بنُ الأشتر على محمد بن مروان، فأزاله عن موقفه، وقُتل جماعة من أعيان أهل الشام، وهرب عتَّابُ بنُ وَرْقاء، وكان على خيل مصعب، وحملَ ابنُ الأشتر، فغاص في أهل الشام فقتلُوه، فقال مصعب لقَطَن بن عبد الله

---

(١) لم أقف على مراد المصنِّف. والذي سلف في ترجمة عَمرو بن سعيد بن العاص (أحداث سنة ٦٩) أن عبد الله ابن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى أخي عمرو بن سعيد لمَّا اقتحم مقصورة عبد الملك ليستنقذ عَمْراً، فلما قُتل عَمرو ركب عبد الله ولحق بمصعب. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٤٦-١٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٥٦ .

الحارثي: قَدِّمْ خيلَك أبا عثمان. فقال: ما أرى ذلك. قال: ولم؟ قال: أكرهُ أن يقتل واحد[١] في غير شيء. فقال لحجَّار بن أبجر: أبا أسيد، قَدِّمْ رايتَك. فأبى. ثم قال لأصحابه: تقدَّموا. فأبَوْا. فقال مصعب: يا إبراهيم ولا إبراهيم اليوم!.

ولمَّا رأى مصعب تخاذلَ القوم قال لابنه عيسى: يا بُنيّ، اركبْ إلى مكَّة أنت ومن معك إلى عمِّك، فأخْبِرْه ما صنعَ أهلُ العراق، ودعني فإني مقتول. فقال ابنُه: واللهِ لا أُخبرُ قريشاً أني فعلتُ ذلك[٢]، ولكن الْحَقْ بالبصرة، فهُم على الجماعة. فقال مصعب: لا واللهِ ما الفرارُ لي بعادة، وما السيف بعار. فقال عيسى: واللهِ لا أُفارقك أبداً.

وانهزم مَنْ كان مع مصعب حتى بقي في سبعة من خواصِّه، ومال جميعُ من كان معه من أهل العراق إلى عسكر عبد الملك، فرقَّ له عبدُ الملك وكان يحبُّه، وكان خِلًّا له قبل الخلافة، فقال عبد الملك لأخيه محمد: اذهبْ إليه فأَمِّنْه. وكان علي بن عبد الله ابن العباس حاضراً، فقال: لا تؤمِّنْه. فصاحَ به خالدُ بن يزيد بن معاوية: مالكَ يا علي ولهذا؟! بل نؤمِّنُه. وسبَّ علياً ونال منه.

فجاء محمد بن مروان، فناداه: يا مصعب، قد أمَّنَك ابنُ عمِّك على نفسك وولدِك وأهلك ومالك، فاذهب حيثُ شئتَ من البلاد، ولو أراد بك ابنُ عمك غيرَ هذا لكان. فقال مصعب: قُضيَ الأمر، إنَّ مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً.

ولما أبى مصعبٌ قبولَ الأمان وتقدَّم عيسى بن مصعب يقاتل؛ ناداه محمد بن مروان: يا ابن أخي، لا تقتلْ نفسَك قد أمَّنَك ابنُ عمك. قال مصعب: قد أمَّنَك عمُّك، فامضِ إليه[٣]. فقال: والله لا تتحدَّثُ قريشٌ أني أسلمتك للقتل. فقال: تقدَّمْ بين يديّ

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٨ : تقتل مذحج.

(٢) عبارة النسخ الخطية (غير م، فالكلام ليس فيها): «اركب إلى مكة أنت وبنو عمك قريش أني فعلت ذلك...»! وفيها اضطراب وسقط. وأثبتُّ لفظ «تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٨ . وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٢٤٧ .

(٣) كذا وقعت العبارة في (خ) و(د)، وسقط من (أ) قولُه: «قد أمَّنَك ابنُ عمك قال مصعب» وسقط من (ب) قوله: «محمد بن مروان يا ابن أخي لا تقتل نفسك». وعبارة الطبري ٦/ ١٥٦ : «ولما أبَى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له: يا ابن أخي لا تقتل نفسك، لك الأمان. فقال له مصعب: قد أمَّنك عمُّك فامض إليه...إلخ» وهي أحسن.

حتى احتسبَك. فتقدَّمَ، فقاتلَ بين يديه حتى قُتل. وأُثخن مصعب بالرَّمي، وحملَ عليه زائدة بن قُدامة وهو يقول: يا ثارات المختار، فطعنَه فصرعه.

وقيل: الذي قتل مصعباً يزيد بن هبَّار الفائشي وكان من أصحاب مصعب[١].

ونزل إليه عُبيد الله بنُ زياد بن ظَبْيان، فحزَّ رأسَه، وأتى عبدَ الملك، فأعطاه ألفَ دينار، فلم يأخذها وقال: إني لم أقتله لأجلك، وإنما قتلته على وِتْرٍ صنعه بي، ولا آخُذُ على حمل رأس مالاً[٢].

وكان النابي أخو عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان قد قُتل في أيَّام مصعب؛ كان يقطعُ الطريق، وطلبَ مصعبٌ عُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيان، فهربَ إلى عبد الملك[٣].

ولمَّا وُضع رأسُ مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال: واللهِ ما كنتُ أصبرُ عنه ساعة واحدة حتى دخلَ السيف بيننا، ولكنَّ المُلك عقيم، ومتى تغدو النساء بمثل مصعب، ولقد كانت الحُرمة بيننا وبينه قديمة[٤].

وقيل لعبد الملك: أكان مصعبٌ يشربُ الطِّلا؟ فقال: كلا والله، لو علَم مصعبٌ أنَّ الماء يُفسد مروءتَه لما شربه، رحم الله مصعباً ورضي عنه. ثم أمر بمواراته وولده عيسى وإبراهيم بن الأشتر، فدُفنوا بمَسْكِن، وقبورهم ظاهرة تُزار[٥].

ويقال: إنَّ عبد الملك سجد[٦]؛ قال ابن ظَبْيان: لمَّا سجدَ هَمَمْتُ أن أعلوَه بالسيف، فأكونَ قد قتلتُ مَلِكَي العرب في ساعة واحدة، وأَرَحْتُ المسلمين منهما[٧].

وقال عبد الملك لابن ظَبْيان: كيفَ رأيتَ المصعب؟ فقال: رجلاً يملأُ العين شجاعةً، والقلبَ مهابةً، الرمحُ بيده، والسيف في يده الأخرى، يطعنُ بهذا، ويضرب

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٩.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف ٦/ ١٨٦-١٩٥، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٥٧-١٥٩، ومروج الذهب ٥/ ٢٤٢-٢٥٠.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٠. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٢١.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٠-١٦١.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٠٩.

(٦) يعني لما أُتيَ برأس مصعب.

(٧) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٨٧ و١٩٥، و«مروج الذهب» ٥/ ٢٤٩، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٦-٣٥٧ و٣٦٩ (طبعة مجمع دمشق).

بهذا، ويفرِّقُ عنه رجاله وهو يقول:

وإنِّي على المكروه عند حضورِهِ أُكذِّبُ نفسي والجفونُ لها تُغْضِي
وما ذاك من ذُلٍّ ولكن حفيظةٌ أذُبُّ بها عند المكاره عن عرضي
وإني لآلِ الشَّرِّ بالشَّرِّ مَرْصَدٌ وإني لِذي سِلْمٍ أَذَلُّ من الأرضِ

فقال عبد الملك:

لقد أرْدَى الفوارسُ يومَ عبسٍ غلاماً غير منَّاعِ المتاعِ
ولا وقَّافةٍ والخيلُ تَعْدُو ولا خالٍ كأنبوب اليَراعِ[1]

وقال ابنُ ظَبْيان لما قُتل مصعب:

نُعاطي الملوكَ الحقَّ ما قَسَطُوا لنا وليس علينا قتلُهم بمحرَّمِ[2]

وقال عبد الملك بعد قتل مصعب: مَنْ أشجعُ العرب وأكرم العرب؟ فسكتوا. فقال: إنَّ أشجع العرب وأكرم العرب من جمعَ بين سُكينةَ بنت الحسين وعائشةَ بنت طلحةِ، وأمةِ الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كَرِيز، وأمُّه رباب [بنت أُنيف الكلبي] سيِّد ضاحية العرب، ووليَ العراق خمس سنين، فأصاب ألفَ ألف، وألفَ ألف، وألفَ ألف، ففرَّقَها في الناس، وأُعطِيَ الأمان على نفسه، فأبى، ومشى إلى الموت بسيفه، فقاتل حتى قُتل كريماً، لا مَنْ يقطع الجسر مرةً ههنا، ومرَّةً ههنا[3].

[وحكى ابنُ سعد عن الواقدي قال:] وقُتل مصعب يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين. وكذا قال المدائني.

وقال ابن أبي حاتم: في سنة إحدى وسبعين. وقد حكى الطبري القولين.

وقيل: سِنُّهُ خمسٌ وثلاثون. وقيل: تسع وثلاثون. وقيل: أربعون. وقيل: خمس وأربعون.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٩ـ٣٦٠ (طبعة مجمع دمشق)، وفي ص ٣٧٠: لقد أردى الفوارسَ... غلامٌ... وقوله: اليَراع، أي: القصب.

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٩٥، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٥٨.

(٣) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٧٠. (وما سلف بين حاصرتين منه)، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٦٨ـ٢٦٩.

وقال ابنُ عساكر(١): حكى مصعب عن عمر بن الخطاب، وأبيه الزُّبير رضي الله عنهما. فعلى ذلك قد جاوزَ الخمسين؛ لأنَّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قُتل في سنة ثلاث وعشرين.

وقد روى عن مصعب الحَكَمُ بنُ عُتَيْبَة وغيرُه.

ذكر أولاده وأزواجه:

[قال ابن سعد:] فولد مصعب عكاشةَ، وعيسى الأكبر، قُتل مع أبيه [مصعب]، وسُكينة، وأمُّهم فاطمةُ بنت عبد الله بن السائب بن أبي حُبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ.

وعبدَ الله ومحمداً، وأمُّهما عائشةُ بنت طلحة بن عُبيد الله، وأمُّها أمُّ كلثوم بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

[وحمزة، وعاصماً، وعُمر لأمِّ ولد](٢).

وجعفراً ومصعباً، وهو خُضير، وسَعداً، والمنذرَ، وعيسى الأصغر، وسُكَينةَ؛ لأمَّهاتِ أولادٍ شتَّى.

والرَّبابَ، وأمُّها سُكَينة بنتُ الحسين بن علي رضي الله عنه. [وهذا قول ابن سعد].

وقال هشام: [لم يكن له ولد اسمُه عبد الله، و] كان له حمزة وعاصم وعُمر، وقُتل حمزة وعُكاشة يوم قُدَيْد، وتزوَّج جعفر بن مصعب مُليكة بنت الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام(٣).

[قال]: ولما أيقنت سُكَينةُ بأنَّ مصعب بنَ الزبير مقتولٌ، وأنَّه لا يسلِّم نفسه نادت: وامصعباه! فقال مصعب: لو سمعتُ منك هذا الكلام قبل اليوم ما قُمتُ هذا المقام.

---

(١) في تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٣٥ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) قوله: وحمزة وعاصماً وعُمر لأمِّ ولد، من «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٢ . وما وقع غيره بين حاصرتين في هذه الفقرة فمن (م).

(٣) بعده في (أ) و(د) و(ب): «وكانت عائشة بنت طلحة قبل مصعب عند الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام». وهذا خطأ، إنما كانت عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ثم تزوجها مصعب. ينظر «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٣٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ٢٠٨-٢٠٩ (تراجم النساء).

يعني أنها ما كانت تظهر له محبَّتَها، فلما علم بحبِّها إياه ندم على إقدامه على القتل[١].

فلما قُتل خرجت [سُكينة] تطوف عليه بين القتلى، فعرفَتْه بشامةٍ في فخذه، فأكَبَّتْ عليه تقبِّلُه وتبكي وتقول: رحمك الله، فواللهِ لقد كنتَ نِعْمَ حليلُ المرأة المسلمة، أدركَكَ ما قال عنترة. وأنشدت الأبيات:

ليس الكريمُ على القَنَا بمحرَّمِ[٢]

ذكر ما رُثي به من الشعر، وما قال عبد الملك بعد قتله:

وقد رثاه جماعة؛ قال ابنُ قيس الرُّقَيَّات:

لقد أوْرَثَ المِصْرَيْنِ حُزْناً وذِلَّةً ... قتيلٌ بدَيْرِ الجاثَليقِ مقيمُ
فما نَصَحَتْ للهِ بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَبَرَتْ عند اللقاءِ تميمُ
ولو كان بكريّاً تعطَّفَ حولَهُ ... كتائبُ تجري حولَه وتَحومُ
ولكنه ضاع الذِّمامُ ولم يكن ... بها مُضَريٌّ يومَ ذاكَ كريمُ
جزى الله كوفيّاً هناك مَلامةً ... وبَصْرِيَّهم[٣] إن اللئيمَ مَلومُ

من أبيات.

ورثاه المغيرة بن عبد الله الأسدي الكوفي، وكنيتُه أبو مُعْرِض، ويُعرف بالأُقَيْشر بحمرة وجهه[٤]:

فسقى السحائبُ والنجومُ بأسرها[٥] ... جسداً بِمَسْكِنَ عاريَ الأوصالِ

(١) في هذا الكلام نظر، ففيه صرف عن حقيقة المعنى والهدف الذي كان عليه مصعب. وهذه رواية هشام ابن الكلبي، وهو متروك.

(٢) تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٦٨، وفيه بيتان لعنترة:

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً ... بالقاع لم يعهدْ ولم يتثلَّمِ
فهتكتُ بالرُّمح الطويل إهابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ

(٣) في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها): واسريهم! والمثبت من «ديوان» ابن قيس الرقيات ص ١٩٧، والأبيات فيه ببعض الاختلاف، وكذا في «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٧٧.

(٤) لم أقف على الأبيات للأقيشر، ونسب ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٥٦ الأبيات لعُبيد الله بن قيس الرقيات، وهي في «ديوانه» ص ١٩١.

(٥) في المصدرين السابقين: نعت السحائبُ والغمامُ بأسرها.

تُـمـسـي عَـوائـذَه الـسِّـبـاعُ ودارُهُ　　بـمـنـازلٍ أطـلالُـهـنَّ بـوالـي
رَحَـلَ الـرِّفـاقُ وغـادرُوه ثـاويـاً　　لـلـرِّيـحِ بـيـن صَـبـا وبـيـن شَـمـالِ

ورثاه عبدُ الله بن الزَّبِير الأسدي، وكان قد ذهبَ بصره، فسمع يوماً كلام ابنِ ظَبْيان فقال: من هذا؟ قالوا: قاتل مصعب، فقال:

أبـا مـطـرٍ شَـلَّـتْ يـمـيـنٌ تـفـرَّعَـتْ　　بسيفك رأسَ ابنِ الحَواريِّ مصعبِ
ولا ظَـفِـرَتْ كـفَّـاك بـالـخـيـرِ بـعـدَهُ　　ولا عِـشْـتَ إلا فـي تَـبـارٍ مُـخَـيَّـبِ
قـتـلـتَ فـتًـى كـانـت يـداه بـفـضـلـهِ　　تَـسُـحَّـان سَـحَّ الـعـارضِ الـمـتـصـوِّبِ
أَغَـرَّ كـضـوء الـبـدرِ صـورةُ وجـهِـهِ　　إذا ما بدا في الجَحْفَلِ المُتَلَبِّبِ[١]

فقال ابنُ ظَبْيان: صدقتَ، واللهِ ما أفلَحْنا بقتله ولا أَنجَحْنا، فهل من توبة؟ فقال: هيهات، سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ[٢].

ومعنى كلام ابنِ ظَبْيان: أنَّ عبدَ الملك لم يفِ لأحد ممَّن وعدَه الولاياتِ بشيء، وأبعدَهم عنه، ولم يَرَوْا منه خيراً قطّ.

ولما قتلَ عبدُ الملك مصعباً؛ نزل النُّخَيْلَة، ثم دعا الناس إلى البيعة، فجاءت قُضاعة، فرأى فيهم قلَّةً، فقال: يا معشر قُضاعة، كيف سلمتُم من مُضر مع قلَّتِكم وكثرتِهم؟ فقال له عبدُ الله بن يعلى النَّهْديّ: نحن أعزُّ منهم وأمنع. فقال: بمن؟ قال: بمن معك منَّا.

ثم قال لجُعفى: أشتملتُم على ابنِ أختكم وأجرتُموه؟ - يعني يحيى بنَ سعيد بن العاص - هاتوه، قالوا: وهو آمن؟ قال: وتشترطون عليَّ؟! قالوا: نحن نَدِلُّ عليك. فقال: هو آمن. فجاء يحيى، فقال له عبد الملك: يا قبيح الوجه، بأيِّ وجهٍ تنظرُ إلى ربك وقد خلعتني؟! فقال: بالوجه الذي خلقَه. فبايعه.

وجاءت عَدْوان ورئيسُها مَعْبَد بنُ خالد الجَدَلي، وكان دميماً، فقدَّم بين يديه رجلاً جسيماً وسيماً، فقال عبد الملك: من هؤلاء؟ قال الكاتب: عَدْوَان. فقال عبد الملك:

---

(١) أي: المشمِّر ومعه السلاح. وفي «تاريخ دمشق» ص ٥١١ : المتكثِّب.
(٢) تاريخ دمشق ص ٥١١-٥١٢ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزَّبِير). وينظر «الأغاني» ١٤/ ٢٣٣-٢٣٤ .

عَــذِيــرَ الــحــيِّ مــن عَــدْوا نَ كــانــوا حَــيَّــةَ الأرضِ
بَــغَــى بــعــضٌ عــلــى بــعــضٍ فــلــم يَــرْعَــوا[1] عــلــى بــعــضِ
ومــنــهــم كــانــت الــســادا تُ والــمُــوفُــون بــالــقَــرْضِ

ثم أقبل عبدُ الملك على الرجل الجسيم وقال: إيه. يستنطقُه. فقال: لا أدري. قال معبد: فقلت:

ومــنــهــم حَــكَــمٌ يــقــضــي[2] ولا يُــنــقَــضُ مــا يــقــضــي
ومــنــهــم مَــنْ يُــجــيــزُ الــحــجَّ[3] بــالــسُّــنَّــةِ والــفَــرْضِ
وهُــم مــن ولــدٍ يــنــزع[4] بِــســرِّ الــنَّــسَــبِ الــمَــحْــضِ

قال: فلم يلتفت إليَّ عبدُ الملك، وأقبلَ على الرجل الوسيم فقال: من يقول هذا؟ فقال: لا أدري. فقال معبد: فقلتُ من خلفه: ذو الإصبع العَدْواني. فلم يلتفت إليَّ وأقبل على الجميل، فقال: ولِمَ سمِّي ذو الإصبع[5]؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه: [لأنَّ حيَّةً عَضَّتْ إصبعَه، فقَطَعَتْها. فأقبل على الجميل فقال: ماكان اسمُه؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه:]حُرْثان بن الحارث. فلم يلتفت إليَّ وقال للجميل: من أيكم كان؟ فقال: لا أدري. فقلتُ من خلفه: من بني تاج. فأقبل على الجسيم وقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعُ مئة. ثم التفتَ إليَّ وقال: كم عطاؤك؟ قلت: ثلاث مئة. فقال للكاتب: حطَّ من عطاء هذا - يعني الجميل - أربعَ مئة، وزِدْها في عطاء هذا. يعني معبداً. فرجع معبد في سبع مئة، والرجل الجميل في ثلاث مئة[6].

---

(١) في «الأغاني» ٣/ ٨٩ : فلم يُبْقوا.

(٢) قال أبو الفَرَج في «الأغاني» ٣/ ٩٠ : يعني عامر بن الظَّرِب العَدْواني، كان حكماً للعرب تحتكم إليه.

(٣) في رواية «الأغاني» ٣/ ٩٢ : يجيز الناس، وهما بمعنى. قال أبو الفَرَج: إن إجازة الحج كانت لخزاعة، فأخذَتْها منهم عَدْوان، فصارت إلى رجل منهم يقال له: أبو سيَّارة.

(٤) لم أقف على هذا اللفظ. ورواية الأغاني: وهم من وَلَدُوا أشْبَوا. وفي «تاريخ» الطبري٦/ ١٦٣ : وهم مذ ولدوا شبُّوا. وفي «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٣ ، و«تهذيب الكمال» ٢٨/ ٢٣١ (كلاهما في ترجمة معبد بن خالد): وهم من ولدوا أسنوا.

(٥) كذا. والجادَّة: ذا الإصبع.

(٦) ينظر: أنساب الأشراف ٦/ ٢١٣-٢١٤، و«تاريخ» الطبري٦/ ١٦٢-١٦٤، والأغاني ٣/ ٩١-٩٣ ، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٣ ، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٢٣٠-٢٣٢ (ترجمة معبد بن خالد) وما سلف بين حاصرتين منها.

وإنما لم يلتفت عبدُ الملك إلى معبد؛ لأنَّه لم يسأله، ومن حُسن الأدب أن يُجيب المسؤولُ، أما إذا أجابَ غيرُه، فهو حُمق.

ثم دخل عبد الملك الكوفة، فخطب وقال: إنَّ عبد الله بن الزُّبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسَى بنفسه، ولم يغرز ذنَبَه في الحرم، وقد ولَّيتُ عليكم بِشْرَ بنَ مروان، وأمرتُه بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

واستعمل محمدَ بنَ عُمير على هَمْدان، ويزيدَ بنَ رُويم على الرَّيّ، وعلى البصرة خالدَ بنَ عبد الله بن أسيد. وفَرَّقَ العمَّال، ولم يفِ لأحدٍ شَرَطَ عليه ولايةَ أصبهان بشيء.

وكان قد تنازعَ الرِّياسةَ بالبصرة عُبيدُ الله بنُ أبي بَكْرة وحُمران بن أبان بعد قتل المصعب، فغَلَبَ حُمْران على البصرة، وكانت له منزلةٌ عند بني أمية؛ رأى شيخٌ من الأعراب حُمران، فقال: لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه، فابتدرَه مروان وسعيد بن العاص أيُّهما يُسَوِّيه.

وقال أبو عاصم: مدَّ حُمران رِجْلَه، فابتدر معاويةُ وعبدُ الله بنُ عامر أيُّهما يغمزها(١).

وحُمران هو الذي نفاه عثمان رضوان الله عليه إلى البصرة، وهو مولاه.

ثم قدم خالد بن عبد الله البصرة والياً، فأزال ولاية أبي بَكْرَة وحُمْران.

و[قال الهيثم:] دخلَ عبد الملك القصر بالكوفة، وجعل يمرُّ على الأبنية فيقول: مَنْ بَنَى هذا؟ ومن بنى هذا؟ وهم يخبرونه، فقال:

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إلى بِلًى ... وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانَ

و[قال أبو القاسم السِّمناني:] جلسَ عبدُ الملك في القصر وبين يديه رأس مصعب، فدخل الشعبي، فقال له عبد الملك: حدثني بأعجب ما رأيتَ أو سمعتَ. فقال: رأيتُ رأسَ الحسين بين يدي ابنِ زياد ههنا، ورأيتُ رأس ابنِ زياد بين يدي المختار، ورأيتُ رأس المختار بين يدي مصعب، ورأيتُ رأسَ مصعب بين يديك. فبأيِّ شيء أحدِّثك [بأعجبَ من هذا]؟ فتَطَيَّر عبدُ الملك من قول الشعبي، وأمرَ بنقض القصر، وبنى غيرَه.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٤_١٦٥ .

قال المصنف رحمه الله: وهذا وهم؛ لأنَّ عبد الملك دفن رأس مصعب مع جثَّته بمَسْكِن، ولم يدخل به الكوفة. [وإنما هذا من كلام عُبيد بن عُمير][1].

واختلف الناسُ، هل دخل عبد الملك الكوفة أم لا؟.

قال بعضهم: دخلها، وقال بعضهم: لم يدخلها، وأقام بمَسْكِن أربعين يوماً، ثم دخل الشام.

[قال الواقدي:] ولما عاد عبد الملك في هذه السنة إلى الشام فتحَ قيساريَّة الساحل[2].

ذكر وصول خبر مصعب إلى أخيه عبد الله[3]:

كان عبد الله بن أبي فَرْوَة عند مصعب بمنزلةٍ لم يصل إليها غيرُه، وكان ينتهي إلى رأيه، فلما قُتل مصعب هرب ابنُ أبي فَرْوة إلى مكة، فقال عبد الملك: مَنْ يَرُدُّه وله مئةُ ألف درهم. فسارَ خلفَه جماعةٌ، ففاتَهم، وقدمَ مكةَ على ابن الزُّبير، فقال: حدِّثْني كيف كان حديث[4] أخي مع عبد الملك؟ فقال: التقينا، فمال داودُ بن قَحْذَم براية بكر ابن وائل، ومالَ فلان براية بني فلان.. حتى عدَّ الجميع.

قال: فلما رأيتُه قد بقي في رِقَّةٍ من الناس؛ أتيتُه بأفراس قد ضَمَّرْتُها مثل القِداح، فقلت له: ارْكَبْ والْحَقْ بمكة. فَدَثَّ[5] في صدري دَثَّةً، فقال: ليس أنا بالفارّ ولا العبد، وعلى الحياة العَفَاء. فبكى ابنُ الزُّبير [عند ذلك بكاءً شديداً واسترجع][6] وقام خطيباً فقال:

الحمد لله الذي له الخَلْقُ والأمر، يؤتي المُلكَ مَنْ يشاء، وينزعُ الملكَ ممَّن يشاء، ويُعزُّ مَنْ يشاء، ألا وإنَّه لم يُذلَّ اللهُ مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان فرداً، ولم يُعزَّ من كان

---

(١) كذا في (م) (والكلام ما بين حاصرتين منها). والصواب: عبد الملك بن عمير، لا عُبيد بن عُمير، وعبد الملك بن عُمير هو صاحب القصة كما في المصادر. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٣٧٠ و٣٧١ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٧ . وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٣) جاء بدل هذا العنوان في (م) عبارة: وحكى أبو اليقظان قال.

(٤) في (م): التقاء.

(٥) أي: دَفَعَ.

(٦) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٨٨ . والكلام بين حاصرتين من (م).

وليَّه الشيطانُ وحزبُه ولو كان معه الأنام [طُرّاً][(١)]، ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزَننا وأفْرَحَنا، أتانا قتلُ مصعب رحمه الله، فأمَّا الذي أفْرَحَنا؛ فعِلْمُنا أنَّ قَتْلَه له شهادة، وأمَّا الذي أحزَنَنا؛ فإنَّ لفراق الحميم لوعةً يجدُها حميمُه عند المصيبة، ثم يَرْعَوِي مِن بعدِها ذو الرأي إلى الصبر الجميل وكريم العَزَاء، ولئن أُصبْت بمصعب؛ فلقد أُصبتُ بالزُّبير قبلَه، ألا إنَّ أهلَ العراق أهلُ الغَدْرِ والشِّقاق، أسلَمُوه وباعوه بأقلِّ ثمن، فإن نُقتل فإنَّا واللهِ لا نموتُ على مضاجعنا كما يموتُ بنو أبي العاص، واللهِ ما قُتِلَ منهم رجلٌ في زحفٍ في الجاهلية ولا في الإسلام، وما نموتُ إلا قَعْصاً[(٢)] بالرِّماح، وموتاً تحت ظِلال السيوف، ألا إنما الدّنيا عاريَّةٌ من المَلِكِ الأعلى الذي لا يزولُ سلطانُه، ولا يَبِيدُ مُلْكُه. وتمثَّلَ:

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إلى البِلَى ... وكلُّ امْرِئٍ يوماً يصيرُ إلى كانَ[(٣)]

السنة الثانية والسبعون

وفيها كَمُلَ بناءُ قُبَّة الصَّخرة والجامع الأقصى، وكان [عبد الملك] شَرَعَ في بنائها سنة تسع وستين[(٤)].

والسببُ[(٥)] فيه أنَّ ابن الزُّبير كان قد استولى على مكة[(٦)].

[وقال هشام:] وكان يخطبُ في أيام منى وعرفة ومُقامِ الناس بمكة، وينال من عبد الملك، ويذكرُ مساوِئَ بني أمية، ومثالب بني مروان، ويقول: إنَّ رسول الله ﷺ لعنَ

---

(١) لفظة «طرّاً» بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٦ .

(٢) القَعْص: الطعن بالرُّمح.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٦-١٦٧ . وجاء بعده في (خ) ما نصُّه: آخر الجزء المنقول منه؛ والحمد لله وحده، حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٤) سلف الكلام على ذلك أول سنة (٦٩)، لكن نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ عن المصنِّف البدء بها في أحداث سنة (٦٦)، وقال: كملت عمارته سنة ثلاث وسبعين. ولفظ العباره في (م): قد ذكرنا أن عبد الملك بن مروان كان شرع.....

(٥) في (م): قال الواقدي: وكان السبب...

(٦) بعدها في (م) ما صورتُه: «فكان في المواسم يذكر مثالب بني مروان ويدعو إلى نفسه، وكان فصيحاً، فتميل الناس إليه، فمنع عبد الملك الناس من الحج». وسيرد هذا الكلام مفرَّقاً فيما يأتي. لذا لم أزده.

الحَكَم وما نَسَل، وإنَّه طريدُ رسول الله ﷺ ولَعِينُه. ويدعو إلى نفسه. وكان فَصِيحاً، فمال معظمُ أهل الشام إليه، وصاروا بِطانةً له.

وبلغ عبدَ الملك، فمنعَ الناسَ من الحجِّ، فأقاموا مدَّةً، فضجُّوا، فبنى لهم القُبَّة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلَهم بذلك عن الحجّ، فكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يومَ العيد(١).

[ذكر طرف من ذلك:

ذكر هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، وذكر طرفاً منه الواقدي وغيره؛ دخل حديث بعضهم في بعض؛ قالوا:] ولمَّا عزم عبدُ الملك على بنائها؛ كتبَ إلى أهل الأمصار ممَّن هو في طاعته من أهل الشام ومصر وأرمينية والجزيرة: أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين قد عزمَ على بناء قُبَّة على صخرة بيت المقدس، تكونُ للمسلمين ظِلًّا وكهفاً(٢)، ولولده ولمن يأتي بعدَه عِزّاً وشَرَفاً، وإنه كره أن يشرع في ذلك قبل أن يستشير أهلَ الرأي والحَزْم والشرف والفضل من رعيَّته؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فليكتبوا إليه ما عندهم فيما عزم عليه.

فكتبوا إليه: ليُتَمِّمْ أميرُ المؤمنين ما عزمَ عليه من بناء بيت الله المقدَّس، وتزيين المسجد الأقصى، أجرى الله الخيراتِ على يديه، وجعلَ ذلك مَكْرُمةً له، ولمن مضى مِن سَلَفِه، ولِمَنْ يأتي بعدَه مِن خَلَفه موفَّقاً إن شاء الله تعالى.

وإنَّما(٣) استشارهم خوفاً من شناعة ابن الزُّبير عليه، فأرادَ حَسْمَ مادَّته، ومع هذا فما سلم منه، فإنه كان يُشَنِّعُ عليه ويقول: ضاهى بما فعلَ إيوانَ كسرى، والخضراء كما فعل معاوية، ونقلَ الطوافَ من بيت الله إلى قِبْلَةِ بني إسرائيل، ونحو ذلك.

فسار عبدُ الملك من دمشق ومعه الأموال والعمَّال، ووكَّل بالعمل رجاءَ بنَ حَيْوة، ويزيد بن سلام مولاه(٤)؛ وجمع الصُّنَّاع والمهندسين [من الآفاق]، وأمرهم أن

(١) بعدها في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ (عن المصنِّف): ويحلقون رؤوسهم.

(٢) في (م): وكَنَفاً. وما سلف بين حاصرتين منها.

(٣) في (م): وقيل: إنما...

(٤) المثبت من (م)، وفي غيرها: ومولاه. وينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ .

يُصَوِّروا القُبَّةَ قبل بنائها، فصوَّرُوها له في صحن المسجد، فأعجبَه، وبنى للمال بيتاً شرقيَّ القُبَّة، وشَحنَهُ بالمال، وأمرَ رجاءَ ويزيدَ أنْ يُفْرِغا المالَ إفراغاً، ولا يتوَقَّفا في شيء، فتمَّ البناء على القُبَّة التي هي قائمة اليوم[١]، إلا أنَّه بنى من ناحية القبلة سبعة[٢] محاريب، عليها سبع قِباب، والقبَّةُ الباقية التي هي اليوم على المحراب هي أوسطُها.

ولما تمَّ بناءُ القُبَّة عملَ لها جِلالَيْن[٣]؛ أحدهما من اللُّبُود[٤] الحُمْر للشتاء، والآخر من أَدَم[٥] للصيف، وحَفُّوا الصخرةَ بدرابزين[٦] من الساج[٧] المطعَّم باليَشْم[٨]، وخلف الدرابزين ستورٌ من الدِّيباج مُرْخاة بين العُمُد.

وكان السَّدَنَةُ كلَّ اثنين وخميس يُذيبون[٩] المِسْك والعنبر والماوَرْد والزَّعْفران، فيعملون منه غالِيةً[١٠] بماء الورد الجُوريّ ويُخَمَّر من الليل، ثم يدخلُ الخدمُ صُبْحةَ كلِّ يوم من هذين اليومين الحمَّام، فيغتسلون ويتطهَّرون، ثم يدخلون الخزانةَ التي فيها الخَلُوق، فيخلعون ثيابهم، ويلبسون ثياب الوَشْي[١١]، ويشدُّون أوساطَهم بالمناطق المحلَّاة بالذهب، ويُخَلِّقُون الصخرة[١٢]، ثم يوضع البَخُور في مجامر الذهب والفضة، وفيها [العُود] القَماريُّ المَطْليُّ بالمسك[١٣]، وتُرخي السَّدَنَةُ السُّتُور،

(١) في (م): فتمَّ البناء على هذه الهيئة التي هي عليها اليوم.

(٢) في النسخ الخطية: سبع. وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة.

(٣) أي: غِطاءَيْن.

(٤) جمع لِبْد، وهو ضربٌ من البُسُط.

(٥) جمع أديم، أي: جلد.

(٦) هي عبارة عن قوائم مصفوفة من الخشب أو الحديد تُحاط بها السلالم أو السطوح وغيرها. وهي معرَّبة. وتستخدم كثيراً. ينظر «معجم الألفاظ المعربة» ص ٦١ .

(٧) يعني خشب الساج، وهو ضرب من الشجر كبير.

(٨) نوع من الأحجار الكريمة شبيهة بالعقيق. ينظر «المعجم الذهبي» ص ٦٢١ .

(٩) المثبت من (م). وفي النسخ الأخرى: يذيفون(؟). وفي «البداية والنهاية» ١٢/ ٤٢ : يُذَوِّبون.

(١٠) اسم للطِّيب المصنوع مما ذكر.

(١١) أي: الثياب المنقوشة والمُنَمْنَمة.

(١٢) أي: يطيِّبُونها بالخَلُوق. وهو الطِّيب.

(١٣) بعدها في (م) ما صورتُه «والقَماري مكان بالهند يُجلب منه العود الخاص». اهـ . وذكر الفيروزآبادي في «القاموس» (قمر) أن قَمَار موضع منه العُود القَماريّ.

فيستديرُ(١) البَخُور على الصخرة كلِّها، فتعبَقُ الرائحة، ثم تُرفع السُّتور، فتخرج تلك الرائحةُ حتى تملأ المدينةَ كلَّها، ثم يُنادي منادٍ: ألا إنَّ الصخرةَ قد فُتحت، فمن أرادَ الزيارة فليأْتِ. فيُقبلُ الناسُ مبادِرين إليها، فيُصلُّون ويخرجون، فمن وُجدت منه رائحةُ البَخُور؛ قيل: هذا كان اليومَ في الصخرة.

وأبواب الصخرة أربعة على ما هي عليه اليوم، وعلى كلِّ باب عَشَرَةٌ من الحَجَبة، فالباب الشَّمالي سمِّي باب الجنَّة، والشرقيّ باب إسرافيل، والغربيّ باب جبريل، والقِبْليّ باب الأقصى، وكانوا يُسْرِجُونها بِدُهْنِ البَان(٢)، ولا يدخلُها في غير أيام الزّيارة سوى الخُدَّام.

وكان للحرم عشرون باباً وكان فيه ألفُ عمود من الرُّخام، وفي السُّقُوف ستون ألف خشبةً من السَّاج المنقوش، ومن القناديل خمسةُ آلاف قنديل، ولها أربع مئة سلسلة، في كل سلسلة ألفُ رطل بالشاميّ، وذَرْعُ السلاسل ثلاثون(٣) ألفَ ذراع.

وكان يُوقَدُ في الصخرة في كلِّ ليلة مئةُ شمعة، وكذا في الأقصى، وقيل: ألف [شمعة]، ويُوقد في القناديل كلَّ ليلة من دُهْن البَان والزَّيت المغسول قنطار.

وكان في الحرم من القِباب خمسون قُبَّة، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف شَقَّة، وكان في الحرم ثلاث مئة خادم؛ اشْتُرُوا من بيت المال من الخُمس، كلما مات منهم واحد قام ولدُه ونسلُه مقامَه؛ يجري عليهم ذلك أبداً ما تناسلوا، ويقبضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر.

وكان فيه مئة صِهريج(٤)، وكانت صفائح سطوح القُبَّة عوض الرصاص من الذهب، وكذا سقفُ الأقصى وعلى أبواب القُبَّة.

[قال الواقدي:] وذلك لأنه لما كَمُل البناء؛ فَضَلَ من المال ثلاث مئة ألف دينار. وقيل: ست مئة ألف. فكتب رجاء بن حَيْوَة ويزيد بن سلام يُخبرانه بما فَضَلَ من المال.

---

(١) المثبت من (م): وفي غيرها: فيستديروا.

(٢) في «القاموس»: البان شجر، ولَحَبِّ ثمره دهن طيِّب.

(٣) في (م): أربعون.

(٤) الصِّهْريج: حوض كبير للماء.

فكتبَ إليهما: قد جعلتُه لكما عِوَضاً عن تعبكما. فكتبا إليه: إنَّا قُمنا ببناء هذا البيت للهِ تعالى وابتغاء مرضاته، فلا نقبلُ على ذلك عِوَض[١] الدنيا، ولَوَدِدْنا أن نَزِيدَ فيه من حُلِيِّ نسائنا. فكتبَ إليهما: أفْرِغاه على القُبَّة والأبواب. [فأفرغَاه]. فما كان أحد يقدر أن يتأمَّلَ القُبَّةَ ممَّا عليها من الذهب.

فلما كان في خلافة أبي جعفر قَدِمَ البيت المقدَّس في سنة أربعين ومئة، فوجد الزلازل قد أخربَت محاريب الأقصى وقِبابَه الستّ، ولم يبقَ إلا الأوسط الذي هو قائم اليوم، فشكا إليه الناس الخراب. فقال: قد علمتُم الحال، وليس في يدي ما أَعمُره اليوم، ولكن اقلعُوا هذه الصفائح التي على القُبَّة والأبواب، واعمُرُوه بها. ففعلوا.

ثم جاءت زلزلةٌ أخرى في أيام أبي جعفر، فرمت البناء الذي بَنَوْه.

فلمَّا قدم المهديّ محمد بن أبي جعفر إلى القدس بعد وفاة أبيه وجده خراباً، فقال: دَقَّ هذا المسجد وطال، وخلا من الرِّجال، انقُصُوا من طوله، وزِيدُوا في عرضه، واقتَصِرُوا على قُبَّة الأقصى ـ التي هي عليه اليوم ـ ففعلوا.

[قالوا:] وطولُ المسجد من القبلة إلى الشَّمال سبعُ مئة وخمسٌ وستون ذراعاً، وعرضُه أربع مئة وخمس وستون ذراعاً.

ولما تم بناء القُبَّة كتبوا عليها بالقَصِّ مما يلي القُبَّة مقابل الداخل من باب الصخرة القبليّ ما صورتُه: بسم الله الرحمن الرحيم، بنى هذه القُبَّة عبد الله عبدُ الملك أميرُ المؤمنين سنة اثنتين وسبعين.

قال المصنف رحمه الله: وقد قرأتُه مراراً، وقد قشط بعضُ الجُهَّال اسم عبد الملك، وكتبَ مكانه: المأمون. وأين أيامُ عبدِ الملك من أيام المأمون؟! بينهما نحوٌ من خمسين ومئة سنة.

وكان بين عِمارة القُبَّة ووفاة رسول الله ﷺ اثنتان وستون سنة، وبينها وبين فتوح عمر رضي الله عنه ستٌّ وخمسون سنة؛ لأن عمر رضي الله عنه فتحَه في سنة ستَّ عشرة[٢].

---

(١) في (أ): عَرَض.

(٢) نقل ابنُ كثير الخبر في «البداية والنهاية» ١٢/ ٣٧ـ٤٤ في سنة (٦٦) عن المصنِّف. وكلُّ ما سلف في الخبر بين حاصرتين من (م).

وقال كعب الأحبار: وجدتُ في بعض كتب الله المنزَّلة: يقول [الله تعالى]: أبشري أورى شلم، سوف أبعثُ إليك عبدي عبد الملك يبنيكِ ويُزخرفُك، ولأَرُدَّنَّ إليك مُلكَك الأوَّل، ولأُكلِّلَنَّ الهيكل بالذهب والفضة واللؤلؤ والمَرْجان [يعني الصَخرة] ولأَضَعَنَّ عرشي عليك كما كان، إنني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي.

وفيها ولَّى عبدُ الملك طارقَ بن عَمرو مولى عثمان ﷺ المدينةَ، فسار إليها، فغلب عليها، وأخرج منها طلحة بن عبد الله بن عوف عاملَ ابن الزبير، وأقام طارق والياً عليها سنة، وقيل: خمسة أشهر. ثم أمرَه عبدُ الملك أن يخرج عنها فيقيمَ بين وادي القرى وبين أَيلة مَدَداً لما يحتاجُ إليه عوناً على ابن الزبير، وبعث إليه ستة آلاف، فأقام حيثُ أمره، وعزلَه عن المدينة(١).

[وطارق هذا صاحب الواقعة مع سعيد بن المسيّب]؛ قال عليُّ بن الحسين ﷺ(٢): ولَّى علينا عبدُ الملك بن مروان طارقاً مولى عثمان بن عفان، فقلتُ لسالم بن عبد الله ابن عُمر وللقاسم بن محمد بن أبي بكر [الصِّدِّيق]، ولأبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف: اذهبوا بنا إلى هذا الرجل لنسلِّم عليه ندفعْ بذلك عن أنفسنا.

قال: فأتيناه، فرحَّبَ بنا، ثم قال: أيُّكم سعيدُ بنُ المسيِّب؟ فقال له القاسم بنُ محمد: إنه مشغول [بنفسه] وقد رفعت عنه الولاةُ إتيانَها، وقد ألزمَ نفسَه المسجد، فليس يخرج منه إلا لحاجته. فقال: أَوَرَغب أن يأتيَني، واللهِ لأقتلنَّه. قالها ثلاثاً.

قال القاسم: فضاقَ بنا المجلس، وقمنا من عنده، فأتيتُ المسجد، وإذا سعيد قاعدٌ عند أسطوانة(٣)، فقلت له: [أرى] أن تخرج إلى مكةَ معتمراً وتقيمَ بها. فقال: ما حضرتني نيَّةٌ في ذلك. قلت: فاخْرُجْ إلى بعض منازل إخوانك فأقمْ به. فقال: وكيف أصنعُ بهذا الداعي الذي يدعوني في اليوم خمس مرات؟! قلتُ: فأرى أن تقوم من مجلسك هذا. فقال: لا أقومُ من مكان قد وهب اللهُ لي فيه العافية منذ كذا وكذا سنةً.

(١) ينظر تفصيله في «أنساب الأشراف» ٦/٢١٨-٢١٩ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٨٨ (مصورة دار البشير).
(٢) في (م): حدَّثنا غير واحد عن هبة الله بإسناده إلى علي بن الحسين ﷺ قال:...
(٣) في (أ): أسطوانته.

فأخبرتُه بقول طارق، فقال: هوِّنْ عليك. فقلتُ: أما تخافُ؟! فقال: واللهِ ما خِفْتُ شيئاً سوى ربِّي. ثم قال: أسألُ اللهَ العظيمَ أن يُنْسِيَه ذِكْري.

قال: فانصرفتُ عنه، وجعلتُ أسألُ: هل كان في المسجد شيء؟ ولا أُخبَر إلا بالخير. قال: فأقام طارق والياً علينا سنة لا يخطر ببالِه سعيد.

ثم عُزل طارق، فخرج من المدينة قاصداً وادي القُرى، فنزل فيه وبينَه وبين المدينة خمس مراحل، فقال طارق لغلامه: واسوأتاه من علي بن الحسين وسالم بن عبد الله والقاسم بن محمد، حلفتُ بين أيديهم ثلاثة أيمان بالله لأقتلنَّ سعيدَ بنَ المسيِّب، والله ما ذكرتُه إلا في هذه الساعة. فقال له غلامُه: ما أراد الله لك خيرٌ مما أردتَ لنفسك إذ أنساك ذكره[1]. فقال: صدقتَ، اذْهَبْ فأنتَ حُرٌّ لوجه الله تعالى[2].

وفيها بلغَ الخوارجَ أنَّ مصعبَ بنَ الزُّبير قد قُتل، وكانوا نازلين بسُولاف[3]، وفي مقابلهم المُهَلَّب، وعبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكانوا قد اقتتلُوا ثمانية أشهر أَشَدَّ قتال، وبلغ الخوارجَ قتلُ مصعب قبل أن يبلغ المهلَّبَ وأصحابَه، فناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب؟ قال المُهَلَّب وأصحابُه: إمامُ هدًى، هو وليُّنا في الدنيا والآخرة. قالوا: فما تقولون في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذاك ابنُ اللَّعين. قالوا: فأنتم منه بُرَآء في الدنيا والآخرة؟ قالوا: نعم، ونحن له أعداء؛ كعداوتنا لكم. قالوا: فإنَّ إمامَكم المصعب قد قتلَه عبدُ الملك بنُ مروان، وإنكم ستجعلون عبدَ الملك غداً إمامكم، وأنتم الآن تلعنون أباه، وتتبرَّؤون منه. قالوا: كذبتُم يا أعداء الله.

فلما كان من الغد تبيَّن لهم قتلُ مصعب، فبايع المُهَلَّبُ الناسَ لعبد الملك، فناداهم الأزارقة: يا أعداء الله، بالأمس تدَّعون أنَّ مصعباً إمامُكم، وتتبرَّؤون من عبد الملك، وتلعنون أباه، واليوم تُوالونَه وتُبايعونه بالخلافة، وقد قتلَ إمامَكم الذي كنتُم تَتَوَلَّوْنَه في

(١) المثبت من (م). وفي غيرها: لذكره.

(٢) ينظر «اعتقاد أهل السنة» ٩/ ١٨٤ـ١٨٥، و«المنتظم» ٦/ ١٢٠ـ١٢١.

(٣) قرية غربيّ دُجيل من أرض خُوزستان. «معجم البلدان» ٣/ ٢٨٥. وتحرَّفت في النسخ (غير م فالكلام ليس فيها) إلى سولان. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٨.

الدنيا والآخرة! فأيُّهما المهتدي وأيُّهما الضالّ؟! فقالوا: رضينا بذلك إذ كان وَلِيِّنا ويلي أمورَنا، ونرضى[(١)] بهذا كما رضينا بذاك. فقالت الخوارج: لا والله، ولكنَّكم إخوانُ الشياطين، وأولياء الظالمين، وعَبيدُ الدنيا.

ولمَّا قدم خالد بنُ عبد الله بن أَسِيد البصرة؛ أقرَّ المُهلَّبَ على خَراج الأهواز، وبعثَ المغيرةَ بن المُهلَّب إلى إصطخر، وبعث مقاتلَ بن مِسْمَع على جيش، وألحقَه بأخيه عبد العزيز بن عبد الله، فخرجَ يطلبُ الأزارقة، وأقبلوا من كَرْمان، فالتَقَوْا على دَرَابْجِرْد[(٢)]، فاقتَتَلُوا، فقُتل مالكُ بنُ مِسْمَع، وانهزمَ عبدُ العزيز، وأُسِرَت امرأتُه بنتُ المنذر بن الجارود، فنُوديَ عليها فيمن يزيد، فبلَغَتْ مئة ألف، وكانت جميلة، فقام رجلٌ من قومها من رؤوس الخوارج يقال له: أبو حديد، فقال: تَنَحَّوْا عن هذه المشركة، فما أراها إلا قد فتنتكم. فضربَ عنقَها، وقدم البصرة بعد ذلك، فقال له أهل المنذر: ما ندري أنحمدُك أم نَذُمُّك! فقال: واللهِ ما فعلتُه إلا غَيْرَةً وحَمِيَّة.

وجاء عبد العزيز أخو خالد، فنزل على رامَهُرْمُز[(٣)]، وبلغ المُهلَّبَ، فارسل شيخاً عاقلاً من فرسانه من الأَزْد إلى عبد العزيز يُشجِّعُه ويَعْذِرُه ويقول: مازال الناسُ كذا، ويخبرُه أن الجيوش تأتيه عاجلاً.

فجاء الشيخ إليه، فوجده في ثلاثين فارساً كئيباً حزيناً، فأدَّى رسالة[(٤)] المهلَّب، وعاد إلى المُهلَّب، فأخبرَهُ خبرَه، فقال المُهلَّبُ للشيخ: اذهب إلى البصرة إلى أخيه خالد، فأخْبِرْه بما رأيتَ. فقال الشيخ: أنا آتي خالداً فأُخبرُه بخبر أخيه! لا والله لا [آتيه]. فقال [المُهلَّب]: والله لا يأتيه غيرُك. فقالَ: واللهِ لا آتيه. فقال المُهلَّب: أما

(١) قوله: إذ كان ولينا...إلخ من (أ). وهو في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ بلفظ: إذ كان وليَّ أمورنا ونرضى...الخ. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥١٧ـ٥١٨ .

(٢) كُورَة (يعني بقعة فيها قُرىً ومحالّ) بفارس، وتعني عمل دراب، فـ «دراب» اسم الرجل الذي عمَّرها، و«جِرد» معناه عمل. ووقع في النسخ الخطية (غير م، فالكلام ليس فيها): داربجرد، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ ، وينظر «معجم البلدان» ٢/ ٤٤٦ .

(٣) في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام): ابن أم هرمز! والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ ، وعبارته: حتى انتهى إلى رامهرمز. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٢١ـ٥٢٢ .

(٤) في (ب) و(خ) و(د): بن سالم! بدل: «رسالة». والمثبت من (أ).

واللهِ لو كنتَ مع غيري، ثم أرسلَكَ على رجليك لخرجتَ تشتدُّ. فقال الشيخ: يا مُهَلَّب، أتمنُّ علينا بحلمك، ونحنُ واللهِ نُكافئُك، بل نزيد عليك، أما تعلمُ أنَّا نُعَرِّضُ أنفسَنا للقتل دونَك، ونحميك من عدوِّك، ولو لم تحلُم عنَّا جعلناك بيننا وبين عدوِّنا، ووقَيْنا أنفسَنا بك، ولو كنتَ ممَّن يبعثُنا في حاجة فنمشي على أرجلنا، ثم احتاجَ إلى قتالنا؛ جعلناه بينَنا وبين عدوِّنا. فقال المهلَّب: صدقتَ.

ثم بعث فتًى من الأَزْد إلى خالد بن عبد الله يخبرُه بخبر أخيه، فأقبلَ الفتى إلى البصرة، فوجدَ خالداً جالساً بين الناس وعليه جُبَّةُ خَزّ، ومِطْرَفُ[١] خَزٍّ أخضر، فسلَّم عليه، فردَّ وقال: ما جاء بك؟ قال: رأيتُ أخاك عبد العزيز مهزوماً برامَهُرْمُز[٢]. فقال: كذبتَ. فقال: احْبِسْني حتى يتبيَّن لك، فإن كنتُ كاذباً فاضْرِبْ عنقي، وإنْ كنتُ صادقاً فأعطني جُبَّتَك ومِطْرَفَك. فقال خالد: ما أيسرَ ما سألتَ، ولقد رضيتَ مع الخطر العظيم بالحقير الصغير. وحبَسَه حتى تَبيَّنَ الخَبَر، وكتبَ إلى عبد الملك يقول: بعثتُ أخي عبدَ العزيز في طلب الخوارج، فالتَقَوْا بفارس، فاقتتلوا، وانهزم الناسُ عن أخي، وقُتل مالك بن مِسْمَع.

فكتب إليه عبد الملك: وقفتُ على كتابك، وعرفتُ ما ذكرتَ، وسألتُ رسولَك عن مكان المهلَّب، فقال: هو عاملُ الأهواز. فقبَّح اللهُ رأيَك حيث تبعثُ أخاك أعرابيّاً من أهل مكة على القتال، وتدعُ المهلَّبَ إلى جنبك يجبي الخَرَاج، وهو الميمونُ النَّقِيبَة، الحَسَنُ السياسة، البصيرُ بالحرب، المقاسي لها، فلا تعمل بعدها برأي حتى يحضره المهلَّب وتستشيره فيه، وقد كتبتُ إلى أخي بِشْر أن يُمِدَّكَ من الكوفة بخمسة آلاف، والسلام.

فلما قرأ خالد كتابَه شَقَّ عليه حيث قبَّح رأيَه في بعث أخيه، وفي أمره له أنْ يستشيرَ المُهَلَّب.

---

(١) المِطْرَفُ: رداء أو ثوب من خزّ مربَّع ذو أعلام.

(٢) عبارة: «رأيت أخاك عبد العزيز مهزوماً برامهرمز» استظهرتُها من معنى ما وقع في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٠، وبحيث يكون أقرب إلى رسم الكلام في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام)، فجاء فيها ما صورتُه: رأيتك جاه عبد العزيز بن مهزو بابرام هرمز! وعبارة الطبري: رأيت عبد العزيز برامهرمز مهزوماً.

وكتبَ عبدُ الملك إلى أخيه بِشْر: جَهِّزْ من الكوفة خمسةَ آلاف إلى خالد، واجْعَلْ عليهم رجلاً ترضاه، فإذا فرغ من هذا الوجه؛ فابْعَثْه إلى الرَّيّ.

فبعث عليهم عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال بِشْر لعبد الرحمن: إذا قضيتَ غَزَاتك هذه؛ فاذهب إلى الرَّيّ. وكتب له عَهْدَه عليها.

وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز، وجاء عبدُ الرحمن بنُ الأشعث بأهل الكوفة، فوافاه بالأهواز، وجاء المُهَلَّب بجيشه، وجاءت الأزارقة حتى دنَوْا من مدينة الأهواز ومعسكرِ القوم، فقال المُهَلَّب لخالد: أرى ههنا سُفُناً كثيرةً، فضُمَّها إليك، فما أرى القوم إلا مُحرقيها. فما لبثَ إلا ساعة حتى بعثوا إليها خيلاً، فأحرقتها.

ثم أقاموا أيّاماً يقتتلون؛ نحواً من عشرين يوماً، ثم إنَّ خالداً زحفَ إليهم بالناس، فرأوا أمراً هالَهم من العَدَد والعُدَد، فانصرفوا على حامية[1]، وأتْبعهم خالد بن عبد الله داودَ بنَ قَحْذَم، ورجع خالد إلى البصرة، وانصرفَ عبدُ الرحمن إلى الرَّيّ، وأقام المُهَلَّبُ بالأهواز.

وكتب خالد إلى عبد الملك: إنَّا لَقِينا الأزارقة على الأهواز، فاقتتلنا أشدَّ قتال، ثم أنزلَ اللهُ نصره على المسلمين، فانهزمَ القوم، وأتبعهم داودُ بنُ قَحْذَم، واللهُ مستأصلُهم، والسلام.

وقال ابنُ قيس الرُّقَيَّات في هزيمة عبد العزيز، وفِرارِه عن امرأته:

عبدَ العزيزِ فَضَحْتَ جيشَك كلَّهمْ ... وتركتَهم صَرْعَى بكلِّ سبيلِ
من بينِ ذي عَطَشٍ يجودُ بنفسهِ ... ومُلَحَّبٍ[2] بين الرِّجالِ قتيلِ
هلَّا صبَرْتَ مع الشهيدِ مُقاتلاً ... إذْ رُحْتَ مُنتكِثَ[3] القُوى بأصيلِ
وتركتَ جيشَكَ لا أميرَ عليهمُ ... فارْجِعْ بعارٍ في الحياةِ طويلِ

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٢: كأنَّهم على حامية.
(٢) يعني الذي أثّر فيه الضربُ أو القطع.
(٣) في النسخ (غير م، فليس فيها الكلام): منتكب، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٣ وغيره مما سيرد.

ونَسِيتَ عِرْسَكَ إذْ تُقادُ[١] سَبِيَّةً تُبكي العيونَ بِرَنَّةٍ وعَويلِ[٢]

وفيها خرج أبو فُدَيْك الخارجيّ ـ وهو من بني قيس بن ثعلبة ـ [فغلبَ] على البحرين، وقتلَ نجدةَ بنَ عامر الحنفيّ، فبعث خالدٌ أخاه أميَّةَ بنَ عبد الله إلى أبي فُدَيْك في جيش كثيف، فهزمه أبو فُدَيْك، وأخذَ جاريةً كانت له، فاتَّخذَها لنفسه، وعادَ أميَّةُ على فرسٍ مهزوماً، فدخل البصرة في ثلاثة أيام[٣].

وفيها بعثَ عبدُ الملك بنُ مروان الحجَّاجَ بنَ يوسف الثقفيَّ إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزُّبير رضي الله عنهما.

قال ابنُ حَبِيب: دخلَ أعشى بني ربيعة ـ واسمه عبدُ الله، وقيل: صالح بن خارجة ابن حَبِيب بن قيس الشَّيباني الذُّهلي ـ على عبد الملك وهو يُرَدِّد[٤] في محاربةِ ابن الزُّبير ولا يجدُّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالي أراك مُتَلَوِّماً؟ يُنهضُك العزم، ويُقعدُك الحزم[٥]، وتَهُمُّ بالإقدام، ثم تجنح[٦] إلى الإحجام، امْضِ لرأيك، وتَوَجَّهْ إلى عدوِّك، فَجَدُّك مُقبل، وجَدُّه مُدبر، وأصحابُه له ماقِتُون، ونحن لك مُحِبُّون، وكلمتُهم متفرِّقة، وكلمتُنا مجتمعة، وواللهِ ما نُؤتى من ضعف جَنَان، ولا من قلة أعوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. فقال: قل، فإنك تنطق بلسانٍ وَدُود، وقلبٍ ناصح، فقال:

آلُ الزُّبيرِ من الخلافةِ كالتي عَجِلَ النِّتاجُ بحملها فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحمولةِ حُمِّلَتْ ما لا تُطيقُ فضيَّعَتْ أحمالَها
قُوموا إليهم[٧] لا تناموا عنهمُ كم للغُواة أطَلْتُمُ إمْهالَها

---

(١) في النسخ المذكورة: يقال. والمثبت من «تاريخ» الطبري وغيره.
(٢) ينظر الخبر بتمامه في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٨-١٧٣، وينظر أيضاً أنساب الأشراف ٦/ ٥٢٦، و«ديوان» ابن قيس الرُّقيَّات ص ١٩٠.
(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٧٤. وما سلف بين حاصرتين منه.
(٤) أي: ينظر ويفكِّر. وفي «الأغاني» ١٨/ ١٣٣: يتردَّد.
(٥) في «الأغاني»: ينهضك الحزم ويقعدك العزم.
(٦) في النسخ (غير م): تحجم. والمثبت من «الأغاني».
(٧) في النسخ: إليها. والمثبت من «الأغاني».

إنَّ الخلافة فيكُمُ لا فيهمُ لا زِلْتُمُ أركانَها وثِمالَها
أمسَوْا على الخيرات قُفْلاً مُقْفَلاً فانْهَضْ بيُمْنِكَ فافْتَتِحْ أقفالها

فضحكَ عبد الملك وقال: صدقتَ، إنَّ أبا خُبَيْب لَقُفلٌ مُوثَق على كل خير، ولن أتأخَّر عن مناجزته إن شاء الله تعالى(١).

وكان عبدُ الملك(٢) لما فرغ من المصعب وقفلَ إلى الشام قال: مَنْ لابن الزُّبير، وندبَ الناس إلى قتاله، فلم يُجِبْه أحد، فقام إليه الحجاج فقال: يا أمير المؤمنين، أنا له، ابْعَثْني إليه، فقد رأيتُ في منامي كأنّي أخذتُه، فسلختُه. فبعثَه إليه(٣)، وكتبَ معه كتابَ أمانٍ لأصحاب ابن الزُّبير.

[فقال ابن سعد(٤) بإسناده عن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير قال: بعث عبد الملك الحَجَّاجَ لما قُتل مصعب إلى مكة لقتال ابن الزبير] فخرج في ألفين من أهل الشام في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين، فلم يعرض للمدينة، وسلك طريق العراق، فنزلَ الطائف، وكان يبعثُ البُعوث إلى عرفةَ في الحِلّ، ويبعثُ ابنُ الزبير بعثاً فيقتتلون، وفي [كلٍّ] ذلك تُهزم خيلُ ابنِ الزُّبير، وترجعُ خيلُ الحجَّاج بالظَّفَر، ثم كتبَ الحجَّاجُ إلى عبد الملك يستأذنُه في دخول الحَرَم، ويعرِّفُه أنَّ شوكةَ ابنِ الزُّبير قد ضعُفَتْ، وتفرَّقَ عنه عامَّةُ أصحابِه. فكتب عبد الملك إلى طارق بن عَمرو وهو بوادي القُرى أنْ يلحقَ بالحجَّاج.

وكان قُدومُ الحَجَّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين، فلما دخل ذو القَعْدة؛ خرج الحَجَّاج من الطائف، فنزل بئر ميمون، وقدم عليه طارق لهلال ذي الحجَّة، فحَصَرَ ابنَ الزُّبير.

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٨/ ١٣٣-١٣٤ . وأبو خُبيب هو عبد الله بن الزُّبير. وقوله: ثِمالها؛ الثِّمال: الملجأ والغِياث. قال أبو طالب يمدحُ النبيَّ ﷺ: ثِمالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل.

(٢) في (م): قال الرِّياشي: كان السبب في بعث الحجاج إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير أن عبد الملك...

(٣) عبارة (م): «قال: مَنْ لابن الزُّبير؟ فقام إليه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين ابعثني إليه، فقد رأيتُ في منامي كأني أخذتُه فسلختهُ. فجهَّزَه إليه. وقال ابن إسحاق: ندب عبد الملك الناس إلى قتال ابن الزبير فلم يُجبه أحد، فقام الحَجَّاج فقال: أنا له. فبعثه إليه...إلخ

(٤) هو في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٤ من طريق ابن سعد. وهذا الكلام بين حاصرتين من (م).

وحَجَّ بالناس الحَجَّاج، وأقامَ على إحرامه، وكذا طارقٌ؛ لم يقربا النساء، ولم يصل إلى البيت منهما أحد، ولم يقربا الطِّيب، وكانا يلبسانِ السلاحَ ويقاتلان، فلم يزالا على إحرامهما حتى قُتل ابنُ الزبير، فحلّا من إحرامهما، ونحرا جزائر، ولم يقف ابنُ الزُّبير بعرفة، ونَحرَ بمكةَ بُدْناً.

وأقام الحصار عليه من أوّل شعبان، وكان الحجَّاج وطارق نازلين ببئر ميمون والحَجُون، وما بينهما[١].

وفيها توفِّي

عَبِيدة بنُ قيس السَّلْماني

من مُراد [وقيل: عَبِيدة بن عَمرو]، وكنيتُه أبو مسلم، [وقيل: أبو عمر]. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[قال ابن سعد:][٢] أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ولم يلقَه، وهاجرَ في أيام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان عريفَ قومِه، وشهد مع عليٍّ عليه السلام النَّهْرَوان.

ودعا عند موته بكتبه[٣]، فمحاها وقال: أخشى أن يَلِيَها أحدٌ بعدي، فيضعوها في غير مواضعها.

[قال الواقدي:] ولما أفتى عليٌّ عليه السلام ببيع أمَّهات الأولاد؛ قام عَبِيدة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنتَ تَرى بيعَهنَّ على عهد أبي بكر وعمر، فكيف رأيتَه بعدهما؟! فقال: رأيٌ رأيتُه بعدهما. فقال عبيدة: رأيُك مع الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك وحدَك[٤].

وكان عَبِيدة من أصحاب ابنِ مسعود الذين يقربون منه ويُفتون عنه.

---

(١) في (م): وقيل: فيما بينهما. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٤-١٧٥ .

(٢) في «الطبقات» ٨/ ٢١٣ ، وينظر «المعرفة وال«تاريخ» ١/ ٢٢٨ . والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٣) في (م): وروى ابن سعد أن عَبِيدة عند موته دعا بكتبه...إلخ. وهو في «الطبقات» ٨/ ٢١٤ .

(٤) ينظر: المعرفة والتاريخ ١/ ٤٤٢ ، ومعجم ابن الأعرابي ١/ ٢٦٨ ، وسنن البيهقي ١٠/ ٣٤٨ .

وكان يوازي شُريحاً في علم القضاء، وكان شُريح إذا أشكلَ عليه أمرٌ سألَ عنه عَبِيدةَ لعلمه وفضله.

وأوصى[(١)] عَبِيدة السَّلْماني أن يُصلِّيَ عليه الأسود بن يزيد، فقال الأسود: اعْجَلُوا به قبلَ أنْ يجيءَ الكذَّاب. يعني المختار. فصلَّى عليه قبل غروب الشمس، فإنْ صحَّ ذلك فقد تقدَّم موتُه على هذه السنة[(٢)].

أسند عَبِيدة عن عُمر، وعليّ، وابنِ مسعود، وابن الزُّبير، وغيرِهم.

وروى عنه الشَّعبيّ، والنَّخَعي، وابنُ سِيرين، وغيرُهم.

السنة الثالثة والسبعون

فيها استفحلَ أمر أبي فُدَيْك الخارجي بالبحرَيْن[(٣)] حتى صار في عشرة آلاف، وعاث في نواحي البصرة والأهواز، فجهَّز إليه عبدُ الملك عُمرَ بن عُبيد الله بن معمر، وندبَ معه من الكوفة عشرةَ آلاف، وخرج معه من البصرة عشرة آلاف، بعد أن أعطاهم أرزاقَهم، وسار إلى البحرين، وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة، وجعل أهل البصرة على الميسرة، وعليهم ابنُ أخيه عُمر[(٤)] بن موسى ابن عُبيد الله، ووقف عمر في القلب، والرَّجَّالة بالرِّماح بين أيديهم، وحمل أبو فُدَيْك في أصحابه حملةَ رجلٍ واحد، فهَزَموا أهلَ الكوفة، وثبت أهل البصرة، وجُرح عُمر ابن موسى بن عُبيد الله، فلما رأى أهلُ الكوفة أهلَ البصرة لم ينهزموا؛ رجعوا[(٥)]،

---

(١) في (م): واختلفوا في وفاته، فقال ابن سعد بإسناده عن أبي حصين: أوصى...إلخ. وهو في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢١٥.

(٢) لفظ (م): «...قبل غروب الشمس. قال ابن سعد: ومات عَبِيدة في سنة اثنتين وسبعين. قلت: وهذا وهم؛ لأن المختار قُتل في سنة سبع وستين، وهذه سنة اثنتين وسبعين. وقال خليفة: مات عَبِيدة في سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين». اهـ قلتُ: وكلام ابن سعد في «طبقاته» ٨/ ٢١٦ . ولم أقف على قول خليفة إنه مات سنة (٧٣)، والذي في تاريخه» ص ٢٦٨ ، و«طبقاته» ص ١٤٦ أنه مات سنة (٧٢)؛ قال: ويقال: زمن المختار.

(٣) في النسخ (غير م، فليس فيها الكلام): بالتخمين. والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله.

(٤) في النسخ: عمرو. والمثبت من المصادر.

(٥) الذي في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٣ ، و«الكامل» ٤/ ٣٦٢ ، و«المنتظم» ٦/ ١٢٩ أن الميسرة هي التي انكشفت وانهزمت، والميسرة هم أهل البصرة.ولفظ العبارة الأخيرة عند الطبري: فلما رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا تذمَّمُوا ورجعوا...

وحملَ الجميعُ على الخوارج، [وقتلُوا أبا فُدَيْك]، وحصروهم [في المُشَقَّر] حتى نزلوا على الحُكم(١)، فيُقال: إن عمر بن عبيد الله قتل منهم ستةَ آلاف، وأَسرَ منهم ثمان مئة، وأصابوا جارية أميَّة بنت عبد الله حُبلى من أبي فُدَيْك(٢)، وغنموا ما كان في عسكر الخوارج، وعادوا إلى البصرة.

وفيها عزلَ عبدُ الملك خالدَ بنَ عبد الله عن البصرة، وولَّاها أخاه بِشْرَ بنَ مروان؛ جمع له بين الكوفة والبصرة، فشخص بِشْرٌ إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عَمرَو ابنَ حُرَيْث(٣).

وفيها غزا محمد بن مُروان الصائفةَ في أربعة آلاف، فسار إليه الرُّوم في ستين ألفاً، فهزمهم، واستباحَ عسكرَهم.

وقيل: كان هذا من ناحية أرمينية(٤).

وفيها قَتَلَ الحجَّاجُ عبدَ الله بنَ الزبير.

وأقامَ الحجَّ للناس في هذه السنة [الحجَّاج] وهو على مكة واليمامة واليمن.

[وقال الواقدي:] وكان على الكوفة والبصرة بِشْر [بن مروان، ومن قول غيره: بِشْر على الكوفة. وخالد بن عبد الله على البصرة]، وعلى قضاء الكوفة شُريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة، وعلى خُراسان بُكير بن وِشاح من قبل عبد الملك(٥).

وقيل: في هذه السنة استقضى عبدُ الملك على دمشق أبا إدريس الخَوْلاني.

---

(١) عبارة النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام): «وحمل الجميع على الخوارج في السُّفن وحصروهم حتى نزلوا على الحكم». وأعتقد أن لفظة «السفن» محرَّفة عن «المُشَقَّر». فأثبتُّ سياق «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٣ ، واستدركتُ ما بين حاصرتين منه. والمُشَقَّر حصن بالبحرين. وينظر الخبر مطولاً جداً في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٥٩-٥٦٩ .

(٢) ينظر ما سلف ص ٤٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٤ .

(٤) ينظر المصدر السابق.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٤ ، وما سلف بين حاصرتين من (م).

وفيها توفّيت

أسماء بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

وأمُّها قُتَيْلة بنت عبد العُزَّى بن أسعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤي. [وهي أختُ عبد الله بن أبي بكر لأمه وأبيه، وأخت عائشة لأبيها].

أسلمت قديماً بمكة بعد سبعةَ عشرَ نفساً، وبايعت رسولَ الله ﷺ، وتزوَّجَها[(١)] الزُّبير رضي الله عنه بمكة، وهاجر بها إلى المدينة وهي حامل بعبد الله، فوضعته بقُباء [وقد ذكرناه].

وشهدت اليرموك مع الزُّبير رضي الله عنه، فقالت له: يا أبا عبد الله، إنْ كان الرجلُ من العدوّ لَيَمُرُّ سريعاً، فتُصيبُ قَدَمَه عُروةُ أطنابِ خِبائي فيسقطُ على وجهه ميّتاً؛ ما أصابه سلاح[(٢)].

ثم طلَّقها الزُّبير رضي الله عنه، فأقامت مع ابنها حتى قُتل بمكة[(٣)].

[وقال أبو نُعيم[(٤)]: وُلِدَتْ قبل المبعث بعشر سنين، وكان لأبيها أبي بكر يوم وُلدت إحدى وعشرون سنة، وكانت أكبرَ من أختها عائشة بعشر سنين[(٥)]، وكان إسلامُها مع إسلام أبيها وهي صغيرة.

وهي ذات النِّطاقَيْن، وقد ذكرناه في حديث الهجرة؛ لمَّا خرجَ رسول الله ﷺ إلى الغار شقَّت نِطاقها نصفَيْن، فجعلت واحداً عِصاباً لسُفْرَةِ رسول الله ﷺ، والآخر لقِرْبَتِه، ولم يكن لهم ما يربطون به القِرْبة والسُّفْرة.

---

(١) عبارة (م): قال ابن سعد: أسلمت قديماً بمكة، وبايعت رسول الله ﷺ. وقال ابن إسحاق: أسلمت بعد سبعة عشر نفساً وتزوَّجها...إلخ وكلام ابن سعد في «طبقاته» ١٠/ ٢٣٧ . وينظر «التبيين في أنساب القرشيين» ص ٣١٦ .

(٢) تاريخ دمشق ص ٥ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء).

(٣) المصدر السابق ص ٩ .

(٤) هو في «تاريخ دمشق» ص ٩ـ١٠ من طريق أبي نعيم. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في تاريخ دمشق: «كانت أسنّ من عائشة» دون ذكر عدد السنوات بينهما.

وروى ابن سعد عن عكرمة قال(١):] وكان الزُّبير ﷺ شديداً على أسماء، فشكته إلى أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ فقال لها: يا بُنَيَّة، اصْبِري، فإنَّ المرأةَ إذا كان لها زوج صالح، ثم ماتَ عنها فلم تتزوَّج بعده؛ جمع [اللهُ] بينهما في الجنة.

[وقال ابن سعد:] وكانت أسماء تُصْدَعُ، فتضع يدَها(٢) على رأسها وتقول: بذنبي، وما يعفو(٣) الله أكثر.

وكانت إذا مرضت أعتقت كلَّ مملوكٍ لها(٤).

وقال عبد الله بن الزُّبير: قدمَتْ قُتَيْلَةُ(٥) بنتُ عبد العُزَّى على ابنتها أسماء ـ وكان أبو بكر قد طلَّق قُتَيْلَة في الجاهلية ـ بهدايا؛ زبيب وسمن وأَقِط(٦)، فأبت أسماء أن تُدخلها بيتَها أو تقبل هديَّتَها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسولَ الله ﷺ، فسألته، فقال: «لِتُدْخِلْها بيتَها، وتَقْبَلْ هديَّتَها». وأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة: ٨-٩].

[وقد أخرجا في «الصحيحين» بمعناه عن أسماء قالت: قَدِمَتْ أمّي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمّي قَدِمَتْ وهي راغبة، أَفَأَصِلُها؟ قال: «نعم، صِلِي أمَّك». متفق عليه.

وفي قولها: راغبة قولان:

أحدهما: أن معناه: راغبة عن ديني، والثاني: في صِلَتي](٧).

---

(١) في «الطبقات» ٨/ ٢٣٩ . ومن قوله: وقال أبو نعيم... إلى هذا الموضع من (م).

(٢) المثبت من (م) وفي غيرها: يديها. والخبر في «طبقات» ابن سعد ١٠/ ٢٣٩ .

(٣) في (أ): يغفره. وفي «طبقات» ابن سعد: يغفر.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (م): وقال ابن سعد بإسناده عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قُتيلة...إلخ. والخبر في «الطبقات» ١٠/ ٢٤٠ .

(٦) في (م) و«الطبقات»: وقرظ.

(٧) الكلام بين حاصرتين من (م)، وقد وقع فيها آخِر فقرة «ذكر وفاتها» (الآتية) بسياق منقطع عن الكلام قبله. ومكانه هنا إن شاء الله. والحديث في «صحيح» البخاري (٢٦٢٠)، و«صحيح» مسلم (١٠٠٣).

[وحكى ابنُ سعد عن الرُّكَيْن بن الربيع قال: دخلتُ على أسماء وهي عجوز كبيرة عمياء، فوجدتُها تصلّي، وعندها إنسان يلقِّنُها: قومي، اقعدي، افعلي.

وقال ابن سعد: سئلتَ أسماء: هل كان أحدٌ من السلف يُغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون](١).

ولما فرض عمر رضي الله عنه الأَعْطِية؛ فرض لأسماء ألف درهم(٢).

ذكر وفاتها:

ماتت بعد قتل ابنِها عبدِ الله بليال، وكانت تقول: اللَّهمَّ لا تُمِتْني حتى تَقَرَّ عيني بجثَّةِ عبدِ الله. فلما أنزل من خشبته غسَّلَتْه وكفَّنَتْه، وماتت بعده بأيَّام يسيرة(٣).

وكان لها من الولد: عبدُ الله، والمنذرُ، وعُروة، وعاصم، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأمُّ حسن، وعائشة بنو الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه(٤).

أسندت أسماء عن رسول الله ﷺ أحاديث؛ أُخرج لها في «الصحيحين» اثنانِ وعشرون حديثاً(٥).

[منها: قال أحمد بإسناده عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن لي ابنةً عروساً، وإنها أصابَتْها حَصْبةٌ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م): وهو في «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٢٤٠ـ٢٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جاءت فقرة «ذكر وفاتها» في (م) بسياق آخر أطول منه، ولفظه: واختلفوا فيها؛ قال ابن سعد: ماتت أسماء بنت أبي بكر بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتلُه يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقيل: عاشت بعده شهوراً وماتت بالمدينة، وهو وهم. وقال ابن عساكر: أدركت أسماء ابنها عبد الله في أكفانه، فصلَّت عليه، فما أتت عليها إلا جمعة حتى ماتت. وقال الموفَّق: كانت تقول اللهم لا تمتني حتى تقرَّ عيني بجثّة عبد الله، فلما أنزل من خشبته غسّلته وكفّنته ودفَنتْه، وماتت بعد ذلك بأيام يسيرة اختلف في عددها. وينظر «تاريخ دمشق» ص ٣٠ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق)، و«التبيين في أنساب القرشيين» ص ٣١٦.

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٣٧. وهذه الفقرة ليست في (م).

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤٠٤، وفيه أيضاً: المتفق عليه منها ثلاثة عشر، وللبخاري خمسة، ولمسلم أربعة.

فتمزَّقَ شعرها أفأصلُه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة» أخرجاه في «الصحيحين»][١].

وروى عنها ابناها عبدُ الله، وعُروة، وعبد الله بنُ عروة، ومحمد بنُ المنكدر، وفاطمةُ بنتُ المنذر، وصفيَّة بنت شيبة في آخرين[٢].

إياس بن قتادة

ابن أوفى، من بني مناة بن تميم، من الطبقة الأولى من التابعين [من أهل البصرة]، وأُمُّه الفارعة بنت حِمْيَريّ، ولأبيه [قتادة] صحبة[٣].

وكان إياس شريفاً؛ [حكى عنه ابن سعد قال:][٤] اعتمَّ [إياس] يوماً وهو يريد بِشْرَ ابن مروان، فنظر في المرآة، فإذا شيبةٌ في ذَقْنِهِ، فقال: يا جارية، انظري مَنْ بالباب من قومي، فأُدخِلُوا عليه، فقال: يا قوم، إني كنتُ قد وهبتُ لكم شبابي، فَهَبُوا لي مَشِيبِي، ألا أُراني حُمَيِّرَ الحاجات[٥]، وهذا الموتُ يقرُب منِّي؟! ثم نَقَضَ عِمامتَه، واعتزلَ الناس يعبُد ربَّه حتى مات.

وروى ابن سعد [أيضاً] عنه أنه خرج ليركبَ أتاناً له، فلما وضعَ رِجْله في الرِّكاب؛ نظر إلى طاقةٍ بيضاء في لحيته، فقال: مرحباً طالما انتظرتُك. ثم انصرف، واضطجع على شِقِّه الأيمن، فمات في خلافة عبد الملك [بن مروان][٦].

سَلْم بن زياد

ابن أبيه [الذي يقال له: ابن أبي سفيان بن حرب، من أهل البصرة].

---

(١) ما بين حاصرتين من (م). والحديث في «مسند» أحمد (٢٦٩١٨)، و«صحيح» البخاري (٥٩٤١)، و«صحيح» مسلم (٢١٢٢).

(٢) تاريخ دمشق ص ٥ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق)، وتهذيب الكمال ٣٥/ ١٢٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ١٢٧ـ١٢٨ و١٤١ . والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٤) في «الطبقات» ٩/ ١٤١ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) هو مَثَل يُضربُ لمن يُستخدم في جليل الأمر ودقيقه. وحُمَيِّر تصغير حمار. ينظر «جمهرة الأمثال» ١/ ٣٨١ ، و«مجمع الأمثال» ٢/ ٤٠٤ .

(٦) طبقات ابن سعد ٩/ ١٤١ . وما وقع بين حاصرتين من (م).

والي خُراسان(١)، كان جواداً ممدَّحاً، يُعطي ألفَ ألفِ درهم. [وذكره أبو القاسم ابن عساكر وقال: كانت له دار بدمشق بناحية سوق اللؤلؤ وسوق الطير](٢).

مات بالبصرة سنة ثلاث وسبعين. وقيل: سنة اثنتين وسبعين، ودُفن إلى جانب بِشْر ابن مروان(٣).

ومن شعره:

فإنْ تكنِ الدُّنيا تزولُ بأهلها ... فقد نلتُ من ضرَّائها ورخائها
ولا جَزَعاً منّي عليها ولا أسىً ... إذا هي يوماً آذنَتْ بفَنائها

وفيه يقول(٤):

عتبتُ على سَلْمٍ فلَّما فقدتُهُ ... وصاحَبْتُ أقواماً بَكَيْتُ على سَلْمِ
رجعتُ إليه بعد تجريب غيرِهِ ... فكان كبُرْءٍ بعدَ طُولٍ من السُّقْمِ(٥)

عبد الله بن الزُّبير [ابن العوَّام] رضي الله عنهما

وأمُّه أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما. وكنيتُه أبو بكر، وقيل: أبو خُبَيْب، من الطبقة الخامسة ممَّن ماتَ رسولُ الله ﷺ وهم حُدَثاءُ الأسنان(٦).

وهو أوَّلُ مولود وُلدَ من المهاجرين بالمدينة، [قال الإمام أحمد رحمه الله: حملت به أمُّه أسماء بمكة، ووضَعَتْه بقُباء بالمدينة] وأتَتْ به أمُّه إلى رسول الله ﷺ، فوضعَه في حِجْره، ودعا بتمرة، فمَضَغَها، وتَفَلَ في فيه، فكان أوَّلَ ما دخل جوفَه ريقُ رسول الله ﷺ(٧).

---

(١) في (م): قدم على يزيد، فولَّاه خراسان، وقد ذكرناه.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٥٢٠ (مصورة دار البشير). وما وقع من كلام بين حاصرتين في هذه الترجمة من (م).

(٣) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د). وجاء في (م) و«تاريخ دمشق» أن بشر بن مروان دُفن إلى جنب قبر سَلْم بن زياد. ثم قال ابنُ عساكر: وهذا يدلّ على أن سلماً مات قبل بشر بن مروان، وقد ذكرتُ في ترجمة بشر أنه مات سنة ثلاث وسبعين.

(٤) القائل ابنُ عَرَادة السَّعْدي كما في المصدر السابق.

(٥) ينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٥٢١ـ٥٢٢ (مصورة دار البشير) ولم ترد الأشعار في (م).

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧٣ .

(٧) ينظر حديث أسماء في «المسند» (٣٦٩٣٨)، و«صحيح» البخاري (٣٩٠٩)، و«صحيح» مسلم (٢١٤٦). وما سلف بين حاصرتين من (م).

[وأخرج البخاري ومسلم بمعناه عن عائشة قالت:] وسمَّاه رسول الله ﷺ عبدَ الله[١].

وجاء إلى رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآه مقبلاً، ثم بايعه[٢].

[وقد ذكرناه في الهجرة.

وحكى ابنُ سعد أنَّ ابن الزُّبير وُلد بمكة، وطافوا به حول الكعبة][٣].

وقال لعائشة: أنتِ أمُّ عبدِ الله. يَعْنِيه[٤].

وقال نوف البِكالي: إنّي لَأَجِدُ في كتاب الله المنزَّل أنَّ عبد الله بن الزبير سادس الخلفاء[٥].

وكان أسنَّ أولاد الزُّبير، وتوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثمان سنين وأربعة أشهر.

[قال الزُّبير بن بكَّار:] ودخل رسول الله ﷺ على أسماء وهي تُرضعه، فقال لها: «أرضعيه ولو بماء عينيك، فإنه كبشٌ بين ذئاب، ليمنعنَّ البيتَ، أو ليُقتلَنَّ دونَه»[٦].

[قال ابن عبد البرّ:] وكان عبدُ الله أطلسَ لا لحيةَ له، ولا شعر في وجهه[٧].

---

(١) صحيح البخاري (٣٩١٠)، وصحيح مسلم (٢١٤٦، و٢١٤٨). وليس عند البخاري قوله: وسماه عبد الله، والحديث في «صحيح» ابن حبان (٧١١٧) وفيه: هو عبدُ الله، وأنتِ (أي: عائشة) أمُّ عبد الله. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٤٧٤-٤٧٥، و«تاريخ دمشق» ٣٨٨-٣٨٩ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزبير). والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٢) صحيح مسلم (٢١٤٦).

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧٤، وفيه أن أبا بكر طاف به في خرقة. ثم نقل ابن سعد عن الواقدي قوله: «هذا غلط بيِّن، عبد الله بن الزبير أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك». اهـ. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) صحيح ابن حبان (٧١١٧) وسلف ذكره قبل تعليقين، ولم ترد هذه الفقرة في (م).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧٧، وتاريخ دمشق ص ٤٠٤، وفيهما: فارس الخلفاء. ونُسب الكلامُ في (م) لابن سعد.

(٦) تاريخ دمشق ص ٣٩٨. وما بين حاصرتين من (م). وقد روى الخبر محمد بن كعب القَرَظي مرسلاً، والمرسل من أقسام الضعيف.

(٧) الاستيعاب ص ٤٠٠. والكلام بين حاصرتين من (م).

وقال عبد الله بن الزُّبير: احتجَم رسولُ الله ﷺ وقال لي: «يا عبد الله، اذْهَبْ بهذا الدم، فأرِقْه؛ بحيث لا يراك أحد». فعمدتُ إلى ذلك الدم، فشربتُه، فلما رجعتُ [إليه قال لي: «يا عبد الله، ما صنعتَ بالدم؟» قلت: جعلتُه في أخفى مكان]. فقال: «لعلّك شربتَه!» قلت: نعم. قال: «لن تمسَّك النار إلا تحلَّة القَسَم». فكانوا يرون القوة التي كانت به من ذلك الدم[(١)].

ذكر طرف من أخباره:

[وقد ذكره علماء السير، فقال خليفة:][(٢)] شهد عبد الله مع أبيه وقعة اليرموك، وخُطبة عمر رضي الله عنه بالجابية، وفَتْحَ إفريقيَّة في زمن عثمان رضوان الله عليه.

وكان مع أبيه يوم الجمل أميراً، وقدم دمشق لغزو القسطنطينيَّة في أيام معاوية، وبويع بالخلافة في أيام يزيد، وغلب على الحجاز واليمن والعراقين ومصر.

وجدَّد بناء الكعبة، وكان عابداً مجتهداً [زاهداً]، شهماً فصيحاً، صوَّاماً قوَّاماً، شديد البأس، ذا أَنَفة، له نفسٌ شريفة، وهمَّةٌ عالية.

[وقال ابن سعد:][(٣)] وكان مع عثمان رضوان الله عليه يوم الدار، وقاتلَ عنه، وجُرح جراحاتٍ كثيرة. وحضر دفن عثمان رضي الله عنه.

[وذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله، فقال: كان شهماً أَيِّداً[(٤)]، فصيحاً ذا أَنَفَة، صوَّاماً قوَّاماً، شديد البأس.

قال: وذكر الزُّبير بن بكَّار أن عبد الله بن الزُّبير وقيس بن سعد وشُريح بن الحارث (كانوا) طُلْساً ليس في وجوههم شعر].

---

(١) تاريخ دمشق ص ٤٠٠-٤٠١، ونُسب الكلام في (م) إليه، وما وقع في الخبر بين حاصرتين منها. وينظر «حلية الأولياء» ١/ ٣٣٠، و«المستدرك» ٣/ ٥٥٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م)، ولم أقف على قول خليفة، وبعضه في «تاريخ دمشق» ص ٣٧٤ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة ابن الزبير).

(٣) في «الطبقات» ٦/ ٤٧٥. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) من: آدَ يَئِيدُ أَيْداً، أي: قَوِي واشتدَّ، فهو أَيِّدٌ.

ولم يكن الناسُ يعجزون عن عبادةٍ إلا تكلَّفها؛ جاء سيلٌ، فكثُر الماء حول البيت، فطاف سِباحةً، وكان يُواصل سبعةَ أيَّام بلياليها، ويأخذ يدَ الشابِّ يكاد يَحْطِمُها[١].

وقال [عبد الله بن أحمد بن حنبل (عن أبيه) بإسناده عن] عَمرو بن دينار [قال:] رأيتُ ابنَ الزُّبير يصلّي في الحِجْر، فجاء حَجَرٌ قُدَّامَهُ، فَذَهَبَ ببعض ثوبِه، فما انفَتَلَ[٢].

وقال مجاهد: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عُودٌ من الخشوع[٣].

[وفي رواية: كان يسجدُ فتقع العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جِذْمَ حائط][٤].

وقالت أم عمر بن قيس: دخلتُ على عبد الله بن الزُّبير وهو يصلي، فسقطت حيَّةٌ من السقف على ابنه هاشم، فتطوَّقت على بطنه وهو نائم، فصاح أهلُ البيت: الحيَّة الحيَّة. ولم يزالوا بها حتى قتلوها وعبدُ الله بنُ الزُّبير يصلِّي، فما التفت ولا عَجِلَ، ثم فرغ بعدما قُتلت، فقال: ما لَكم؟ فقالت أمُّ هاشم: يرحمك الله! أرأيتَ إنْ كنَّا هُنَّا عليك، أيهونُ عليك ابنُك[٥]؟! فقال: ويحك! ما كانت التفاتةٌ لو التفتُّها مبقيةً من صلاتي[٦]؟.

وقال محمد بن حميد: كان عبد الله بن الزبير يحيي الدهرَ أجمع ليلةً قائماً حتى يصبح، [وليلة قاعداً] وليلة يُحييها راكعاً إلى الصباح، وليلةً يُحييها ساجداً إلى الصباح[٧].

---

(١) التبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٧ـ٢٥٨، وما سلف بين حاصرتين من (م). ولفظة (كانوا) بين قوسين من «التبيين». وينظر «تاريخ دمشق» ص ٤١٧.

(٢) الزهد لأحمد ص ٢٤٩، وصفة الصفوة ١/ ٧٦٥. وبنحوه في «تاريخ دمشق» ص ٤١٠.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٣٥، و«تاريخ دمشق» ص ٤٠٨، وصفة الصفوة ص ٧٦٥. ونسب في (م) لأحمد، ولم أقف عليه عنده.

(٤) تاريخ دمشق ص ٤٠٨، وصفة الصفوة ١/ ٧٦٥، والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): أرأيت أنا كنّا عليك أيهون عليك ابنك. وفي (م): أرأيت لو أنّا تركناها أيهون عليك ابنك. والمثبت من «تاريخ دمشق» ص ٤١٣، و«صفة الصفوة» ١/ ٧٦٦.

(٦) المصدران السابقان. ونسب الخبر في (م) للزُّبير بن بكَّار.

(٧) صفة الصفوة ١/ ٧٦٦، وبنحوه في «تاريخ دمشق» ص ٤٠٩. ونسب الخبر في (م) لابن أبي الدنيا، وما بين حاصرتين منها.

وقال مسلم بن يَنَّاق المكّي: ركعَ ابنُ الزبير يوماً ركعةً، فقرأتُ البقرة وآلَ عمران والنساءَ والمائدة وما رفع رأسه[١].

وقال الزُّبير بن بكّار: كان عبدُ الله يواصلُ الصيام سبعاً، يصوم يوم الجمعة، فلا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصومُ بالمدينة، فلا يُفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة، فلا يُفطر إلا بالمدينة[٢].

وخطب ابنُ الزُّبير بالموسم فقال بعد حمد الله: أمَّا بعد، فإنَّكم جئتُم من آفاق شتَّى وفوداً إلى الله تعالى، وحقٌّ على الله أن يُكرم وَفْدَه، فمن جاء يطلبُ ما عند الله، فإنَّ طالبَ الله لا يخيب، فصدِّقُوا قولَكم بالفعل، فإنَّ مِلاك القول الفعل، والنيَّةُ بالقلوب، فاللهَ اللهَ في أيَّامكم، فإنَّها أيامٌ تُغفر فيها الذنوب[٣].

[وقال أبو نعيم الحافظ: كان عبد الله يسمَّى حمامةَ المسجد[٤].

وقال ابنُ سعد بإسناده عن شُرَحْبيل، عن أبي عون، عن أبيه، عن ابن الزبير أنه] قال على منبر مكة: [واللهِ] لقد استخلفني أميرُ المؤمنين عثمان على الدار، فكنتُ أصلِّي بهم، وأقاتلُ عنه، وأُباشرُ القتال بنفسي، فجُرحتُ بضعةَ عشرَ جِراحةً، وإني لأضَعُ اليوم يدي على بعض جراحاتي التي جُرحتُ مع عثمان، فأرجُو أن تكون خيرَ أعمالي[٥].

[وقال الواقدي:] وكان أمرَه عثمان ﷺ أن يُصَلِّيَ بهم في الدار مدَّة أيَّام حصاره.

وقال الأعمش: رأيتُ على رأس ابنِ الزُّبير من المسك ما لو كان لي كان رأسَ مالي[٦].

---

(١) نُسب الخبر في (م) للزُّبير بن بكّار، وهو في «تاريخ دمشق» ص٤٠٩ من طريقه. وفي «صفة الصفوة» ١/ ٧٦٧.

(٢) تاريخ دمشق ص ٤١٤، وصفة الصفوة ١/ ٧٦٧.

(٣) صفة الصفوة ١/ ٧٦٨. ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٣٣٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧٥، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص ٤٢٦.

(٦) صفة الصفوة ١/ ٧٦٩. ووقع هذا القول في (م) بعد قول أبي نعيم: كان حمامة المسجد.

وقال عمَّار بن أبي عمَّار: كانَ ابنُ الزبير يصومُ عَشَرَة أيَّام لا يُفطر، وإذا دخل رمضان أكل أكلةً في نصف الشهر، وكان يُؤْتَى بثَرِيدة في صَحْفَة عليها عَرْقان، ويؤتى الناسُ بالجِفان، فتُوضعُ بين أيديهم، فيقول: أيُّها الناس [هلمُّوا] ويشيرُ إلى ما بين يديه [ويقول:] هذا من خالص مالي، وهذه الجِفانُ من بيت مالِكم[١].

وقال ابنُ عبد البر[٢]: كان عبدُ الله بنُ الزبير كثيرَ الصلاة والصوم، شديدَ البأس، كريمَ الطَّرَفَين من الآباء والأجداد والجدَّات والأمَّهات والخالات، إلا أنه كانت فيه خِلالٌ مباينةٌ لما حاول من الخلافة [لأنه لا يصلح لها؛ من ضيق العَطَن، والبخل، وسوء الخلق، والحسد، وكثرة الخلاف].

وكان عبدُ الملك يقول: إنَّ ابنَ الزبير كثيرُ الصلاة والصوم والعبادة، ولكنه لشحِّه لا يصلح أن يكون سائساً. يعني يسوس الناس.

[وقال الهيثم: جاءه أعرابي فقال: افرض لي. فقال: لا، حتى تُقاتل. فقال: لا والله، لا أجعل قتالي نقداً ودراهمك نسيئة.

قال: وقاتل بين يديه رجل قتالاً شديداً كسر ثلاثة رماح، ثم جاءه فقال: أعطني رمحاً. فقال: ما تبقَّى بيت المال على هذا إلا قليل. فمضى ولم يعطه شيئاً.

وقال الشعبي: ولَّى ابنُ الزُّبير الحارثَ بن الحُصين الجعفي وادي القرى وقال: احتفظ بالتمر. فأكله الناس. فلما قدم عليه قال: أين التمر؟ قال: أكله المسلمون. فقام إليه، فجعل يضربه بالدِّرَّة ويقول: أكلت تمري، وعصيت أمري!][٣].

وقال ابنُ أبي مُلَيْكَة: كان بين ابن عبَّاس وبين ابن الزَّبير شيء، فغدوتُ على ابن عبَّاس فقلتُ: تريدُ أنْ تُقاتلَ ابنَ الزُّبير، فتُحِلَّ ما حرَّم اللهُ[٤]؟! فقال: معاذَ الله، إن الله كتبَ

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٨٥، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص ٤١٦، ونُسب الخبر في (م) لابن سعد. قولُه: عَرْقان، مثنّى عَرْق، وهو عظم أُخذ عنه معظم اللحم، وبقي عليه لحوم رقيقة طيِّبة.

(٢) الكلام لعلي بن زيد بن جُدعان، نقله عنه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص ٤٠٠.

(٣) من قوله: وقال الهيثم... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م) ولم يرد فيها الكلام الآتي بعده حتى فقرة: ذكر مقتله.. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ١٣ و٢٢٨.

(٤) في «صحيح» البخاري (٤٦٦٥)، و«أنساب الأشراف» ٣/ ٤٥: فتحلَّ حَرَمَ الله.

ابنَ الزُّبير وبني أمية مُحِلِّين، وإني لا أُحِلُّه أبداً. قال الناس: بايع ابنَ الزُّبير. فقلت: وأين بهذا الأمر عنه؟ أمَّا أبوه فَحَواريُّ رسولِ الله ﷺ، وأمَّا جَدُّه فصاحبُ الغار، وأمَّا أمُّه فذاتُ النِّطاقين، وأمَّا خالتُه فأمُّ المؤمنين، وأما جدَّتُه فعمَّةُ رسول الله ﷺ. يريد صفية رضي الله عنها. ثم عفيفٌ في الإسلام، قارئٌ للقرآن، إنْ وَصَلُوني وَصَلُوني من قريب، وإن رَبُّوني ربَّني أكْفَاءٌ كرام، فآثَرَ التُّوَيْتات والأُسَامَات والحُمَيْدات(١). إنَّ ابنَ أبي العاص برزَ يمشي القُدَمِيَّة(٢)، وإنَّه لَوَّى بذَنَبِه. يعني ابنَ الزُّبير(٣).

ودخل ابنُ الزُّبير على معاوية، فأجلسه معه على سريره، فنظر إليه مروان متعجِّباً، فأنشد معاوية:

نـفـسُ عـصـامٍ سـوَّدَتْ عـصـامـا(٤)

ونازعَ ابنَ الزُّبير مروانُ عند معاوية في شيء، فمالَ معاويةُ مع مروان، فقال له ابنُ الزُّبير: يا معاوية، إنه لا طاعةَ لك علينا ما لم تُطع الله، فاتَّقِ الله، ولا تُطْرِقْ إطراق الأُفْعُوَان في أصول السَّخْبر(٥).

وأوصى إلى عبد الله بن الزُّبير: أبوه الزُّبير رضي الله عنه، وحَكِيمُ بنُ حِزام، وعبدُ الله بنُ عامر بن كَرِيز، والأسودُ بنُ [أبي] البَخْتَرِيّ، وشيبة بنُ عثمان، والأسود بنُ عَوْف، وعبد الله بنُ مسعود، وعائشة رضي الله عنها(٦).

---

(١) بعدها في «صحيح» البخاري: يريد أبطناً من بني أسد؛ بني تُويت وبني أسامة وبني أسد. اهـ. وقوله: رَبُّوني، أي: يتعهَّدُوني ويَلُوني، من: رَبَّ يَرُبُّ.

(٢) بعدها في «صحيح» البخاري: يعني عبد الملك بن مروان. والقُدَميَّة؛ بضم القاف وفتح الدال، وقد تُضمّ أو تسكَّن، يعني التبختر. قال ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٣٢٩: هو مَثَل، يريد أنه برز يطلب معالي الأمور.

(٣) أي: لم يتمَّ له ما أراد. وذكر ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٣٢٩ أن في رواية أبي مخنف: وإن ابن الزبير يمشي القهقرى. قال: وهو المناسب لقوله في عبد الملك: يمشي القُدَميَّة.

(٤) تاريخ دمشق ص ٤٣٤-٤٣٥. والرَّجَز في «ديوان» النابغة ص ١١٨، ويُضربُ مثلاً في نباهة الرجل من غير قديم. ينظر «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣١.

(٥) تاريخ دمشق ص ٤٤١. قوله: الأُفْعُوان، هو ذكر الأفاعي. والسَّخْبر: شجر تألفه الحيَّات فتسكن في أصوله. الواحدة سخبرة، يريد: لا تتغافل عما نحن فيه. قاله ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٣٤٩. وتحرفت لفظة «السخبر» في النسخ (غير م فليس فيها الكلام) إلى: الشجرة.

(٦) المصدر السابق ص ٤٠٧.

ذكر مقتله:

قال هلال بن يِسَاف: لمَّا وُضع رأسُ المختار بين يدي ابنِ الزُّبير بمكة قال: ما حدَّثني كعبٌ بشيء أصبتُه في سلطاني إلا قد رأيتُه غير هذا، فإنّه قال: يقتلُك رجلٌ من ثَقِيف، وأُراني أنا الذي قتلتُه(١).

[وقال الواقدي:](٢) وكان الحجَّاج يضربُ الكعبة بالمجانيق حتى هدم ناحية منها.

قال ابن ماهَك(٣): رأيتُ المنجنيقُ يُرمى به نحو الكعبة، فرعدت السماء وبَرَقَت، وعلا صوت الرَّعد ولمعانُ البرق على الحجارة، فاشتمل عليها، فأعظمَ ذلك أهلُ الشام، وأمسكوا بأيديهم، فرفع الحجَّاج طرف قَبائه، فغرزَه في مِنْطَقَته، ورفعَ حجر المنجنيق بيده، فوضعه فيه، ثم قال: ارْمُوا. ورمى معهم، فجاءت صاعقة وصاعقة أخرى، فقتلَتْ من أصحابه ثلاثة عشر رجلاً(٤)، فانكسر أهلُ الشام، فقال الحجاج: [يا أهل الشام] لا تُنكروا هذا، فإني ابنُ تِهامة، وهذه صواعقُ تِهامة، وهذا الفتحُ قد حضر، فأَبْشِرُوا [وإن الفتوح من علامتها الصواعق في جبال تهامة] إنَّ القوم يُصيبُهم مثلُ ما أصابكم.

فلما كان من الغد؛ جاءت صواعقُ، فقتلت من أصحاب ابن الزبير عِدَّة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون وهم على الخلاف [وأنتم تُصابون] وأنتم على الطاعة(٥)؟!

[وقال الهيثم: كان الحجَّاج يرمي بالمنجنيق ويقول لأهل الشام:] لا يهولنّكم حريقُ من احترقَ منكم، فإنَّ بني إسرائيل كانوا إذا قرَّبُوا قُرباناً فنزلت النارُ فأكلَتْه؛ علموا أنه قد تُقُبِّلَ منهم(٦).

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٨٥.

(٢) قوله: قال الواقدي، من (م). وجاء قبله فيها ما صورتُه: قد ذكرنا أن الحجاج حصره لهلال ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين. ولم يرد فيها الخبر السابق.

(٣) في (م) قال ابن سعد بإسناده عن يوسف بن ماهك قال...إلخ والخبر في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٨٧ من طريق ابن سعد، وليس هو في «طبقاته».

(٤) في تاريخ» الطبري ٦/ ٩٦٠ : اثني عشر رجلاً. وكذا في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٢٨. والكلام فيه بنحوه.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ١٨٧-١٨٨. وما سلف بين حاصرتين من (م). وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٢٨.

(٦) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٧، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢١١ (مصورة دار البشير - ترجمة الحجَّاج)، ومختصره ٦/ ٢٠٢-٢٠٣ وما سلف بين حاصرتين من (م).

[وقال عطاء بن أبي رباح: كنتُ مع ابن الزبير في الكعبة] وكان الحجَّاج كلَّما رمى حجراً ووقع في البيت يئنُّ ابنُ الزُّبير ويقول: أوَّه[(١)].

[قال ابنُ إسحاق:] وكان يرمي بالمنجنيق من على أبي قُبيس وابنُ الزُّبير قائمٌ في الحِجْر يصلِّي، فتمرُّ به الحجارة وهو كأنه شجرة [ما] تنثني، ما يُصيبُه منها شيء[(٢)]، ثم يخرجُ فيقاتل [وشعاره: يا منصور أمت، وكان قبل ذلك: لا حكم إلا الله]، ثم ضايقوه حتى أخذوا عليه الأبواب.

[فحكى ابن سعد عن الواقدي قال: حدثني مصعب بنُ ثابت، عن نافع مولى بني أسد قال: رأيت الأبواب قد شُحنت بأهل الشام] فكان لأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردنّ باب الصَّفا، ولأهل حمص الباب الذي يواجه الكعبة، ولأهل فلسطين باب بني جُمح، ولأهل قِنَّسْرِين باب بني سهم، والحجَّاج وطارق في ناحية الأبطح، والجيوش مُحدقة بالمسجد، وعلى كلِّ باب قائد، ومعه أهلُ بلدِه، وابنُ الزُّبير يحملُ على هؤلاء مرَّةً، وعلى هؤلاء مرة [كأنه أسد] حتى يُخرجَهم إلى الأبطح، ثم يصيح: يا ابنَ صفوان، ويلُ امِّهِ فتحاً[(٣)] لو كان له رجال. ويقول:

لـو كـان قِـرْنـي واحـداً كَـفَـيْـتُـهُ

فيقول ابنُ صفوان: إي والله وألف رجل[(٤)].

[وقيل: إن أهل الشام كانوا يقولون له ذلك].

ثم تفرَّق عنه أصحابُه ومَنْ معَه [وخرجوا إلى الحجاج بالأمان؛ حتى ابناه خُبيب وحمزة، وأخذا من الحجاج أماناً.

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٢١٢، ومختصره ٦/ ٢٠٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٠٠_٥٠١.

(٣) حُذفت همزة «أمّه» تخفيفاً، وأُلقيت حركتُها على اللام، ونُصب ما بعده على التمييز. «النهاية» ٥/ ٢٣٦.
وابن صفوان: هو عبد الله بن صفوان بن أمية بقي مع ابن الزبير حتى قُتل وهو متعلّق بأستار الكعبة.

(٤) في (أ) و(ب) و(د) و(خ): فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً: إي والله وألف رجل. والمثبت من (م) والكلام بعده بين حاصرتين منها. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٠٦، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٠_١٩١، و«تاريخ دمشق» ص ٤٨٣ _ ٤٨٤ (طبعة مجمع دمشق _ ترجمة ابن الزبير).

وحكى ابنُ سعد بإسناده عن المنذر بن جَهْم الأسلمي قال: رأيتُ ابنَ الزُّبير يوم قُتل وقد خَذَلَه الناسُ ممَّن كان معه خِذْلاناً شديداً، وجعلُوا يخرجون إلى الحجَّاج، فخرج إليه نحوٌ من عشرة آلاف؛ منهم ابناه خُبيب وحمزة][1].

ذكر دخوله على أسماء:

ولمَّا رأى خذلانَ الناسِ إيَّاه دخلَ على أمِّه فقال: يا أمَّاه، خَذَلني الناسُ حتى ولدي وأهلي، ولم يبقَ معي إلا اليسير ممَّن ليس عنده من الدَّفْع أكثرُ من ساعة، والقومُ يُعطونني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيُكِ؟ فقالت: أنت واللهِ يا بنيَّ أعلمُ بنفسك؛ إن كنتَ تعلمُ أنَّك على الحق وإليه تدعو، فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابُك، ولا تمكِّن رقبتَك يتلاعبُ بها غلمانُ بني أمية، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا فبئس العبدُ أنتَ، أهلكتَ نفسك، وأهلكتَ من قُتل معك، وإنْ قلتَ: كنتُ على حقّ، فلمَّا قُتل أصحابي وَهَنْتُ حيث وَهَنُوا، فهذا ليس فعلَ الأحرار، ولا أهلَ الدين، وكم خلودُك في الدنيا؟! القتلُ أحسن.

فدنا ابنُ الزُّبير، وقبَّل رأسَها وقال: هذا واللهِ رأيي، والذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا ما رَكَنْتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياةَ فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضبُ لله أن تُستحلَّ محارمُه، ولكنني أحببتُ أنْ أعلمَ رأْيَكِ، فزدتيني بصيرةً مع بصيرتي، فانظري يا أمَّاه، فإني مقتولٌ من يومي هذا، فلا يشتدَّ حُزْنُك، وسَلِّمِي لأمر الله، فإنَّ ابنكِ لم يتعمَّد إتيان منكر ولا فاحشة، ولم يَجُرْ في حكم، ولم يغدُرْ في أمان، ولم يتعمَّد ظُلم مسلم ولا معاهَد، وما بلغني ظلم عن عمَّالي إلا وأنكرتُه، ولم يكن عندي شيء آثَرَ من رضى ربِّي، اللهمَّ إنّي لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسي، ولكن تعزيةً لأمي لتسلُوَ عنّي.

---

(١) من قوله: وخرجوا إلى الحجاج بالأمان... إلى هذا الموضع وهو ما بين حاصرتين من (م) ووقع بدلاً منه في النسخ الأخرى ما صورتُه: «وخذلوه خذلاناً شديداً، وخرج إلى الحجاج بالأمان نحوٌ من عشرة آلاف، منهم ابناه خبيب وجعفر، وحمزة ابنه أيضاً». ولم أقف على من ذكر جعفراً من أولاد عبد الله بن الزبير وذِكرهُ في هذه النسخ خطأ غالباً من النُّسَّاخ. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٥٠٨/٦ ، وأخرجه من طريقه الطبري ١٨٨/٦ .

فقالت أمُّه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إنْ تَقَدَّمْتَني أو تقدَّمتُك، ومن قُتل على باطل؛ فقد قُتلتَ على حقّ.

ثم قالت: اللهمَّ ارْحَمْ له طُول القيام في الليالي الطِّوال، وذاك النَّحيبَ والبكاء، والظمأ في الهواجر بالمدينة ومكة، وبِرَّه بأبيه وبي، اللهمَّ إني قد أسلمتُه لأَمرك فيه، ورضيتُ بما قضَيْتَ، فأَثِبْني في عبد الله ثوابَ الصابرين الشاكرين(١).

وقال الواقدي: دخل على أمِّه وعليه الدِّرْعُ والمِغْفَر، فسلَّم ووقفَ، ثم تناولَ يديها وقبَّلَها وقال: جئتُ مودِّعاً، إني لأرى هذا آخرَ أيَّامي من الدنيا، فإنْ قُتلتُ فإنما أنا لحم لا يضرُّني ما صُنع به. فقالت: صدقتَ، أتمم على بصيرتك(٢)، ولا تمكّن ابنَ أبي عقيل منك(٣)، ادْنُ منِّي أُوَدِّعْك. فدنا منها فقبَّلها وعانَقَها، فلما مسَّت الدِّرْعَ قالت: ما هذا صُنعُ مَنْ يُريد ما تُريد. قال: ما لبستُه إلا لأشُدَّ منك. قالت: فإنه لا يشُدُّ مني. فنزعها [ثم أدرجَ كُمَّه، وشَدَّ أسفلَ قميصِه وجُبَّة خَزٍّ تحت القميص، وأدخل أسفلَها في المِنْطَقَة](٤). وخرجَ إليهم.

وقال عروة(٥): لما كانت الغداة التي قُتل فيها؛ دخَلَ على أمِّه أسماء وهي يومئذٍ بنتُ مئةِ سنة لم يسقط لها سنٌّ، فقالت: يا عبد الله، ما فعلتَ في حربك؟ فقال: إنَّ في الموت لراحةً. فقالت: ما أشتهي أن أموتَ حتى آتيَ على أحد طرفيك، فإما أن تملك فتقرَّ عيني، وإمَّا أن تُقتلَ فأحتسبَك. فودَّعَها وخرج وهو يقول:

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بِسُبَّةٍ ... ولا مُرْتَقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

---

(١) الخبر بتمامه في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٨٨ـ١٨٩ ، وقد أخرجه من طريق ابن سعد، ونسب في (م) إليه، وهو في «طبقاته» ٦/ ٥٠٢ـ٥٠٣ دون قوله منه: وإن قلتَ كنتُ على حق... إلى قوله: القتل أحسن.

(٢) كذا في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٨٩ . وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٠٢ : امض على بصيرتك.

(٣) يعني الحجَّاج بن يوسف المُبِير، قبَّحه الله.

(٤) استدركتُ ما بين حاصرتين من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٠٢ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٨٩ ؛ لأن ثمة زيادةً في (أ) عن النسخ الأخرى (غير م، فليس فيها الكلام) غير مجوَّدة وصورتها: وأدرج كمَّيه وشد أسفل قميصه وأدخل بين جبته في المنطقة.

(٥) هو عروة بن الزُّبير، والخبر في «تاريخ دمشق» ص ٤٧٦ مطوّل. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٢٦١ ، و«الاستيعاب» ص ٤٠١ـ٤٠٢ . ولم يرد هذا الخبر في (م).

قال مصعب بن ثابت: فما مكَثَتْ بعدَه إلا عشراً [وقيل: خمسة أيام][(١)].

[قال ابن اسحاق:] ولما تفرَّق عنه أصحابُه قال الحجَّاج: يا أهل الشام قد بقيَ شيء يسير، فاحمِلُوا حملةَ رجلٍ واحد. فحملُوا عليه من جميع الأبواب، فحملَ عليهم وهو يقول:

إنـي إذا أعـرفُ يـومـي أَصْـبِـرْ ... إذْ بـعـضُـهـم يـعـرفُ ثـم يُـنـكِـرْ

[فدفعهم دفعةً تراكموا منها] فوقعوا على وجوههم وانهزموا.

[وقال الواقدي:] وكانوا إذا حمل عليهم يقولون له: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقين؛ يعيِّرونه بذلك، وهو يقول[(٢)]:

وعَـيَّـرهـا الـواشـون أنـي أُحِـبُّـهـا ... وتـلـك شَـكَـاةٌ ظـاهـرٌ عـنـك عـارُهـا

فـإنْ أعـتـذرْ مـنـهـا فـإنِّـي مُـكَـذَّبٌ ... وإنْ تَـعـتَـذِرْ يُـرْدَدْ عـلـيـهـا اعـتـذارُهـا[(٣)]

أنا ابنُ ذات النِّطاقَيْن، هلمُّوا إليَّ.

ونادى أهل الشام: يا ابنَ الزُّبير، يا ابن الحواريّ. فقال ابنُ الزبير لمولى له: أَجِبْهم. فقال: تعيبُون من حواريِّ رسول الله ﷺ؟ قالوا: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَيْن. قال: أفتعيبونها بالنِّطاق الذي أولت به طعامَ رسول الله ﷺ وشرابَه، أم بالنِّطاقِ الذي تَنْتَطِقُ به الحرَّةُ في بيتها؟! وقد قال لها رسول الله ﷺ: «لكِ بهما نطاقانِ في الجنَّة». فقالوا: يا ابنَ الزبير يا مشؤوم. فسكت مولاه، فقال: أَجِبْهُم. فقال: كيف أُجيبُهم وقد صدقوا[(٤)].

[وأخرج البخاري عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان أهل الشام يُعَيِّرون ابنَ الزُّبير بذات النِّطاقين، فدخل على أسماء، فقالت: يُعَيِّرونك بالنِّطاقين، هل تدري ما النِّطاقان؟! وذكرت الحديث][(٥)].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٨٩ .

(٢) في (م): وقال ابن سعد: كانوا إذا عيَّروه بذلك يحمل عليهم ثم يقول...

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٠٤ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٣١ ، و«مروج الذهب» ٥/ ٢٦٣ .

(٤) أنساب الأشراف ٦/ ١٤ . ولم يرد هذا الخبر في (م).

(٥) ما بين حاصرتين من (م). والحديث في «صحيح» البخاري (٥٣٨٨).

وقال له الحارث الملقَّب بالقُباع: ألا آخُذُ لك أماناً من الحجَّاج؟ فقال: ويحك يا ابن آكلة حمام مكة! إليَّ تقول هذا؟! واللهِ إنَّ موتاً في عزٍّ خيرٌ من حياة في ذُلّ[١].

وجاءه عُمارة بنُ عَمرو بن حَزْم، فقال له: لو ركبتَ رَوَاحِلَك ونزلتَ برمل الجزل[٢] فقال: ما فعلت القتلى بالحَرَم؟ والله لئن كنتُ أُوردُ بهم[٣] ثم أصدرُ فِراراً عنهم لبئس الشيخُ أنا في الإسلام[٤].

[قال ابن سعد: وقال المدائني:][٥] وخاف الحجَّاج أن يهربَ ابنُ الزبير، فقال لأصحابه: ما عُذْرُنا عند خليفتنا إنْ هربَ الليلةَ. وبلغ ابنَ الزبير فضحك وقال: ظنَّ الملعون بي ظَنَّه بنفسه، إنه فرَّار هو وأبوه في المواطن. يشير إلى يوم الرَّبَذَة[٦].

[قال المدائني]: وقاتل مع ابن الزبير أربعون امرأة منهن مريم بنتُ طلحة [أخذَتْ سيفاً و] قاتلَتْ بين يديه[٧].

[قال ابن عساكر:] وقالت له امرأته: ألا أخرجُ فأُقاتل معك؟ فأنشد:

كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ علينا [وعلى المُحْصَنات جَرُّ الذُّيولِ][٨]

[قال هشام:] ولما كان يومُ الثلاثاء قال لأصحابه: ما أُراني اليومَ إلا مقتولاً، رأيتُ في ليلتي هذه كأنَّ السماءَ فُرِجَتْ لي فدخلتُها، واللهِ إني قد مَلَكْتُ الحياة، ولقد جاوزتُ سِنَّ أبي، هذه اثنتانِ وسبعون سنة. اللهمَّ إنِّي أُحِبُّ لقاءك، فأَحِبَّ لقائي[٩].

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٢٤٤.
(٢) في تاريخ دمشق ص ٤٨٢: الحرل. ولم أعرفه.
(٣) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٠٥، و«تاريخ دمشق»: أوردتُهم.
(٤) الخبر - إضافة إلى المصدرين السابقين - مختصر في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٣٣.
(٥) ما بين حاصرتين من (م). والخبر بنحوه عند ابن سعد ٦/ ٥٠٥ عن نافع مولى بني أسد، وعند البلاذُري ٦/ ٧ عن المدائني.
(٦) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٢٥. وسلف خبر يوم الرَّبَذَة وهروب الحجَّاج مع أبيه يومَها سنة (٦٥).
(٧) أنساب الأشراف ٦/ ٧. وما سلف بين حاصرتين من (م).
(٨) «تاريخ دمشق» ص ٤٦٦. وما بين حاصرتين منه، والبيت بهذا اللفظ في «أنساب الأشراف» ٦/ ٩٦ مع بيتين آخرين، ونُسبت فيه لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي (قال: ويُقال: لعمر بن أبي ربيعة) قالها عندما قَتل مصعب بنُ الزبير امرأةَ المختار. وهي في «العقد الفريد» ٤/ ٤٠٧، و«الأغاني» ٩/ ٢٢٨ من شعر عمر بن أبي ربيعة. وفيهما: وعلى الغانيات جرُّ الذُّيول.
(٩) ينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٠٧.

ثم حملَ على القوم وهو يقول:

فَـرَّتْ سَـلامـانُ وفَـرَّتِ الـنَّـمِـرْ   وقـد نُـلاقَـى مـعـهُـم ولا نـفـرّ

فقال له أخوه عُروة: قد أُخِذَتْ دارُ فلان ودارُ فلان، فقال:

[اصْـبِـرْ] عـصـامُ إنَّـه شِـرْ بـاقْ[١]   قـد سـنَّ أصـحـابُـك ضـرب الأعـنـاقْ

وقـامـت الـحـربُ بـنـا عـلـى سـاقْ[٢]

فقال عروة: فغاظني[٣]، فقلت: والله لئن يأخذوك ليُقَطِّعُنَّك إرْباً إرْباً. فقال:

ولـسـت أبـالـي حـيـن أُقـتـلُ مـسـلـمـاً[٤]

فبكى عروة[٥].

وكان يحملُ ويقول:

الـمـوتُ أكـرمُ مـن إعـطـاء مَـنْـقَـصـةٍ   مـن لا يَـمُـتْ عَـبْـطَـةً فـالـغـايـةُ الـهَـرَمُ

و[قال أبو اليقظان: كان] الحجاج يحرِّضُ أهلَ الشام ويقول: اللهَ اللهَ في طاعة خليفتكم. وابنُ الزبير يهزُمُهم.

وقال شيخٌ من أهل حمص شهدَ وقعة ابن الزُّبير مع أهل الشام: رأيتُه يومَ الثلاثاء وقد دخلَ عليه من الباب الذي لأهل حمص خمسُ مئة رجل وهو يخرج في إثرنا ونحن منهزمون؛ ما أنسى منه أرجوزة:

إنـي إذا أعـرفُ يـومـي أَصْـبِـرْ   إذْ بـعـضُـهـم يـعـرفُ ثـم يُـنـكِـرْ

قال: وأنا أُعَوِّذُه بالله ممَّا أرى من شجاعته[٦].

---

(١) في «التبصرة» ٢/ ١٥ : إنه شِبراق.وهو الأشبه، ففي «القاموس»: الشِّبْرَاقُ من كلِّ شيء شِدَّتُه. ولم أقف في المعاجم على لفظة: شِرْباق، غير أنه أحال في «القاموس» شَرْبَقَ على شَبْرَقَ. والله أعلم.

(٢) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٢٩ ، و«تاريخ دمشق» ص ٤٨٣ .

(٣) في (أ): فغاضبني.

(٤) وعَجُزُه: على أيِّ جَنْب كان في الله مصرعي.

(٥) الخبر بتمامه في «صفة الصفوة» ١/ ٧٧٠_٧٧١ . وفيه قول عروة آخره: فعرفتُ أنه لا يمكّن من نفسه.

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٠ من طريق ابن سعد. دون قوله: وأنا أعوِّذُه... وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٧ .

وقال ابن سعد: لمَّا كان يومُ الثلاثاء صبيحة سبعَ عشرة من جُمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذَ الحجَّاجُ على ابن الزبير بالأبواب، وباتَ ابنُ الزُّبير يصلِّي عامَّةَ الليل، ثم صلَّى بالناس الفجر، وسلَّم، ثم قام، فحمد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: يا آلَ الزُّبير، اكشفوا وُجوهكم - وعليها المغافر - فكشفوها، فَشجَّعَهُمْ، وقوَّى عزائمهم.

وقال: ألا مَنْ كان سائلاً عني، فإنِّي في الرَّعيل الأوَّل، ثم أنشد:

أَبَى لابنِ سلمى أنَّه غيرُ خالدٍ ... ملاقي المنايا أيَّ صَرْفٍ تيمَّما
فلستُ بمبتاع الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مُرْتقٍ من خشية الموتِ سُلَّما[(١)]

[ثم قال:] احملُوا على بركة الله تعالى. فحمل عليهم [حتى] بلغ بهم إلى الحَجُون، ورماه رجلٌ بآجُرَّة، فوقعت في رأسه ففلقَتْه، فأُرْعِشَ لها، ودُمي وجهُه، فلمَّا وجدَ سخونةَ الدم يسيلُ على وجهه ولحيته قال متمثِّلاً بشعر الحُصَيْن بنِ الحُمام المُرِّي:

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ... ولكن على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّما

ثم تَغَاوَوْا عليه[(٢)]، فوقع، وصاحَتْ أَمَةٌ مجنونةٌ من سطح: وا أمير المؤمنيناه! ولم يعرفوه[(٣)]، فتكاثَرُوا عليه فقتلوه.

وقيل: جاءه سهم عائر، فوقع على ظهره، ولم يقدر على القيام، وأشارت إليه الأمة من السطح، فجاؤوا إليه، فقتلوه.

[وقال الواقدي:] وبلغ الحجَّاجَ الخبرُ، فكبَّر هو وأصحابُه، وسجدَ الحجَّاج، فقال ابنُ عُمر رضي الله عنهما: واللهِ إنَّ قوماً كبَّرُوا عند ولادتك خيرٌ من قومٍ كبَّرُوا عند قتلك[(٤)].

وجاء [الحجاج] حتى وقف عليه ومعه طارق بن عَمرو، فقال طارق: [ما ولدت النساءُ أذكر من هذا. فقال الحجَّاج: تمدحُ مَنْ خالفَ أمير المؤمنين! فقال طارق:] إنَّا

---

(١) الشعر لحُصين بن الحُمام، كما ذكر ابن سعد بإثر البيتين في «الطبقات» ٦/ ٥١٧ .

(٢) أي: تجمَّعوا وتعاونوا عليه. ووقع في النسخ الخطية: تغادروا. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥١٨، و «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٢ .

(٣) قوله: ولم يعرفوه ليس في (م)، ولا في المصدرين السابقين.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٥١٠ ، وأنساب الأشراف ٦/ ٢٣٥ ، و«تاريخ دمشق» ص ٤٧٢ .

محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير خندق ولا حصن [ولا مانع] وهو ينتصفُ منَّا، لا، بل يفضُلُ علينا كلَّما التقينا نحن وإيَّاه.

وبلَغَ عبدَ الملك، فصوَّب كلام طارق(١).

وبعث الحجَّاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة [بن عَمرو] ابن حزم إلى المدينة، فنُصبت بها، ثم ذُهب بها إلى عبد الملك(٢).

وحمل رأسَ ابنِ الزُّبير رجلٌ من مُراد(٣)، أعطاه عبد الملك خمس مئة دينار.

[وقال الواقدي:] وخرجت أسماء ومعها أكفان قد أجْمَرَتْها(٤)، فحالَ الحجَّاجُ بينها وبين جسده؛ لأنه كان قد صَلَبَه، فقالت: قاتلَ اللهُ عبد ثَقِيف المُبِير، يحولُ بيني وبين جسد ولدي، ويمنعُني أنْ أُواريَه(٥).

وبلغَ الحجاجَ، فجاءَها فقال: كيف رأيتِ؟ نَصَرَ اللهُ الحقَّ وأظهرَه. فقالت: ربَّما أُديلَ الباطلُ على الحقّ، فقال: إن ابنَكِ أَلحدَ في الحرم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥] وقد أذاقه اللهُ ذلك. فقالت: كذبتَ، كان أوَّلَ مولود في الإسلام بالمدينة، وسُرَّ به رسولُ الله ﷺ، وحنَّكه بيده، وكبَّر المسلمون لما وُلد حتى ارتجَّت المدينة فَرَحاً به، وكبَّرتَ أنتَ وأصحابُك لمَّا قُتل، فالذي فَرِحَ به يومَ وُلد خيرٌ منك ومن أصحابك. وكانَ ـ واللهِ ـ صَوَّاماً قَوَّاماً قارئاً لكتابِ الله تعالى، مُعَظِّماً لحُرُمات الله، وأشهدُ لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يخرج من ثَقِيف كذَّابان، الأخير منهما شرٌّ من الأوَّل، وهو مُبِير»، وهو أنت. فانكسرَ الحجَّاج وانصرف.

وبلغ عبد الملك، فكتب إليه: مالَكَ ولابنةِ الشيخ الصالح(٦).

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٥١٨، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٢. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٢.

(٣) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): الأزد. والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥١٠.

(٤) أي: بَخَّرَتْها بالطِّيب.

(٥) أنساب الأشراف ٦/ ٢٣٤، و«تاريخ دمشق» ص ٤٧١.

(٦) تاريخ دمشق ص ٤٧٢.

[وقال ابنُ سعد بإسناده عن محمد بن القاسم الثقفي: إن أسماء أتت الحجَّاج بعد ما ذهبَ بصرُها ومعها جواريها، فقالت: أين الحجَّاج؟ فقالوا: ليس هو هنا. قالت: فإذا جاء فقولوا له يأمر بهذه العظام أن تنزل، وأخبروه أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في ثقيف رجلان؛ كذَّاب ومُبير».

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي: إن الحجَّاج دخل على أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق ﵄، فقال لها: إن ابنَكِ ألحدَ في الحَرَم - أو: في هذا البيت - وإن الله أذاقه من عذاب أليم. فقالت: كذبتَ، إنَّه كان بارّاً بوالديه، صوَّاماً قوَّاماً، ولكن - واللهِ - لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه سيخرجُ من ثَقِيف كذَّابان، الآخِرُ منهما شرٌّ من الأوَّل، وهو مُبير](١).

وقال أبو نَوْفَل(٢): رأيتُ عبدَ الله بن الزبير على عَقَبَةِ المدينة(٣)، فجعلَتْ قُريشٌ تمرُّ عليه والناسُ، حتى مرَّ عليه عبدُ الله بنُ عُمر، فوقفَ عليه وقال: السلامُ عليك أبا خُبيب، أمَا واللهِ لقد كنتُ أنهاك عن هذا. قالها ثلاثاً. أما واللهِ إنْ كنتَ فيما علمتُ صوَّاماً قوَّاماً، وَصُولاً للرَّحِم، أمَا واللهِ لأمَّةٌ أنتَ شَرُّها لأُمَّةُ سُوء(٤).

ثم نَفَذَ عبدُ الله، وبلغ الحجَّاجَ موقفُ عبد الله وقولُه، فأرسلَ إليه، فأُنزل عن جِذْعه وأُلقيَ في قُبور اليهود. ثم أرسلَ إلى أمِّهِ أسماءَ بنتِ أبي بكر، فأبَتْ أنْ تأتيَه. فقال: لَتأتِيَنِّي، أو لأَبْعَثَنَّ إليها من يسحبُها بقُرونها. فقالت: واللهِ لا آتيهِ حتى يبعثَ إليَّ مَنْ يسحبُني بقُروني. فقال: أَروني سِبْتِيَّ(٥). فأخذ نعليه، ثمَّ انطلق يَتَوَذَّفُ(٦)، فدخل عليها، فقال: كيف رَأَيْتِني صنعتُ بعدوِّ الله؟ قالت: [رأيتُك] أفسدتَ عليه دنياه،

---

(١) من قوله: قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن القاسم... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (م). وهو في «طبقات» ابن سعد ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.

(٢) الخبر في «صحيح» مسلم (٢٥٤٥) ونُسب في (م) إليه.

(٣) هي عقبة بمكة. وسيرد ذكرها. وينظر «شرح صحيح مسلم» ١٦/ ٩٨.

(٤) كذا في النسخ الخطية. وذكر النووي في «شرح صحيح مسلم» ١٦/ ٩٩ أنه كذلك في كثير من نُسخ مسلم، ونقل عن القاضي عياض أنه خطأ وتصحيف، وأن الصواب: لأُمَّةُ خير.

(٥) هي النعل التي لا شعر عليها. ينظر «شرح صحيح مسلم» ١٦/ ٩٩.

(٦) أي: يسرع. عن أبي عُبيد. أو: يتبختر. عن أبي عمرو. ينظر «شرح صحيح مسلم» ١٦/ ٩٩.

وأفسدَ عليك آخرتَك، بلغني أنك تقول له: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَيْن، أنا واللهِ ذاتُ النِّطاقَيْن، فأمَّا أحدُهما؛ فكنتُ أرفعُ به طعام رسولِ الله ﷺ وطعامَ أبي بكر من الدَّوابِّ، وأما الآخرُ؛ فِنطاقُ المرأةِ لا تستغني عنه. أمَا إنَّ رسولَ الله ﷺ حدَّثنا أنَّ في ثَقِيفٍ كذَّاباً ومُبِيراً، فأمَّا الكذَّابُ؛ فقد رأيناه، وأمَّا المُبير فلا إخالُك إلا إيَّاه. فقام عنها ولم يُراجِعْها. انفرد بإخراجه مسلم[1].

وقوله: عَقَبة المدينة: يريد مكة، وقُبور اليهود: ليس المراد به في الإسلام، بل في الجاهلية. [لأن اليهود كانت تسكن الحجاز قديماً، وكان موسى عليه السلام قد جهَّزَ جيشاً من بني إسرائيل إلى العمالقة، فقتلوهم بمكة][2].

والكذَّاب الأوَّلُ: المختار، والثاني: الحجَّاج. والمُبير الفاتك.

وصلبَ الحجَّاجُ ابنَ الزُّبير على ثَنِيَّة كَدَاء بالحَجُون، وربطوا إلى جانبه هرَّةً ميِّتة، فكان ريحُ المسك يغلبُ على ريحها، فأرسلَتْ إليه أسماء: قاتلكَ الله! علامَ تصلُبُه؟! فقال: إنِّي استبَقْتُ أنا وإيَّاه إلى هذه الخشبة، فسبقَني[3].

[وقال أبو أحمد الحاكم:] وجمعَتْ أسماءُ أوصالَ عبدِ الله قطعةً قطعةً، فكانت تغسلُ كلَّ قطعة وتضعها في أكفانه، فأرسلَ إليها ابنُ عمر يصبِّرُها، فقالت: وما يمنعني من الصبر ورأسُ يحيى بن زكريا حُمل إلى بغيٍّ من البغايا في طَسْت؟!

وحكى ابنُ عساكر أنها حملَتْه إلى المدينة، فدفنته في دار صفيَّة بنت حُيَيّ، فزِيدَتْ تلك الدار في المسجد، فابنُ الزُّبير مدفونٌ مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[4].

وحكى [أيضاً] أنَّ الحجَّاج حمل رأسه إلى المدينة، ثم إلى الشام، ثم إلى خُراسان، فدُفِنَ بها[5].

ولما قتلَ الحجَّاجُ ابنَ الزبير ارتجَّتْ مكَّةُ بالبكاء، فصعد الحجَّاج المنبر وقال: يا أهل مكة، بلغني إكبارُكم واستفظاعُكم قتلَ ابنِ الزُّبير، إنَّ ابنَ الزُّبير كان من خِيار هذه

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٤٥).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) تاريخ دمشق ص ٤٧٣ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٣٥ ، و«طبقات» ابن سعد ٦/ ٥١١ .

(٤) تاريخ دمشق ص ٥٠٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٨٨ .

الأمَّة حتى رغبَ في الدنيا، ونازعَ الخلافةَ أهلَها، فخلَعَ طاعةَ الله، واستكنَّ في حَرَم الله، ولو كان شيءٌ يمنعُ العصاةَ لمنع[1] آدمَ حرمةُ الجنة، وقد خلقَه اللهُ بيده، ونفَخَ فيه من روحه، وأسجَدَ له ملائكتَه، فلما عصاه أخرجَه من الجنة بخطيئته، وعاقبَه فيها، وآدمُ هو أكرم على الله من ابن الزُّبير، والجنَّةُ أعظمُ حُرمةً من الحَرَم والكعبة[2].

وقال الشافعي ﷺ: خطبَ الحجاجُ بعد قتلِ ابنِ الزُّبير، فقال: إنَّ ابنَ الزُّبير غيَّر كتابَ الله، فناداه ابنُ عمر: لو شئتُ أن أقول: كذبتَ؛ لقلتُ.

[قال المدائني:] ولما بلغَ عبدَ الملك قتلُ ابنِ الزُّبير خَرَّ ساجداً، ثم دعا بمقراض، فأخذَ من ناصيته ونواصي أولاده، وكان عندَه رَوْح بنُ زِنْباع، فأخَذَ من ناصيته وقال: أنتَ منَّا.

وتحصَّنَ سَعْد مولى عُتبة بنِ أبي سفيان بالطائف في خمسين رجلاً، فأنزلهم ابنُ الزُّبير، فضربَ أعناقَهم في الحَرَم، فقال عبد الله بن عمر: ما أحمقَ هذا الرجل! أما إنه لم يَقْتُل [أحدٌ] أحداً في الحَرَم إلا قُتِلَ به. ولو لَقِيتُ قاتلَ أبي في الحَرَم؛ لما تعرَّضْتُ له[3].

وقال الإمام أحمد ﷺ: حدَّثَنا محمد بنُ كُناسة، حدَّثَنا إسحاق بنُ سعيد، عن أبيه قال: أتى عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطَّاب عبدَ اللهِ بنَ الزُّبير فقال: يا ابنَ الزُّبير، إيَّاك والإلحاد في الحَرَم - أو في حرم الله - فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنه سيُلحِدُ فيه رجلٌ من قريش لو تُوزن ذنوبُه بذنوب الثَّقَلَين لَرَجَحَتْ». فانْظُرْ لا تكونُهُ[4].

وكانت مدَّةُ حصار الحجَّاج لابن الزُّبير ﷺ ببطن مكة ستةَ أشهر وسبعةَ عشرَ ليلةً خَلَتْ من جمادى الأولى، وكان سنُّه اثنتان وسبعون سنة[5].

---

(١) في (أ): لمنعت.

(٢) مختصر «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٠٣ . وقد نُسب الخبر في (م) لابن عساكر.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٥٥ ، ولفظة «أحد» بين حاصرتين منه.

(٤) مسند أحمد (٦٢٠٠)، وروى أحمد أيضاً نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عَمرو (٦٨٤٧).

(٥) كذا هي عبارة النسخ في (أ) و(ب) و(خ) و(د). وجاء في (م) ما صورتُه: واختلفوا في مدة حصار الحجَّاجِ ابنَ الزُّبير، فقال ابن سعد عن الواقدي: كانت الحرب بين ابن الزبير وبين الحجَّاج ببطن مكة ستة أشهر =

ذكر أولاده:

فولدَ عبدُ الله خُبَيْباً؛ لا بقيَّةَ له، وحمزةَ، وعبَّاداً، وثابتاً، وأمُّهم تماضر بنت منظور ابن زبَّان الفَزاري.

وهاشماً، وقيساً، وعُروة؛ قُتل مع أبيه، والزبيرَ، وأمُّهم أُمُّ هاشم زُجْلَةُ بنتُ منظور ابن زبَّان.

وعامراً، وموسى، وأمَّ حكيم، وفاطمةَ، وفاختة، وأمُّهم حنتمة بنت عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام.

وأبا بكر، وأُمُّه رَيْطة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وبكراً، ورُقَيَّة، وأمُّهما عائشةُ بنتُ عثمان بن عفَّان.

وعبدَ الله، ومصعب بن عبد الله[1].

فنذكرُ أعيانَ أولادِه:

أمَّا خُبَيْب؛ فكان من النُّسَّاك، وكان كثيرَ الخير والعبادة، وعالماً بأنساب قريش، وسنذكرُه[2].

وأمَّا حمزة؛ فكان من الأجواد، وله عقب بالمدينة، منهم: عبَّاد بن حمزة؛ كان سريّاً حليماً حسن الشباب، وإيَّاه عنى الأحوصُ بقوله في وصف امرأة:

= وسبع عشرة ليلة، والمشهور: من هلال ذي القَعْدة إلى سبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، فيكون ستة أشهر وثلاثة عشر يوماً. واختلفوا في سنّه، فحكينا عنه أنه قال: قد جاوزتُ سنَّ أبي اثنتين وسبعين سنة، وحكينا أيضاً أنه ولد سنة اثنتين من الهجرة، وقُبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين وأربعة أشهر. والأصح اثنتان وسبعون سنة.

(١) ذكر ابن سعد ٦/ ٤٧٣ من أولاده أيضاً بكراً (آخر)، قال: وأمُّه نفيسة، وهي أمُّ الحسن بنت الحسن بن علي، مات صغيراً. وشيءٌ أهم من هذا أنه لم يذكر مصعباً في أولاد عبد الله بن الزبير، ولا ذكره أيضاً الزُّبير ابن بكار في «جمهرة نسب قريش» ولا عمُّه مصعب الزّبيري في «نسب قريش». ولم أقف على من ذكر ذلك. وغالب الظنّ أن هذا وهم من سبط ابن الجوزي رحمه الله، وسيأتي على ذكره، وسأذكر ثمة سبب الوهم فيه إن شاء الله.

(٢) جمهرة نسب قريش ١/ ٣٦، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٨ : وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠٥، و«نسب قريش» ص ٢٤٠ .

لـهـا حُسْـنُ عـبَّـادٍ وجِسْـم ابـنِ واقـدٍ وريـحُ أبـي حـفـصٍ وديـنُ ابـنِ نَـوْفَـلِ[١]

وقيل في هذا المعنى:

أُحِـبُّ مـن الـنـسـوانِ كـلَّ خَـريـدةٍ لـهـا حُسْنُ عـبَّـادٍ وجـسـمُ ابـنِ واقـدِ[٢]

فكان حمزةُ يحبُّ ولدَه عبَّاداً، فآثره ببعض مالِه على إخوتِه، فلمَّا ماتَ حمزةُ؛ ردَّه عبَّاد على إخوته، وقسمه فيهم بالسويَّة[٣].

وعُمارة بنُ حمزة درج، وهو أخو عبَّادٍ لأمِّه؛ أمُّهما هند بنتُ قُطبة بن هَرِم، فَزَاريَّة.

وأبو بكر[٤]، ويحيى، وأمُّهما أمُّ القاسم بنتُ القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، وأمُّها أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله بن جعفر، وأمُّها زينبُ بنتُ عليّ بن أبي طالب، وأمُّها فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ.

وسليمانُ بنُ حمزة، وأمُّ سَلَمة، وأمُّهما أُمُّ الخطَّاب بنتُ شيبة بن عبد الله بن شريك الأنصاريّ.

وعبدُ الواحد، وهاشم، وعامر[٥]، وإبراهيم، وعبد الحميد، وأَمَةُ الجَبَّار، وأَمَةُ المَلِك، وأمُّ حَبِيب، وصالحة؛ لأمَّهاتِ أولاد شتَّى[٦].

وأما عبَّاد بنُ عبد الله بن الزُّبير؛ فولَّاه أبوه قضاءَ مكَّة، وكان الناسُ يظنُّون أنه حَدَثَ بأبيه حَدَث وأوصى إليه[٧].

وهو من الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وكان ثقةً كثير الحديث[٨].

وكان له من الولد: محمد، وصالح، وأمُّهما أمُّ شيبة بنتُ عبد الله بن حَكِيم بن حِزام.

---

(١) «نسب قريش» ٢٤٠ـ٢٤١ ، والتبيين ص ٢٥٨ ، وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٠٥ ، أبو حفص: هو عمر ابن عبد العزيز، كان عطراً، وابنُ نَوْفَل: أبان، كان بالمدينة، كان فِتْيَانيَّاً. ينظر «جمهرة نسب قريش» ١٥١.

(٢) أورده ابن قتيبة في «المعارف» ص ١٨٧ عند ذكره ابن واقد، وهو عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٣) التبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٨ .

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وأبا بكر. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. (والكلام ليس في م).

(٥) في النسخ (غير م): وهاشماً وعامراً. وأثبتُّ اللفظ على الجادَّة.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٥ـ٤٠٦ . وينظر «نسب قريش» ص ٢٤١ـ٢٤٢ .

(٧) التبيين في أنساب القرشيين ص ٢٥٩ : وينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ٤٠٥ ، و«نسب قريش» ص ٢٤٢ .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٥ .

ويحيى، وأمُّه عائشة بنتُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمُّها أمُّ الحسن بنت الزُّبير بن العوَّام.

وأما ثابت بنُ عبد الله بن الزبير، فكان لسانَ آلِ الزُّبير فصاحةً وبياناً؛ دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: إنَّ أباك كان يبغضك. فقال: [إنما أبغضَني] لأني نهيتُه أن يقاتل بأهلِ المدينة وأهلِ مكة؛ أمَّا أهلُ المدينة فلأنَّهم قتلوا[1] عثمان، وأمَّا أهلُ مكة فلأنَّهم آذَوْا رسولَ الله ﷺ وأخرجوه، ثم جاؤوا إليه، فنفاهم إلى الطائف. يعني الحَكَم ابنَ أبي العاص[2].

ولثابت عقب صالحون فقهاء وزهَّاد وعبَّاد، منهم: نافع، ومصعب، وخُبيب[3].

وأما هاشم بن عبد الله؛ فكان من فرسان أبيه المعدودين[4].

وأما عروة بن عبد الله؛ فإنَّه قُتل مع أبيه[5].

وأما عامر بنُ عبد الله؛ فكان من أعبد أهل زمانه، وكان من المنقطعين، حملَ عنه الحديث مالك بنُ أنس وغيرُه.

وكان كثير الصدقة على العباد؛ يَصُرُّ الصُّرر، ويَتَحيَّن وقتَ صلاتهم في المسجد، فإذا سجد أحدهم وضع الصُّرَّة عند رأسه، ثم ينصرف ولا يُعلم به.

وما كان يرى تزويج بناته، وكان كثيرَ الدعاء؛ إذا شرعَ فيه أطالَ حتى كان صبيان المدينة يتراهنون على من يرفع يديه، فلا يضعهما حتى يضع يديه عامر.

وسُرقت نعلاه وهو في الدعاء، فما لبس نعلين حتى مات[6].

---

(١) كذا في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها) و«التبيين» ص ٢٦١ . والذي في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٢٨ ، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٥٧٢ (مصورة دار البشير): خذلوا. وهو الأشبه.

(٢) المصادر المذكورة قبل. وما سلف بين حاصرتين من «التبيين».

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٦ ، و«نسب قريش» ص ٢٤٢ ، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٢٦٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٧ ، وجمهرة نسب قريش ١/ ٢٣٢ .

(٥) نسب قريش ص ٢٤٣ ، وجمهرة نسب قريش ١/ ٢٣٢ .

(٦) التبيين في أنساب القرشيين ص٢٦٠. وينظر «جمهرة نسب قريش» ١/ ٢٢٠-٢٢٩ .

وأمَّا موسى بنُ عبد الله؛ فكان من العبَّاد، وله عقب صالحون، منهم صُدَيْق بن موسى، ورُوِيَ عنه الحديث.

وولدُه موسى بن صُدَيْق كان من أهل [الفضل والعَفَاف.

وإبراهيمُ بن موسى بن صُدَيْق بن موسى؛ كان من أهل] العلم والنُّسُك والأخبار والشعر، نظر في العلوم، فلما رَأَسَ؛ اعتزل، فنزل منزلاً بطريق الحجاز مما يلي العراق يقال له: السُّوَارِقِيَّة[1].

ومن شعره:

نُعَلَّلُ بالدُّنيا ونعرفُ غِبَّها ... ويمنعُنا حرصُ النفوسِ الشَّحائحِ
وأحزنني أنْ لا أزال مُوَكَّلاً ... بتأميل أمرٍ لستُ فيه برابحِ
فيا باكياً شجواً على الدِّين والتُّقى ... فَبَكِّ بمُرْفَضٍّ من الدَّمعِ سَافِحِ
أصابَهُمُ رَيْبُ المَنُونِ فأصبحوا ... تراباً وهَاماً تحت صُمِّ الصفائحِ
وعُرِّيَتِ الأحسابُ والدِّينُ بعدَهُمْ ... فصارت كمهجورٍ من الأرضِ نازحِ[2]

وأما أبو بكر بن عبد الله؛ فإنَّه روى الحديث وحُمل عنه، وله عقب[3].

ومصعب بن عبد الله بن الزُّبير[4]، كان من أَعبدِ أهلِ زمانِه، صامَ خمسين سنة، وكان يصلِّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة، وكان من أبلغ أهل زمانِه وأجملِهم، رُوِيَ عنه الحديث، وكان ولده عبدُ الله بن مصعب عالماً خطيباً، وليَ اليمنَ، فعدلَ وأحسنَ.

---

(١) جمهرة نسب قريش ١/ ٢٢٩ ـ٢٣٠، و التبيين في أنساب القرشيين ص٢٦٠ وما سلف بين حاصرتين منهما. ولا بدَّ منه. وقوله: السُّوَارقيَّة ـ ويقال: السُّوَيْرقيَّة؛ بلفظ التصغير ـ: قرية بين مكة والمدينة كانت لبني سُليم. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٧٦.

(٢) جمهرة نسب قريش ١/ ٢٣١. ونسب الأبيات لإبراهيم بن موسى بن صُدَيْق أيضاً ابنُ قُدامة في «التبيين» ص ٢٦٠. ووهم المرزُباني في «معجم الشعراء» ص ٥٠٢، فنسب الأبيات ليوسف بن عبد العزيز الماجشون، وسبب ذلك أن الزُّبير بن بكَّار أورد في ترجمة إبراهيم بن موسى قصة، جاء في آخرها اسم يوسف بن عبد العزيز الماجشون، فنسبها إليه. وتابعه على هذا الوهم الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على «الجمهرة». والله أعلم.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٦ ـ٤٠٧. قال مصعب الزُّبيري في «نسب قريش» ص ٢٤٣: وقد انقرضَ؛ كان له ابنٌ يقال له: عبد الرحمن، هلك، فورثه عامر بن عبد الله.

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله. وهو وهم منه كما سلف التعليق على هذا في أوّل فقرة «ذكر أولاد عبد الله بن الزبير» وسبب الوهم ـ والله أعلم ـ أن المصنف ينقل هنا عن «التبيين في أنساب القرشيين» لابن قدامة =

وكان ولده أبو بكر بن عبد الله نابَ قريش وخطيبَها، وأشرفَها قدراً، وليَ المدينةَ اثنتَيْ عشرةَ سنة وثلاثةَ أشهر وأياماً، وأخوه مصعبُ بنُ عبد الله بنِ مصعب[١] وجهُ قريش علماً ومروءةً وشرفاً، وله شعرٌ حسن، فمنه:

أَأَقْعُدُ بعد ما رَجَفَتْ عِظامي ... وكان الموتُ أقربَ ما يليني
أُجادِلُ كلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ ... وأجعلُ دِينَه غَرَضاً لِديني
فأتْرُكُ ما علمتُ لرأيِ غيري ... وليس الرأيُ كالعلمِ اليقيني
وما أنا والخصومة وهي لَبْسٌ ... تصرّف في الشَّمال وفي اليمينِ
فإنَّ الحقَّ ليس به خَفاءٌ ... أَغَرُّ كغُرَّة الفَلَقِ المبينِ
وما عِوَضٌ لنا منهاجُ جَهْمٍ ... بمنهاجِ ابنِ آمنةَ الأمينِ
فأمَّا ما علمتُ فقد كفاني ... وأمَّا ما جَهِلْتُ فَجَنِّبُوني[٢]

ذكر موالي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

كان له مئة غلام، كلُّ غلام يتكلَّم بلغة، وكان ابنُ الزبير يكلِّم كلَّ واحدٍ بلغته[٣].

أسند عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثلاثة وثلاثين حديثاً[٤]، وأخرج له في «الصحيحين» تسعة أحاديث[٥] وأخرج له الإمام أحمد رضي الله عنه أربعة وعشرين حديثاً.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدَّثنا عبدُ الرزاق، حدَّثنا ابن عُيَيْنَة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيّ قال: سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة وهو يقول: ورَبِّ هذه الكعبة لقد لعنَ رسولُ الله ﷺ فلاناً وما ولدَ من صُلْبِه.

= ص ٢٥٨، وسقط من نسخة المصنف (على الغالب) اسم «ثابت» من نسب مصعب، فقد ذكر محقِّقه أن اسم «ثابت» سقط من ثلاث نسخ. والصواب فيه: مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير. والله أعلم.وتنظرترجمته في«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٩ . وينظر أيضاً «جمهرة قريش» ١/ ١١٦و١٢٤و١٥٦و١٦٣ .

(١) هو صاحب كتاب «نسب قريش» الذي يرد ذكره في الحواشي.وتنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»١١/ ٣٠ .

(٢) التبيين في أنساب القرشيين ص ٢٦٣ . وجَهْم الذكور في البيت قبل الأخير: هو ابنُ صفوان، رأس الجهمية، كان يقول بخلق القرآن وينكر الصفات.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٣٤، و«تاريخ دمشق» ٤٥٧ (طبعة مجمع دمشق - ترجمة عبد الله بن الزبير).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٦ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٩٥ . وقال فيه ابن الجوزي: المتفق عليه واحد، وانفرد البخاري بستة، ومسلم بحديثين.

قال الشعبي: وهو الحَكَم بنُ أبي العاص[١].

وروى ابنُ الزُّبير عن عُمر، وعُثمان، وأبيه الزُّبير، وأمِّه أسماء، وخالتِه عائشة رضي الله عنهم.

وروى عنه أخوه عُروة، وابناه عامر وعبَّاد، وابنُ أخيه محمدُ بنُ عُروة، وعَطاء، وطاوس، وعَمرو بنُ دينار، وابنُ أبي مُلَيْكة، وأبو الزُّبير المكّي، والشَّعبي، وعَبِيدة السَّلْماني، وأبو إسحاق السَّبِيعي، وثابت البُناني، وسِماك بنُ حَرْب في آخرين.

وأقام ابنُ الزبير بمكة تسع سنين يحجُّ بالناس، وقيل: عشر سنين.

وكان يتمثَّلُ دائماً بقول أبي ذُؤَيْب الهُذَليّ:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوجَّعُ والدَّهْرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

وأبو ذُؤَيب اسمُه خُويلد بن خالد، شاعرٌ مخضرم، أدركَ الجاهلية، وقدمَ المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ. [وغزا الروم][٢] في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان أشعَرَ هُذَيْل.

وهذان البيتان من قصيدة رَثَى بها بَنِيه، وكان قد مات له خمسةٌ في عام واحد، وكان عبد الله بنُ الزُّبير يحبُّه.

ومات بإفريقية، وتولَّى دفنه عبد الله بن الزُّبير.

وقيل: مات في خلافة عثمان رضوان الله عليه بطريق مكَّة.

وقيل: مات ببلاد الروم، ولا يُعلمُ وراءَ قبره قبر آخر من المسلمين غيره. والله أعلم[٣].

عبد الله بن أبي حَدْرَد

سلامة، أبو محمد الأسلمي، له صحبة مع رسول الله ﷺ ورواية، وكان في خيل خالد بن الوليد لمَّا أصاب بني جُذيمة.

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشهدَ معه الجابية.

---

(١) مسند أحمد (١٦١٢٨).

(٢) ما بين حاصرتين من «تاريخ دمشق» ٥/ ٦٩٠ (مصورة دار البشير).

(٣) ينظر المصدرالسابق، و«الشعر والشعراء» ٢/ ٦٥٣، و«الأغاني» ٦/ ٢٦٤-٢٧٩، و«ديوان الهذليين» ١-٣.

وروى عنه أبو بكر بنُ محمد بن عَمرو بن حَزْم، وغيره.

وتوفيّ سنة اثنتين وسبعين، وقيل: سنة إحدى وسبعين[١].

عبد الله بن صفوان

ابن أمية بن خَلَف الجُمحيّ، من الطبقة الأولى[٢] من التابعين من أهل مكة، روى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه. [هذه صورة ما ذكر ابن سعد.

وذكره الزُّبير بن بكّار وقال:] وكان يسمَّى عبد الله الطويل[٣]، وأُمُّه برزة بنت مسعود بن عمرو، ثقفية.

[قال:] وكان من أشراف قريش؛ وفد على معاوية هو وأخوه عبد الرحمن الأكبر.

[ذكره ابنُ عساكر وقال:] كانت له دارٌ بدمشق في الزُّقاق المعروف بابن صفوان[٤].

[قال:] ووُلدَ على عهد رسول الله ﷺ، وكان من أصحاب ابن الزبير ممَّن قاتلَ معه.

وقال لابن الزُّبير[٥]: والله ما قاتلتُ معك، وإنَّما قاتلتُ عن ديني، فقُتلا في يوم واحد.

[وقال خليفة:] قُتل ابنُ صفوان وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة[٦].

[وقال الحُميدي: حدَّثَنا سفيان، عن يحيى بن سعيد قال: رأيتُ رأسَ ابنِ الزُّبير، وابنِ صفوان، وابنِ مطيع بالمدينة والصبيانُ يلعبون برؤوسهم، وقُتل الثلاثة في يوم واحد[٧].

أسند عبد الله بن صفوان الحديث عن حفصة زوجة رسول الله ﷺ].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٥ ، وتاريخ دمشق ص ١٠٥ و١١٢-١١٣ (طبعة مجمع دمشق - ، تراجم حرف العين). وسلفت الترجمة ص ٢٤ ، في أحداث سنة (٧١).

(٢) عبارة (م): ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى...إلخ. وهو في «طبقاته» ٨/ ٢٦ .

(٣) جمهرة نسب قريش ٢/ ٨٧٥ ، وفيه: عبد الله الأكبر. ولفظة «الطويل» جاءت في «طبقات» ابن سعد ٦/ ١١٠ (ترجمة صفوان بن أمية). قال: فولد صفوان بن أمية عَمراً وعبد الله الأكبر، وهو الطويل. وأخرج ابن عساكر ٩/ ٤٣٥ و٤٣٦ (مصورة دار البشير) القولين من طريقيهما. وما سلف بين حاصرتين من (م).

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٤٣٤ (مصورة دار البشير) وفيه: المعروف بزُقاق صفوان. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في (م): وقال الزُّبير بن بكّار: قال عبد الله بن صفوان لعبد الله بن الزُّبير...إلخ. وهو في «نسب قريش» ص ٣٨٩، و«جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٧٦ ، ومن طريقه أخرجه ابنُ عساكر ٩/ ٤٤٠ .

(٦) طبقات خليفة ص ٢٣٥ ، وتاريخه ص ٢٦٩ . وأخرجه من طريقه ابن عساكر ٩/ ٤٣٦ .

(٧) لم أقف على قوله: والصبيان يلعبون. . . ، وهذا الكلام بين حاصرتين من (م). وينظر «تاريخ دمشق» ٩/ ٤٤٠ .

وكان لعبد الله بن صفوان من الولد: عَمرو، وصفوان، وهما من الطبقة الثانية من أهل مكة.

فأمَّا عَمرو؛ فأمُّه بنتُ مطيع بن شُريح من بني كلاب[١].

روى عنه عَمرو بن دينار، والزُّهْري، وكان قليلَ الحديث[٢].

وأمَّا صفوان؛ فأُمُّه حِقَّة بنتُ وَهْب بن أميَّة بن أبي الصَّلْت الثقفي، وروى عنه الزُّهْريّ[٣]، وكان قليل الحديث.

وكان لصفوان من الولد: عبد الله وأميَّة، وأمُّهما أمُّ الحَكَم بنتُ أميَّة بن صفوان[٤].

عبد الله بن مطيع

ابن الأسود بن حارثة بن نَضْلة بن عَوْف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عديّ بن كعب، وأبوه مطيع من الصحابة، وابنُ مُطِيع من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ هشام[٥] آمنة[٦] بنت أبي الخِيار من بني ليث.

وُلد عبدُ الله على عهد رسول الله ﷺ.

ولما ولَّى عبدُ الله بن الزُّبير الكوفةَ ابنَ مطيع[٧] وقَدِمَها؛ لَقِيَ عُمر بنَ سَعْد[٨]، فقال: وَيْحك! اخْتَرْتَ الرَّيَّ على قتل ابن رسول الله ﷺ! فقال: قد أَعْذَرْتُ إلى الحسين، فلم يقبل، وكانت أمورٌ قد قُضيت من السماء[٩].

---

(١) كذا في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٣٥. وجاء في «نسب قريش» ص ٣٩١، ـ ونقله عنه الزُّبير في «جمهرته» ٢/ ٨٧٨ ـ أنَّ أمَّهُ أمُّ جميل بنت خُليد الدَّوْسي.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٥..

(٣) جمهرة نسب قريش ٢/ ٨٧٨. وجاء اسم أمّه في «نسب قريش» ص ٣٩١: حيَّة.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٥. وتنظر ترجمة صفوان وعَمرو ابني عبد الله بن صفوان في «تهذيب الكمال» ١٣/ ١٩٨ و٢٢/ ٩٩.

(٥) في النسخ الخطية (غير م، فالكلام ليس فيها): أمّ هاشم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٤٣، و«نسب قريش» ص ٣٨٤ـ٣٨٥، و«جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٦٥ـ٨٦٦.

(٦) كذا في «طبقات» ابن سعد. وفي المصدرين الآخرين المذكورين قبل: أميمة. وذكرها ابن حجر في «الإصابة» بالاسمين: ١١/ ١٠٤، و١٢/ ١٣٤.

(٧) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): لابن مطيع. وأثبتُّ اللفظ على الجادَّة.

(٨) يعني عمر بن سعد بن أبي وقاص. ووقع في النسخ: عمرو بن سعيد، وهو خطأ.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٧.

وكان الشعبي كاتباً لابن مطيع[١].

وقال مطيع[٢]: رأيتُ في المنام أنه أُهْدِيَ إليَّ جِرابٌ فيه تمرٌ، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «تلدُ امرأتُك غلاماً». فولدَتْ عبدَ الله، فأتيتُ به رسولَ الله ﷺ، فدعا له[٣].

وكان عبد الله من جِلَّة قريش شجاعةً وجَلَداً، وكان أميرَ أهل المدينة يومَ الحَرَّة. [وقيل: إنما كان أميراً] على قريش[٤].

ولمَّا هربَ يوم الحَرَّة دخل بيتَ امرأة في المدينة، فاخْتَبَأَ[٥] في رَفٍّ، فدخل عليها رجلٌ من أهل الشام، فراودَها عن نفسها، فاستغاثت بعبد الله، فنزل، فقتله.

وذكر عبدُ الملك عبدَ الله بنَ مطيع، فقال: نجا من مسلم بن عُقبة يومَ الحَرَّة، ولحقَ بابن الزبير بمكة، فنجا، ولحقَ بالعراق، قد كثَّر علينا في كل وجه، ولكن من رأيي الصفحُ عنه وعن غيره من قومي، إنَّما أقتلُ بهم نفسي[٦].

ذكر وفاته

قيل: إنه توفِّي قبلَ قَتْلِ ابن الزبير بيسير، وقيل: قُتل يومَ قُتل ابنُ الزبير، وقيل: خرج ومات من جراحة[٧]، فصلَّى عليه الحجَّاج وقال: اللهمَّ إنَّ هذا عدوُّك، كان مُعادياً لأوليائك، موالياً لأعدائك، فاملأ قبرَه ناراً.

---

(١) المحبَّر ص ٣٧٩.

(٢) في النسخ: ابن مطيع، وهو خطأ.

(٣) التاريخ الصغير للبخاري ١/ ١٣٢، والاستيعاب ٤١٢.

(٤) التبيين في أنساب القرشيين ص ٤٣٦ وما بين حاصرتين منه. وينظر «نسب قريش» ص ٣٨٤، و«جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٦٥، و«الاستيعاب» ص ٤١٢.

(٥) الكلمة غير مجوَّدة في النسخ، والمثبت من «جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٦٥، و«التبيين» ص ٤٣٦، و«تهذيب الكمال» ١٦/ ١٥٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٦.

(٧) وقع في النسخ: مات من جرل حية...(؟) وأثبتُّ اللفظة من عندي وهي الأقرب إلى رسمها؛ وقد جاء في «أنساب الأشراف» ٩/ ٢٤٩: ثم لحق بابن الزبير فلم يزل معه؛ أصابته جراحات، فمات منها بمكة، فصلى عليه الحجاج...إلخ. وبنحوه في ٦/ ٢٣٩.

فولد عبدُ الله بنُ مطيع إسحاقَ؛ لا بقيَّةَ له، ويعقوبَ، وأمُّهما رَيْطة بنتُ [عبد الله ابن عبد الله بن الوليد بن المغيرة.

ومحمداً، وعمران، وأمُّهما أمُّ عبد الملك بنت] عبد الله بن خالد بن أسيد.

وإبراهيمَ، وبُرَيْهَة، وأمُّهما أمُّ ولد.

[وإسماعيلَ، وزكريا، وأمُّهما أمُّ ولد].

وفاطمةَ، وأمُّها أمُّ حكيم بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب.

وأمَّ سَلَمة، وأمَّ هشام، وأمُّهما ابنةُ خِراش من خُزاعة[1].

وفي عمران بن عبد الله بن مطيع يقولُ ابن هَرْمة:

وأهْـدِ الـيـومَ مـنـكَ مـحـبَّـراتٍ ... إلـى عـمـرانَ واقْـدَمْ بـالـسُّـعـودِ

إلـى مـتـحـيِّـز الأعـراق يـحـوي ... طـريـفَ الـمـكـرمـاتِ مـع الـتَّـلِـيـدِ[2]

وكان لعبد الله بن مطيع إخوة: عبد الرحمن، وسليمان، ومسلم[3]، والزُّبير، بنو مطيع.

فأمَّا عبد الرحمن؛ فأمُّه أمُّ كلثوم بنتُ معاوية بن عروة، من الدِّيل بن بكر، وله عقب.

وأمَّا سُليمان؛ فقُتلَ يومَ الجمل، وأمُّه أمُّ هشام آمنة بنت أبي الخِيار من بني ليث، وله عقب[4].

مالك بن أوس

ابن الحَدَثان، أحدُ بني نصر بن معاوية، من هَوازن. قيل: له صحبة. وذكره ابنُ سعد في الطبقة الأولى من التابعين[5].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٣-١٤٤. وما سلف بين حاصرتين منه. وينظر «نسب قريش» ص ٣٨٥، و«جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٦٧.

(٢) التبيين في أنساب القرشيين ص ٤٣٧. ولم أقف على البيتين في مصدر آخر، وينظر «تاريخ دمشق» ٢/ ٤٨١ (مصورة - ترجمة ابن هَرْمة) وفيه أبيات لابن هرمة من ذات الوزن والقافية يمدح فيها عمران بن عبد الله بن مطيع.

(٣) في النسخ: مسلمة. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ١٠١، و«جمهرة نسب قريش» ٢/ ٨٦٦، و«التبيين» ص ٤٣٧. ووقع في «نسب قريش» ص ٣٨٥: سلم.

(٤) المصادر السابقة. وفي بعضها اسم أمّه أميمة. وسلف الكلام على هذا أول الترجمة.

(٥) من أهل المدينة. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٦٠.

ويقال: إنه ركبَ الخيل في الجاهلية، ولكن تأخَّر إسلامُه.

وروى عن عُمر، وعثمان ﵄، ومات بالمدينة في هذه السنة[(١)].

مالك بن مِسْمَع

أبو غسان الرَّبَعيّ البصريّ، من الطبقة الأولى من التابعين.

وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وكان حليماً رئيساً، وفد على معاويةَ، فلم يأذن له؛ لأنه جرى بينه وبين زياد كلام في العطاء، ثم أَذِنَ للأحنف، والمُنذر بن الجارود، وجماعةٍ من أعيان البصرة، ثم أَذِنَ لمالك في آخرهم، فدخلَ ومشى قليلاً قليلاً، فأخذوا أماكنَهم. وجاء مالك، فوقفَ بين يدي معاوية، فقال له معاوية: أبو غسان؟ قال: نعم. قال: إليَّ إليَّ. فأجلَسه معه على سريره، فقامَ رجل من بكر بن وائل، فقال لمعاوية: أتُجلسُ هذا معك وقد فعل بعاملك ما فعل من خروجه عليه في أمر العطاء؟! فقال أبو غسان للرجل: وما يمنعُه أن يُجلسَني معه على سريره وأنتَ ابنُ عمي؟! فخرج الناس ومالك بن مِسْمَع سيِّدٌ بحلمه، وإكرامِ معاويةَ إيَّاه، ومعرفتِه بفضله[(٢)].

وكان من أقران عبد الله بن الزُّبير.

وقال عبد الملك بنُ مروان لابن مطاع[(٣)]: أخبِرْني عن مالك بن مِسْمَع. فقال: لو غضبَ لَغضب معه مئةُ ألفِ سيف، لا يسألونه لِمَ غضب. فقال عبد الملك: هذا - وأبيكَ - السُّؤْدُد.

ولم يلِ مالك ولايةً لسلطان أبداً، وقتَلتْه الخوارج لمَّا انهزم عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد كما تقدَّم[(٤)].

---

(١) يعني سنة (٧٣) و قال ابن سعد: مات سنة اثنتين وسبعين.

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ١٥٢ (طبعة مجمع دمشق). ومالك بن مِسْمَع من بَكْر بن وائل.

(٣) في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام): مستطاع. والمثبت من «عيون الأخبار» ١/ ٢٢٥، و«العقد الفريد» ١/ ١٣٥.

(٤) ينظر ما سلف ص ٤٦ (أحداث سنة ٧٢).

السنة الرابعة والسبعون

فيها كتبَ عبدُ الملك إلى الحجَّاج يأمرُه بنقض الكعبة وإعادتها إلى ما كانت عليه، فكتب الحجاج إليه: يا أمير المؤمنين إن البناء الذي وضعَه ابنُ الزُّبير قد وقفَ عليه العُدول من أهل مكة. فكتب إليه [عبد الملك]: لسنا من تلطيخ ابنِ الزُّبير في شيء. فنقضَ الحجاجُ الكعبة. وأعادها إلى البناء الأول [الذي] هو قائم اليوم(١).

وفيها ولَّى عبدُ الملك الحجَّاجَ المدينةَ مضافاً إلى مكة(٢) والطائف.

وقيل: إنما ولَّاه إيَّاها بعد قتل ابن الزبير، فأقام بها شهوراً(٣) بعد عزل طارق [ابن عمرو]، ثم خرجَ إلى مكة معتمراً، وانصرف إلى المدينة في صفر من هذه السنة، فأقام بها ثلاثة أشهر يعبثُ بأهلها، ويستخفُّ بهم وبأصحاب رسول الله ﷺ.

حدَّث ابنُ أبي ذئب أنه رأى(٤) جابرَ بن عبد الله مختوماً في يده بالرَّصاص. وقيل: في عنقه.

وحدَّث إسحاقُ بن يزيد أنه رأى أنسَ بنَ مالك مختوماً في عنقه، يريد أن يُذِلَّه بذلك.

ودعا سهلَ بنَ سعد، فقال: ما منعك أن تنصر أميرَ المؤمنين عثمان؟ فقال: قد فعلتُ. فقال: كذبتَ. ثم أمرَ به فخُتم في عنقه برصاص(٥). فقال أنس بن مالك: إن أهل الذِّمَّة لا يجوزُ أن يُفعل بهم مثلُ هذا!(٦).

---

(١) ينظر «صحيح» مسلم (١٣٣٣): (٤٠٢)، و«تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٥ . وما سلف بين حاصرتين من (م).قال ابن كثير في «البداية والنهاية»١٢/ ٢٢٩ :الحجَّاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه، بل هدمَ الحائطَ الشاميَّ حتى أخرج الحِجْرَ من البيت، ثم سدَّه، وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار، وبقيت الحيطان الثلاثة بحالها... وينظر تتمة كلامه.

(٢) في (م): الحجاز.

(٣) في (م): شهراً.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٥ : ذكرَ محمد بنُ عمران بن أبي ذئب حدَّثَه عمَّن رأى... الخ.

(٥) تاريخ الطبري ٦/ ١٩٥ .

(٦) لم أقف على هذا القول.

وفيها كتب عبدُ الملك إلى أخيه بِشْر بن مروان إلى البصرة أن يولِّيَ المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرة قتال الخوارج، وينلب معه من أعيان فرسان البصرة والكوفة.

فدعا بِشْرٌ المهلَّبَ، فأوقفه على الكتاب، وأمرَه أن ينتخبَ من شاء، وشَقَّ على بِشْر أنَّ إمْرَةَ المهلَّب جاءت من قِبَل عبدِ الملك، ولا يقدرُ على مخالفته، فأوغَرَتْ صدرَه على المهلَّب.

ودعا بشرٌ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف وقال: قد عرفتَ منزلَتَك عندي ومكانك، وقد ولَّيتُك على جند الكوفة [فكن] عند إحسان ظنِّي بك، وانظر إلى هذا الكذا وكذا ـ يقع في المهلَّب ـ فلا تلتَفِتَنَّ إليه، ولا تقبلنَّ له مشورة، وتَنَقَّصْه.

قال عبد الرحمن: فأخذ يُغْريني بابن عمتي المهلَّب، وتركَ وصيَّتي بالجند وقتال العدوّ، والنظر للإسلام، فلم أنشط إلى قوله، وقلت: هذا الغلام يستصبيني وأنا شيخ.

فلما رآني غيرَ مقبل على كلامه قال: ما الذي بك؟ قلت: وهل يسعُني إلا إنفاذُ أمرك في كلِّ ما أحببتُ وكرهت؟ قال: امْضِ في دَعَةِ الله.

فخرج المهلَّب بأهل البصرة، فنزلَ رامَهُرْمُز، وخرج عبد الرحمن بأهل الكوفة، فنزل قريباً من المهلَّب، فأقاموا عشَرة أيام، وجاء نعي بِشْر، وكان قد استخلف بِشرٌ على البصرة خالدَ بنَ عبد الله بن أسيد.

ولمَّا وصلَ الخبرُ بوفاة بِشر تسلَّل كثيرٌ من أهل البصرة والكوفة، فكان ممَّن تسلَّل من أهل الكوفة زَحْرُ بنُ قيس، وإسحاقُ بنُ محمد بن الأشعث، ومحمد بنُ عبد الرحمن بن سعد[١] بن قيس.

فبعث عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَف ابنَه جعفراً في آثارهم، فردَّ إسحاق ومحمداً، وفاتَه زَحْر بنُ قيس، فحبسهما أياماً[٢]، ثم أخذ عليهما العهد أن لا يُفارقاه، ثم أطْلَقهما، فهربا إلى الأهواز، وبها زَحْرُ بنُ قيس، واجتمع [بها] ناس كثير يريدون البصرة.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٧ : سعيد.

(٢) في المصدر السابق: يومين.

وبلغ خالدَ بنَ عبد الله بن أسيد، فكتب إلى الناس كتاباً يخوِّفُهم اللهَ تعالى، وسطواتِ عبد الملك، ويحثُّهم على جهاد الخوارج، ويقول في آخره: وواللهِ لا أقعُ بعد كتابي هذا على عاصٍ إلا قتلتُه.

فلم يلتفتوا إلى كتابه، وسار زَحْرُ بنُ قيس وإسحاق ومحمد إلى الكوفة، وكان عليها عَمرُو بنُ حُرَيْث خليفة بِشر، فنزلوا قريباً منها، وكتبوا إلى عَمرو بنِ حُرَيْث: أما بعد، فإنَّ الناس لمَّا بلغَهم وفاةُ بِشر تفرَّقوا، ولم يبق معنا أحد، فأقبَلْنا إلى مِصْرِنا، وأحبَبْنا أن لا نَدخل إلا بإذنٍ منك. والسلام.

فكتب إليهم: أما بعد، فإنَّكم تركتُم مركزكم[1]، وأقبلتُم عاصين مخالفين، وليس لكم عندي إذن. والسلام.

فأقاموا إلى الليل، ثم دخلوا إلى بيوتهم، فلم يزالوا مقيمين حتى دخلَ الحجَّاجُ الكوفة[2].

وفيها عزل عبدُ الملك بُكيرَ بنَ وِشاح عن خُراسان، وولَّاها أميةَ بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

وكان السببُ في عزل بُكير بعد أن أقام والياً على خراسان ثلاث سنين[3]، وكان بُكير قد حبس[4] بَحِير بنَ وَرْقاء[5] خوفاً من الفتنة منذ قُتل عبدُ الله بنُ خازم، فلم يزل محبوساً إلى هذه السنة، وكانت البطونُ قد اختلفت بخُراسان والقبائلُ، فصار بعضُهم مع بُكير، وبعضُهم مع بَحِير، فخاف أهلُ خُراسان من الفتنة وفساد البلاد، فكتبوا إلى عبد الملك: إن خُراسان لا تصلح إلا لرجل من قريش، لا من تميم.

---

(١) في المصدر السابق: مكتبكم. وفي حاشيته: أمكنتكم (نسخة).

(٢) ينظر ما سلف مطولاً في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٦-١٩٨ . وجاء بعده في (خ) ما صورته: آخر الجزء. يتلوه الجزء السادس: وفيها عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان، وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان السبب... كتبه علي بن عيسى الحبري غفر الله له ولوالديه.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٩ : سنتين .

(٤) كذا وقع سياق الكلام. فقولُه: وكان بُكير قد حبس...الخ شروعٌ في ذكر السبب وليس خبر «كان» أول الكلام.

(٥) كذا هنا وفيما سلف ص٢٣ (ترجمة ابن خازم - سنة ٧١). وهو بَحِيرُ بنُ وِقاء. ينظر«توضيح المشتبه» ٩/ ١٩٢ .

وعلم بُكير بنُ وِشاح، فأرسلَ إلى بَحِير بن وَرْقاء يسألُه الصُّلْح، فأبى عليه، وقال: ظنَّ بُكَيْر أنَّ خُراسانَ تبقى له في الجماعة!.

فدخل ضرار بنُ حصين على بَحِير بن وَرْقَاء وهو في السجن، فقال له: ألا أراك مائقاً[١]؟! يُرسِلُ إليك ابنُ عمِّك يعتذرُ إليك وأنتَ أسيرٌ في يديه ولا تقبلُ عذره! لو قَتَلَكَ كان ماذا؟! ما أنتَ بموفَّق، صالِحْهُ، واخرجْ وأنتَ على أمرك.

فأجابَ، وصالَحَ بُكيراً، وأرسل [بُكير] له مالاً على أن لا يُقاتلَه، وأخذَ عليه العهد[٢].

وأمَّا عبد الملك؛ فإنه لما قرأ كتابَ أهلِ خُراسان، استدعى أميةَ بنَ عبد الله بن خالد بن أسيد، وقال: إن خُراسان ثَغْرُ المشرق، وقد كان به من الشَّرِّ ما كان، وعليه هذا التميميّ[٣]، وقد اختلف [الناس] وأخاف أن يعودوا إلى ما كانوا عليه، وقد سألوني أن أُوَلِّيَ عليهم رجلاً من قُريش يَسمعوا له ويُطيعوا، فقال له أمية: فتَدارَكْهم يا أمير المؤمنين برجل منك، فقال: لولا انحيازُك عن أبي فُدَيْك الخارجيّ لكنتَ ذاك الرجل ـ وكان أبو فُديك قد هزمَ أمية ـ فقال: واللهِ ما انحزتُ حتى خذلني أصحابي وهرب الناس، فأردتُ أن أنحاز إلى فئة، وقد كتب إليك خالد بن عبد الله بعذري.

فولَّاه خُراسان، فقال الناس: ما رأينا أحداً عُوِّضَ من هزيمةٍ ما عُوِّضَ أُميَّة، فرَّ من أبي فُدَيك، فاستُعمل على خُراسان.

ولما قَرُب أمية من خُراسان أنشدَ رجل من بكر بن وائل في مجلس[٤] بُكير بن وِشاح:

أتـتـك الـعِـيـسُ تـنـفُـخ فـي بُـراهـا تَـكَـشَّـفُ عـن مـنـاكـبـهـا الـقُـطـوعُ

(١) أي: غضبانَ متغيِّظاً.

(٢) بنحوه في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٩ـ٢٠٠ . ولفظة «بكير» بين حاصرتين منه.

(٣) يعني بُكير بن وِشاح.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٠ : محبس.

كــأنَّ مــواقــعَ الأكــوار مــنــهــا حــمــامُ كــنــائــسٍ بُــقْــعٌ رقــوعُ[١]
بــأبــيــضَ مــن أمــيَّــةَ مَــضْــرَحِــيٍّ كــأنَّ جــبــيــنَــه ســيــفٌ صــنــيــعُ[٢]

وخرج بَحِير بن ورقاء على غير الجادَّة، فالتقى أمية على أَبْرَشَهْر، فأخبره عن خُراسان وما يُصلح أهلَها، ورفع على[٣] بُكير بن وِشاح أموالاً عظيمة، وحذَّرَه غدره.

وكان أميَّةُ سيِّداً كريماً، فلم يعرض لبُكير ولا لعمَّاله، وعزمَ على أن يولِّيَهُ شُرطتَه، فامتنَع بُكير، فولَّاها بَحِيرَ بنَ ورقاء، فلام بُكيراً رجالٌ[٤] من قومه، وقالوا: ولَّاك شرطته، فلم تفعل حتى ولَّاها بَحِيراً، وقد عرفتَ ما بينكما! فقال: كنتُ بالأمس واليَ خُراسان تُحمل الحِرابُ بين يديَّ، فأصيرُ اليومَ أَحملُ الحَرْبَة!.

ثم قال أميَّة لبُكير: اختر من البلاد ما شئتَ، فقال: طخارستان. فقال: هي لك، فتجهَّزَ بُكير، وأنفق مالاً كثيراً، فقال بَحِير لأميَّة: إنْ صار إلى طخارستان خلعَك. ولم يزل يحذِّره حتى أمرَ أميَّةُ بكيراً أن يُقيم، فأقام[٥].

وحجَّ بالناس [في هذه السنة][٦] الحجَّاج بنُ يوسف، وكان أميراً على مكة والمدينة والطائف.

وكان على قضاء المدينة عبدُ الله بنُ قيس بنِ مَخْرمة، وعلى الكوفة عَمرو بن حُريث، وعلى قضائها شُريح، وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد[٧]، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة، وعلى خُراسان أمية بن عبد الله بن خالد.

---

(١) في المصدر السابق: وقوع.
(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٠ . والبيت الأول والثالث في «الأغاني» ١٣/ ٢٥٩ لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص في خبر قدومه على معاوية.
(٣) في (ب) و(خ) و(د): ربع على. والمثبت من (أ). وعبارة «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠١ : ورفع عن.
(٤) في النسخ (غير م، فالكلام ليس فيها): فلام بكيرٌ رجالاً. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠١ .
(٥) ينظر ما سلف في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠١ .
(٦) ما بين حاصرتين من عندي للإيضاح.
(٧) الذي في «تاريخ» الطبري أنه كان في هذه السنة على الكوفة والبصرة بشر بن مروان. وكان قد ذكر في سنة (٧٣) أن عبد الملك عزل خالد بن عبد الله عن البصرة، وولّاها أخاه بشراً... فاستخلف بشر على الكوفة عَمرو بنَ حُريث.

ويقال: إنَّ عبدَ الملك اعتمرَ في هذه السنة، ولا يصحّ[١].

وفيها توفّي

بِشْرُ بنُ مروانَ

ابنِ الحَكَم بن أبي العاص، وأمُّه قُطَيَّة[٢] بنتُ بِشْر بن عامر مُلاعب الأسنَّة أبي براء ابن مالك بن جعفر بن كلاب.

وكنيته أبو مروان، وكان منقطعاً إلى أخيه عبد العزيز، فلما وليَ عبدُ الملك الخلافةَ استجفاه [بشر] فقال:

سيُغنيني الذي أغناك عنّي ويُفرِجُ كُربتي ويَرُبُّ حالي
إذا بلّغتَني وحملتَ رَحْلي إلى عبد العزيز فما أُبالي[٣]

[وذكره أبو القاسم ابن عساكر وقال:][٤] وكانت له دار بدمشق بعقبة الصُّوف، وإليه يُنسب دَيْر بِشْر الذي عند حَجِيرا[٥].

وقتلَ خالدَ بنَ الحُصين الكلابي يوم المَرْج[٦].

وكان عبد الملك أقام بمَسْكِن بعد ما قَتَلَ مصعباً خمسين ليلة، ثم ولّى الكوفةَ قَطَنَ ابن عبد الله[٧] الحارثي، وخرج إلى الشام، فعزلَ قَطَناً، وولّى أخاه بِشْرَ بنَ مروان، ثم جمعَ له بين الكوفة والبصرة.

---

(١) المصدر السابق، وقال فيه الطبري: ولا نعلم صحة ذلك.
(٢) تحرف في النسخ (غير م، فليس فيها): قطنة. وينظر «توضيح المشتبه» ٧/ ٢٢٩.
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٥، وما بين حاصرتين منه.
(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٣٥١ (مصورة دار البشير) وما قبله منه أيضاً ص ٣٥٤. وما بين حاصرتين من (م).
(٥) ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٢٢٦ و٥٠٠.
(٦) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٤.
(٧) وقع في النسخ تحريفات كثيرة، أقتصرُ على ذكر بعضها كي لا أُثقل الحواشيَ بما لا فائدة فيه، فمثلاً جاء فيها هنا: أقام بمسكر بعدما قتل مصعباً حين أسلم، ثم ولي الكوفة قطبة بن عبد الله...إلخ. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٣/ ٣٥١ (مصورة دار البشير). وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٦٣.

[قال:] فقدمَ بِشْرٌ البصرةَ لهلال ذي الحِجَّة سنة ثلاث وسبعين[١].

[قال:] ولم يكن لِبابِهِ بوَّاب، وكان يقول: إنما تحتجبُ النساء[٢].

[وقال الهيثم:] وكان طَلْقَ الوجه، جواداً، ممدَّحاً، وكان يُجيز على الشعراء بألوف، ومدحه الفرزدق والأخطل وجرير. وفيه يقول الأخطل:

حتى[٣] استوى بشر على العراقِ ... من غير سيفٍ ودمٍ مِهْراقِ[٤]

وفيه يقول جرير:

بَعِيدُ مُرادِ الطَّرْفِ لم يَثْنِ طَرْفَهُ ... حِذارَ الغَوَاشي بابُ دارٍ ولا سترُ

ولو شاء بِشْرٌ حَلَّ مِنْ دونِ بابِه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ حُمْرُ[٥]

[قال المدائني:] وقحط الناسُ في أيام بِشْر، فاستسقى وهو معهم بالكوفة، فمُطروا، فقال سُراقة [بن مرداس] البارقي [في ذلك]:

دعا الرحمنَ بِشْرٌ فاستجابا ... لدعوتِه فأسقانا السَّحَابا

وكان دعاءُ بِشرٍ صَوْبَ غَيْثٍ ... يُعاشُ به ويُحيي من أصابا

[قال:] ثم مرَّ بشرٌ بسُراقة بعد ما سُقوا، فرأى الماءَ يدخلُ في داره وهو يحوِّلُه بمِسْحَاة، فقال بشر: يا سُراقة، ما هذا؟ فقال: هذا ولم ترفَعْ يَدَيْك بالدعاء، فلو رفعتَهما لجاءنا الطُّوفان! فضحك بشر[٦].

وهو أول من أحدث الأذان للعيد بالكوفة، فأنكر الناس ذلك وأعظموه[٧].

(١) في تاريخ دمشق: سنة أربع وسبعين.واستخلف بشرٌ على الكوفة (لما قدم البصرة) عَمْرَو بنَ حُرَيْث
(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٤٥، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٣٥٢.
(٣) في (أ): قد.
(٤) ذكره الجوهري في «الصحاح» (سَوى) دون نسبة، ونسبه للأخطل ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ١١٥.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٧. ونُسب الشعر في «تاريخ دمشق» ٣/ ٣٥٢ (مصورة دار البشير) لأيمن بن خريم.
(٦) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٧-٣٤٨. وما سلف بين حاصرتين من (م).
(٧) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٩-٣٥٠، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٥٤ (مصورة دار البشير) ونُسب الخبر في (م) لهشام. ووقع في (ب): واستعظموه، بدل: وأعظموه.

ذكر وفاته:

[قال المدائني:] كان قد شرب البناذر[١] بطُوس، وقدم البصرة عليلاً، فلما اشتدَّت به العلَّة استدعى بيادوق[٢] الحكيم، وقال له: اكشف مرضي، فأخذ بيادوق يغمز أعضاءه عضواً عضواً، فحبسَ جميعَ بدَنهِ وهو مُلْقًى، ثم أخذَ خيطاً من إبْرَيْسَم، وربط فيه قطعةً من لحم، وقال: ابْلَعْها. فبلَعَها، ثم أخذ يغمزُ أطرافَه وجسمَه ساعة، ثم غافلَه وجذَبَها، فطلَعَتْ وعليها دُود، فقال: أيُّها الأمير، اعْهَدْ عهدَك، واكتُبْ وصيَّتَك فقد وقَعَت الأكَلَةُ في جوفك. فقال بشر: واللهِ لقد كَنَنْتُ[٣] نفسي من الحَرِّ بالثلوج والبادهنجات[٤] والأماكن الباردة، وكَنَنْتُها في البرد باللُّبُود والنيران والأماكن الحامية خوفاً من مثل هذا، فقال له بيادوق الحكيم: لا جرم فعلتَ بنفسك هذا، ومنه أُتِيتَ.قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الله أجرى العادةَ أنَّ الأبدانَ لا تقوم إلا بالحَرِّ والبرد، وهذا قانونُ الحكمة الإلهية، فعكَسْتَه أنتَ، فأصابَك هذا[٥].

[وقال هشام:] ولما احتُضر [بِشْر] جعل يبكي ويقول: واللهِ وَدِدْتُ أني كنتُ عبداً حبشيّاً لِأسوأ أهلِ البادية؛ أرعى غنمهم ولا أدخلُ فيما دخلتُ فيه.

وبلغ الحسنَ البصريَّ فقال: الحمد لله الذي جعلهم يفرُّون إلينا عند الموت، ولا نفرُّ إليهم، إنهم لَيَرَوْن فينا غِيَراً، وإنَّا لَنرى فيهم عِبَراً[٦].

[وذكر ابن أبي الدنيا أن القائل لهذا الكلام سفيان الثوري][٧].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦١ و٣٦٣ : التياذر. وفي (م): كان قد شرب بالكوفة البياذر بطوس. وفي «النجوم الزاهرة» ١/ ١٩٢ : البلاذر.

(٢) في (م): بيادوف.

(٣) انتهى خرم من (ص) عند هذا الموضع.

(٤) جمع البادهنج. قال الخفاجي في «شفاء الغليل» ص ٧٠ـ٧١ : هو معرّب بادخون، أو بادير، وهو المنفذ الذي يجيء منه الريح. قال: وأجاد بعضهم في تسميته: راووق النسيم.

(٥) الخبر بنحوه في «المنتظم» ٦/ ١٣١ .

(٦) تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٧ (مصورة دار البشير) وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٧) ما بين حاصرتين من (ص). وقد تحرَّف اسم سفيان في المصدر السابق إلى: شقيق.

[قلت: حكى أبو القاسم ابن عساكر عن أبي مُسهر، عن الحَكَم بن هشام حكايةً غريبةً في وفاة بِشْر بن مروان؛ قال الحَكَم: ولَّى عبدُ الملك بنُ مروان أخاه بِشْرَ بنَ مروان العراقَيْن، فلما وصلَ إلى العراق كتب إليه: يا أمير المؤمنين، قد شغلتَ إحدى يديّ - وهي اليسرى - وبقيَتْ اليمنى فارغة، لا شيءَ فيها.

فكتب إليه عبد الملك: قد شغلتُ يمينك بمكةَ والمدينةِ والحجازِ واليمن.

فما بلغه الكتاب حتى وقعت القَرْحةُ في يمينه، فقيل له: اقْطَعْها من مَفْصِلِ الكَفّ. فجَزِع، فما أمسى حتى بلغت المرفق، فأصبح وقد بلغت الكتف، وأمسى وقد خالطت الجوف].

وكتبَ بشر إلى عبد الملك: أمَّا بعد، يا أمير المؤمنين، فإني كتبتُ إليك وأنا في أوَّل يوم من أيام الآخِرة، وآخِرِ يوم من أيَّام الدنيا. وكتب في أسفله:

شكوتُ إلى الله الذي قد أصابني ... من الضُّرِّ لمَّا لم أجِدْ لي مُدَاويا
فؤادٌ ضعيفٌ مستكينٌ لِما بِهِ ... وعظمٌ بدا خِلْواً من اللحم عاريا
فإنْ مِتُّ يا خيرَ البريَّةِ فالْتَمِسْ ... أخاً لك يُغني عنك مثلَ غَنائيا
يُواسيك في السَّرَّاء والضُّرِّ جَهْدَهُ ... إذا لم تجِدْ عند البلاءِ مُواسِيا

فجَزِعَ(١) عبدُ الملك، وأمرَ الشعراءَ فرَثَوْه(٢).

[قلت: وهذه الحكاية وهم؛ لإجماع المؤرخين أن صاحب الأَكَلة في يده إنما هو زياد بنُ أبيه. أمَّا بِشْرُ بنُ مروان فمات بغير هذه العلة كما قال المدائني](٣).

وقال الحسن البصري(٤): قدم علينا بِشْر بن مروان البصرة - وهو أبيضُ بَضٌّ، ابنُ خليفة، وأخو خليفة - والياً على العراق، فأتيتُ دارَه، فلما نظر إليَّ الحاجبُ قال: يا شيخ، مَنْ أنت؟ قلت: الحسن. قال: ادْخُلْ ولا تُطل الحديثَ مع الأمير، واجعل

---

(١) المثبت من (ص). وفي غيرها: فخرج. وينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ٢١٦.
(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٦-٣٥٧، وما سلف بين حاصرتين من (ص). وجاء هذا الخبر فيها بعد الخبر التالي.
(٣) ما بين حاصرتين من (ص).
(٤) نُسب الخبر في (ص) للأصمعي عن الحسن البصري.

الكلامَ يدور بينك وبينه جواباً، لا[١] تُثقل عليه. قال: فدخلتُ، وإذا بِشْرٌ على سرير، عليه فَرْشٌ قد كادَ أن يغوصَ فيها، وعلى رأسه رجلٌ قائم مُتَّكيء على سيف، فسلَّمتُ عليه، فقال: مَن أنتَ يا شيخ؟ قلت: الحسن. قال: فقيهُ هذه المَدَرَة؟ قلت: نعم. قال: فاجلسْ، ثم قال: ما تقول في زكاة أموالنا؟ أندفعُها إلى السلطان، أم إلى الفقراء؟ فقلتُ: أيَّ ذلك فعلتَ أجزأَك، فتبسَّم، ثم رفعَ رأسَه إلى القائم على رأسه وقال: لأمرٍ ما يسودُ مَنْ يسود. وجعل يُديمُ النَّظَرَ إليَّ، فإذا أقبلت بطَرْفي إليه؛ شغلَ طَرْفَه عنّي، وإذا مِلْتُ عنه صوَّب فيَّ النَّظَر، ثم قمت واستأذنتُ في الانصراف، فقال لي: مُصاحَباً محفوظاً. ثم عُدْتُ إليه آخِرَ النهار وقد انحطَّ من سريره وهو يتململ، فقلت: ما للأمير؟ قالوا: محموم. فلما كان من الغد اجتزتُ بباب القصر، وإذا النَّواعي تنعاه، وقد جُزَّتْ نواصي الخيول والمسوح على العبيد، وأخرجت جنازته، فدفن إلى جانب سالم[٢] بن زياد.

ومات في ذلك اليوم عبدٌ حبشيّ، فدفن إلى جانبه، ثم مَرَرْتُ بعد أيام فلم أُميِّز بين القبرين، فقلت: قبَّحكِ اللهُ من دنيا آخِرُها هذا.

وأنشدَ الحسن:

والعطياتُ عواري بينَهمْ ... وسواءٌ بين مُثْرٍ ومُقِلّ[٣]

وجاء الفرزدق وبيده فرس[٤] يقودُه كان قد أعطاه إيَّاه بشرٌ، فلما دُفن؛ عقَرَه على قبره وقال:

أعيناي إلَّا تُسعداني أَلُمْكُما ... فما بعدَ بِشْرٍ من عَزاءٍ ولا صَبْرِ
ألم ترَ أن الأرض دُكّتْ جبالُها ... وأنَّ نجومَ الليلِ بعدَكَ لا تسري
ستأتي أميرَ المؤمنين مصيبةٌ ... وتمضي إلى عبد العزيز إلى مصرِ
بأنَّ أبا مروان بشراً أخاكما ... ثَوَى غيرَ متبوعٍ بمنٍّ ولا غَدْرِ

---

(١) في (ص): لئلا.

(٢) المثبت من (ص)، وهو كذلك في «تاريخ» دمشق ٣/ ٣٥٥، وفي النسخ الأخرى: سلمة. وفي «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦١: سَلْم.

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٣٥٧ (مصورة دار البشير).

(٤) في (ص): وقال الهيثم: ومشى الفرزدق في جنازته وبيده...

ولو أن قوماً قاتَلُوا الموتَ قبلَنا بشيءٍ لقاتلْنا المنيَّةَ عن بِشْرِ
ولكنْ فُجِعْنا والرَّزِيَّةُ مثلُه بأبيضَ ميمونِ النَّقِيبةِ والأمرِ
فإن لا تكنْ هندٌ بكَتْه فقد بكَتْ عليه الثُّرَيَّا في كواكبها الزُّهْرِ
ولا أحدٌ ذو فاقةٍ كان مثلَنا إليه ولكنْ لا بقيَّةَ للدهرِ
أقول لِمَحْبوكِ السَّرَاةِ مُعاوِدٍ سِبَاقَ الجيادِ قد أُمِرَّ على شَزْرِ
ألستَ مَلُولاً إنْ ركبتُك بعدَهُ ليومِ رِهانٍ أو غدوتَ معي تجري
حلفتُ له لا أركبُ الدهرَ بعدَه على فرسٍ حتى يكُوسَ على القبرِ(١)

كاسَ الفرسُ والبعيرُ: إذا مشى على ثلاث قوائم وهو مُعَرْقَبٌ(٢).

وتوفّي بِشْر في صفر سنة أربع وسبعين بالبصرة، وكان قدومه إليها لهلالِ ذي الحِجَّة سنة ثلاث وسبعين، فكانت ولايته عليها شهرين وأياماً، ووليَ الكوفةَ ستة أشهر.

وقيل: توفّي سنة ثلاث وسبعين. وقيل: وليَ العراق سنة أربع وسبعين، ومات أول سنة خمس وسبعين. والله أعلم(٣).

ذكر أولاد بِشر:

كان له من الولد: الحَكَم، وأمُّه أمُّ كلثوم بنت أبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف.

وعبد الملك، وأمُّه هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري، وكان جواداً(٤). وابناه الحَكَم وأَبان ابنا عبد الملك بن بشر، قُتلا مع ابنِ هُبيرة بواسط(٥).

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦١-٣٦٢ ، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٣٥٨ ، و«ديوان» الفرزدق ١/ ٢١٧-٢١٨ .

(٢) أي: قُطع عُرْقُوبُه، وهو من الدابَّة في رِجْلها بمنزلة الرُّكبة في يدها. ولم يرد قوله: كاس الفرس...إلخ في (ص).

(٣) جاءت هذه الفقرة في (ص) على السياق التالي: واختلفوا في وفاته، فقال خليفة: قدم البصرة لهلال ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين، وتوفّي بها في صفر سنة أربع وسبعين، فكانت ولايته عليها شهرين وأياماً، ووليَ الكوفة ستة أشهر. وقال الواقدي: توفي سنة ثلاث وسبعين. وحكى أبو القاسم الحافظ عن الوليد بن هشام، عن أبيه، عن جدّه قال: ولي بشر العراق [سنة] أربع وسبعين (وقع فيها: ستين، وهو خطأ) ومات في أول سنة خمس وسبعين، فكانت ولايته على الكوفة إلى أن جُمعت العراقان نحواً من شهرين، وكانت وفاته بالبصرة. وقول الواقدي أصحّ.

(٤) نسب قريش ص١٦٩ ، وأنساب الأشراف ٥/ ٣٦٣-٣٦٤ .

(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٣٦٥ . وينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٤٥٥-٤٥٦ .

وعبد العزيز بن بشر، وأمُّه ابنةُ خالد بن عقبة بن أبي مُعَيْط[١]، ولّاه مسلمةُ بن عبد الملك البصرة، ثم عزله عنها[٢].

وليس لبشر بن مروان رواية.

جابر بن سَمُرَة

ابن جُنادة بن جُنْدب السُّوائي.

[قال ابن سعد][٣] صحبَ أبوه سَمُرة رسول الله ﷺ، ورآه النبيُّ ﷺ في الشمس، فقال له: «تحوَّلْ إلى الظِّلّ، فإنه مبارك».

[قال: وحالفَ سَمُرةُ بنُ جُنادة بني زُهْرَة بن كلاب، ونزل الكوفةَ، وله بها عقب.

قال: وابنُه جابرُ بنُ سَمُرة كنيتُه أبو عبد الله، وكان له من الولد خالد، وطليحة، وسالم[٤].

ونزل جابرٌ الكوفة أيضاً، وابتنى بها داراً في بني سُواءة بن عامر، وتوفّي بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث][٥].

و[ذكر ابن سعد][٦] جابر [بن سَمُرة] وأباه سَمُرَة من الطبقة الرابعة من الصحابة الذين أسلموا من قبائل العرب. [ورجع من رجع منهم إلى بلاد قومه. هذا صورة ما ذكر ابن سعد.

وقال الواقدي:] مات جابرٌ بالكوفة سنة أربع وسبعين [في ولاية بشر بن مروان. وقال البخاري: مات بعد المختار. ولم يعيِّن سنة. قال: وصلَّى عليه عَمرو بنُ حُريث][٧].

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٦٤ . وجاء في «نسب قريش» ص ١٦٩ أن أمّ عبد العزيز بن بشر هي أمُّ حكيم بنت محمد بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط.

(٢) هذا الكلام يعود على عبد الملك بن بشر، ولا على أخيه عبد العزيز. ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦٤ و٣٦٥.

(٣) في «الطبقات» ٦/ ٢٠٥ . والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) في «الطبقات» ٦/ ٢٠٦ : طلحة وسَلْم.

(٥) من قوله: قال وحالف سمرة... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من(ص). وهو في المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) كلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص). ولم أقف على قول البخاري.

وقيل: إنه مات في سنة ستّ وسبعين.

أسندَ جابر بن سَمُرة الحديث عن رسول الله ﷺ [وأخرج له الإمام أحمد ثلاثة وثلاثين حديثاً، منها في «الصحيحين» خمسة وعشرون، اتَّفقا على حديثين، وباقيها لمسلم.

وليس في الصحابة من اسمُه جابر بن سَمُرَة غيره][(١)].

وروى عن عُمر، وسَعْد بن أبي وقَّاص، وأبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنهم، وغيرهم. وسمع خطبةَ عمر رضوان الله عليه بالجابية، وروى عنه الشعبيُّ، وعبدُ الملك بن عُمير، وسِماكُ بنُ حَرْب في آخرين.

[ومن مسانيد جابر:

قال الإمام أحمد بإسناده عن عُبيد الله بن القِبْطِيَّة قال: سمعتُ جابرَ بن سَمُرة يقول: كنَّا خلفَ رسول الله ﷺ إذا سلَّمنا نقول: السلام عليكم، السلام عليكم، يُشير أحدُنا بيده عن يمينه وشماله، فقال رسول الله ﷺ: «ما بالُ الذين يُومِئُون بأيديهم في الصلاة كأنها أذنابُ خيلٍ شُمْسٍ، ألا يكفي أحدهم أن يضع يده على فخذه، ثم يُسلّم عن يمينه وشماله». انفرد بإخراجه مسلم[(٢)].

ولمسلم أيضاً في هذا الحديث عن جابر بن سَمُرة قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فأبصرَ قوماً قد رفعوا أيديَهم في الصلاة، فقال: «قد رفعوها كأنَّها أذنابُ الخيل الشُّمْس، اسْكُنُوا في الصلاة»[(٣)].

قلت: وقد اختلف العلماء في رفع اليدين بالتكبير في الصلاة، وقد قرَّرناه في «شرح البداية».

وقال الجوهري: الشَّمُوس من الخيل الذي يمنع ظهرَه من الركوب عليه لصعوبته. يقال: فرسٌ شَمُوس، والعامَّة تقول: شَمُوص، بالصاد، وهو غلط. ورجلٌ شَمُوس أيضاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ص). وينظر «مسند» أحمد (١٨٧٧١) - (١٨٧٧٢) و(٢٠٨٠٢) - (٢١٠٥١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٨٩، وذكر ابن الجوزي فيه ص ٣٦٤ أن لجابر بن سَمُرة مئة وستة وأربعين حديثاً.

(٢) مسند أحمد (٢٠٩٧٢)، وصحيح مسلم (٤٣١). وقوله: انفرد به مسلم، أي: عن البخاري.

(٣) بنحوه عند مسلم (٤٣٠). ولفظه لأحمد (٢٠٨٧٥).

وأما أبوه سَمُرة بن جُنادة؛ فله صحبة ورواية، وليس في الصحابة مَن اسمُه سَمُرة بن جُنادة غيرُه](١).

رافع بن خَدِيج

ابن رافع بن عديّ بن تَزِيد بن جُشَم بن حارثة الأنصاري، من الطبقة الثانية(٢) من الأنصار، وكنيتُه أبو عبد الله، وأمُّه حليمة بنت عروة بن مسعود، خزرجية.

شهد رافعٌ أُحُداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

[قال ابن سعد:] ورُمِيَ يوم أحد [أو: حُنين](٣) بسهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، اِنْزَعِ السَّهْمَ. فقال: «يا رافع، إنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السهمَ والقُطْبَ جميعاً، وإنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وتركْتُ القُطْبَ، وشهدتُ لك يومَ القيامة بأنك شهيد». فقال: لا، بل انْزَعِ السَّهْم. فنزع [رسولُ الله ﷺ] السَّهْم، وترك القُطْب، وهو النَّصْل [ويقال: القُطْبة.

وقال ابن سعد بإسناده عن رجاله قال: أصابَ رافعَ بنَ خَدِيج سهمٌ يومَ أُحد في تَرْقُوَتِه إلى عَلَابِيِّهِ، فتركه] لِقولِ رسول الله ﷺ. فكان دهراً لا يُحِسُّ منه شيئاً، فإذا ضحك فاستغربَ؛ بدا(٤).

[قال ابن سعد:] وكان رافع يُحفي شاربَه كأخي الحَلْق(٥).

واختلفوا في وفاته، فحكى ابنُ سعد قولين:

أحدهما: أنه مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

---

(١) من قوله: ومن مسانيد جابر... إلى هذا الموضع، (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٢) المثبت من (ص)، وفي غيرها: الثالثة، وهو في «طبقات» ابن سعد ٤/ ٢٧٢ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ص). والخبر في «طبقات» ابن سعد ٤/ ٢٧٢ . وهو أيضاً في «مسند» أحمد (٢٧١٢٨) وفيه: أو خيبر.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٧٣ ، وما بين حاصرتين من (ص). والعَلَابِيّ جمع العِلْباء، وهي العَصَبة الممتدَّة في العنق.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٧٤ .

والثاني: في سنة أربع وسبعين.

فأما القول الأول، فقال: حدثنا حفص بن عُمر البصري[١] عن أشياخه، وذكر حديث السَّهم، وأنَّ رسول الله ﷺ نزعَ السهم وترك القُطبة؛ قال: فعاش رافعٌ حياةَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، حتى إذا كان في خلافةِ معاوية؛ انتقضَ به ذلك الجُرْح، فمات منه بعد العصر، فأُتِيَ ابنُ عمر، فأُخبرَ بموته، فترحَّم عليه وقال: إن مثلَ رافع لا يُخرَج حتى يُؤْذَن مَنْ حولَنا من القُرى. فلما أصبحوا خرجوا بجنازته، حتى إذا صُلِّيَ عليه؛ جاء ابنُ عمر، فقعدَ على رأس القبر، فصرخَتْ مولاةٌ لرافع، فقال ابن عمر: أما لهذه السفيهة ـ أو الحمقاء ـ أحد، ثم عادت، فقال: لا تُؤْذوا الشيخَ، فإنَّه لا طاقة له بعذاب الله[٢].

[وفي رواية: ومعه امرأةٌ تندبُه، فقال ابن عمر: لا تعذِّبيه، فإن الميِّت يُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه. فقال ابن عباس: إن الميِّتَ لا يعذَّبُ ببكاء الحيِّ عليه.

وهذه الرواية ذكرها ابن سعد، فقال: حدَّثنا يزيد بن هارون بإسناده عن يوسف بن ماهَك قال: رأيتُ ابنَ عمر أخذ بعمودَي جنازة رافع، فحمله على منكبيه يمشي بين يدي السرير، حتى انتهى إلى القبر. وقال ابن عُمر: إن الميِّت يعذَّب ببكاء الحيِّ عليه. فقال ابنُ عبَّاس: إن الميِّت لا يُعذَّبُ ببكاء الحيِّ عليه[٣].

قلت: فإن صحَّت هذه الرواية؛ فقد مات رافع قبل السبعين؛ لأن ابنَ عبَّاس مات سنة ثمان وستين.

---

(١) العبارة في (أ) و(ب) و(خ) و(د): ومات رافع سنة أربع وسبعين، وقيل: في خلافة معاوية. قال حفص بن عمر البصري...إلخ. وأثبتُّ عبارة (ص) لأنها أتم ولتعلُّقها بما سأزيده بين حاصرتين منها.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٧٥. وقد أخرج البخاري (١٢٨٩) ومسلم (٩٣٢): (٢٧) عن عائشة ﵂ ـ وذُكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: إنَّ الميِّت لَيُعَذَّبُ ببكاء الحيِّ. فقالت عائشة: يغفرُ اللهُ لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسيَ أو أخطأ، إنَّما مرَّ رسول الله ﷺ على يهودية يُبْكَى عليها، فقال: «إنهم ليبكون عليها، وإنَّها لَتُعَذَّبُ في قبرها». واللفظ لمسلم..

وفي رواية ابن سعد عن ابن عمر أنه قال عن النساء الباكيات: مُفتِنات الأحياء، مُؤذِيات الأموات[١].

والقول الثاني: قال ابنُ سعد بإسناده عن بشير بن يسار قال: مات رافع بن خَدِيج في أوّل سنة أربع وسبعين، وهو ابنُ ستّ وثمانين سنة، وحضر ابنُ عمر جنازته، ومات ابنُ عمر بعده في هذه السنة][٢].

ذكر أولاده:

فولدَ رافعٌ سهلاً، وعبدَ الرحمن، ورِفاعة، وعُبيد الله، وزياداً، وعائشةَ، وأمَّ عَبدِ الله، أُمُّهم أسماءُ بنتُ زياد بن طَرَفة، من النَّمِر بن قاسط.

وعبدَ الله، أُمُّه لُبْنى بنت قُرَّة، من قيس عَيْلان.

وأُسيداً، وأُمامةَ؛ لأمّ ولد.

وإبراهيمَ، وأمُّه [أمُّ] ضَمْرة بنت أبي حَثْمة، من الأوس.

وعبدَ الحميد؛ لأمّ ولد.

وحبابةَ، وأمُّها أمُّ محمد بنت محمد بن مسلمة، من بني حارثة.

ولرافع عقب كثير بالمدينة وبغداد.

وكان له أخٌ لأبيه وأمِّه اسمُه رِفاعة، صحبَ رسولَ الله ﷺ، وله عقب[٣].

وعمَّاه: ظُهَيْر ومُظْهَر ابنا رافع بن عَدِيّ، من الطبقة الثانية من الأنصار.

شهد ظُهَيْر [بن رافع] العقبة مع السبعين [من الأنصار في رواية العلماء باتفاقهم] وأُحُداً، والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وروى عنه حديثاً.

[فقال ابن سعد بإسناده عن ظُهير بن رافع الحارثي، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى في مسجد قُباء يوم الاثنين والخميس انقلبَ بأجر عُمرة».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، دون قوله: ومات ابن عمر بعده في هذه السنة. ومن قوله: وفي رواية: ومعه امرأة تندبه... إلى هذا الموضع، (وهو ما جاء بين حاصرتين) من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٧٢ . ولفظة «أمّ» السالفة بين حاصرتين منه.

وكان لظُهير بن رافع من الولد: أُسيد، وعُميرة(١)، وأمُّهما فاطمةُ بنتُ بشر بن عديّ، خزرجيَّة، وعبد الرحمن لا عقب له، ولأمّ ولد](٢).

ومُظْهَر [بن رافع] شهدَ أُحُداً والمشاهدَ كلَّها، وأدركَ خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

وكان سببَ إجلاء اليهود من خيبر؛ قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمَة، عن أبيه قال: أقبلَ مُظْهَر بنُ رافع الحارثي بأعلاج من الشام عشرة ليعملوا له في أرضه، فلمَّا نزل خيبر؛ أقام بها ثلاثاً، فحرَّضت يهودُ خيبر الأعلاج على قتل مُظْهَر، فلما خرج من خيبر وصار بِثِبار(٣)؛ وثَبُوا عليه، فقتلوه، وانصرفوا إلى خيبر، فزوَّدتهم يهود، فلحقوا(٤) بالشام، وبلغَ عمرَ ﷺ الخبرُ، فقال: إني خارجٌ إلى خيبر، فقاسمٌ ما كان بها من الأموال، وحادٌّ حدودَها، ومُجْلٍ يهودَ منها، فإنَّ رسول الله ﷺ قال [لهم]: «أُقِرُّكُم ما أَقَرَّكُم الله». وقد أَذِنَ الله في جَلائهم، ففعلَ ذلك بهم(٥).

أسند رافع عن رسول الله ﷺ [أحاديث، قال قوم:] ثمانية وسبعين حديثاً.

[وأخرج له الإمام أحمد عشرين حديثاً، منها في «الصحيحين» ثمانية، اتفقا على خمسة، وانفرد مسلم بثلاثة(٦).

وليس في الصحابة من اسمُه رافع بن خَدِيج سواه](٧).

---

(١) في (ص) (والكلام منها): عُمير، وهو خطأ. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٤/ ٢٧١، ولها ترجمة فيه أيضاً ١٠/ ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق، والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٣) موضع على ستة أميال من خيبر. «معجم البلدان» ٢/ ٧٢.

(٤) المثبت من (ص)، وفي غيرها: فألحقوا.

(٥) الكلام في «طبقات» ابن سعد ٤/ ٢٧١-٢٧٢. وعلَّق البخاري في «صحيحه» حديث عمر بصيغة الجزم قبل الحديث (٣١٦٧). وأخرجه بنحوه (٢٧٣٠) مطوَّلاً، ومسلم (١٥٥١) مختصراً من حديث ابن عمر ﷺ.

(٦) ينظر «مسند» أحمد (١٥٨٠٣)... (١٥٨٢٩) و(١٧٢٥٦)... (١٧٢٩٠). و«تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٩١، وذكر فيه ابن الجوزي ص ٣٦٥ أن لرافع ثمانية وسبعين حديثاً.

(٧) كلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص).

أبو سعيد الخُدْريّ

واسمُه سَعْد بن مالك بن سِنان بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج.

[واختلفوا في خُدْرَة، فقال ابن سعد[١]: هو الأبجر؛ قال: وزعم بعضهم أن خُدْرَة هي أمُّ الأبجر.

وقال هشام: خُدْرَة جدٌّ من أجداده، من غير تعيين.

وقيل: إن خُدْرَة قبيلة من اليمن.

وأشار إليه الجوهري، فقال: خُدْرَة: حيٌّ من الأنصار، منهم أبو سعيد الخُدري.

وقيل: خُدْرَة وخُدارة بطنان[٢] من الأنصار][٣].

واسمُ أمِّه أُنَيْسة بنت أبي خارجة [وهو عَمرو بن قيس بن مالك بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجَّار].

وأخو أبي سعيد الخدري لأُمِّه قتادة بن النعمان الظَّفَري [من أهل بدر].

وأبوه مالك بن سِنان استُشهد يوم أُحد، وكان من الرماة [وقد ذكرناه].

وأبو سعيد من الطبقة الثالثة من الأنصار.

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال:] استُصْغِرَ يومَ أُحد، فرُدَّ.

قال: [وقال] أبو سعيد: فخرجنا نتلقَّى رسولَ الله ﷺ حين أقبلَ من أُحُد ببطن قناة، فنظرَ إليَّ وقال: «سَعْدُ بنُ مالك؟» قلت: نعم، بأبي أنتَ وأمِّي، فدنوتُ منه، فقبَّلْتُ ركبتَه فقال: «آجَرَكَ اللهُ في أبيك». وكان قُتِلَ يومئذٍ شهيداً[٤].

---

(١) في «الطبقات» ٥/ ٣٥٠_٣٥١.

(٢) قبلها في (ص) (والكلام منها) لفظة: رهط، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٧/ ١٨٥ (مصورة دار البشير).

(٣) من قوله: واختلفوا في خُدرة... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥١. وكلُّ ما وقع بين حاصرتين من أول الترجمة من (ص).

[وحكى ابن سعد عن الواقدي] قال أبو سعيد: عُرِضْتُ يومَ أُحُد على النبيِّ ﷺ وأنا ابنُ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنَّه عَبْلُ العِظام، وإن كان مُودَناً[١]. وجعلَ رسولُ الله ﷺ يُصعِّدُ فيَّ ويصوِّب، ثم قال: «رُدَّه». فَردَّه.

[وقال الواقدي:] وأوَّلُ مغازيه غزوةُ بني المصطلق؛ خرج فيها مع رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرةَ سنة.

[قال:] وشهد الخندق وما بعدها [من المشاهد] مع رسول الله ﷺ[٢].

[وقد ذكرنا في غزاة أُحد رَدّ النبي ﷺ له ولغيره].

وكان أبيض الرأس واللحية، ويُحفي شاربَه، ويأتزرُ إلى أنصاف ساقيه، ويلبسُ الخَزّ[٣].

[وقد حكَيْنا عنه أنه يوم الحَرَّة دخل غاراً، فدخل رجل من أهل الشام خلفه ليقتله، فلما قال له: أنا أبو سعيد خرج وتركه.

وحكى ابن سعد عن الواقدي، عن يعقوب بن محمد، عن هند بنت سعيد بن أبي سعيد (عن أبيها، عن أبي سعيد) قال: لزمتُ بيتي لياليَ الحرَّة، فلم أخرج، فدخل عليَّ نفرٌ من أهل الشام، فقالوا: أيُّها الشيخ، أَخْرِجْ ما عندك. فقلتُ: واللهِ ما عندي مال. قال: فنتفُوا لحيتي وضربوني، ثم نقلوا من بيتي ما خفَّ لهم من المتاع، حتى إنهم عمدوا إلى وسادة وفراش، فنفضوا ما كان فيهما من الصوف، وأخذوها، وأخذ واحد منهم زوج حمام كان في البيت، وخرجوا[٤].

وذكره ابن عبد البر فقال:] وكان من الحُفَّاظ المكثرين، والعلماء العقلاء الفضلاء [وأخباره تشهدُ له بتصحيح هذه الجملة، وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة. وحفظ عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً] وروى عنه علماً جمّاً[٥].

(١) العَبْلُ: الضَّخْمِ من كلّ شيء، والمُودَن: القصير العُنق والألواح واليَدَيْن.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٥٤ .
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٤_٣٥٥ ، وما سلف بين قوسين عاديين منه.
(٥) بنحوه في «الاستيعاب» ص ٢٨٦ . وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من(ص).

[وذكره ابن عساكر وقال:] وقدم الجابية مع عمر رضي الله عنه، وقدم دمشقَ على معاوية، فدخل عليه وهو في مجلسه وهو غاصٌّ بأهله، فقال: يا معاوية، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يمنعنَّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يقولَ الحقَّ ـ أو يتكلم بالحقّ ـ إذا علمه». فما بالُك يا معاوية، تأخذُ الصدقةَ من غير وجهها وتضعُها في غير أهلها؟ وما بالُك تُؤثر بعض أولادك على البعض، والله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]. ثم عدَّد أفعال معاوية، وركب من يومه إلى المدينة. فأرسلَ وراءَه بجائزة وصِلة كثيرة، فردَّها وقال لرسوله: قل له: ما أتيتُك إلا لأعظَك في الله. ولم يأخذ منه شيئاً[١].

[وذكره الخطيب فقال:] قدم أبو سعيد المدائن في حياة حذيفة بن اليَمان، وشهد حرب الخوارج مع علي عليه السلام[٢].

[ذكر وفاته رضي الله عنه

ذكر الواقدي وهشام وغيرهما أنه] توفّي بالمدينة في سنة أربع وسبعين يومَ الجمعة في رجب، ودُفن بالبقيع، وله أربع وتسعون سنة، رضي الله عنه[٣].

ذكر أولاده

[قال ابن سعد:][٤] فولدَ عبدَ الله، وحمزةَ، وسعيداً، وعبدَ الرحمن، وأمُّهم أمُّ عبد الله بنت عبد الله بن الحارث، من الأوس. وأمَّ عبد الرحمن؛ لأمِّ ولد.

وعبدُ الرحمن بن أبي سعيد كنيتُه أبو محمد، مات بالمدينة سنة اثنتي عشرة ومئة. وكان لعبد الرحمن ابنان: عبد الله، ورُبَيْح، ورُبَيْح ضعيف [في الحديث، وليس بثبت][٥].

[قلت: ورُبَيْح هو الذي روى حديث التسمية على الوضوء. والحديثُ أخرجه الإمام أحمد والترمذي.

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ١٨٠ و١٨٢ (مصورة دار البشير) دون قوله: فأرسل وراءه بجائزة...إلخ.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٥٣٢، و«تاريخ دمشق» ٧/ ١٨٥، وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٣) ينظر «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٥٥، و«تاريخ دمشق» ٧/ ١٩٣ـ١٩٤. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) في «الطبقات» ٥/ ٣٥١، والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) نُسب الكلام في (ص) لابن قُتيبة، وهو في «المعارف» ص٢٦٨، والكلام بين حاصرتين من (ص).

قال الإمام أحمد بإسناده إلى رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدري، عن أبيه، عن جدِّه أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وضوءَ لِمَنْ لا يذكرُ اسمَ الله عليه». قال الترمذي: هذا حديث حسن(١).

وبهذا الحديث أخذ الإمام أحمد في وجوب التسمية على الوضوء، وعنه روايتان؛ في رواية أنها مستحبَّة كقول الجماعة، والثانية أنها واجبة. ثم ضعَّف الإمام أحمد حديث رُبيح هذا، فقال وقد سُئل عن التسمية: أواجبةٌ هي، أم لا؟ قال: سنّة. قيل له: فحديث أبي سعيد؟ فقال: رواه كثير، عن رُبَيْح، عن أبي ثِفال المُرِّي(٢)، ومَنْ رُبَيْح؟ مَنْ أبو ثِفال؟ كأنه ضعَّف روايته](٣).

أسند أبو سعيد الخُدْريُّ ﵁ عن رسول الله ﷺ [أحاديث، واختلفوا فيها؛ قال قوم]: ألف حديث ومئة وسبعين حديثاً؛ [أُخرج له في «الصحيحين» مئة وأحد عشر حديثاً؛ اتَّفقا على ثلاثة وأربعين، وانفرد البخاري بستة عشر، ومسلم باثنين وخمسين حديثاً(٤).

وأخرج له الإمام أحمد من هذه الجملة مئتين وثمانية وثمانين حديثاً، منها متَّفق عليها، ومنها أفراد](٥).

وروى [أبو سعيد] عن الخلفاء الأربعة ﵃، وعن زيد بن ثابت، وعبد الله بن سَلَام، وأبي قَتادة الأنصاري، و[عن أخيه لأمّه] قتادة بن النعمان، وغيرهم.

---

(١) مسند أحمد (١١٣٧٠)، وأخرجه الترمذي في «العلل الكبير» ١/ ١١٢، ولم يُخرِّجه في «سننه» من هذا الوجه، إنما أخرجه فيها (٢٥) من طريق عبد الرحمن بن حرملة، عن أبي ثِفال المُرِّي، عن رَباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب، عن جدَّته، عن أبيها. واسم الصحابي سعيد بن زيد كما ذكر الترمذي. ثم إن التِّرمذي لم يحسِّنْه، وإنما نقل بإثر الحديث عن البخاري قوله: أحسنُ شيء في هذا الباب حديث رباح بن عبد الرحمن. وينظر «تنقيح التحقيق» لابن عبد الهادي ١/ ٣٥٤.

(٢) كذا وقع في (ص) (والكلام منها) وهو خطأ. فرواية رُبيح، غير رواية أبي ثِفال. وقد نقل ابنُ عبد الهادي في «التنقيح» ١/ ٣٥٧ عن أحمد قوله: مَنْ أبو ثِفال؟ وفي ١/ ٣٥٨ عنه قوله: رُبيح ليس بمعروف، ونقل فيه أيضاً ١/ ٣٥٧ عنه قوله: ليس في هذا حديث يثبت، وأحسنُها حديث كثير بن زيد. وينظر تفصيل المسألة فيه ثمّة.

(٣) من قوله: قلت: ورُبيح هو الذي روى حديث التسمية... إلى هذا الموضع (وجاء بين حاصرتين) من (ص).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٣ و٣٩٢.

(٥) مسند أحمد (١٠٩٨٥)... (١١٩٤٠). والكلام بين حاصرتين من (ص).

وروى عنه من الصحابة: زيدُ بنُ ثابت، وابن عُمر، وابنُ عباس، وجابرُ بنُ عبد الله، وأنس بنُ مالك، وأبو أُمامة [بن] سهل بن حُنَيْف، وطارق بنُ شِهاب، وغيرهم.

وروى عنه من التابعين خلقٌ كثير، منهم سعيد بن المسيِّب، وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن، وعطاء بن أبي رباح، وعَمرو بن دينار، والحَسَن البصري، وابنُ سِيرِين، وأبو العالية، وسعيد بن جُبير، وغيرُهم(١).

سَلَمة بن الأكوع

[واسم الأكوع] سنان بن عبد الله بن قُشَيْر، من بني عامر ماء السماء(٢).

و[كنيتُه] أبو عامر، وقيل: أبو مسلم، وقيل: أبو إياس.

[كذا نَسَبَهُ ابنُ سعد(٣). وقال جدِّي رحمه الله في «جامع المسانيد»: هو سَلَمة بن عَمرو بن سِنان(٤). والأكوع هو سِنان، فهو جدُّ سلمة، وإليه يُنسب سلمة.

وسَلَمة] من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

[وقال ابنُ سعد:] أسلمَ الأكوع قديماً هو وابناه عامر وسَلَمة. [وذكر الجميع في الطبقة الثالثة من المهاجرين؛ قال:] وصَحبوا رسول الله ﷺ [جميعاً].

[فأما عامر بن الأكوع؛ فهو الذي قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى خيبر: «انْزِلْ فأسْمِعْنا من هُنَيَّاتك». فنزل وقال: اللهم لولا أنتَ ما اهتدينا. الأبيات. فقال رسول الله ﷺ: «يرحمك الله». فقال عمر بن الخطاب: وجبت. وقال رجل من القوم: لولا متَّعْتَنا به يا رسول الله. (فاستُشهد عامر يوم خيبر، ذهب يضربُ رجلاً من المشركين) فرجع السيف عليه، فجرحه فمات. فحُمل إلى الرَّجيع، فقُبر مع محمود بن مَسْلَمة (في قبر)

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٧/ ١٨٠ (مصورة دار البشير)، و«تهذيب الكمال» ١٠/ ٢٩٥-٢٩٩.

(٢) في النسخ الخطية: عامر بن ماء السماء، وهو خطأ، فعامر هو ماء السماء. ونسبُه هكذا في «الإكمال» لابن ماكولا ٤/ ٤٤٥، وأخرجه عنه ابنُ عساكر ٧/ ٤٩٣ (مصورة دار البشير) ولعل الكلام منه، وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٣١.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٨، ولم ينسبه إلى عامر ماء السماء، والذي نسبه كذلك ابن عساكر؛ أخرجه عن ابن ماكولا كما في التعليق قبله. ولعل ذلك وهم من صاحب (ص)، فالكلام منها، وهو الواقع بين حاصرتين.

(٤) وكذا نسبه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/ ٤٩١ (مصورة دار البشير).

في غار. فقال أُسَيْد بن حُضير: حبط عمل عامر؛ قتلَ نفسَه. وبلغ رسولَ الله ﷺ، فقال: «له أجران». وقد ذكرنا القصة في غزاة خيبر.

وأمَّا سَلَمة بن الأكوع؛ فحكى ابنُ سعد:][1] قال سَلَمة: غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبعَ غَزَوات، ومع زيد بن حارثة تسع غَزَوات حين أَمَّره رسولُ الله ﷺ [علينا].

[وقال ابن سَعْد: قال سَلَمة: غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ سبع[2] غزوات. فذكر الحُديبية، وخيبر، وحُنين، ويوم القَرَد، ولم يذكر البواقي.

وقد ذكرنا غَزَاة ذات ـ أو: ذي ـ قَرَد لمَّا أغارت غَطفان على لِقاح رسول الله ﷺ بالمدينة، وتبعَهم سَلَمة بنُ الأكوع، وردَّ ما أخذُوا].

وكان سَلَمة ممَّن بايع تحت الشجرة؛ قال عبد الرحمن بن رزين[3] العراقي: أَتَيْنا سَلَمة بن الأكوع ـ وكان بالرَّبَذَة ـ فأخرج إلينا يدَه ضخمةً كأنَّها خُفُّ البعير، فقال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ بيدي هذه. فأخذنا يده فقبَّلْنَاها.

قال ابن سعد[4]: وفيه وفي أصحابه نزل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

قال: وكان لا يسألُه أحدٌ شيئاً لوجه الله تعالى إلا أعطاه، ويقول: من لم يُعْطِ لوجه الله فبماذا يعطي؟! وكان يكرهها ويقول: هي الإلحاف[5].

[قال:] وأجازه الحجَّاج بن يوسف بجائزة، فقبلها، وكان عبدُ الملك يُجيزه فيقبل، وكان يكتب له بها إلى الكوفة[6].

---

(١) من قوله: فأما عامر بن الأكوع... إلى هذا الموضع (وهو ما وقع بين حاصرتين) من (ص). وما جاء فيه بين أقواس عادية من «طبقات» ابن سعد ٥/ ٢٠٩ ، والكلام منه.

(٢) في (ص) (والكلام منها وهو ما بين حاصرتين): تسع، وهو خطأ. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٥/ ٢١٠ . وسلف نحوه.

(٣) في النسخ الخطية و«تاريخ دمشق» ٧/ ٥٠٠ (مصورة دار البشير): بن زبر، وفي رواية أخرى منه: بن رزيق، والمثبت من «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٣٠ ، وترجمته في «تهذيب الكمال» ١٧/ ٩١ . ولعل لفظة: «زبر» محرفة عن: يزيد، فقد ذكر المزّي أنه يقال: ابن يزيد.

(٤) في «الطبقات» ٥/ ٢١٢ ، وما قبله منه.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٢١٣ .

ومات سَلَمة رضي الله عنه بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابنُ ثمانين سنة(١).

وكان لما قُتل عثمان رضي الله عنه خرجَ سَلَمةُ إلى الرَّبَذَة، فأقام بها، وتزوَّج امرأةً، وولدت أولاداً، فلم يزل بها حتى قبلَ أنْ يموتَ بليالٍ؛ نزلَ المدينة(٢)، وكُفَّ بصرُه في آخر عُمُره.

أسند سلمة الحديث عن رسول الله ﷺ، قيل: تسعين حديثاً، وقيل: سبعة وسبعين [أُخرجَ له في «الصحيحين» ثلاثون حديثاً؛ اتفقا على ستة عشر، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بتسعة(٣).

وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، وكعبِ بن مالك رضي الله عنه.

وروى عنه ابنُه إياس بن سلمة [وبه كان يُكنى]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والحسن بن محمد بن الحنفية في آخرين.

صفوان بن مُحْرِز

ابن زياد المازني التميمي، من الطبقة الثانية من أهل البصرة.

[قال ابن سعد:] وكان له فضل وورع، وكان له سَرَبٌ لا يخرجُ منه إلا إلى الصلاة(٤).

وكان أصحابه يجتمعون إليه ويتحدَّثون، فلا يرون تلك الرِّقَّة، فيقولون: يا صفوان، حدِّثْنا، فيقول: الحمدُ لله، فيرقُّ القوم، وتسيلُ دموعُهم كأنها أفواهُ المَزَاد(٥).

[وروى ابنُ سَعْد أيضاً عن الحسن أنه قال: قال صفوان بن مُحْرِز: إذا أكلتُ شيئاً أَشُدُّ به صُلْبي، وشربتُ كوزاً من ماء؛ فعلى الدنيا وأهلها العَفَاء.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤ ، ونسب القول في (ص) إليه.

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ١/ ١٨٤ ، ونُسب القول في (ص) إليه، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٧/ ٥٠٢ .

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٥ و٣٩٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٤٧ . قوله: سَرَب، أي: بيت في الأرض. «مختار الصحاح».

(٥) المصدر السابق.

وحكى ابنُ سَعْد عن ثابت قال:] وكان لصفوان خُصٌّ فيه جِذْع، فانكسر الجِذْع، فقيل له: ألا تُصلحُه؟ فقال: دعوه، أنا أموتُ غداً[١].

وقال ثابت: ذهبتُ أنا والحسنُ نُعوده، فخرجَ إلينا ابنُه، فقال: هو مبطون لا يستطيع[٢] الدخولَ إليه، فقال الحسن: ما أخذ الله من لحم أبيك ودمِهِ يُكَفِّرُ به من خطاياه خيرٌ له من أن تأكلَه الأرض في قبره، ولا يؤجَرُ عليه.

وقال الحسن البصري: لقد لقيتُ أقواماً كانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم أزهدَ منكم فيما حرَّم الله عليكم، كانوا من حسناتهم أشفقَ أنْ لا يُتقبَّل منهم من سيِّئاتكم، ولقد صحبتُ أقواماً كان أحدُهم يأكلُ على الأرض، وينامُ على الأرض، منهم صفوان بن مُحْرِز المازنيّ، كان يقول: إذا أويتُ إلى أهلي فأصبت رغيفاً آكلُه، فجزى اللهُ الدنيا عن أهلها شرّاً. واللهِ ما زادَ على رغيف حتى فارقَ الدُّنيا، يظلُّ صائماً، ويُفطر على الرغيف، ويشربُ عليه من الماء، ثم يقومُ فيصلِّي حتى يُصبح، فإذا صلَّى الفجر وضع المصحف في حِجْره يقرأ فيه حتى يترجَّل النهار[٣]، ثم يقوم فيصلي حتى ينتصف النهار، ثم يرمي بنفسه على الأرض، ثم ينتبه، فكانت تلك نومتَه حتى فارق الدنيا، فإذا صلَّى الظهر قام فصلى [إلى العصر، فإذا صلَّى] العصر، وضعَ المصحف في حِجْره، فلا يزالُ يقرأُ إلى المغرب، ثم يقومُ إلى الصلاة[٤].

وحبس عُبيد الله بنُ زياد ابنَ أخٍ لصفوان، فتشفَّع إليه صفوان بكلِّ أحد، فلم يشفِّعه، فبات صفوانُ في مصلَّاه، فأتاه آتٍ فقال: قُمْ فاطْلُبْ حاجتَك من وجهها. فقام إلى الصلاة، ثم دعا، فأَرِقَ ابنُ زياد، وامتنعَ عليه النوم، فقال: عليَّ بابنِ أخي

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ١٤٨ .وثابت: هو ابنُ أَسْلَم البُنَاني.

(٢) في (ص): لا يستطيعون، وفي «طبقات» ابن سعد ٩/ ١٤٨ : لا تستطيعون.

(٣) أي: يرتفع.

(٤) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٧ ، و«المنتظم» ٦/ ١٣٣ ، ولم يرد صدرُ الخبر في (ص) و(م)، وماوقع بين حاصرتين منهما.

صفوان، ففُتحت أبوابُ السُّجون، وجيء به إليه، فقال ابنُ زياد: ما نمتُ الليلة، اِلحَقْ بعمِّك. فذهب إليه[(١)].

[قال ابن سعد:][(٢)] وتوفي صفوان بالبصرة في ولاية بِشْر بن مروان.

وروى عن ابنِ عُمر، وعِمْران بن الحُصَيْن، وحكيم بن حِزام، وأبي موسى الأشعريّ ـ وكان من أصحابه ـ وغيرِهم، وكان ورعاً ثقةً، رضي الله عنه[(٣)].

أبو عبد الرحمن عبدُ الله بنُ حَبِيب السُّلَميّ

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[قال أبو نُعيم الحافظ:] أَقْرأَ القرآنَ أربعين سنة في المسجد، وصام ثمانين رمضاناً، وعاش تسعين سنة[(٤)].

وكان يُقرِئُ الحسن والحسين رضي الله عنهما في مسجد الكوفة، فأقرأهما يوماً: «وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم» بخفض اللام من «أرجلكم» فسمعه عليٌّ عليه السلام من الحُجرة، فصاح: يا أبا عبد الرحمن، الفتحةَ الفتحةَ[(٥)].

[قال ابن سعد:][(٦)] وما كان يأخذ على القرآن أجراً.

وقال الأهوازي: كان أبو عبد الرحمن مقدَّماً في القراءة، أقام يُقرىء القرآن في الكوفة في مسجدها الأعظم من أيام عثمان إلى أيام بِشْر بن مروان[(٧)]، وكان يُعلِّمُ الحسنَ والحسين، وربما أمسك المصحف على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فقرأ

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٢٢٨ . ونُسب الخبر في(ص) و(م) لابن أبي الدنيا.
(٢) في «الطبقات» ٩/ ١٤٨ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٣) ينظر «تهذيب الكمال» ١٣/ ١٠٠٨ .
(٤) ينظر «حلية الأولياء» ٤/ ١٩٢ .
(٥) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ١٠/ ٥٥ . ونُسب الخبر في (ص) و(م) لأبي إسحاق الثعلبي، وهو بنحوه في «تفسيره» ٢/ ٤١٦ .
(٦) في «الطبقات» ٨/ ٢٩٢ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٧) ينظر «المعرفة والتاريخ» ٢/ ٥٩٠ .

عليه، فسمعَ ألفاظَه، وعرفَ قراءتَه، وأخذها من فيه، وعليه قرأ عاصم بن أبي النَّجُود، وغيرُه.

[ذكر وفاته

قال ابنُ سعد:] ولما احتُضر أخذَ عطاء بن يسار يُرجِّيه، فقال له: إليَّ تقول هذا، وقد صُمتُ ثمانين رمضاناً(١)!.

وكان كثيرَ الحديث، ثقة، وقيل: مات سنة خمس ومئة، وهو وهم.

أسند عن عُمر، وعثمان، وعليّ، وابنِ مسعود، وأبي الدرداء، ﷺ، وغيرِهم.

قال ابنُ سعد: أخبرنا شَبَابة بن سوَّار، حدَّثنا شعبة، عن علقمة بن مَرْثد، عن سَعْد ابن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه».

قال أبو عبد الرحمن: فهذا الذي أجلسني هذا المجلس(٢).

عبدُ الله بن عُتْبة

ابن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، تحوَّل من المدينة، فنزلَها.

وكان فقيهاً مُفتياً، كثيرَ الرواية للحديث، ويعدُّ من أهل المدينة، لكنّه أقام ومات بالكوفة قُبيل وفاة بِشْر بقليل.

وروى عن عُمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وغيره من الصحابة(٣).

عبد الله بن عُمر

ابن الخطَّاب، [وكنيتُه] أبو عبد الرحمن، من الطبقة الثانية من المهاجرين.

(١) ما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٩٤، و«حلية الأولياء» ٤/ ١٩٢، و«تهذيب الكمال» ١٤/ ٤٠٩، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٧١.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٩٢. والحديث أخرجه أيضاً البخاري (٥٠٢٧).

(٣) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٦٢ و٨/ ٢٤٠-٢٤١. ولم ترد هذه الترجمة في (ص) و(م).

وأُمُّه زينبُ بنت مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح أختُ عثمان بن مَظْعُون رضي الله عنه، وكانت من المهاجرات، وهي أمُّ حفصةَ رضي الله عنها أيضاً(١).

[ذكر صفته](٢):

[قال أبو نُعيم:] كان عبد الله رضي الله عنه آدَمَ طُوالاً، وله جَمَّة مفروقة، تضرب قريباً من منكبيه، وكان يخضب بالصُّفرة، ويُحفي شاربَه حتى يُظَنّ أنه ينتفه [ويُنظر إلى بياض الجلد]. ويُدخلُ الماء في أصول عينيه وباطنها في الوضوء، ويتوضأ لكل صلاة [ويُشمِّر إزارَه، وكان نقشُ خاتمه: عبد الله. وقيل: ما تختَّم].

[ذكر طرف من أخباره]:

أسلمَ عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما قديماً بمكة مع أبيه ولم يكن بلغ، وهاجر إلى المدينة وهو ابنُ عَشْر سنين.

وقال: عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ يوم بدر وأنا ابن ثلاثَ عشرةَ سنة فردَّني [وعُرِضْتُ عليه يوم أُحُد وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سنة، فردَّني] وعُرِضْتُ عليه يومَ الخندق وأنا ابنُ خمس عشرة سنة فقَبِلَني(٣).

قال نافع: فحدَّثتُ بهذا الحديث عُمر بنَ عبد العزيز فقال: إنَّ هذا الحدُّ بين الصِّغر والكِبَر. وكتب إلى عمَّاله أن يفرضوا لابن خمسَ عشرةَ سنة، ويُلحقوا ما دون ذلك في العيال.

[وقال الواقدي: سأله عثمان أن يليَ القضاء، فأبى.

وقال أحمد بإسناده عن يزيد بن مَوْهب] قال له عثمان رضي الله عنه: اقْضِ بين الناس. فقال: لا أقضي بين اثنين، ولا أَؤُمُّ رجلين، أمَا سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ عاذَ بالله؛ فقد عاذَ بمَعَاذ؟». قال عثمان: بلى. قال: فإنِّي أعوذُ بالله أن تستعملني. [فأعفاه وقال: لا تخبرنَّ بهذا أحداً. وهذه رواية «المسند»(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٣ ، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٠-١١ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) أثبتُّ هذه الفقرة في هذا الموضع كما هو في (م)، وجاءت في النسخ الأخرى أثناء فقرة ذكر أخباره. وما وقع من كلام بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٧ .

(٣) قال يزيد بن هارون (راوي الخبر): هو في الخندق ينبغي أن يكون ابنَ ستَّ عشرةَ سنة. ينظر «الطبقات» ٤/ ١٣٣ .

(٤) مسند أحمد (٤٧٥).

وأما ابنُ سعد فقد ذكر فيه زيادة: وقال:] فقال له عثمان: أَوَتعصيني؟ فقال: لا، ولكني بلَغَني أنَّ القضاة ثلاثة: رجل قضى بجهل فهو في النار، ورجلٌ حاف ومالَ به الهوى فهو في النَّار، ورجلٌ اجتهدَ فأصاب فهو كَفاف، لا أجرَ له، ولا وِزْرَ عليه. فقال له عثمان ﵁: فإنَّ أباك كان يقضي؟ قال: كان يقضي، فإذا أشكلَ عليه شيءٌ سألَ رسول الله ﷺ، وإذا أشكلَ على النبيِّ ﷺ سأل جبريل، وإني لا أجد من أسألُه. فأعفاه وقال: لا تخبرنَّ بهذا أحداً[1].

[قال الواقدي:] وشهد عبد الله ﵁ الخندق وما بعدها، ومؤتة، واليرموك، واليمامة، والقادسية، وجَلُولاء وما بينهما من وقائع الفرس، وخطبةَ أبيه بالجابية، وقدم البصرة وفارس غازياً، وشهد فتح مصر، واختطَّ بها، وكان مع عثمان ﵁ لما قُتل يوم الدار، وأراده عثمانُ على ولاية الشام، فلم يفعل، وأراد عثمان ﵁ أن يولِّيَه القضاء، فأبى.

وكان عالماً زاهداً عابداً ورعاً كثيرَ المحبَّة لاتِّباع السنن.

وكان أكبرَ ولد عمر ﵁، ووردَ المدائن غيرَ مرَّة، وشهدَ الحُدَيْبية، وكان لا يتخلَّف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ، ثم [كان] بعد وفاته مُولعاً بالحجّ إلى أن مات.

وأفتى في الإسلام ستِّين سنة، ونشرَ نافعٌ عنه علماً جمّاً، وشهدَ الفتحَ وهو ابنُ عشرين سنةً. وكان له يومَ ماتَ رسول الله ﷺ اثنان وعشرون سنة.

وقال رسول الله ﷺ [في حقِّه:] «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله الرجلُ الصالح».

[قال البخاري: حدَّثني محمود، عن عبد الرزاق، بإسناده عن ابن عمر قال: كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ. قال: فتمنَّيْتُ أن أرى رؤيا فأقصَّها عليه، وكنتُ غلاماً عَزَباً، وكنتُ أنامُ في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيتُ في النوم كأنَّ ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، وإذا هي مطويَّة

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٦_١٣٧ . وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

كطيِّ البئر، ولها قَرْنان، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتُهم، فجعلتُ أستعيذُ بالله من النار، فلقيَهما ملك آخر، فقال لي: لن تُرَعْ. فقَصَصْتُها على حفصة، فقصَّتْها على رسول الله ﷺ، فقال: «نِعْمَ الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلِّي من الليل».

قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً. أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وفي «الصحيحين» أيضاً عن نافع][٢] قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: رأيتُ في المنام كأنَّ بيدي قطعةَ إستبرق، ولا أُشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارَتْ بي إليه، فقصَّتْها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «إن أخاك ـ أو إن عبد الله ـ رجل صالح».

[وقال (أبو نُعيم)[٣] بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال: اجتمع في الحِجْر مصعب، وعروة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عُمر، فقالوا: تَمنَّوْا. فقال عبد الله بنُ الزبير: أمَّا أنا فأتمنَّى الخلافة. وقال عروة: أمَّا أنا فأتمنّى أن يُؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أمَّا أنا فأتمنّى إمرة العراق، والجمعَ بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحسين. فقال عبد الله: وأنا أتمنَّى المغفرة. قال: فنالُوا ما تَمنَّوْا، ولعلَّ ابن عمر قد غُفر له. وقال الزُّهري: وكان ابن عمر ـ واللهِ ـ أعقلَهم].

وروى أبو نُعيم أيضاً عن نافع قال[٤]: دخل ابن عمر الكعبة، فسمعتُه وهو ساجد يقول: اللهمَّ إنك تعلمُ أنْ ما يمنعُني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفُك.

[وقال ابن سعد: سُئل ابنُ عمر عمَّا لا يعلم، فقال: لا أعلم][٥].

---

(١) صحيح البخاري (١١٢١)، وصحيح مسلم (٢٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري (١١٥٦)، وصحيح مسلم (٢٤٧٨). وأخرجه أيضاً ابن سعد ٤/ ١٣٧ . ومن قوله: قال البخاري حدثني محمود... إلى هذا الموضع (وهو بين حاصرتين) من (ص) و(م).

(٣) لفظ: (أبو نُعيم) بين قوسين عاديَّيْن من عندي للإيضاح، ولأن الكلام ليس معطوفاً على ما قبله، ولقوله في الخبر بعده: وروى أبو نُعيم أيضاً... والخبر في «حلية الأولياء» ١/ ٣٠٩ ، وهو من (م) و(ص).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٩٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٤ ، والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

وكانوا إذا لاموه على ترك الدنيا يقول: إني فارقتُ أصحابي على أمر، وأخافُ إنْ خالفتُهم أن لا ألحقَ بهم(١).

وقالت عائشة ﵂: ما رأيتُ أحداً أشبهَ بأصحاب رسول الله ﷺ الذين دُفنوا في الدار(٢) من عبد الله بن عمر.

[وقال أبو نُعيم: كتبَ الحجَّاج بنُ يوسف إلى ابن عمر: بلغني أنك تطلبُ الخلافة، وإنها لا تصلح لِعَييّ، ولا بخيل، ولا غيور. فكتب إليه ابن عمر: أمَّا ما ذكرتَ من الخلافة؛ فإني ما طلبتُها، ولا هي من بالي، وأما ما ذكرتَ من العِيّ والبُخل (والغَيْرة)، فمن جمعَ كتابَ الله؛ فليس بِعَيِيٍّ، ومَنْ أدَّى زكاةَ مالِه؛ فليس ببخيل، وأمَّا الغَيْرة؛ فأَحَقُّ ما غِرْتُ فيه ولدي أن يَشْرَكَني فيه غيري](٣).

وأعتقَ ابنُ عُمر جاريةً له يقال لها: رُميثة، وقال: سمعتُ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإنِّي واللهِ لأُحبُّكِ، اذهبي فأنت حُرَّةٌ لوجه الله تعالى(٤). ولولا أني لا أعودُ في شيء جعلتُه لله؛ لنكحتُها. فأَنكَحَها نافعاً مولاه، فهي أمُّ ولدِه(٥).

وقال نافع: كان ابنُ عمر إذا أعجبَه شيءٌ من ماله تقرَّب به إلى الله تعالى، فكان رقيقُه قد عرفوا منه ذلك، فربَّما لزمَ أحدُهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقال له: إنهم يخدعوك. فيقول: مَنْ خدعَنا في الله انخدعنا له(٦).

(١) ينظر «طبقات» ابن سعد ٤/ ١٣٥ .

(٢) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د). ولم يرد الخبر في (ص) و(م) وهو في «الزهد» لأحمد ص ٢٤٢ ، و«حلية الأولياء» ١/ ٣٠١ ، و«صفة الصفوة» ١/ ٥٦٨ : وفيها: النمار، بدل: الدار.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٩٢ . وأخرجه من طريقه ابنُ عساكر ٣٧/ ٩٨ (طبعة مجمع دمشق). ولفظة (الغيرة) بين قوسين عاديين منهما. وهذا الخبر (وهو بين حاصرتين) من (ص) و(م).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٩٥ ، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ٥٧ . ونسب الخبر في (ص) و(م) لأبي نعيم.

(٥) المستدرك ٣/ ٥٦١ ، و«المنتظم» ٦/ ١٣٥ . ولم ترد هذه القطعة من الخبر في (ص) و(م).

(٦) حلية الأولياء ١/ ٢٩٤ ، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٥٣ .

قال: وكان له نَجِيبٌ قد اشتراه بمال [عظيم] فركبه، فأعجبه، فقال: يا نافع، انْزَعْ زِمامَه، وأدْخِلْهُ في إبل الصدقة[١].

قال: وما كان يعجبُه شيءٌ من ماله إلا أخرج منه لله عزّ وجلّ، وربَّما تصدَّقَ في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً، ويمضي عليه الشهر لا يذوق فيه مرقة لحم[٢].

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: وأعطاه ابنُ جعفر في نافع عَشَرةَ آلاف درهم ـ أو عشرة آلاف دينار ـ فقيل له: ما تنتظر؟ فقال: أَوَخَيْرٌ من ذلك؟ هو حُرٌّ لوجه الله تعالى[٣].

وكان رضي الله عنه لا يأكلُ طعاماً إلا وعلى خِوانِهِ يتيم[٤].

[وروى أبو نُعيم عن نافع قال:] وما مات حتى أعتقَ ألفَ إنسان أو زاد[٥].

[وروى ابنُ سعد عن نافع قال:] وكان يؤتى بالمال فيقبلُه ويقول: لا أسألُ أحداً شيئاً، ولا أردُّ ما رزقني الله، [وكان المختارُ يبعث إليه بالمال فيقبله][٦].

وقيل: ما ردَّ هدية إلا على المختار.

[وقال ابن سعد:] وكان يقبض على لحيته، ثم يأخذُ ما جاوزَ القبضة[٧].

وقال [ابن سعد عن] نافع: بعث معاوية إلى ابن عمر بمئة ألف درهم لما أراد أن يبايع ليزيد، فقال: إن ديني عندي لرخيص[٨]. فما حالَ الحَوْلُ وعنده منها شيء.

قال المصنف رحمه الله: والعَجَب من هذا الزُّهد والفضل والعلم ويُبايع ليزيد وعبد الملك بن مروان، ويتركُ مثلَ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه لا يبايعُه، ويهرب إلى مكة.

---

(١) بنحوه في المصدرين السابقين.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٩٥، ونُسب الكلام في (ص) و(م) إليه، وقوله: يمضي عليه الشهر...إلخ، ليس فيهما.
(٣) الزهد لأحمد ص ٢٤٢، وحلية الأولياء ١/ ٢٩٦. ولم يرد هذا الخبر في (ص) و(م).
(٤) الزهد ص ٢٣٧، والحلية ١/ ٢٩٩.
(٥) الحلية ١/ ٢٩٦.
(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٠. وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٧) المصدر السابق ٤/ ١٦٦.
(٨) المصدر السابق ٤/ ١٧٠. ووقع في (ص)و(م): لرخيصة.

وقال نافع: اشتهى[١] ابنُ عُمر عِنَباً، فاشتُرِيَ له عنقود بدرهم، فجاء مسكين يسأل، فقال: أعطُوه إيَّاه، فخالفَ إليه إنسانٌ، فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إلى ابن عمر، فجاء سائلٌ آخر[٢]، فأعطاه. فعل ذلك مراراً والرجل يشتريه، ولو علم ابن عمر لما ذاقه.

وكان يقال له: إنك تجوع! قال: ربَّما يأتي عليَّ سبعُ سنين لا أشبعُ فيها، وكيف أشبع وقد بقي من عمري ظِمْءُ حمار[٣].

[قال أبو نُعيم:] وجاءه رجل من أهل العراق وقال: قد عملتُ لك جَوارشاً[٤] يهضمُ الطعام، فقال: ما ملأتُ بطني من طعام منذ أربعين سنة[٥]! وفي رواية: ما شبعت منذ أسلمت[٦].

[وروى أبو عُبيد القاسم بن سلَّام قال:] وجاء سائل إليه فقال لابنه: أعطه ديناراً. فقال له ابنُه: تقبَّلَ اللهُ منك. فقال: لو علمت أنه يتقبَّلُ مني؛ لَطِرْتُ فرحاً ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][٧].

وقال مجاهد: صحبتُ ابنَ عمر وأنا أريد أن أخدمَه، فكان يخدمني أكثر[٨].

وقال نافع: كان ابن عمر يحيي الليل كلَّه صلاةً، ثم يقول: يا نافع، أَسْحَرْنا؟ فأقولُ: نعم، فيجلسُ ويستغفرُ ويدعو حتى يُصبح. وكان يحيي ما بين الظهر والعصر[٩].

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): اشترى. ولا معنى لها. وصححت اللفظة من قِبلي. فقد جاء في «حلية الأولياء» ١/ ٢٩٧ عن نافع أن ابن عمر اشتهى عنباً وهو مريض، فاشتريتُ له عنقوداً بدرهم... وفي رواية أخرى عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه اشتكى، فاشتُرِيَ له عنقودُ عنب بدرهم... ولم يرد هذا الخبر في (ص) و(م).

(٢) في «الحلية» في الروايتين المذكورتين آنفاً أن السائل الأول هو الذي عاد وسأل.

(٣) في «القاموس»: الظِّمْءُ: ما بين الشَّربتين والوِرْدَيْن... «وما بقي منه إلا ظِمْءُ الحمار» أي: يسير؛ لأنه ليس شيءٌ أقصرَ ظِمْئاً منه. والخبر بنحوه في «الحلية» ١/ ٢٩٩.

(٤) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د). وفي(ص) و(م): جوارشناً.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٣٠٠. وهو بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٤/ ١٤٠، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ٦٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) المصدر السابق ١/ ٢٩٩، وفيه أيضاً ١/ ٣٠٠، وفي «طبقات» ابن سعد ٤/ ١٤٠: ما ملأتُ بطني من طعام من أربعة أشهر.

(٧) صفة الصفوة ١/ ٥٧٦.

(٨) الزُّهد لأحمد ص ٢٤١، ونُسب القول في(ص) و(م) لعبد الله بن أحمد عن أبيه.

(٩) حلية الأولياء ١/ ٣٠٣-٣٠٤. ونُسب القول في(ص) و(م) إليه. وينظر «الزهد» لأحمد ص ٢٤١.

وقال ابن أبي الدنيا: شربَ ابنُ عمر يوماً ماءً بارداً، فبكى بكاءً شديداً، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: آيةٌ في كتاب الله عزَّ وجلّ أبكَتْني: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئاً كشهوتهم الماء البارد، وقد قال الله: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: ٥٠] الآية[(١)].

وقال جابر بن عبد الله: ما أدركْنا أحداً إلا وقد مالَتْ به الدنيا إلا عبد الله بن عمر[(٢)].

[وروى أبو نُعيم عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؛ بكى حتى يغلبه البكاء][(٣)].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا يصيبُ عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله؛ وإن كان عليه كريماً[(٤)].

وقيل له: مات فلان وترك مئة ألف، فقال: لكن هي لم تتركه[(٥)].

وقال له رجل: يا خيرَ الناس. قال: ما أنا بخير الناس، ولكني عبدٌ من عباد الله، أرجو اللهَ وأخافُه، واللهِ لن تزالوا بالرجل حتى تُهلكوه[(٦)].

ونزل على رجل، فأقام عنده ثلاثاً، ثم قال: يا نافع، أَنْفِقْ علينا من مالنا[(٧)].

[وقال ابنُ عمر: ما بتُّ ليلةً منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يذكر الوصيَّة إلا ووصيَّتي عند رأسي مكتوبة. أو: وصيَّتي عندي][(٨)].

وكان يأكل الدَّجاج والفراخ والخَبِيص.

وكان في زمان الفتنة لا يأتي أميرٌ إلا صلَّى خلفَه، وأدَّى إليه زكاة مالِه.

---

(١) الزُّهد لأحمد ص ٢٣٨ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٩٤ . ونُسب القول في (ص) و(م) ليعقوب بن سفيان، وينظر «المستدرك» ٣/ ٥٦٠ .

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ . وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٠٦ . ونُسب الخبر في (ص) و(م) إليه.

(٥) المصدر السابق.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٣٠٧ .

(٧) المصدر السابق ١/ ٣١١ .

(٨) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٨ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

وكان يقول: لا أُقاتل في الفتنة، وأُصلِّي مع من غلب(١).

وكان يصلِّي خلف الحجاج بمكة، فلما أخَّر الحجاح الصلاة لم يشهدها معه، وخرج منها.

[قال ابن سعد:] ولمَّا قُتل عثمان رضوان الله عليه قال الناس له: إنك سيِّدُ الناس وابنُ سيِّدهم، فهلمَّ نُبايِعْك وإلا قتلناك، فقال: والله لا أُريقُ بسببي مِحْجَمَةَ دم من هذه الأمَّة(٢).

وجاءه رجل، فقال: ما أحدٌ شرّاً لأمَّة محمد ﷺ منك، فقال: ولم؟! فواللهِ ما سفَكْتُ دماءهم، ولا فرَّقتُ جماعتَهم، ولا شَقَقْتُ عصاهم! قال: إنك لو شئتَ ما اختلف عليك اثنان. فقال: واللهِ ما أُحبُّ أنَّها أتَتْني ورجلٌ يقول: لا، وآخرُ يقول: بلى(٣).

وكتبَ إلى أبيه: من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب.

[قال: وكان يتنوَّر، يطليه صاحب الحمَّام، فإذا بلغ العانةَ؛ وَلِيَها بيده.

وفي رواية: ما تنوَّر إلا مرَّةً واحدة](٤).

وكان يدخلُ الحمَّام ويقول: بئس البيتُ نُزِعَ منه الحياء، ونِعْمَ البيتُ يتذكَّرُ فيه من أرادَ أن يتذكَّر.

[قال: وخَدِرَتْ رِجْلُه يوماً، فقيل له: ادْعُ أحبَّ الناس إليك. فقال: يا محمد. فبسطها](٥).

وقال: إني لأخرجُ من بيتي ما أخرجُ إلا لأُسَلِّمَ، أو يُسَلَّمَ عليَّ(٦).

وحضر يوماً بمكة والحَجَّاج يخطب، فأطال، فناداه: الصلاةَ أيُّها الرجل. فلم يلتفت، فناداه ثانياً وثالثاً ورابعاً وهو قاعد، فقال للجماعة: إنْ نهضتُ أتنهضونَ معي؟ قالوا: نعم. فنهض وقال: الصلاةَ، فإنِّي لا أرى لك فيها حاجة. فنزل الحَجَّاج فصلَّى،

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٩.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٤١، وبنحوه في «حلية الأولياء» ١/ ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٤٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٤. والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٤. وما بين حاصرتين من (ص).

(٦) المصدر السابق ٤/ ١٤٥.

ثم دعاه فقال: ما حملَكَ على ما صنعتَ؟ فقال: إنَّما نَجِيءُ للصلاة، فإذا صلَّينا لوقتها فبَقْبِقْ بعد ذلك ما شئْتَ من بقبقة[١].

وخطب الحجَّاج يوماً، فأخَّر الصلاةَ، فصاح به ابنُ عمر ﷺ: يا حجَّاج، إنَّ الشمس لا تنتظرُك، فقال الحجَّاج: لقد هممتُ أن أضربَ الذي فيه عيناك، فقال: إنْ تفعلْ فإنك سفيهٌ مُسَلَّط. فقال الحجاج: إنك شيخٌ قد خَرِفتَ. وبلغَ عبدَ الملك، فأنكرَ على الحجَّاج[٢].

وقال: خذُوا بحظِّكم من العُزْلة[٣].

وكانَ يتوضَّأ لكلِّ صلاة، ثم يصلي [في بعض الأيام] الصلوات الخمس بوضوء واحد[٤].

[وقال ابنُ سعد بإسناده إلى يوسف بن ماهَك قال: انطلقتُ مع ابن عمر إلى عُبيد بن عُمير وهو يقصُّ على أصحابه، فنظرتُ إلى ابن عمر؛ فإذا عيناه تَذْرِفان.

وفي رواية: فأردتُ أنْ أقوم إلى عُبيد بن عمير فأقول له: أقصِرْ، فقد آذيتَ الشيخ هذا][٥].

وأقام بأذَرْبِيجان ستةَ أشهر حبسه بها الثلج، فكان يقصر الصلاة.

[قال: ومرَّ يوماً على يهود، فسلَّم عليهم ولم يعلم، فقيل له: إنهم يهود، فقال: رُدُّوا عليَّ سلامي].

وقال نافع: تصدَّق ابن عمر بداره محبوسةً لاتُباعُ ولا تُوهَبُ، ومَنْ سَكَنَها من ولده لا يُخرَجُ منها، ثم سكنها ابنُ عمر.

وكان إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٩ .

(٢) ينظر «الاستيعاب» ص ٤٢٠ ، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ٤٢ـ٤٣ ولم يرد هذا الخبر في (ص) و(م).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٤٩ و١٥٠ ، وما بين حاصرتين من (م).

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١٥١ . والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

وكان يمشي كلَّ سبت إلى قُباء ونعلاه في يديه.

[قال الزُّهري: كان يتَّبع السُّنَّة، كأنَّ النبيَّ ﷺ يفعل ذلك.

قال:] وما كان يوقظ أحداً من مرقده[(١)].

وقال إسماعيل السُّدِّيّ: أدركتُ نفراً من الصحابة؛ منهم أبو سعيد الخُدْري، وأبو هريرة، وجابر[(٢)]، وغيرهم، فكانوا يرون أن ليس فيهم أحدٌ على الحال التي فارق عليها النبي ﷺ إلا عبد الله بن عمر.

وقالت عائشة ﵂ لابن عمر ﵄: ما منَعك أن تنهاني عن مسيري إلى البصرة؟ قال: رأيتُ ابنَ الزبير قد استولى عليك، فقالت: لو نهيتَني ما خرجتُ.

وكانت عائشة ﵂ تحبُّه وتعظِّمه، وإذا دخل المسجد تقول: أَرُونيه. فلاتزال تنظر إليه حتى يذهب[(٣)].

[قال الواقدي:] وكان ابن عمر ﵄ قد أصابته في آخر عمره لقوة فاكتوى[(٤)]، وذهب بصره ممَّا[(٥)] كان يغسل باطن عينيه[(٦)].

[وكذا ابنُ عباس.

---

(١) ينظر ما سلف في المصدر السابق ٤/ ١٥١ ـ١٥٣ . وما بين حاصرتين من (ص) و(م)، ونسبت الأقوال فيهما إلى ابن سعد.

(٢) في تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٤ : وابن عمر، بدل: وجابر. وهو الأشبه بسياق الكلام.

(٣) تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٣ .

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في(ص): فما. وينظر التعليق التالي.

(٦) اختلف نقل هذه المسألة عن ابن عمر ﵄، فذكر الشيرازي في «المهذّب» أنه ﵁ كان يغسلُ عينيه حتى عميَ. وذكره ابن القيِّم في «زاد المعاد» ١/ ٤٧ بلفظ: حتى عميَ من ذلك. وشَرَحَ النووي في «المجموع» ١/ ٤١٣ قول الشيرازي فقال: قوله: «حتى عميَ، يحتمل أن يكون عماه بسبب غسل العين، كما هو السابق إلى الفهم، وكما يدلّ عليه كلام أصحابنا، ويحتملُ كونُه بسبب آخر، ويكون معناه: مازال يغسلهما حتى حصل له سببٌ عَمِيَ به، فتركَ بعد ذلك غَسْلَهما». اهـ وذكر النووي أيضاً أن هذا الخبر رواه مالك وغيره بلفظ: يغسلُ وجهَه، وينضحُ في عينيه. قال: وليس في رواياتهم: حتى عميَ. اهـ غير أن ابن العربي ذكر عنه خلاف ذلك في «أحكام القرآن» ٢/ ٥٦١ ـ ونقله عنه القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٣٣٠ ـ فقال: «كان ابنُ عمر لَمَّا عميَ يغسلُ عينيه؛ إذ كان لا يتأذَّى بذلك». والله أعلم.

قلتُ: وهذا مذهبُ أهل الظاهر؛ غَسْلُ باطن العينين، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ولا حجَّة لهم في الآية؛ لأن الوجه مشتقٌّ من المواجهة، وذلك يكون بالظاهر دون الباطن، وفعلُ ابن عمر وابن عبَّاس من أدَلّ الدليل على الكراهة لأنه ذهب ببصريهما، وفعلُ ما يُخاف منه ذهاب البصر أو بعضه حرام بإجماع الأمة. وقيل: إن العين شحم، والشحم لا يقبلُ الماء. وكان ﷺ والصحابة لا يغسلون باطن عيونهم، وكفى به قدوة][1].

وكان رضي الله عنه أعلمَ الناس بالمناسك؛ كان معاوية بن أبي سفيان بالأبطح ومعه بنتُ قَرَظة زوجتُه، وإذا هو بجماعةٍ على رِحالٍ لهم، وشابٌّ منهم قد رفع عَقِيرَتَه وهو يقول:

مَنْ يُساجِلْنِي يُساجِلْ ماجداً أخضرَ الجِلْدةِ من بيتِ العَرَبْ

فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: عبد الله بنُ جعفر. فقال: خَلُّوا له الطريق فليذهب.

وإذا بآخر قد قدم وهو يقول:

بينما يذكُرْنَني أبْصَرْنَني عند قِيدِ المِيلِ يسعى بي الأغَرّ
قُلْنَ تَعْرِفْنَ الفتى؟ قُلْنَ نعم قد عَرَفْناه وهل يخفى القَمَرْ؟

فقال: من هذا؟ قالوا: عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر، فقال: خلُّوا له الطريق فليذهب.

ثمَّ مرَّت جماعةٌ، وإذا رجل بينهم يُسأل، فقال له رجل: رميتُ الجِمار قبل أن أحلق، وقال آخر: حلقْتُ قبل أن أرمي؛ لأشياء أشكلَتْ عليهم من مناسك الحجّ، فقال معاوية: من هذا؟ قيل: عبد الله بنُ عمر. فالتفتَ معاويةُ إلى ابنة قَرَظَة وقال: هذا ـ وأبيكِ ـ الشَّرف، هذا ـ واللهِ ـ شَرَفُ الدنيا والآخرة[2].

---

(١) من قوله: وكذا ابنُ عباس... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) و(م).

(٢) جمهرة نسب قريش ٢/ ٧٨٨ـ٧٨٩ . وأخرجه من طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٧/ ٧٩ (طبعة مجمع دمشق).

ذكر وفاته رضي الله عنه:

[روى ابن سعد عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقول: اللهمَّ لا تَجْعَلْ منيَّتي بمكة. كأنه كره أن يموت في الأرض التي هاجر منها. وقد تقدَّم هذا في ترجمة سعد بن أبي وقَّاص وسعد بن حولة.

وقال ابن سعد بإسناده إلى عطيَّة العَوْفي قال: سألتُ مولًى لعبد الله بن عمر عن موته فقال:] كان أصابه رجل من أهل الشام بزُجٍّ[1] في رِجْلِه، فأتاه الحجَّاج يعودُه، فقال: لو أعلمُ الذي أصابَك لضربتُ عنقه. فقال عبد الله رضي الله عنه: أنتَ أصبتني. قال: وكيف؟ قال: يومَ أدخلتَ حَرَمَ اللهِ السلاحَ.

[وفي رواية ابن سعد:] فلما خرجَ الحجَّاج من عنده قال رضي الله عنه: ما آسَى من الدنيا على شيء إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وألا أكون قاتلتُ هذه الفئةَ الباغيةَ التي حلَّتْ بنا[2].

وقال الزبير بن بكَّار: لمَّا كتب ابنُ عمر إلى عبد الملك ببيعته إيَّاه؛ كتبَ عبدُ الملك إلى الحجَّاج: لا تخالف ابنَ عمر في المناسك. وكان ابن عمر يقف في الموقف الذي شهد فيه رسول الله ﷺ في حَجَّة الوَداع، فأخَّر الحجَّاجُ الوقوف، فمرَّ ابنُ عمر على سُرادق الحَجَّاج [فصاح به، فخرج في مُعَصْفَرةٍ، وقال: أمهلني حتى أَصُبَّ عليَّ ماءً. فقال: عَجِّلْ. فاغتسل الحجَّاج] وجاء فوقف عند ابنِ عمر، ثم أمرَ رجلاً من أصحابه بيده حَرْبةٌ مسمومةٌ أن يَنْخَسَ ابنَ عمر، فنَخَسه، فلصقَتْ رِجْلُه بالرِّكاب، فمرضَ أياماً ثم مات. وكان ابن عمر قد ثَقُلَ على الحجَّاج[3].

[قال: وكان ابنُ عمر على نَجيبة، فلما أصابه الزُّجُّ سال الدم، فقال له ابنُه سالم: ما هذا الدَّمُ الذي يسيلُ على كتف النَّجِيب؟ قال: ما شعرتُ به. ثُم نزع رجله من الغرز وقد لزقت قدمُه بالغرز، فقال: ما شعرتُ بما أصابني.

(١) الزُّجُّ: الحديدة التي في أسفل الرُّمح.

(٢) الروايتان في «طبقات ابن سعد» ٤/ ١٧٣.

(٣) جمهرة نسب قريش ٢/ ٧٨٦_٧٨٧، وتاريخ دمشق ٣٧/ ٤٢_٤٣. وينظر «طبقات» ابن سعد ٤/ ١٧٥. وكلُّ ما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

وحكى ابن سعد عن أيوب، قلت لنافع: ما كان بدء موت ابن عمر؟ قال: أصابته عارضةُ مَحْمِل بين أصبعين من أصابعه عند الجمرة، فمرض] وأتاه الحجَّاجُ يعودُه، فلما دخلَ عليه غَمَّضَ عبدُ الله رضي الله عنه عينيه، فكلَّمه الحجَّاج، فلم يكلِّمه، فخرج من عنده وهو يقول: إن هذا يقول: إني على الضرب الأول(١).

ومات بمكة في دار خالد بن عبد الله بن أسيد بعد منصرف الناس من الحج(٢)، ودُفن بالمحصَّب سنة أربع وسبعين في آخر ذي الحجة وهو ابن أربع وثمانين سنة.

وأوصى أن يدفن خارجاً من الحرم، وقال: أكرهُ أن أُدفنَ فيه بعد ما خرجتُ منه مهاجراً، وأن لا يُصلِّيَ عليه الحجَّاج، فقال له سالم ابنه: إلا أن يغلبنا الحجَّاج فيصلي عليك. فسكت. فلما مات صلَّى عليه الحجاج(٣).

ولم يقدر(٤) على إخراجه من الحرم، فدفنوه [في الحرم] بفخّ في مقبرة المهاجرين نحو ذي طُوى(٥).

[قال الواقدي: في سنة أربع وسبعين. وكذا ذكر جدّي في «الصفوة» و«التلقيح»(٦).

وقيل: مات في سنة ثلاث وسبعين بعد قتلِ ابنِ الزبير رضي الله عنه بستة أشهر(٧)، وهو آخر من مات من الصحابة بمكة رضي الله عنه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٤ . وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م). ووقع فيهما اختلاف في ترتيب الأخبار عن النسخ الأربعة الأخرى.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١١١ (طبعة مجمع دمشق). ونسب القول في (ص) و(م) إليه.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٥ . وينظر «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١٠٨-١٠٩ .

(٤) في (ص) و(م): يقدروا.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٥ .

(٦) صفة الصفوة ١/ ٥٨٢ ، وتلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣٩ .

(٧) في تاريخ دمشق ٣٧/ ١١٠ : مات ابن عمر بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر أو شهرين . ونُسب القولُ في (ص) و(م) لأبي نُعيم وابن عبد البر. ولم أقف عليه من قول أبي نعيم. وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص ٤٢٠ : مات بمكة سنة ثلاث وسبعين لا يختلفون في ذلك بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو نحوها، وقيل: لستة أشهر.

ذكر أولاده

[قال ابن سعد:] كان له من الولد [اثنا عشر ذكراً، وأربع بنات]: أبو بكر، وأبو عُبيدة، وواقد، وعبد الله، وعُمر، وحفصة، وسَوْدَة، وأمُّهم صفيَّة بنتُ أبي عُبيد بن مسعود الثَّقفي، وعبد الرحمن [وبه كان يكنى] وأمُّه أمُّ علقمة بنتُ يافش[١] بن وَهْب، فِهريَّة. وسالم، وعُبيدُ الله، وحمزة، وأمُّهم أمُّ ولد، وزيد، وعائشة، وأمُّهما أمُّ ولد، وبلال لأمّ ولد، وأبو سلمة وأبو قِلابة لأمّ ولد[٢]. ويقال: إن أمَّ زيد بن عبد الله سهلة بنت مالك بن الشحَّاح من بني تغلب.

[وهذا قول ابن سعد، وزاد الموفَّق رحمه الله أبا عُبيد وعثمان][٣].

وكان زيدٌ أكبرَ ولدِ عبدِ الله، فارقَ أباه في حياته، ونزلَ الكوفةَ، فمات بها، وله بها عقب وباليمن.

وكان له من الولد: محمد، وأمُّ حُميد، وأمُّ زيد، وفاطمة، وأمُّهم أمُّ حكيم بنت عُبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبدُ الله، وإبراهيم، وعمر، وفاطمة، وحفصة، لأمِّ ولد[٤].

وأمَّا بلالُ بن عبد الله؛ فكان له من الولد: عبدُ الرحمن[٥].

وقيل: ماتَ صغيراً ولم يُعقب، وكان أشجّ [فكان أبوه عبد الله يقول له: يا بلال، أرجو أن تكون أشجَّ بني الخطاب][٦].

---

(١) المثبت من (ص)، وفي (أ) و(ب): نافس، ولم تجوَّد اللفظة في غيرها، وفي «طبقات» ابن سعد ٤/ ١٣٣ : ناقش.

(٢) من قوله: وبلال لأم ولد... إلى هذا الموضع، جاء في (أ) و(ب) و(خ) و(د) آخر الفقرة (الصفحة التالية)، وأثبتُّها هنا كما هي في (ص)، وهو الأنسب بسياق الكلام وموافق أيضاً لما في «الطبقات» ٤/ ١٣٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٣ ، والتبيين في أنساب القرشيين ص ٤٠٨ . ومن قوله: وهذا قول ابن سعد... إلى هذا الموضع، من (ص) وجاء ذكر أبي عبيد وعثمان في النسخ الأربعة آخر الفقرة مع العبارة المذكورة في التعليق السابق.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠١ـ٢٠٢ . وينظر «نسب قريش» ص ٣٥٧ .

(٥) المصدر السابق.

(٦) المعارف ص ١٨٧ . وما بين حاصرتين من (ص) وحدها، ونُسب القول فيها لابن قدامة. ولم أقف عليه في «التبيين».

وأما واقد بن عبد الله؛ فكان له أولاد، منهم: عبدُ الله، وأمُّه أَمَةُ الله بنت عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة، مات[١] بالسُّقْيا وهو مُحرم، فكفَّنَه أبوه في خمسة أثواب، وصلَّى عليه ودفَنَه.

وكان عبد الله بن واقد من رجالات بني عديّ، [وفيه يقول الشاعر:

أحبُّ من النسوان كل خَرِيدةٍ لها حُسْنُ عبَّادٍ وجسمُ ابن واقدِ

وعبَّاد هو ابنُ حمزة بن عبد الله بن الزبير، وقد ذكرناه][٢].

وأمَّا حمزةُ بن عبد الله، فكنيتُه أبو عُمارة، [وهو أخو سالم لأمِّه وأبيه.

وذكره ابن سعد] وهو من الطبقة الثانية [من التابعين] من أهل المدينة [وأمُّه أمُّ ولد]. كان ثقة قليل الحديث، حدَّث عن عائشة رضي الله عنها، [وروى عنه الزُّهري.

وذكره يحيى بن سعيد القطان في فقهاء المدينة الاثني عشر، فقال: حمزة، وسالم، وزيد، وبلال، وعُبيد الله؛ أولاد عبد الله بن عُمر[٣].

وأما عُبيد الله بن عبد الله بن عمر؛ فسنذكره.

وقال الزُّبير بن بكَّار:] ومن بنات عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابنة كانت عند عَمرو بن عثمان بن عفَّان، وأُخرى عند عروة بن الزبير[٤]، وما عدا هؤلاء فسيُذكرون في تراجمهم إن شاء الله تعالى[٥].

وقال ابن المسيِّب: قال لي عبد الله بنُ عمر: هل تدري لِمَ سمَّيتُ ابني سالماً؟ قلت: لا. قال: باسم سالم مولى أبي حذيفة، وسمَّيتُ عبدَ الله بعبد الله بن رواحة، وسمَّيتُ واقداً باسم واقد بن عبد الله اليربوعي[٦].

---

(١) يعني واقداً، وأمَّا ابنُه عبدُ الله فمات سنة (١١٧) ينظر: «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٠٢ و٤٥٧ .

(٢) المعارف ص ١٨٧. وما بين حاصرتين من (ص)، ونُسب القول فيها لابن قدامة. وهو بنحوه في «التبيين» ص ٤١٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠١ . وينظر «تهذيب الكمال» ٧/ ٣٣٠ـ٣٣١ .

(٤) التي كانت عند عَمرو بن عثمان: حفصة، والتي كانت عند عروة: سَوْدَة، ينظر «جمهرة نسب قريش» ٢/ ٧٩٩ـ٨٠٠ ، و«نسب قريش» ص ٣٥٧ .

(٥) بعده في (أ) و(ب) و(خ) و(د) في هذا الموضع ما صورته: وبلال لأمّ ولد وأبو سَلَمة وأبو قلابة لأمٍّ ولد، وأبو عُبيد، وعثمان. وأثبتهم فيما سلف كما جاء في (ص)، وهو الأنسب بسياق الكلام، وقد نبَّهتُ على ذلك في موضعه.

(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٨ .

ذكر مسانيده

قال قوم: أسند ألفي حديث وستَّ مئة وثلاثين حديثاً، [وقال ابنُ البَرْقي: الذي جاء عنه نحو من ستِّ مئة حديث][١].

وأخرج له الإمام أحمد رضي الله عنه ثلاث مئة وأحد وخمسين حديثاً[٢].

وأُخرجَ له في «الصحيحين» مئتان وثمانون حديثاً، اتفقا على مئة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين[٣].

وأخرج له في «الصحيحين» مئتان وثمانون حديثاً، اتفقا على مئة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين[٤].

وروى رضي الله عنه عن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وسعدِ بن أبي وقّاص، ومعاذِ ابنِ جبل، وبلال، وأبي ذَرّ، ورافع بن خَدِيج، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخُدري، وزيد بن ثابت، وعائشةَ، رضي الله عنهم أجمعين.

وقيل: إنه لم يرو عن عليٍّ عليه السلام شيئاً.

وروى عن ابن عمر رضي الله عنه من الصحابة: ابنُ عبَّاس، وجابرُ بنُ عبد الله، والأغرُّ المُزَنيُّ[٥]، وغيرُهم.

وأمَّا من التابعين: فسالم، وعبدُ الله، وحمزة، وبلال، وزيد، وعُبيد الله: بنوه، والقاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق، وابنُ المسيَّب، وعُروة بنُ الزُّبير، وأبو سَلَمة وحُميد ابنا عبد الرحمن بن عَوْف، ومصعبُ بنُ سعد بنِ أبي وقاص، وسليمانُ بنُ

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٦٣ . والكلام بين حاصرتين من (ص) وحدها.

(٢) ينظر «مسند» أحمد (٤٤٤٨)... (٦٤٧٦)، وفي هذه الأحاديث مكررات.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٩٥ .

(٤) ينظر «مسند» أحمد (٤٤٤٨)... (٦٤٧٦)، وفي هذه نبَّهتُ على ذلك في موضعه.

(٥) وَهَّمَ المزي في «تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٣٤ : روايتَه عن الأغرّ. ووقع في النسخ غير (ص) و(م) (فليس فيها الكلام): السهمي، بدل: المزني. وهو خطأ.

يسار، وأسلم مولى عمر، ونافع وعبد الله بنُ دينار مولياه، وزيدُ بنُ أسلم، وخالدُ بنُ أسلم، والزُّبيري[١]؛ المدنيون.

وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعَمرو بنُ دينار، وكُريب، وعكرمة، وصدقة بن يسار، وعبد الله بن أبي مُلَيْكة، وأبو الزُّبير محمد بن مسلم؛ المكِّيُّون.

وسعيدُ بنُ جبير، والشَّعبي، وعَوْن بن عبد الله بن عُتبة، ومحارب بن دِثار، وموسى ابن طلحة بن عُبيد الله، وعبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى، وأبو البَخْتَريّ سعيدُ بنُ فيروز الطائي، ومسروق، وجَبَلة بن سُحيم، وزاذان أبو عمر، ويزيد بن صُهيب الفقير[٢]؛ الكوفيون.

والحسنُ البصريّ، وابنُ سِيرِين، وأخوه أنس بنُ سِيرِين، وصفوان بن مُحرز المازنيّ، وعبدُ الله بن شقيق، وبكر بن عبد الله المُزَنيّ، وثابت البُناني، وأبو عثمان النَّهْديّ، وأبو مِجْلَز، وأبو غَلَّاب يونُس بن جُبير، وأبو الصِّدِّيق النَّاجيّ، وقاسم بنُ ربيعة بن جَوْشَن؛ البصريُّون.

وجُبير بن نُفير الحضرميّ، وعبدُ الله بن مَوْهَب، والزُّبير بن الوليد، وكثير بن مُرَّة، وعُمير بن هانىء الدَّاراني، ويحيى بن راشد؛ الشاميُّون. وميمون بنُ مِهْران الرَّقِّيُّ، في خلق كثير من أهل الأمصار.

ولما نزل مصر؛ روى عنه أكثر من أربعين رجلاً، رضي الله عنه.

ومن مسانيده: عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: كان أبي إذا أتى الرجلَ وهو يريدُ السفرَ قال له: ادْنُ حتى أودِّعَك كما كان رسولُ الله ﷺ يُودِّعُنا فيقول له: «أستودعُ اللهَ دِينَكَ وأمانَتَكَ وخَواتيمَ عملِك»[٣].

---

(١) لم أعرفه ولم يرد في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٧ والكلام منه. وينظر أيضاً «تهذيب الكمال» ١٥/ ٣٣٤ـ٣٣٨.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د) (والكلام منها فقط): الفقيه، وهو تحريف. وقد قيل له: الفقير؛ لأنه كان يشكو فَقار ظهره.

(٣) مسند أحمد (٤٥٢٤).

[قال الإمام أحمد بإسناده عن نافع مولى ابن عمر أن ابن عمرَ سمعَ صوتَ زَمَّارةِ راعٍ، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعَدَلَ براحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع، أتسمع؟ وأنا أقول: نعم. فمضى حتى قلت: لا. فرفع يديه عن أذنيه، ورجع إلى الطريق، ثم قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وقد سمعَ صوتَ زَمَّارةِ راعٍ، فصنع مثلَ هذا.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» بهذا الإسناد(١).

وقال الإمام أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لُعِنتِ الخمرة على عشرة أوجه، لُعنت الخمرة بعينها، وشاربُها وساقيها، وبائعُها، ومبتاعُها، وعاصِرُها ومعتصِرُها، وحاملُها، والمحمولةُ إليه، وآكلُ ثمنِها»(٢).

وفي رواية: وحاضرها(٣).

وفي المتفق عليه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب»](٤).

وعن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون، فمَنْ صدَّقهم بكذبهم، وأعانَهم على ظُلمهم، فليس مني، ولن يَرِدَ عَلَيَّ الحوضَ».

وقال سالم بن عبد الله بن عمر: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرجُ نارٌ قَبْلَ يومِ القيامةِ من نحو حضرموت - أو من حضرموت - تحشرُ الناس». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: «عليكم بالشام»(٥).

[وليس في الصحابة مَن اسمه عبد الله بن عمر سواه].

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٥٢، ومسند أحمد (٤٥٣٥).

(٢) مسند أحمد (٤٧٨٧).

(٣) لم أقف عليها.

(٤) صحيح البخاري (٥٥٧٥)، وصحيح مسلم (٢٠٠٣). وهو في «مسند» أحمد (٤٧٢٩). ومن قوله: قال الإمام أحمد بإسناده عن نافع... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص).

(٥) مسند أحمد (٥١٤٦)، والذي قبله فيه برقم (٥٧٠٢).

وممَّن اسمُه عبد الله بن عمر [من غير الصحابة]

عبد الله بن عمر بن عبد الله

ابن عليّ العبشمي أبو عديّ[1] العَبْلِيّ، شاعر مخضرم في الدولتين.

وفدَ على هشام بن عبد الملك، فامتدحَه بقصيدة منها:

عَبْدُ شمسٍ أبوك وَهْوَ أبونا ... لا نُناديك من مكانٍ بعيدِ
والقَراباتُ بينَنا واشِجاتٌ ... مُحْكَماتُ القُوَى بِعَقْدٍ شديدِ[2]

فأعطاه ابنُ عبد الملك عطيَّةً لم يَرْضَها، وفَرَّقَ في بني مخزوم أخوالِه أموالاً، فقال:

خَسّ[3] حظِّي أَنْ كنتُ من عَبْدِ شمسٍ ... ليتني كنتُ من بني مخزومِ
فأفوزَ الغَداةَ فيهم بسهمٍ ... وأبيعَ الأبَ الكريمَ بِلُومِ

وكان العَبْلِيُّ يُنكرُ على بني أمية شَتْمَ عليٍّ عليه السلام، فنفَوْه عن الشام، فانتقلَ إلى المدينة وقال:

شرَّدُوني[4] عند امتداحي عليّاً ... ورأَوْا ذاك داءً دَوِيّا
فَوَرَبِّي لا أَبْرَحُ الدَّهْرَ حتّى ... تُخْتَلَى مهجتي أُحِبُّ[5] عليّا
وبَنِيهِ لِحُبِّ أحمدَ إنِّي ... كنتُ أحْبَبْتُهمْ بحبِّي[6] النبيّا
حبَّ دينٍ لا حبَّ دنيا وشرُّ الـ ... ـحُبِّ حبٌّ يكونُ دُنْياويّا

فنفَعَه ذلك لما ظهر بنو العباس فأمَّنوه.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): أبو علي، والتصويب من «تاريخ دمشق» ٣٧/ ١١٧ وغيره من المصادر.

(٢) الأغاني ١١/ ٣٠٣، و«تاريخ دمشق» ٣٧/ ١١٩. وجاء البيتان في «الأغاني» أيضاً ١١/ ٣٠٧ ضمن قصيدة. وروايته فيه: بحبلٍ شديدِ.

(٣) في النسخ المذكورة: حطّ. والمثبت من المصادر.

(٤) في «الأغاني» ١١/ ٣٠٣: شرَّدوا بي.

(٥) في «الأغاني»: بحبِّي، بدل: أحبُّ.

(٦) في (د) و(خ): كحبِّي، وفي (ب): لحبِّي. والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «الأغاني» ١١/ ٣٠٣.

ثم خرج بعد ذلك مع محمد بن عبد الله بن حسن على أبي جعفر، فلما قُتل طلبه أبو جعفر، فهرب.

عبد الله بن عمر بن أيوب

ابن المُعَمَّر بن قَعْنَب. قال: نهبَ الناسُ دارَ أبي الحُسين بن مكلاح النصرانيّ الكاتب بدمشق، وقصدوا قتله في سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة، فهربَ وكتبَ على باب داره:

ونَفْسَكَ فُزْ بها إنْ خِفْتَ ضَيْماً ... وخَلِّ الدارَ تبكي مَنْ بكاها
فإنك واجدٌ داراً بدارٍ ... ولستَ بواجدٍ نفساً سواها[1]

عوف بن مالك الأشجعي

[وكنيتُه] أبو عَمرو، وقيل: أبو عبد الرحمن[2]، من الطبقة الثالثة من المهاجرين [وذكره ابن سُميع في الخامسة].

شهد فتح خيبر [مسلماً]، وكانت بيده يوم الفتح راية أشجع، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الصَّعب بن جَثَّامة[3].

[وقال ابن سعد: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء][4].

وغزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينيَّة.

[وقال ابن منده:] وقدم مصر.

[وقال ابن سميع:] وكانت له دار بحمص وعقب.

وقال ابن عساكر: كانت له دارٌ بدمشق عند سوق الغزل[5].

ومات بحمص في سنة ثلاث وسبعين. وقيل: في سنة أربع وسبعين. وقيل: سنة خمس وسبعين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، وهو وهم.

---

(١) تاريخ دمشق ٣٧/ ٥ـ٦ (طبعة مجمع دمشق).
(٢) ذكر ابن عساكر ٥٦/ ١٩٤ أنه يكنى أيضاً أبا محمد.
(٣) تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٠٦ (طبعة مجمع دمشق).
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٩ . وكلُّ ما سلف وسيرد بين حاصرتين من (ص).
(٥) تاريخ دمشق ٥٦/ ١٩٤ . وكلام ابن منده وابن سميع (السالف) فيه ص ٢٠٢ و٢٠١ على الترتيب.

أسند الحديث عن رسول الله ﷺ [وأُخرج له في «الصحيحين» ستة أحاديث، منها حديث للبخاري وخمسة لمسلم[١].

وليس في الصحابة من اسمه عوف بن مالك سواه].

وروى عنه من الصحابة: أبو أيوب الأنصاري، والمقدام بن معدي كرب[٢]، وأبو هريرة.

ومن غيرهم: جُبير بن نُفير، وأبو بُرْدَة بنُ أبي موسى، والشَّعبي[٣]، وأبو مسلم وأبو إدريس الخَوْلانيَّان.

وكان أبو مسلم إذا حدَّثَ عنه يقول: حدَّثني الحبيبُ الأمين ـ فأمَّا هو إليَّ فحبيب، وأمَّا هو عندي فأمين ـ عوفُ بنُ مالك الأشجعي. ثم روى عنه حديثاً؛ أخرجه مسلم بإسناده إلى أبي مسلم الخَوْلاني قال: حدَّثني عوفُ بنُ مالك قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال: «ألا تُبايعون رسول الله؟»، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، وكنَّا حديثَ عهدٍ ببيعة، فقال: «ألا تُبايعون رسول الله؟» فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، علام نُبايعُك؟ قال: «أن تعبدوا اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا تُشركوا به شيئاً، والصلواتِ الخمس، وتطيعوا ـ وأسر كلمة خفية ـ ولا تسألوا الناسَ شيئاً». قال: فلقد رأيتُ بعضَ أولئك النَّفر يسقُطُ سَوْطُ أحدِهم، فما يسألُ أحداً أن يُناولَه إيَّاه حتى ينزل فيأخذَه[٤].

[قال ابن سعد:] وجاء عوف يوماً إلى عمر بنِ الخطاب رضوان الله عليه وبيده خاتمٌ من ذهب، فضرب يدَه وقال: أتلبس الذهب؟! فرمى به، فجاء من الغد وبيده خاتم من حديد، فقال عمر رضي الله عنه: حِلْيَةُ أهلِ النار. فجاءه من الغد وبيده خاتم من وَرِق، فسكت عمر رضي الله عنه[٥].

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٣٩٧.

(٢) لم أقف على رواية للمقدام بن معدي كرب عن عوف بن مالك. وروى الطبراني في «المعجم الكبير» ١٨/ ٣٨ له حديثاً بينهما أبو أيوب الأنصاري.

(٣) قال المزِّي في «تهذيب الكمال» ٢٢/ ٤٤٤: الصحيح أن بينهما سُويد بن غَفَلَة.

(٤) صحيح مسلم (١٠٤٣). وفيه قوله: «ألا تبايعون رسول الله» ثلاث مرات. وأخرجه أيضاً ابن عساكر ٥٦/ ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٩. وما بين حاصرتين من (ص).

مَعْبَد بن خالد

أبو زُرْعة الجُهَني، من الطبقة الثالثة من المهاجرين.

[قال ابن سعد:] أسلم قديماً [وكان] مع كُرز بن جابر الفِهْريّ حين بعثه رسولُ الله ﷺ إلى العُرَنيِّين الذين أغاروا على لِقاح النبيِّ ﷺ بذي الجَدْر[١]، وهو أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جُهينة التي عَقَدَها لهم رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح. وكان ألزَمَهم للبادية.

وقيل: إنه مات في سنة اثنتين وسبعين، وقيل: سنة أربع وسبعين[٢].

[وليس في الصحابة مَن اسمُه معبد بن خالد غيره.

وله رؤية، وليس له رواية. وجملةُ مَن في الصحابة ممّن اسمُه معبد فثلاثة عشر:

أحدهم هذا.

والثاني: معبد بن مسعود السلمي.

والثالث: معبد بن هُوذة الأنصاري. وهذان لهما صحبة ورواية.

والرابع: معبد بن أكثم الكعبي.

والخامس: معبد بن الحارث بن قيس.

والسادس: معبد بن خليد بن أثبة[٣].

والسابع: معبد بن عبادة بن قشعر. واختلفوا فيه؛ قال الواقدي: كنيتُه أبو خميصة؛ بخاء معجمة، وقيل: أبو حميصة؛ بحاء مهملة. وقال أبو معشر: أبو عُميصة؛ بعين مهملة مضمومة. وقال ابن إسحاق: هو معبد بن عبَّاد بن بشير.

والثامن: معبد بن عبد سعد[٤] بن عامر.

---

(١) هو مَسْرَحٌ على ستة أميال من المدينة. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١١٤ . والعُرَنِيُّون: أُناسٌ من عُرينة قتلوا راعي النبيِّ ﷺ، فاقتصَّ منهم وقتلهم. ينظر خبرهم في «صحيح» البخاري (٢٣٣)، و«صحيح» مسلم (١٦٧١).

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٥.

(٣) لم تجوَّد اللفظة في (ص) (والكلام منها وحدها). والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٥/ ١٥٠ .

(٤) في (ص) (والكلام منها): ساعد. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٤/ ٢٨٤ ، و«تجريد أسماء الصحابة» ٢/ ٨٥ ، و«الإصابة» ٩/ ٢٤٣ .

والتاسع: معبد بن قيس بن صيفي بن صخر الأنصاري، واختلفوا فيه؛ فنسبه الواقدي كذا وابنُ عمارة. وأما ابنُ عقبة وابنُ إسحاق وأبو معشر فلا يذكرون في نسبه صيفياً.

والعاشر: معبد بن مخرمة بن قلع.

والحادي عشر: معبد بن وهب العبدي.

والثاني عشر: معبد بن أبي معبد الكعبي الخُزاعي، وأمُّه أمّ معبد، ويقال: معبد بن صُبيح.

والثالث عشر: معبد بن العبّاس بن عبد المطلب. وكلهم له رؤية، وليس له رواية، إلا مَنْ سمَّينا، وهما اثنان. والله أعلم][1].

السنة الخامسة والسبعون

فيها خرج ملك الروم بجيوشه، فنزل مَرْعَش، فجهَّز إليه عبدُ الملك أخاه محمد بنَ مروان، فهزمَ الروم وغَنِمَهم.

وفيها ولَّى عبد الملك الحجَّاج بنَ يوسف العراق دون خُراسان وسِجِسْتان، وولَّى المدينةَ يحيى بن الحكم بن [أبي] العاص؛ [عمَّ عبد الملك بن مروان].

وقدم الحجَّاجُ الكوفة في شهر رمضان.

واختلفوا في سبب توليته [على] العراق على قولين:

أحدهما: شَغَب أهل العراق وطمعُهم في الولاة.

والثاني: إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التَّيْميّ[2].

---

(١) من قوله: وليس في الصحابة من اسمه معبد بن خالد غيره... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص). وينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٢٥٤_٢٥٥.
وجاء بعده في (ص) ما صورتُه: آخر الجزء التاسع من مرآة الزمان، ويتلوه في الذي يليه الجزء العاشر السنة الخامسة والسبعون. وفيها خرج ملك الروم بجيوشه. والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) يعني بسبب كلام إبراهيم المذكور مع عبد الملك. وسيرد.

وهل سارَ الحجَّاج من الحجاز إلى العراق، أم وَفَدَ من الحجاز على عبد الملك، ثم سار إلى العراق؟ فيه قولان:

فقال عبد الله بن [أبي] عُبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر: خرج الحجاج[١] من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان والمهلبُ [بن أبي صُفرة] يقاتلُ الخوارج وقد تقاعد عليه أهل البصرة والكوفة، فلما ورد الحجَّاجُ القادسية سار في اثني عشر راكباً، فوافى مسجد الكوفة وقت الأذان، فبدأ بالمسجد وهو متعمِّم بعمامة خَزٍّ حمراء، فصَعِدَ المنبر، فجلس وهو ساكت، وقال: عليَّ بالناس، فحسِبُوه خارجةً[٢]، فهمُّوا به وقالوا: لعنَ الله من بعث بهذا. وكان قبيحَ الصورة، دميماً، وهمُّوا بِحَصْبِهِ، فقال لهم محمد بن عُمير: اصبروا حتى تسمعوا ما يقول[٣]، فقام وكشف عن وجهه، وأنشد:

أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنايا[٤] ... متى أَضَعِ العِمامَةَ تعرفوني
صليبُ العُودِ من سَلَفَيْ نزارٍ[٥] ... كنَصْلِ السَّيفِ وَضَّاحُ الجبينِ

ثم قال: يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، إني[٦] أرى رؤوساً قد أينعَتْ وحانَ قِطافُها، وإنِّي - واللهِ - لَصاحبُها، أنا الحجَّاج بن يوسف الثقفيّ، إني[٧] - واللهِ - لأنظرُ إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى.

---

(١) جاء في (ص) بعد قوله: فيه قولان، ما صورتُه: قال الوليد بن مسلم: سار من الحجاز إلى العراق. وقال الهيثم: بل قدم على عبد الملك، فولّاه العراق، ثم سار من الشام إلى العراق. وَجْهُ قول من قال: إنه سار من الحجاز إلى العراق ما روى الوليد بن مسلم بإسناده إلى عبد الله بن [أبي] عُبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر قال: خرج الحجاج...

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٢ . وفي «العقد الفريد» ٤/ ١١٩ : فحسبوه وأصحابه خوارج.

(٣) يقارن الخبر بما في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٤ ، و«المنتظم» ٦/ ١٥١ .

(٤) ابنُ جَلَا: الصبح، لأنه يجلو الظلمة أي أنه منكشف الأمر. والثنايا: ما صغُر من الجبال ونتأ. ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٥ .

(٥) المنتظم ٦/ ١٥١ . وفي «العقد الفريد» ٤/ ١٢٠ : رباح، بدل: نزار.

(٦) المثبت من (أ) وهو الموافق للمصادر. وفي النسخ الأخرى: مالي.

(٧) في (أ): كأني. وفي «المنتظم» ٦/ ١٥٢ : لكأني.

قد شمَّرَتْ عن ساقها تشميرا[(١)]

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ
ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ[(٢)]
باتُوا نِياماً وابنُ هِنْدٍ لم يَنَمْ

قد لَفَّها الليلُ بِعَصْلَبِيِّ مُهاجِرٍ ليس بأعرابيِّ
أرْوَعَ خرَّاجٍ من الدَّوِيِّ[(٣)]

يا أهل الشِّقاق ومساوىء الأخلاق، إنَّ أمير المؤمنين نثلَ[(٤)] كِنانَتَه بين يديه، فعَجَم عِيدانَها عُوداً عُوداً، فوجدَني أمرَّها، وأحدَّها نَصْلاً، وأقومَها قَدْحاً[(٥)]، فبعث بي إليكم، فإنْ تستقيموا تستقم [لكم الأمور] وإن أخذتُم بثنيَّات الطريق لا أقلتُكم عَثْرَة، ولا قبلتُ منكم معذرة، ولأعْصِبنَّكم عَصْبَ السَّلَم، ولأضربنَّكم ضَرْبَ غرائب الإبل، ولأقْرَعَنَّكم قَرْعَ المَرْوَة، فطالما ارتضعتُم ثديَ الضلالة[(٦)]، وسلكتم سبيل الغَواية، وتماديتُم في الجهالة، يا عَبيد العصا، ويا أولاد الإماء، أنا الغلام الثقفيّ؛ لا أَعِدُ إلا وفَيت، ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْت[(٧)]، فإيَّاكم وهذه الزَّرافات، يا بني اللَّكيعة[(٨)]، ما أنتم وذاك؟ إنما مَثَلُكم كما قال الله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٣. وفي «البيان والتبيين» ٢/ ٣٠٨: فشمِّرا. وفي «العقد الفريد» ٤/ ١٢١: فشدُّوا، وفي «مروج الذهب» ٥/ ٢٩٤: فَجِدُّوا.

(٢) قال الطبري ٦/ ٢٠٥: زِيَم: اسم للحرب، والحُطَم: الذي يحطم كل شيء يمرُّ به. والوَضَم: ما وُقِيَ به اللحم من الأرض.

(٣) العَصْلَبيّ: الشديد. والدّويّة: الأرض الفضاء التي يُسمع فيها دويّ أخفاف الإبل. قاله الطبري.

(٤) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د) يعني استخرج. ولم يرد الخبر في (ص) و(م). وجاء في هامش (أ): لعله: نثر. وهي كذلك في «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٠٣، و«العقد الفريد» ٤/ ١٢١، و«مروج الذهب» ٥/ ٢٩٥. وفي «البيان والتبيين» ٢/ ٣٠٩: كبَّ.

(٥) في «مروج الذهب» ٥/ ٢٩٥: «أمرَّها طعماً، وأحدَّها سناناً، وأقواها قِداحاً». وقوله: عَجَمَ عيدانَها، أي: عضَّها. قاله الطبري.

(٦) في «مروج الذهب»: أوضعتم في الضلالة. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٧) أي: ما قدَّرْتُ إلا قطعت. ينظر «اللسان» (خلق).

(٨) اللَّكيعة: الأمَّة اللئيمة. وبنو اللكيعة: قوم. ينظر «اللسان» (لكع).

رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] شاهَت الوجوه، فأنتُم أشباهُ أولئك، فاستوسقوا واستقيموا، فواللهِ لأُذِيقنَّكُمُ الهَوان حتى تَدِرُّوا، ولأعْصِبنَّكُم عَصْبَ السَّلَمة حتى تنقادوا، فطالما أوْضَعْتُم في الفتن، وسننتُم سنن الغَيّ[١]، أُقسم بالله لَتَدَعُنَّ الإرجاف، ولَتَقْبَلُنَّ الإنصاف، ولَتَدَعُنَّ الخلاف ولتَنْزِعُنَّ عن قِيل وقال، وكان وكان، وأخبرَني فلان عن فلان، والهن وما الهن[٢]، أو لأَهْبِرَنَّكم بالسيف هَبْراً يدعُ النساءَ أَيَامَى، والوِلْدانَ يتامى، وحتى تمشوا السُّمَّهَى[٣]، وتُقلعوا عن ها وها، لا يركبنَّ أحدٌ منكم إلا وحدَه، وإياكم وهذه الزَّرافات، فلو ساغ لأهل المعصية معصيتُهم ما جُبِيَ فَيْء، ولا قُوتِلَ عدوّ، ولتعطَّلت الثُّغور، وقد بلغني رَفْضُكم المهلَّب وإقبالُكم إلى مِصْركم عصاةً مخالفين، وإني أُقسم بالله إن وجدتُ مِن بعثِ المهلَب بعد ثالثةٍ أحداً ضربتُ عنقَه، واللهِ لقد سألتُ اللهَ أن يبتليَكُم بي، وإنّي سريتُ البارحة، فسقطَ سوطي، وهذا سيفي عِوَضُه، وقد بان الصبح لذي عينين، وليس ممَّن يُقَعْقَعُ لي بالشِّنان[٤]، ولا أُغمَزُ تغماز التِّين[٥].

فتساقطت الحجارة التي أرادوا أن يحصبوه بها من أيديهم، وذلُّوا، ثم قرأ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآيات[٦].

ثم قال: يا غلام، هاتِ كتابَ أمير المؤمنين. فأخرجَ الكتابَ ونَشَرَهُ، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك أمير المؤمنين إلى [أهل] العراق، سلام عليكم.

---

(١) في «مروج الذهب» ٥/ ٢٩٥ : سنن السوء. وتحرَّفت العبارة في النسخ الخطية إلى: وسبيتم سبي الفيء. والتصحيح من «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩١ .

(٢) كذا في النسخ غير (ص) و(م)، فليس فيها الكلام. وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٤ : الهبر ما الهبر. وكذا في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٤ ، لكن فيه: وما الهبر. وفي «البداية والنهاية» ١٢/ ٢٤٧ : الخبر وما الخبر.

(٣) نقل الجوهري في «الصحاح» ٦/ ٢٢٣٥ (سمه) عن أبي عمرو: جرى فلان السُّمَّهَى: إذا جرى إلى غير أمر يعرفه. ووقع في «الكامل» ٤/ ٣٧٦ : حتى تذروا السُّمَّهَى، وقال ابن الأثير: السُّمَّهَى: الباطل.

(٤) يقال في المَثَل: ما يُقعْقَعُ له بالشِّنان، أي: لا يتَّضعُ لِما ينزل به من حوادث الدهر. والشِّنان: جمع شَنّ، وهو القِرْبةُ البالية؛ يحرّكونها إذا أرادوا حثَّ الإبل على السير لتفزع فتسرع. ينظر «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٦١ .

(٥) في (أ): ولا يُغمز جانبي تغماز التين، وهو بنحوه في «العقد الفريد» ٤/ ١٢١ .

(٦) من قوله: هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

فلم يردَّ أحدٌ السلام، فغضبَ الحجَّاج وقال: يا أهل الضلالة، ومعدن الغَيِّ والجهَالَة، أيُسَلِّم عليكم أميرُ المؤمنين ولا تردُّون سلامَه؟! واللهِ لأُؤَدِّبَنّكم غير هذا التأديب.

ثمَّ أعاد قراءة الكتاب ثانياً، فلما بلغ إلى قوله: يسلِّمُ عليكم أمير المؤمنين، قالوا بأجمعهم: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

[وفي رواية: أنه لما صعد المنبر سكت، فأطال، فتناول محمد بن عمير حصىً، وأراد أن يَحْصِبَهُ وقال: قاتله الله ما أعياه وأذمَّه! فلما تكلّم الحجاج وقع الحصى من يده](١).

ثم دعا العُرفاء وقال: أَلْحِقُوا الناسَ بالمهلَّب، ولا تُغلِقُنَّ بابَ الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضيَ المدَّة. ثم نزل.

قال القاسم بن سلَّام لما بلغَه قولُ الحجَّاج: قاتلَ اللهُ أهلَ الكوفة، استٌ في الماء وأنفٌ في السماء(٢)! أين قبائلُهم وعشائرُهم وأهلُ الأَنَفَة منهم؟! وأين تجبُّرهم وتغطرفُهم؟! قتلُوا عليّاً عليه السلام، وطعَنُوا الحسن ونهبُوه، وقتلُوا الحسين، وقاتلُوا المختار، وفعلُوا بالوُلاة ما فعلُوا، وعَجَزُوا عن قتل الملعون الأخفش، الدميم الصورة، القبيح الخِلْقة، وقد قدم عليهم في اثني عشر راكباً وهم في سبعين ألف مقاتل؟! ولكن الله تعالى أذاقَهم لباسَ الجوع والخوف، وجعل الحَجَّاجَ عليهم نِقْمةً، وأظهر مصداق قول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام: اللَّهم سَلِّطْ عليهم الغلامَ الثقفي.

[قلت: وفي قول عليّ عليه السلام: الغلام الثقفي، نظر، وإنما هو من كلام عمر بن الخطاب، ذكره ابن سعد في آخر «الطبقات» فيمن كان بالشام بعد الصحابة في ترجمة أبي عَذَبَة.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٤ . والكلام بين حاصرتين من (ص)، وجاء بعده فيها ما صورتُه: «فقال في كلامه الحجاج: وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم إلى مصركم عصاة مخالفين وإني أقسم بالله إن وجدت مِن بعثِ المهلّب بعدَ ثالثة أحداً ضربتُ عنقه». وقد سلف هذا القول فيما مضى، وهو من ضمن الكلام الذي لم يرد في (ص) كما سلفت الإشارة إليه.

(٢) هو مَثَل يُضرب للمتكبّر الصغير الشأن. مجمع الأمثال ١/ ٢١ .

فقال: قال أبو اليمان، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة][1] قال أبو عَذَبَة الحضرمي: قدمتُ على عمرَ بنِ الخطَّاب رابعَ أربعةٍ من أهل الشام ونحن حُجَّاج، فبينما نحن عنده إذ أتاه خبر من أهل العراق أنهم قد حصبُوا إمامَهم، وكان قد بعث إليهم إماماً قبلَه فحصبوه، فخرج عمر إلى الصلاة مُغْضَباً، فَسَها في صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: مَنْ هاهنا مِنْ أهل الشام؟ [فقال أبو عَذَبة:] فقمتُ أنا وأصحابي، فقال: يا أهل الشام، تجهَّزوا لأهل العراق، فإنَّ الشيطان قد باضَ فيهم وفرَّخ، ثم قال: اللهم إنهم قد ألبسوا عليَّ، فَأَلْبِسْ عليهم، اللهم عجِّل لهم الغلام الثقفيَّ الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبلُ من محسنهم، ولا يتجاوزُ عن مسيئهم.

[وأخرج ابنُ عساكر في «تاريخه» عن الحسن بن سفيان طرفاً منه].

فأما ما يُروى عن عليّ عليه السلام في هذا الباب، فمن رواية الحسن البصري قال: خطبَ أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام على منبر الكوفة وقال: اللهم إني ائتمنتُ أهل العراق فخانوني، ونصحتُهم فغشُّوني، اللهم فَسَلِّطْ عليهم غلامَ ثَقِيف، يحكُم في دمائهم [وأموالهم] بحكم الجاهلية؛ لِيُقال له يومَ القيامة: اكْفِنَا زاوية من زوايا جهنم، لا يدعُ معصيةً إلا ارتكبها، يقتلُ بمن أطاعه من عصاه[2].

[وهذا قول من قال: إن الحجَّاج سار من الحجاز إلى العراق.

أمَّا على قول مَنْ قال: إنه سارَ من الشام إلى العراق؛ كالهيثم بن عديّ وغيره؛ فإنهم قالوا: لما قَتَلَ الحجَّاجُ ابنَ الزُّبير؛ استدعاه عبد الملك بن مروان إلى الشام، فلما دخل عليه؛ أدناه وأكرمه، ووصلَه، وأقام عنده.

فجاء كتابٌ من الكوفة من عمرو بن حُريث يُخبر عبد الملك أنهم حصبوه، وعَصَوْا على المهلَّب، وأنَّ المهلَّب في وجوه الأزارقة. فخطب عبد الملك وقال: إن العراق قد علا لهيبُها، وسطع وميضُها، فجمرُها ذَكيّ، وزِنادُها وَرِيّ، فهل من ذي قلب شديد،

---

(١) في (ص) والكلام منها (وهو الواقع بين حاصرتين): جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن مسيرة، وهو تحريف، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٤٥ .

(٢) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٢١٧-٢١٨ .

وسلاح عتيد ينتدب لها، فيُخمِدَ نيرانَها ويُبيدَ شُبَّانها؟ فلم يُجبه أحد، فأعاد القول مراراً، فلم يُجبه أحد، فقام الحجَّاج فقال: أنا لها. فقال وهو يعرفه: انتسبْ. وإنما أراد أن يبيّن للناس فصاحتَه. فقال: أنا الحجَّاج بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفيّ صاحبِ رسول الله ﷺ وعظيمِ القريتين. قال: فما أعددتَ لهم؟ قال: ألبَسُ لهم جلد النَّمِر، وأخوضُ الغَمَرات، وأقتحم المهالك، فمن خالفني طلبتُه، ومن لحقتُه قتلتُه، أسومُهم بعَجَلة ورَيْث، وتبسُّم وازورار، وطلاقة وتجافي، وصلة وحرمان، فإن استقاموا كنتُ لهم والياً حفيّاً، وإن لم يستقيموا لم أُبقِ منهم طُورِيّاً[1]، ولا عليك يا أمير المؤمنين أن تُجرِّبَني، فإن كنتُ للأموال جمَّاعاً، وللأيدي قطَّاعاً، وللأرواح نزَّاعاً، وإلا فاستبدلْ بي، فإنَّ الرجال كثير. فقال عبد الملك: أنت لها.

وقال الزُّبير بن بكَّار: لما قَتَلَ الحجَّاجُ ابنَ الزُّبير استدعى إبراهيمَ (بنَ محمد) بن طلحة التيميّ، فقرَّبه وأدناه، ورفع منزلته، فلم يزل على حالِهِ تلك حتى خرجَ الحجَّاج إلى عبد الملك في آخر سنة أربع وسبعين[2]]

ذكر قصة إبراهيم بن محمد بن طلحة مع عبد الملك بن مروان:

قال الزُّبير بن بكَّار: فلمَّا خرج الحجَّاج إلى الشام استصحب[3] معه إبراهيم بن محمد، وكان من رجالات قريش علماً وعملاً، وزُهْداً ووَرَعاً وعبادة، وكان الحجَّاجُ لا يتركُ من إجلاله وبِرِّه شيئاً، فلما قَدِما على عبد الملك؛ أذن للحجاج في الدخول عليه،فلما دخل سلَّم، ولم يبدأ بشيءٍ إلا أن قال: يا أمير المؤمنين، قدمتُ عليك برجلِ أهل الحجاز، لم أَدَعْ له فيه نظيراً في كمال المروءة والأدب والدِّيانة والسِّتر، وحُسْنِ المذهب، والطاعةِ والنصيحة، مع القرابة ووجوبِ الحقّ. قال: ومَنْ هو؟ قال: إبراهيمُ بن محمد بن طلحة، فليفعل معه أميرُ المؤمنين ما يفعلُه بأمثاله. فقال عبدُ الملك: ذكَّرْتَنا حقّاً واجباً، ورَحِماً قريبة. ثم أذن له [في الدخول].

---

(١) أي: أحداً. ووقع في (ص) (والكلام منها): طَوِياً. والمثبت من «الأوائل» للعسكري ٢/ ٦٨ .

(٢) من قوله: وهذا قول من قال إن الحجاج سار ... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) . وينظر «الأوائل» للعسكري ٢/ ٦٧ـ٦٨ و «المنتظم» ٦/ ١٥٦ـ ١٥٧ .

(٣) في (أ) و(ب)و (خ)و (د): وفي آخر سنة أربع وسبعين استصحب...الخ. والمثبت من (ص).

فلما دخل قرَّبَهُ وأدناه، ثم قال له: إنَّ أبا محمد ذكَّرَنا ما لم نزلْ نعرفُك به من الفضل والأدب، وحُسن المذهب، مع قرابة الرَّحم، ووجوبِ الحقّ، فلا تدعَنَّ حاجةً من خاصِّ أمرك إلا ذكرتَها، فقال إبراهيم: إن أولى الأمور أن تفتح به الحوائج، وتُرجى به الزُّلَف ما كان لله فيه رِضىً، ولحقِّ رسولِ الله ﷺ أداء، ولجماعة المسلمين فيه نصيحةً. قال: وما هو؟ قال: إن عندي نصيحة لا أجدُ مِنْ ذِكْرِها بدّاً، ولا يُمكن البَوْحُ بها إلا وأنا خالٍ، فأخْلِني. فقال: أوَ دون أبي محمد؟ قال: نعم. فأشارَ عبدُ الملك إلى الحجَّاج فخرج، فقال: قُلْ. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك عَمَدْتَ إلى الحجَّاج مع تغطرسه وتعترسه وتعجرفه لِبعده عن الحقّ وركوبِه إلى الباطل، فولَّيتَه الحَرَمَيْن، وبهما من أولاد المهاجرين والأنصار والصحابة مَنْ قد علمتَ، يسومُهم الخسفَ، ويقُودُهم بالعنف، ويحكمُ فيهم بغير الحقّ، ويطؤهم بطَغَام أهلِ الشام، ورَعاعٍ لا رَوِيَّة لهم في حقّ، ولا في إزاحة باطل، ثم تظنُّ أن ذلك يُنجيك غداً من عذاب الله تعالى! فكيف بك إذا جاءك[١] غداً محمدٌ[٢] ﷺ للخصومة بين يدي الله تعالى في أمَّته[٣]؟ أما والله إنَّك لن تنجوَ هناك إلا بحجَّةٍ تضمنُ لك النجاة، فأبق[٤] على نفسك، أو دَعْ، فقد قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته».

قال إبراهيم: وكان عبدُ الملك متّكئاً، فاستوى جالساً، وقال: كذبتَ ومِنْتَ[٥] فيما جئتَ به، ولقد ظنَّ بك أبو محمد ظنّاً لم نجده فيك، وربَّما ظُنَّ الخيرُ بغيرِ أهله، قُمْ فأنتَ الكاذب المائن الحاسد.

قال: فقمتُ وواللهِ ما أُبْصِرُ شيئاً، فلما جاوزتُ السِّتر لحقني لاحقٌ من ورائي، فقال للحاجب: احبس هذا، وائذنْ للحجَّاج. فدخل، فلبثتُ مَلِيّاً ولا أشكُّ أنهما في أمري، ثم خرج الإذْن لي فدخلتُ، فلما كُشف السِّتر؛ إذا أنا بالحجَّاج وهو خارج،

(١) المثبت من (ص)، وفي النسخ الأخرى (غير م): جاباك. وينظر التعليقان التاليان.

(٢) في النسخ الخطية: محمداً. وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة فيما ظهر لي.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٢/ ٥٠٩ (مصورة دار البشير): ثم ظننتَ أنَّ ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك، وفيما بينك وبين رسول الله (ص) يُخلِّصك إذا جاءتاك للخصومة في أمته.

(٤) في «تاريخ دمشق»: فأفِقْ.

(٥) أي: كذبت.

فاعتَنَقَني، وقبَّل ما بين عينيّ وقال: إذا جزى الله المتآخِيَيْنِ بفضل تَواصلِهما، فجزاك الله أفضلَ الجزاء، فواللهِ لئن سلمتُ لك؛ لأرفعنَّ ناظريك، ولأُعْلِيَنَّ كَعْبَك، ولأُتبِعَنَّ الرجالَ غُبارَ قدميك.

قال: فقلت في نفسي: إنه ليسخرُ بي، فلما وصلتُ إلى عبد الملك أدنى مجلسي كما فعلَ في الأوَّل، ثم قال: يا ابنَ طلحة، هل أعلمتَ الحجَّاج بما جرى، أو شاركك أحدٌ في نصيحتك؟ فقلت: لا والله، ولا أعلمُ أحداً أظهرَ يداً عندي من الحجَّاج، ولو كنت مُحابياً بديني أحداً لكان هو، ولكني آثَرْتُ اللهَ ورسولَه والمسلمين، فقال: قد علمتُ صِدْقَ مقالتِك، ولو آثرتَ الدنيا لكان لك في الحجَّاج أمل، وقد عزلتُه عن الحَرَمَيْن لمَّا كرهتَ ولايتَه عليهما، وأخبرتُه أنك أنتَ الذي استنزلتني [له] عنهما استصغاراً لهما، ووليتُه العراقَيْن لِما هنالك من الأمور التي لا يُرخِصُها إلا مثلُه. وإنما قلتُ له ذلك ليؤدِّيَ ما يلزمُه من ذِمامك [فيؤدّيَ به إليك عني أجرَ نَصِيحتِك] فاخْرُجْ معه، فإنك غيرُ ذامٍّ لصحبته مع يدك عنده.

قال: فخرجتُ مع الحجَّاج، فأكرمَني أضعافَ إكرامِه وإحسانِه إليّ[(١)].

وقد دَلَّت هذه الحكاية على مكارم عبد الملك، وحسنِ أخلاقه، واعترافِهِ بالحقّ، وتلطُّفه في الأمور.

[وقد أساء إبراهيم حيث قابل إحسان الحجَّاج إليه وثناءه عليه عند عبد الملك بمثل هذا، وقد كان الواجب عليه أن يتلطَّف في القضيَّة، ويتوصَّل إلى عبد الملك في عزل الحجَّاج عن الحَرَمَيْن بالوجه الذي ذكره عبد الملك وغيره][(٢)].

[قال البلاذري:] ولما فرغ الحجَّاج من خطبته قال: قُوموا إلى البيعة. فقاموا قبيلةً قبيلة، فبايعوا، حتى جاءت قبيلةُ النَّخَع، فقال: أمِنكم الكُمَيْل بن زياد؟ قالوا: نعم. قال: لا بيعةَ لكم عندي حتى تأتوني به، فقالوا [له]: إنه شيخ كبير، فقال: لابدَّ منه. فجاؤوا به على نعش، فوضعوه إلى جانب المنبر، فقال الحجَّاج: لم يبق ممَّن دخل على عثمان غير هذا، فقدَّمه فضرب عنقه.

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٢/ ٥٠٨-٥٠٩ (مصورة دار البشير). وما سلف في الخبر بين حاصرتين من (ص).

(٢) ما بين حاصرتين من (ص)، ولم يُصب قائله.

وقيل: إنه قتله بعد سنة ثمانين(١).

[وحكى عمر بن شبَّة عن أشياخه قالوا:] وأقام الحجاج بالكوفة ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق، فصَعِدَ المنبر، فقال: قد سمعتُ تكبيراً، وليس بالذي يُرادُ به وجهُ الله في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يُراد به الترهيب، وقد عرفتُ أنها عَجاجةٌ تحتَها قصف، يا عَبِيد العصا، لا يتخلَّفنَّ أحدٌ ممَّن ضُرب عليه البعث في التوجُّه إلى المهلَّب إلا قتلتُه.

فقام إليه عُمير بن ضابىء التميمي(٢)، فقال: أصلحَ الله الأمير، أنا في هذا البعث وأنا شيخٌ كبير عليل، وهذا ابني أشدُّ(٣) مني. قال: ومن أنت؟ قال: عُمير بن ضابىء. قال: ألستَ الذي غزا عثمان بالأمس؟ قال: بلى. قال: ما حملك على ذلك؟ قال: حبسَ أبي حتى مات وكان شيخاً كبيراً. فقتله.

[وسنذكر عُمير بن ضابىء في آخر السنة].

ولما قتل عُميراً نادى منادي الحجَّاج: ألا إنَّ عُمير بن ضابىء أتى بعد ثالثة، وكان قد سمع النداء، فأمَرْنا بقتله، ألا فإنَّ ذِمَّة الله بريئةٌ ممَّن باتَ الليلة من جند المهلَّب في المصر. فخرج الناسُ فازدحموا على الجسر حتى وقع جماعة منهم في الماء، وعبر الجسرَ أربعةُ آلاف من مَذْحِج في تلك الليلة.

وبلغَ المهلَّب وهو برامَهُرْمُز، فقال: قدم العراق رجل ذكر، اليوم قُوتل العدّو(٤).

ولقيَ إبراهيمُ بنُ عامر بن غاضرة عبدَ الله بنَ الزَّبِير الأسديّ الشاعر، فقال له إبراهيم: ما الخبر؟ فقال عبد الله:

---

(١) جاء هذا القول مفصَّلاً في (ص)، فجاء فيها بعد قوله: فضرب عنقه ما لفظه: «قلت: كذا ذكر البلاذري، وهو وهم، والصحيح أن الحجَّاج قتل الكميل بن زياد بعد سنة ثمانين». اهـ. ولم أقف على هذا الخبر في «أنساب الأشراف». وهو في «تاريخ دمشق» كما في «مختصره» ٦/ ٢٠٦ . وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٠٣ رواية أخرى في قتل الحجاج كميل بنَ زياد.

(٢) في (أ): البرجمي. وهو صحيح أيضاً.

(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٧ : أشبُّ. وفي رواية أخرى فيه ٦/ ٢٠٨ : أجلد.

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٦-٢٠٧ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٢-٣٩٥. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

تَجهَّزْ وأَسْرِعْ والْحَقِ الجيشَ لا أَرَى سوى الجيشِ إلا في المَهالكِ مَذْهَبا
تَخَيَّرْ فإمَّا أنْ تزورَ ابنَ ضابئٍ عُميراً وإمَّا أن تَزُورَ المُهلَّبا
فحالَ ولو كانَتْ خُراسانُ دونَه رآها مكانَ السُّوقِ أو هيَ أقْرَبا

من أبيات(١)

[واختلفوا في قدوم الحجَّاج الكوفة، فقد ذكرنا أنه قدمها في رمضان، وقيل: في رجب].

وفيها بعد استقرار الحجاج بالكوفة بعثَ الحكمَ بنَ أيوب بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ابنَ عمِّ الحجَّاج أميراً على البصرة، وأمرَه أن يشتدَّ على خالد بن عبد الله بن أسيد، فخرج خالدٌ قبل وصول الحكم، فنزل الجلحاء، وخرجَ أهلُ البصرة يُودِّعونَه، فقسَمَ فيهم ألفَ ألفِ درهم، ثم انصرف(٢).

وكان الحكم بنُ أيوب هذا قد تزوَّج زينبَ أختَ الحجَّاج.

[ذكر أخبار الحكم: ذكر المدائني قال:] وقد كان الحجَّاج عرض عليها محمدَ بنَ القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنة، وكان محمدٌ أشرفَ أهلِ زمانه في ثَقِيف، وعرضَ عليها الحكم بن أيوب وهو شيخ كبير، فاختارت الحَكَم على محمد، فزوَّجه إيَّاها، وولَّاه البصرة سنة خمس وسبعين، فأقامَ بها إلى سنة اثنتين وثمانين حتى خلعَ ابنُ الأشعث عبدَ الملك، فلحق بالحجَّاج. وولَّاه الحجاجُ البصرة بعد ما قُتل ابنُ الأشعث مرة ثانية(٣).

ويقال: إنَّ الحكم قتلَه صالح بنُ عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجَّاج في العذاب على المال الذي أخذوه في أيام الحجَّاج بأمر سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة(٤).

وقد روى الحكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٩ . وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٩ .

(٣) تاريخ خليفة ص٢٩٣-٢٩٤ ، وتاريخ دمشق ٥/ ١٩٥-١٩٦ (مصورة دار البشير).

(٤) تاريخ دمشق ٥/ ١٩٨ .

وفيها سار الحجَّاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلفَ على الكوفة أبا يعفور عروةَ ابنَ المغيرةِ بن شعبة، فلم يزل عليها حتى رجع الحجاج إليها بعد ما أوقع بأهل البصرة[١].

[قال هشام:] ولما قدم الحجَّاج البصرةَ خطب بنحو ما خطبَ بالكوفة، وتوعَّد الناس، وجاءه شريك بن عمرو اليشكري وهو مريض به فتق وهو أعور، وعينُه الصحيحةُ عليها قطنة[٢]، وكان من أشراف أهل البصرة، فقال له الحجَّاج: ألم آمُرْك بالمسير إلى المهلَّب؟! فقال: أيُّها الأمير، قد ترى حالي وما أنا فيه، وقد عَذَرَني بِشْرُ ابنُ مروان، وهذا عطائي مردود في بيت المال. فضرب عنقه، فأفزعَ ذلك أهل البصرة.

وخرج الحجَّاج فنزل رُسْتقاباذ، وبينها وبين الأهواز ثمانيةَ عشرَ فرسخاً، وإنما قصد أن يشدَّ ظهر المهلَّب، ويُضعف أمرَ الخوارج[٣].

[وقال الهيثم:] ثم إنَّ الحجَّاج خطبَ وقال: هذا واللهِ مُقامكم جمعةً بعد جمعة، وشهراً بعد شهر، وسنةً بعد سنة، حتى يُهلك الله الخوارج المطلِّين عليكم[٤].

وقال [هشام: قال الواقدي: قال الحجاج] في خطبته: ألا وإنَّ الزيادة التي زادكم ابنُ الزبير في العطاء زيادةُ فاسق، فلا أُجيزُها. وكانت مئة مئة، فقام إليه عبد الله بنُ الجارود العبدي، فقال: إنها ليست زيادةَ فاسق ولا منافق، وقد أمضاها أمير المؤمنين على يد أخيه بشر بن مروان، فأثبتَها لنا. فكذَّبه الحجَّاج وتَوَعَّده [فكان ذلك سبباً لخروجه عليه.

وقال البلاذُري:] وقال له: ما أنتَ والكلام؟ لتُحسنَنَّ حملَ رأسك وإلا سلبناك إيَّاه. فقال: والله إنني لك لناصح، وإنه لَقولُ مَنْ ورائي[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢١٠.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٥: وكان أعور يضع على عينه قطنة.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٥-٣٩٦، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٠.

(٤) أنساب الأشراف ٦/ ٣٩٧.

(٥) أنساب الأشراف ٦/ ٢٩٨. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١١.

ثم أقام شهراً لا يذكرها[١]، ثم ذكرها، فردَّ عليه ابنُ الجارود، فقام مَصْقَلَة[٢] بن كرب بن رَقَبة العبدي - وهو أبو رَقَبة بن مَصْقَلَة[٣] المحدِّث - فقال: إنه ليس للرعيَّة أنْ تَرُدَّ على راعيها، وسمعاً لما قال الأمير وطاعةً. فصاح ابن الجارود: يا ابن الجرمقانيَّة، وما أنتَ وهذا؟! ومتى كان مثلكم يتكلَّم؟!

ثم اتفق وجوهُ أهلِ البصرة على قتال الحجَّاج، وقدَّموا عليهم ابنَ الجارود، منهم الهُذيل بنُ عمران البُرْجُميّ، وعبدُ الله بن حكيم المجاشعيّ، وتحالفوا على إخراج الحجَّاج من البصرة والعراق، ومكاتبةِ عبد الملك أن يولِّيَ عليهم غيرَه، فإنْ أَبَى خلعوه وحاربوه.

ثم اجتمعوا، ورتَّبَ ابنُ الجارود عبد القيس على راياتهم، ومالَ الناس إليه، وانفرد الحجَّاج في خواصِّه وأهلِ الكوفة، وقطع ابنُ الجارود الجسر، وكانت خزائنُ الحجَّاج وأموالُه من ورائه، فغلبوا عليها وعلى السلاح، فأرسل الحجَّاج أعين، صاحبَ حمَّام أعين - [قال ابن الكلبي:] وهو مولى بشر بن مروان، وقيل: مولى سعد بن أبي وقاص - إلى ابنِ الجارود، فقال: أجب الأمير، فقال ابنُ الجارود: لعن الله مَنْ ذكرتَ ومن بعثَه إلينا، ليخرج ابنُ أبي رِغال عبدُ ثقيف عنَّا مذموماً مدحوراً، وإلا قتلناه. فأغلظَ له أعين، فقال ابن الجارود: يا ابن الخبيثة، لولا أنك رسولٌ لقتلتُك، ثم أمر به فُوجِئت عنقُه، وطردَه[٤].

وجاءت[٥] قيس، فانتهبَتْ متاعَ الحجَّاج كلَّه، وسُرادقَه، ودوابَّه، وجاءت اليمانية، فاحتملوا امرأةَ الحجَّاج بنتَ النعمان بن بشير الأنصاري، وجاءت مُضَر، فاحتملوا امرأتَه الأخرى أمَّ سلمة بنتَ عبد الرحمن بن عَمرو بن سهل - ويقال: بنت عبد الرحمن ابن عمرو بن سهل بن عمرو، فحصَّنُوهما مخافةَ السفهاء. [وتزوَّجَ الوليد بن عبد الملك

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩٨: ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة.
(٢) في النسخ الخطية (غير م): رقبة. والمثبت من «أنساب الأشراف».
(٣) في بعض النسخ: أبو مصقلة بن رقبة، غير (ص) ففيها: أبو مصقلة. وسقط الكلام من البعض الآخر.
(٤) أنساب الأشراف ٦/ ٣٩٩-٤٠٠. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٠-٢١١.
(٥) في (أ) و(ب) و(د): وحكمت، وفي (ص): وحملت، والمثبت من (خ).

أمَّ سلمة[١] بنت عبد الرحمن بن عَمرو بن سهل - ويقال: من غير ذكر: عمرو- وتزوَّجها أيضاً هشام بن عبد الملك بعد الوليد].

وتوقَّف ابنُ الجارود عن قتال الحجَّاج، فقال له الغضبان بن القَبَعْثَرَى الشيباني: تَعَشَّ بالجَدْي قبل أن يتغدَّى بك، والله لئن أصبح ليكثُرَنَّ ناصرُه، ولَتَضْعُفَنَّ.

واستشار الحجَّاجُ عثمانَ بنَ قَطَن الحارثيَّ، وزياد بنَ عَمرو العتكي - وكان [زياد] على شرطته - فقال: ما تريان؟ فقال زياد: قد ترى ميلَ الناس إلى ابنِ الجارود، وقد انفضَّتْ عنك الجُموع، والرأيُ أن نأخذ لك منه أماناً، وتنصرف إلى عبد الملك، ثم ترى رأيك بعد ذلك. فقال عثمان بن قَطَن: بئس الرأي هذا، إنك سرتَ إلى ابن الزُّبير، وكان أعظَم خطراً من هذا، وأكثرَ عَدَداً وأموالاً، وأعظمَ في صدور الناس، فقتَلْتَه؛ فرفعَك عبدُ الملك إلى ولاية العراقَيْن، فلما جريتَ إلى الأمَدِ الأقصى، وأصبْتَ الغَرَضَ الأسنى، وهابَتْك العربُ؛ تُعطي بيدك! واللهِ لئن فعلتَ هذا لا نلتَ من عبد الملك مثلَ الذي أنتَ به من السلطان أبداً، ولتهونَنَّ عليه، ولتسقطَنَّ منزلتُك عنده وعند كلِّ عدوّ، ولكن الرأي أن نمشيَ بسيوفنا إلى هؤلاء، فنضربَهم بها، فإمَّا أن نظفر، وإما أن نموت كراماً. فأَعجَبَ الحجَّاجَ قولُه، وأعرض عن قول زياد، وبات الناس على تعبئة[٢].

فلما أصبح الناس مال إلى الحجاج قُتيبة بنُ مسلم، وعبَّاد بنُ الحُصين الحَبَطي، وكان قد يئس من الحياة، فاشتدَّ قلبُه، وصار في ستة آلاف.

وجعل ابن الجارود على ميمنته الهُذيل بنَ عمران [وعلى ميسرته عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان، وعلى ميمنة الحجَّاج قتيبة بن مسلم] وعلى ميسرته سعيد بنُ أسلم الكلابي، واقتتلُوا، فظهر ابنُ الجارود على الحجَّاج، ولم يبقَ إلا أن ينهزم الحجَّاج، فجاء ما لم يكن في الحساب؛ بينما ابنُ الجارود قائمٌ في القلب، والقتالُ يعمل؛ جاءه سَهْمٌ

(١) يعني تزوَّجها بعد الحجَّاج. قال البلاذري في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٠١ : كانت عند الحجاج، ثم خلف عليها الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم هشام. وهذا الكلام بين حاصرتين من (ص).
(٢) أنساب الأشراف ٦/ ٤٠١-٤٠٢ .

غَرْبٌ[١] [فوقع في نحره] فذبحَه، فسقط، وقاتل أصحابُه قتالاً شديداً، فقُتل الهُذيل[٢] وأعيانُ أصحابه، وانهزم الباقون، وبعثَ الحجَّاج برؤوسهم إلى المهلَّب ليقوِّيَ قلبه.

وكتب الحجَّاج إلى عبد الملك: الحمدُ للهِ الذي حفظَ أميرَ المؤمنين في سلطانه، وجعلَ دائرةَ السَّوْء على مَنْ خالفه، أُخْبِرُه أنَّ أهلَ العراق نهبُوا خزائني وأموالي، ودخلوا فسطاطي ومتاعي، وقالوا: اخْرُجْ من بلادنا إلى مَنْ بعثَك إلينا، ففارقَني البعيد، وأَسْلَمَني القريب، وقلاني الصديق، وغَصَصْتُ بالرِّيق، فلقيتُهم بأهلي وخاصَّتي ومن أطاعني، وقلت: الموتُ تحتَ أطراف الأَسَل[٣] خيرٌ من الحياة في ذُلّ. وأُخْبِرُه بقتلِ ابن الجارود وأصحابه.

فكتب إليه عبد الملك: أنت الأمينُ على الغيب، القليلُ العيب، فإنْ رابَك منهم شيء فاقْتُلْ أدناهم يَرْعَبْ منك أقصاهم، والسلام[٤].

[وقد ذكرنا الجارود فيما تقدَّم، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلَّى، وكان نصرانياً، والجارود لقب له].

وقُتل مع ابن الجارود عبدُ الله بنُ أنس بنِ مالك الأنصاري، وكان شجاعاً، فلما عاد الحجَّاج إلى البصرة استصفى أموالَ أنس وقال: ما أُراه إلا يعين علينا.

[وسنذكر القصة فيما بعد إن شاء الله تعالى].

[ذكر] قصة عبد الله بنِ فَضَالة

[ذكر هشام والهيثم وابن أبي الدنيا قالوا:] نادى منادي الحجَّاج يوم رُسْتَقَاباذ: أَمِنَ الناسُ كلُّهم إلا أربعةً: عبدَ الله بنَ الجارود، وعبدَ الله بنَ فَضَالة، وعكرمة بنَ رِبْعيّ، وعُبيدَ الله بنَ زياد بن ظَبْيان.

---

(١) سهمٌ غربٌ، وسهمُ غَرْبٍ: لا يُدرى راميه.
(٢) الذي في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٠٥-٤٠٦ أن الهُذَيْل لم يُقتل في هذه الواقعة، وإنما أُتي به وبعبد الله بن حكيم بعدها إلى الحجاج فقتلهما.
(٣) يعني النَّبْل والرِّماح.
(٤) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٠٧ .وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (ص)

[قال:] فأُتيَ برأسِ ابنِ الجارود، فلم يصدِّق فَرَحاً، فقال: عَمِّمُوه لي أعرفْه، فلم أره قطُّ إلا مُعَمَّماً، فعمَّموه فعرفَه.

وأمَّا عُبيد الله بنُ زياد بن ظَبْيان؛ فمضى إلى عُمان، فأصابه الفالج، ومات بها. [وهو الذي قتل مصعب بن الزبير]

وأمَّا عكرمة بنُ رِبْعيّ، فلحقته خيل الحجاج فقاتل، وقَتَلَ منهم جماعة، وقُتل.

وأمَّا عبدُ الله بنُ فَضَالة؛ فهربَ إلى خُراسان، فأقامَ بها حتى وليَها المهلَّب، فأمرَه الحجَّاج بأخذه أينَ أصابَه، وكان بمرو، فبعث المهلَّبُ إليه ابنَه حبيباً، فأخذَه غارّاً[(١)] وهو لا يشعرُ به، وكتب المهلَّب إلى الحجَّاج يُخبره به.

وعلم به المغيرة بن المهلَّب، فجاء إلى منزل حَبَّة بنت الفضل امرأةِ عبد الله بن فَضَالة ـ وكان عبدُ الله ابنَ عمِّها ـ فقال لها المغيرة: إنَّ حَبِيباً قد أخذَ عبدَ الله، وقد كتب [أبي] إلى الحجَّاج يُعلمُه بذلك، فإن كان عندكِ خبرٌ؛ فشأنُك، وعندي من المال ما بدا لك. فقالت: لا ولا كرامة، تأخذونه أسيراً غِيلَةً، وآخذُ منكم المال!

ثم خرجَتْ مع خادم لها إلى الشام، فقَدِمَتْ دمشق، فدخلَتْ على أمِّ أيوب بنت عَمرو بن عثمان، وكانت أمُّها زينب بنت ذؤيب[(٢)] الخُزاعي، فأخبرَتْها الخبر، وقالَتْ: إنما قصدتُك لأمرٍ بَهَضَني وغَمٍّ كَظَّنِي[(٣)]، فقالَتْ لها: قد كنتُ أسمعُ عبدَ الملك يتلظَّى[(٤)] على صاحبك. قالَتْ: فأين رحلتي إليكِ من خُراسان؟!

فأجْلَسَتْها مكانَها [أو: مَجْلِسَها]، فلما دخل عليها عبدُ الملك؛ أخذَتْ حَبَّةُ بثوبه وقالت: هذا مَقَامُ العائذِ بك. فأنكر كلامَها وقال: لقد عُذْتِ بمَعَاذ، فمَنْ أنتِ؟! قالَتْ: تُؤَمِّنُ مَنْ جئتُ لأجله كائناً مَنْ كان؟ قال: نعم. قالتْ: عبدُ الله بنُ فَضالة. فذَعِرَ عبدُ الملك، وكان حَنِقاً عليه، فقالَتْ له أمُّ أيوب: ما يُذعِرُكَ من كرامة ساقَها الله إليك؟! قال: أولم أُولِّهِ السُّوس وجُنْدَيْسابور، وأقطعتُه كذا وكذا؟! .

---

(١) أي: غافلاً.

(٢) في «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٤ : زينب بنت كعب بن حلحلة.

(٣) بَهَضَني (وبالظاء أكثر): شقَّ وثَقُل عليّ. وكظَّني: جَهَدَني وكَرَبَني (وبَهَظَني أيضاً). وينظر «القاموس».

(٤) أي: يتوقَّد غضباً.

فقالت: ألم تعلم أنَّ داره هُدمت ثلاث مرَّات لأجلك؟! ألم تكتب إلى وجوه أهل البصرة، فلم يُجِبْك غيرُه؟! ألم تعلم أنه كان سيفاً قاطعاً لأعدائك، سِلْماً لأوليائك؟! أفيذهب صالحُ أيامه بطالحها؟! قال: هو آمن. قالت: اللهَ اللهَ في الدماء، فإنَّه الحجَّاج.

فكتب لها على البريد إلى الحجَّاج بالإحسان إليه وإكرامه، ثم قال لها: ما أنتِ منه؟ قالت: ابنةُ عمِّه وزوجتُه، نشأتُ في حجر أبيه، فقال: واللهِ لأنتِ أعربُ منه وأفصحُ لساناً، فهل معه غيركِ[1]؟ قالت: نعم، ابنةُ عُبيد بن كلاب النميري، وكذا وكذا جارية. قال: فأنا أُوليك طلاقَ زوجتِه وعتقَ جواريه، فقالت: بل تهنِّئُه نساءَه كما هنأْتَه دمَه. فقال عبد الملك لأمِّ أيوب: لا نساءَ إلا بناتُ العمّ.

وقدم البريدُ على الحَجَّاج بالكتاب وقد أقام عبدَ الله بنَ فَضَالة في سراويل ليعذِّبه، ثم ليقتلَه، فأطلقَه وكساه وحملَه، وانصرف إلى أهله، فسأل عن حبَّة، فقالوا: لا ندري إلى أين توجَّهت. وبلغه ما صنعت، فأرسل إليها: أخبريني بقدومك حتى ألقاك، فقدمت ولم ترسل إليه.

وكان قدومُها ليلاً وهو عند ضَرَّتِها، فقالت: لا تُؤذنوه، فلما أصبحَ أتاها فشكرها[2].

وفيها كتبَ الحجَّاجُ إلى المهلَّب بمناهضة الخوارج، فسارَ إليهم ومعه عبد الرحمن ابنُ مِخْنَف على جند الكوفة، فأجلَوْهم عن رامَهُرْمُز، وقُتل عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَف.

قال هشام بن محمد: ناهضَ المهلَّبُ الخوارجَ يوم الاثنين لعشرٍ بقين من شعبان سنة خمس وسبعين، فأجْلَوْهم عن رامَهُرْمُز، فخرجوا على حامية، فنزلوا أرض سابور بمكان يقال له: كازرون، وسار المهلَّب وعبدُ الرحمن خلفَهم، فنازلوهم غرَّة رمضان، فخندقَ المهلَّبُ عليه، وما كان ينزلُ بمكانٍ إلا خندقَ عليه احترازاً من البيات، وأراد

---

(١) في النسخ الخطية: فهل معكِ غيركِ. وهو خطأ. والتصويب من «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٦.

(٢) الخبر بتمامه في «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٣ـ٣٠٦. ويقارن صدر الخبر بما في «أنساب الأشراف» ٥/ ٤٠٤ـ٤٠٥.

عبدُ الرحمن أن يُخندق عليه، وأشارَ المهلَّبُ بذلك، فأبى أصحابُ عبد الرحمن عليه، وقالوا: إنما خندقُنا سيوفُنا[١].

وأراد الخوارجُ تبييتَ المهلَّب، فمنعَهم الخندق، فمالُوا نحو عبد الرحمن، فوجدوه لم يُخندق، فقاتلوه فانهزمَ عنه أصحابُه، فقاتل في بقية أصحابه فقُتل وقُتِلُوا حولَه، فقال شاعر الخوارج:

لِمَنِ العَسْكَرُ المُكلَّلُ بالصَّرْ ... عَى فهُمْ بين ميِّتٍ وقَتِيلِ
فتراهُمْ تَسْفِي الرِّياحُ عليهِمْ ... حاصِبَ الرَّمْلِ بعد جَرِّ الذُّيُولِ[٢]

وقيل: جاءهما كتاب الحجَّاج يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان هذه السنة، فأوقعوا بالخوارج، واقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا قبلَه مثلَه، وكان بين الظهر والعصر، ومالت الخوارج بحدِّها وحديدها على عسكر المهلَّب، فأرسل المهلَّبُ إلى عبد الرحمن يستمدُّه، فأمدَّه بالخيل بعد الخيل، والقتالُ يعمل[٣]، فلما كان بعد العصر؛ رحَلَ الخوارج إلى عسكر عبد الرحمن وقد خَفَّ، فجعلوا في مقابلة المهلَّب كتائب منهم، ومالُوا بحدِّهم وحديدهم إلى عبد الرحمن، فلما نظر إليهم عبدُ الرحمن، ترجَّل، وترجَّل معه القرَّاء، وكان عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود، وخُزيمة بن نصر العَبْسي الذي قُتل مع زيد بن عليّ وصُلب معه بالكوفة، ونزلَ خواصُّ عبد الرحمن معه واقتتلوا، وقد حالت الخوارج بين العسكرين، وبعثَ عبدُ الرحمن ابنه جعفراً إلى المهلَّب يخبره، فنادى المهلَّب في عسكر البصرة: سيروا معه إلى أبيه، فلم يسر معه إلا أُناس قليل، وجاء جعفر إلى ناحية أبيه، فحالت الخوارج بينهم، فقاتل جعفر حتى ارْتُثّ، وصعد عبد الرحمن ومن معه - وكانوا نحواً من سبعين رجَّالةً - على تلّ هناك، وجاء الليل والقتال يعمل إلى الثُّلث[٤]، وقد حالَ الليل بين المهلَّب وعبدِ الرحمن، فمالت الخوارج على عبد الرحمن وأصحابه، فقتلوهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢١١.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٢١٢.
(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٢: فأمدَّه بالخيل بعد الخيل، والرجال بعد الرجال.
(٤) عبارة الطبري: وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلّ مشرف حتى ذهب نحوٌ من ثلثي الليل.

فلما طلع الصبح جاء المهلَّب يطلب عبد الرحمن، فوجَده قتيلاً بين أصحابه، فصلَّى عليه ودفنَه، وكتب إلى الحجَّاج يخبره.

فبعث الحجَّاج إلى عبد الملك، فوافاه كتابُه بمنى وقد حجَّ بالناس في هذه السنة، فخطبَ، وترحَّم على عبد الرحمن، وذمَّ أهلَ الكوفة[1].

وقال حُميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن:

إنْ يقتُلُوكَ أبا حكيم غِرَّةً[2] فلقد تَشُدُّ وتقتلُ الأبطالا
أو يُثْكِلُونا سَيِّداً لِمُسَوَّدٍ سَمْحَ الخليقةِ ماجداً مِفْضالَا
فلَمِثْلُ قَتْلِكَ هَدَّ قومَكَ كلَّهم مَنْ كان يحملُ عنهم الأثقالَا
مَنْ كان يكشفُ غَمَّهم[3] وقتالهم[4] يوماً إذا كانَ الضِّرابُ نِزَالَا
أقسمتُ ما نِيلَتْ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ حتى تَدَرَّعَ من دَمٍ سِرْبَالا
وتكشَّفَتْ عنه الصفوفُ وخَيْلُهُ فهناك نالَتْهُ الرِّماحُ فَمَالا

من أبيات.

وقال سُراقة بنُ مِرْداس البارقي:

ثَوَى سَيِّدُ الأزْدَيْنِ أَزْد شَنُوءةٍ وأزد عُمانَ رَهْنَ رَمْسٍ بكَازِرِ
وضارَبَ حتى ماتَ أكْرَمَ مِيتةٍ بأبيضَ صافٍ كالعقيقةِ باترِ
وصُرِّعَ حول التَّلِّ[5] تحت لوائِهِ كِرامُ المساعي من كِرَامِ المعاشرِ
قَضَى نَحْبَهُ يومَ اللقاءِ ابنُ مِخْنَفٍ وأدبرَ عنه كلُّ أَلْوَثَ داثرِ
أمدَّ ولم يُمْدَدْ فَرَاحَ مُشَمِّراً إلى الله لم يذهبْ بأثوابِ غادرِ

وبعث الحجَّاج على عسكر الكوفة بعد عبد الرحمن عتَّاب بن وَرْقاء، فلم يَطِبْ له حُكْمُ المهلَّب عليه، وجرى بينَهما الكلام؛ نال منه المهلَّبُ فيه، وقال: يا ابنَ

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٢-٢١٣.
(٢) في «تاريخ» الطبري: غدوة.
(٣) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٤: غُرْمَهُم.
(٤) في (خ): وقتالنا. وفي (أ) و(ب) و(د): وقتالاً. وليس في (ص) و(م). والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٤.
(٥) في النسخ (غير ص وم فليس فيها): وصرّح حول الليل. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٤.

اللَّخْنَاء(١). وردَّ على المهلَّب، فرفع المهلَّبُ القضيب عليه، وأراد أن يضربَه، فقبضَ المغيرةُ بنُ المهلَّب على أبيه(٢) وقال: إنه شريف من أشراف العرب، وشيخٌ من شيوخهم، تفعلُ به كذا! احْتَمِلْه، فأنتَ أهلٌ لذلك. ففعل.

وبلغ الحجَّاجَ، فكتبَ إلى عتَّاب بن ورقاء يأمرُه أن يلحقَ به، ويُضيف جيش الكوفة إلى المهلَّب، ففعل(٣).

وفيها بنى الحجَّاجُ واسطاً؛ شَرعَ فيها في هذه السنة، وفرغَ منها سنة ثمان وسبعين.

[وقال الطبري: إنما بناها في سنة ثلاث وثمانين. وهو وهم].

[قال الأصمعي:] مرَّ الحجَّاج بدَيْرٍ عند مكان [يقال له:] واسط [القصب، وقيل: واسط القصب غيرها]، فنزل عند الدَّيْر، وإذا براهب قد أقبلَ راكباً على حمار، فلما وصلَ إلى موضعها بال الحمار، فنزل الراهب، فجمع البول من مكانه ورمَى به في دجلة، فدعا به الحجَّاج، فسأله عمَّا فعل، فقال: إنَّا وجدنا في كتبنا أنه يُبْنَى ههنا مسجد يُعبد اللهُ فيه مادام في الأرض أحد. فشرعَ الحجَّاج في بنائها(٤)!

وقيل: إنما بناها لتكون بين الكوفة والبصرة، فلا تنقطعُ عنه أخبار المِصْرَيْنِ.

[وسنذكرها في سنة ٧٧].

وفيها ضرب عبدُ الملك على الدينار والدرهم اسمَ الله تعالى.

[قال الهيثم:] وسببُه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخُها قبل الإسلام بأربع مئة سنة مكتوب عليها: بسم الأب والابن وروح القدس، فسبَكَها، ونَقَشَ عليها اسم الله تعالى، وآياتٍ من القرآن، واسم رسول الله ﷺ.

[واختلفوا في صورة ما كتب على أقوال:]

---

(١) هو من شتم العرب، كأنهم يقولون: يا دنيء الأصل، أو: يا لئيم الأمّ. (من هامش «القاموس» نقلاً عن الراغب).

(٢) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٢١٣ : فقبض على القضيب.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٣٨٣-٣٨٤ ، و«الكامل في «التاريخ» ٤/ ٤٩٥_٤٩٦ .

فقيل: جعل في وجهٍ: لا إله إلا الله، وفي الآخر: محمد رسول الله، وأرَّخ وقتَ ضربها.

وقيل: إنه جعلَ في وجه: قل هو الله أحد، وفي الآخر: محمد رسول الله.

وقيل: كتبَ على [أحد] الوجهين: الله أحد، من غير: قُلْ(١). وقيل: كتبَ في الوجه الآخر: محمد رسول الله(٢)، ﷺ.

ولما وصلت إلى العراق، أمرَ الحجَّاج فزيدَ فيها - في الجانب الذي فيه: محمد رسول الله؛ في جوانب الدرهم مستديراً: أرسلَه بالهدى ودين الحق. الآية(٣). فقال الناس: قاتلَ اللهُ الحجاج؛ كتب القرآن على الدنانير والدراهم، ويأخذها الجنُبُ والحائض.

وكان زياد قد جعل العشرة دراهم وزن ستة مثاقيل، فردَّها عبد الملك إلى وزن سبعة، كما كانت على عهد عمر رضي الله عنه(٤).

[وقال أبو اليقظان:] ولما محا عبد الملك صورةَ الأب(٥) والابن وروح القدس؛ أرسل إليه قيصر بهدايا كثيرة وأموال، وقال له: غيِّر اسم الله تعالى، ورُدَّ الدراهم إلى ما كانت عليه. فلم يفعل.

وقال الزُّهري: كانت الدراهم ثلاثة أصناف: الوافية؛ وزن الدرهم مثقال، والبغليَّة(٦)؛ وزن الدرهم نصفُ مثقال، والزِّياديَّة؛ وزنُ العشرة ستة مثاقيل، فجمع عبد

---

(١) جاء بدل هذا القول في (ص) ما صورته: وقال القضاعي: كتب على إحدى (كذا) الوجهين: الله أحد، من غير: قل، وهي قراءة النبيّ (ص).

(٢) في (ص): «كتب في وجه: لا إله إلا الله، وفي الآخر: محمد رسول الله». وينظر «النقود والمكاييل» للمناوي ص ٦٢-٦٣.

(٣) في «المنتظم» ٦/ ١٤٨ أن عبد الملك هو الذي زاد هذا اللفظ من الآية. ولفظ الآية: أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، كما في التوبة (٣٣)، والفتح (٢٨)، والصف (٩).

(٤) في «المنتظم» ٦/ ١٤٨ : قال إبراهيم النخعي: جعل عمر بن الخطاب وزن عشرة دراهم ستة دنانير، فلما ولي زياد جعل وزن عشرة سبعة.

(٥) في (أ) و(خ) و(د): ولما محا عبد الملك صورة الملك وصورة الأب...

(٦) نسبة إلى ملك يدعى رأس البغل. وتحرفت في النسخ الخطية إلى: التغلبية.

الملك الأصناف الثلاثة، فأخذ [من] كلٍّ صنف ما عَدَلَ به الآخر، فجعل العشرة وزن سبعة مثاقيل، ونَقَشَها[(١)] بالعربية على ما وصفنا، واستقرَّ الأمر عليه إلى هلمَّ جرّاً[(٢)].

فلما وليَ هارون الرشيد أراد تغييرها، فقيل له: هذا أمرٌ قد استقرّ، وأَلِفَه الناس، فأبقاها على ما هي عليه اليوم، ونقشَ عليها اسمَه.

وقيل: أول من غيَّر نقشها من بني العباس أبو جعفر المنصور، وكتبَ عليها اسمه، أما الوزن فما تعرَّض أحد لتغييره.

وحجَّ بالناس عبد الملك [بن مروان.

وقال الواقدي:] ولما وصل [إلى] المدينة نزل بدار أبيه مروان، وأحرمَ من البيداء، ودخلَ مكة محرماً، وأقام للناس المناسك.

وحجَّ في هذه السنة جماعة من رؤوس الخوارج؛ صالحُ بن مُسرِّح أحدُ بني امرىء القيس، وشبيب بن يزيد، وسُويد، والبَطين، وكان صالح يرى رأي الصُّفْريَّة، ويقال: إنه أوَّلُ من خرج منهم[(٣)].

[وقد ذكرهم الجوهريّ، فقال: والصُّفْريَّةُ؛ بالضم: صنف من الخوارج، نُسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسهم. قال: وزعم قوم أن الذي نُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفّار، وأنهم الصِّفْرية (بكسر الصاد)][(٤)].

وعزم شبيب[(٥)] على الفتك بعبد الملك في هذه الحجة فلم يقدر، ولما انصرف من الحج؛ بلغه ذلك، فكتب إلى الحجاج يأمره بطلبهم، فخرجوا إلى الجزيرة.

وكان صالح لما أتى الكوفة من مكة واعدَ جماعة من الخوارج وقتاً بعينه يخرج فيه، وكان معه شبيب بن يزيد بن نُعيم الشيباني.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ): وثقلها.

(٢) يقارن بما في «المنتظم» ٦/ ١٤٩ ، وينظر «النجوم الزاهرة» ١/ ١٩٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٢١٥ .

(٤) من قوله: وقد ذكرهم الجوهري... إلى هذا الموضع، من (ص). وهو في «الصحاح» ٢/ ٧١٥ (صفر)، وقوله: (بكسر الصاد) منه.

(٥) في (ص): قال هشام: ولما حجُّوا في هذه السنة عزم شبيب...إلخ.

وقال ابن الكلبيّ: كان يزيد بن نُعيم سَبَى سبايا من الروم، وكان فيهم جاريةٌ حسناء، فوقعَ عليها، فولَدَتْ شبيباً في سنة خمس وعشرين في أيام عثمان بن عفَّان رضوان الله عليه في يوم النحر، فقال أبوه: إنَّا لله، وُلد في يومٍ تُهراقُ فيه الدِّماء، سيكون صاحبَ دماء.

[قال البلاذري: واسم أمِّه جهيرة][١] واسم امرأته غزالة، وكان أبوه قد انتقل من الكوفة، فنزل الموصل.

وكان شبيب صاحبَ فتك وغارات على الأكراد، فسمع يوماً قارئاً يقرأ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ﴾ الآيات، فوقعَ في قلبه الخوف والزُّهد فتنسَّك، وتعبَّد، وأتى الكوفة، فسأل عن أعبد الناس، فدُلَّ على صالح [بن مُسرّح ـ وكان يرى رأي الخوارجِ الصُّفْرية] فأقامَ عنده، وسمع قولَه، ووافقه على رأيه، ثم خرج صالح إلى الجزيرة، وخرجَ معه شبيب، فأقام صالح بنَصِيبِين ودَارَا[٢].

وجاء شبيب إلى عبد الملك، فطلب منه ديوانه، فتهدَّده، ولم يعطه شيئاً[٣]، فعاد إلى صالح، فأقام معه وبايعه، وخرجوا بعد ذلك.

وكان على المدينة أبان بن عثمان [وكان عبد الملك قد ولَّى يحيى بن الحكم المدينة. قال أبو معشر: فوفد يحيى على عبد الملك بغير إذن منه، فقال: من استخلفتَ على المدينة؟ قال: أبان بن عثمان. قال: لا جرم لا ترجعُ إليها. وأقرَّ أباناً على المدينة] وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى العراق الحَجَّاج، وعلى خُراسان أمية بن عبد الله، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى[٤].

---

(١) أنساب الأشراف ٦/ ٥٧٨ . وما بين حاصرتين من (ص)

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧٧ـ٥٧٩ .

(٣) جاء في «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٧٩ أن اسم شبيب سقط من الديوان لكثرة تغيّبه... فكلّم الناسُ عبدَ الملك في الفكّ عن اسمه وإدرار أرزاقه عليه فأبى.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٢٠٩ـ٢١٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

وفيها توفي

الأسود بن يزيد

ابن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سَلامان بن كَهْل بن بكر بن عَوْف بن النَّخَع بن مَذْحِج، أبو عَمرو، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وهو ابنُ أخي علقمة بن قيس، وكان أكبرَ من علقمة.

وكان الأسود يصومُ الدهر، وكان يصوم في الحرّ حتى يسودَّ لسانه، وكان يصومُ في السفر، فيقال له: لِمَ تُعذِّبُ هذا الجسد؟! فيقول: إنما أريدُ له الراحة.

وذهبت إحدى عينيه من الصوم في الحرّ، وطافَ بالبيت ثمانين حجةً وعمرةً. وكان يُهلُّ من الكوفة، ومن باجُمَيْرا.

وحجَّ نيِّفاً وسبعين حجةً، وكان لا يصلِّي على من مات وهو مُوسِرٌ ولم يحجَّ.

وكان يختم القرآن في شهر رمضان في كلِّ ليلتين.

وكانت عائشة رضوان الله عليها تقول: ما بالعراق رجل أكرمَ عليّ من الأسود.

وكان يُصَفِّرُ رأسَه ولحيتَه، وكان يقالُ له: رأسُ مالِ أهل الكوفة.

[وقال علقمة بن يزيد:] انتهى الزُّهد إلى ثمانية من التابعين؛ الأسود منهم.

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال:] توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين، وكان ثقة، وله أحاديثُ صالحة(١).

وقد سمع من معاذ باليمن لما بعثَه رسول الله ﷺ، وروى عن أبي بكر، وعمر(٢)، وعليّ، وابن مسعود، وأبي موسى، وسلمان، وعائشة، ﷺ.

وولدُه عبدُ الرحمن بنُ الأسود مات في سنة ثمان وتسعين في أيام سليمان بن عبد الملك.

---

(١) «طبقات» ابن سعد ٨/ ١٩١ـ١٩٨ . ونُسب الكلام في (ص) و(م) إليه. وما سلف بين حاصرتين من(ص) و(م).

(٢) شطح قلم ناسخ (أ) فزاد بعده: عثمان. وهو خطأ. قال ابن سعد ٨/ ١٩٢ : لم يرو عن عثمان شيئاً.

تَوْبَة بنُ الحُمَيِّر

ابن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الخَفاجيّ[١]، أحدُ عُشَّاق العرب، صاحبُ ليلى الأَخْيَلِيَّة بنتِ عبد الله بن الرحَّالة بن شدَّاد بن كعب بن معاوية، وهو الأَخْيَل بنُ عُبادة بن عُقيل، وكانت أشعرَ النِّساء في زمانها، لا يقدَّم عليها غير الخنساء [وقد هاجت النابغة (الجعدي).

وقال أبو عبيدة معمر:] كان توبة يشنُّ على بني الحارث بن كعب الغارات، ويفتك بهم، وكان قد رأى ليلى، فهَوِيَها، وعلم به إخوتُها، فنذروا دمَه، وارتحلوا بها، وبَعُدوا عن حيِّه، فقال:

نَـأَتْـكَ بـلـيـلـى دارُهـا لا تَـزُورُهـا ... وشَـطَّـت نَـواهـا واسْـتَـمَـرَّ مَـرِيـرُهـا
يـقـولُ رجـالٌ لا يَـضِـيُـرك حـبُّـهـا[٢] ... بلى كلُّ ما شَفَّ[٣] النفوسَ يَضِيرُها
أظـنُّ بـهـا خـيـراً وأعـلـمُ أنـهـا ... سـتُـنْـعِـمُ يـومـاً أو يُـفَـكُّ أسـيـرُهـا

وقيل: إنَّ أولها:

حـمـامـةَ بَـطْـنِ الـوادِيَـيْـنِ تَـرَنَّـمِـي ... سُقِيتِ مـن الـغُـرِّ الـغـوادي مَـطِـيرُهـا
أبِـيـنِـي لـنـا لازالَ رِيـشُـكِ نـاعـمـاً ... ولازِلْـتِ فـي خـضـراءَ عـالٍ بَـرِيـرُهـا
وقـد زَعَـمَـتْ لـيـلـى بـأنـيَ فـاجـرٌ ... لـنَـفْـسِـي تُـقـاهـا أو عـلـيـهـا فُـجـورُهـا
وكـنـتُ إذا مـا جـئـتُ لـيـلـى تَـبَـرْقَـعَـتْ ... وقـد رابَـنـي عـنـدَ الـغَـداةِ سُـفُـورُهـا

[وقال ابن الكلبي: كان يقال: ما رآها إلا مُبَرْقَعةً، فجاءها يوماً وقد سَفَرَتْ عن وجهها، فأنكر ذلك، وكان إخوتُها قد نذروا دمه، فعلم أنه قد حدث أمر.

وقال:][٤]

---

(١) في «الأغاني» ١١/ ٢٠٤ وغيره: توبة بن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل. وفي «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٥، و«المنتظم» ٦/ ١٦٨: توبة بن الحُمَيِّر من بني عقيل...إلخ.

(٢) المثبت من (م)، وهو الموافق لما في «المنتظم» ٦/ ١٦٨. وفي النسخ الأخرى: لا تُحبّك حبَّها. وفي «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٥ وغيره: لا يَضِيرُك نَأْيُها.

(٣) في النسخ الخطية: يشفي. والمثبت من المصادر.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص) و(م). وينظر «الأغاني» ١١/ ٢٠٥.

أرى اليومَ يأتي دونَ ليلى كأنَّما أتَتْ حِجَجٌ من دونِها وشهورُها
عليَّ دماءُ البُدْنِ إنْ كان بَعْلُها يرى ليَ ذنباً غيرَ أني أزورُها
وأُشْرِفُ بالقَوْزِ اليَفَاعِ[1] لعلَّني أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرُها

[وقال ابن الكلبيّ: وتوبةُ هو القائل:

فإنْ تمنعُوا ليلى وحُسْنَ حديثِها فلن تمنعوا عني البكا والقوافيا
فهلَّا منعتُمْ إذْ منعتُمْ حديثَها[2] خيالاً يوافيني مع الليل هاديا][3]

وكان توبة يُغير[4] على الأحياء، ويحمل معه الماء في المفاوز، فخرج مرة يُغير على هَمْدان وبني عقيل ومعه أخوه عبدُ الله وابنُ عمٍّ له، ففقدوا الماء، وطلبوهم فقتلُوهم، فقالت ليلى تبكيه:

فآلَيْتُ أبكي بعد توبةَ هالكاً وأندبُ إن دارَتْ[5] عليه[6] الدوائرُ
لَعَمْرُكَ ما بالقتلِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصبه في الحياة المعايرُ

[وقال ابن الكلبي: أغارت بنو الحارث بن كعب على قوم توبة، فخرج يدافع عنهم، وقاتل، فقُتل، وكانت وفاته في هذه السنة][7].

وأما ليلى فإنها ماتت في هذه السنة[8].

[وقال ابن الكلبي:] وهجت النابغةَ [الجعديّ] وهجاها، فقال:

وكيف أُهاجي شاعراً رُمْحُهُ اسْتُهُ خضيبَ بنانٍ لا يزالُ مُكَحَّلا

(١) القَوْز: الكثيب العالي من الرمل. واليَفَاع: المشرف من الأرض.
(٢) في «المنتظم» ٦/ ١٦٩ : كلامها.
(٣) ما بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٤) في النسخ الخطية: يغار (في الموضعين)(؟). وأثبتُّ اللفظة على الجادة. وينظر «الأغاني» ١١/ ٢١٧ ، و«المنتظم» ٦/ ١٦٩ .
(٥) في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٥٠ ، و«الأغاني» ١١/ ٢٣٤ : أقسمت أرثي بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت... وفي «الكامل» ٣/ ١٤٦٠ : آليت أبكي... (بمثل ما قبله).
(٦) في (ص): علينا.
(٧) ما بين حاصرتين من (ص) و(م).
(٨) أوردها كذلك ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ١٧٢ في وفيات هذه السنة (٧٥) ونُسب القول في (ص) و(م) إليه.

فأجابَتْه:

وعَيَّرْتَني داءً بأمِّك مثلُهُ وأيُّ حَصَانٍ لا يُقالُ لها هلا[(١)]

[وكانت ليلى تفدُ على عبد الملك والحجَّاج]؛ دخلت [يوماً] على عبد الملك بعد ما أسنَّت، فقال لها: ما رأى منكِ توبةُ حتى عَشِقَكِ؟! فقالت: ما رأى الناس منك حيث جعلوك خليفة! والذي فرَّق بيننا ما كلَّمني يوماً بكلمةٍ سوء قطّ.

[وقال الخرائطي بإسناده عن عبدالله[(٢)] بن أبي الليث قال: قال عبد الملك بن مروان لليلى الأخيلية: باللهِ هل كان بينَكِ وبين توبة سوء قَطّ؟ فقالت: والذي ذهب بنفسه وهو قادر على الذهاب بنفسي ما كان بيني وبينه سوءٌ قطّ، إلا أنه قدم من سفر، فصافحتُه، فغمز يدي، فظننتُ أنه يخنع لبعض الأمر] قال: فما معنى قولك[(٣)]:

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أنْ نخونَهُ وأنتَ لأُخرى فاعلمنَّ حليلُ

فقالت: لا والله ما كان شيءٌ قطّ.

وقال الشعبي[(٤)]: دخلَتْ ليلى الأخيليَّة على الحجَّاج وأنا حاضر، فقال: ما الذي أقدمَكِ علينا؟ فقالت: إخلافُ النجوم، وقلَّةُ الغيوم، وكَلَبُ البَرْد، وشدَّةُ الجَهْد، وأنْتَ لنا بعد الله الرِّفْد. فقال لها: صِفِي حالَ البلاد. فقالت: أمَّا الفِجاج فمُغْبَرَّة، وأمَّا الأرضُ فمقشعرَّة، وأمَّا المَبْرَكُ فمعتلّ، وأمَّا ذو العيال فمختلّ، وأمَّا الناسُ فمُسْنِتُون، ولرحمة[(٥)] الله راجون، وقد أصابنا سِنونَ لم تدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، ومزَّقت الرجال، وأهلكت العيال[(٦)]. وأنشدت:

---

(١) في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٩: وأيّ جواد لا يقال له هلا.

(٢) في (ص): عبد الملك، وهو خطأ، والمثبت من (م) (والخبر من هاتين النسختين). وهو عند الخرائطي في «اعتلال القلوب» ص٩٦، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ص٣٢٧-٣٢٨ (تراجم النساء)

(٣) في (م): قوله. وما سلف بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٤) في (ص) و(م): وحكى المدائني عن الشعبي قال.

(٥) المثبت من (ص) و(م)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ص ٣٣٠ (تراجم النساء). وفي النسخ الأخرى: ولوجه.

(٦) شرح المفردات من «الأمالي» ١/ ٨٩: قولها: إخلاف النجوم، تريد أخلفت النجومُ التي يكون بها المطر، فلم تأت بمطر. وكَلَب البرد: شدَّتُه. والرِّفْد: المعونة. والفِجاج جمع فَجّ، والفَجّ: كل سَعَة بين نَشازَيْن (أي: =

أحـجَّـاجُ لا يُـفْـلَـلْ سـلاحُـك إنَّـمـا ... الـمـنـايا بـكـفِّ الـلـه حيث يَـرَاهـا
هو القَرْمُ[1] لا يُعطي العصاةَ مُناهُمُ ... ويُعطي نفوسَ الطائعين[2] مُناها[3]
إذا وردَ الـحـجَّـاجُ أرضـاً مـريـضـة ... تَـتَـبَّـعَ أقـصـى دائـهـا فـشـفـاهـا
شفاها من الدَّاءِ العُضَال الذي بها ... غـلامٌ إذا هـزَّ الـقـنـاةَ ثـنـاهـا[4]

[فقال الحجَّاج: لا تقولي: غلام، وقولي: هُمام]

فما ولدَ الأبكارُ والعُونُ[5] مثلَه ... ببحـرٍ ولا بَـرٍّ تـجـفُّ ثـراهـا

فقال الحجاج: ما وصفَني شاعرٌ وأصابَ [مثل] صفتي غيرها [بهذا البيت]. فقال لحاجبه: اقْطَعْ لسانها. فأخَذَها وخرجَ ودعا بالحجَّام، فرجعت إلى الحجَّاج وقالت: كاد هذا الأبْلَهُ أن يقطعَ مِقْولي! فدعاه وقال له: ويحك! مثلُ هذه تَقطَعُ لسانَها [لِمَ لا عاوَدْتَني فيها؟!] واللهِ لولا سابقُ خدمتِك لقطعتُ لسانَك. وأمر لها بمئة ناقة سُودِ الحَدَق.

ثم قال لها: سلي حاجتك. فقالت: إن النابغة قد هجاني، فادفَعْه إليّ في قَرَن[6]. فقال: هو لك.

وبلغ النابغةَ، فهربَ إلى ساوة، فمات بها سنة تسع وسبعين [وسنذكره][7].

= مرتفعَيْن). والمَبْرَك: أرادت الإبل، فأقامت المَبْرَك مكانَها. ومختلّ، أي: محتاج، والخَلَّة: الحاجة، ومُسْنِتون، أي: مُقْحِطُون، والسَّنَة: القَحْط. ولم تَدَعْ لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً، فالهُبَع: ما نُتج في الصيف، والرُّبَع: ما نُتح في الربيع. وقولها: ولا عافطة ولا نافطة؛ العافطة: الضائنة، والنافطة: الماعزة (وتحرَّفت في النسخ إلى: عاطفة وناطفة).

(١) أي: السيِّد المعظَّم.

(٢) في (ص): الجائعين.

(٣) رواية البيت في المصادر:

أحـجَّـاجُ لا تُـعـطِ الـعـصـاةَ مُـنـاهُـمُ ... ولا الـلـهُ يُـعـطـي لـلـعـصـاةِ مُـنـاهـا

(٤) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د). وفي (ص) و(م): بناها. وفي «المصادر»: سقاها.

(٥) جمع عَوان، وهي المتوسطة في العمر. وما سلف وسيرد بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) هو حَبْلٌ يُقرن به البعيران.

(٧) في (ص) و(م): سامرة، بدل: ساوة. وفي «تاريخ دمشق» ص ٢٢٤، و«المنتظم» ٦/ ١٧٧ أنه مات بقومس. قال ابن عساكر: ويقال: بحلوان. وينظر الخبر مطولاً (إضافة إلى المصدرين السابقين)في: «الأمالي» ١/ ٨٦-٨٩. وينظر أيضاً: «الأغاني» ١١/ ٢٤٠-٢٤٣.

[قال ابن الكلبي:] مرَّ بليلى زوجُها على قبر تَوْبَةَ، فقالت: أنزلني. قال: ولِمَ؟ فقالت: لِأُكذِّبه، أليس هو القائل:

ولَوْ أنَّ ليلى الأخيليَّةَ سَلَّمَتْ ... عليَّ وفوقي جَنْدَلٌ[1] وصفائحُ
لَسَلَّمْتَ تسليمَ البشاشة أو زَقَا ... إليها صَدىً[2] من جانبِ القبرِ صائحُ

و إذا قد خرج من قبره طائر! فضرب صدرها، فماتت، فدُفنت إلى جانبه.

وهذان البيتان من [أربعة أبيات من] أبيات العرب، وهي:

وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُه ... ألا كلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالحُ[3]
ولَوْ أنَّ ليلى في السماء لصَعَّدَتْ ... بطَرْفِي إلى ليلى العيونُ اللوامحُ[4]

وله[5]:

لا تغزوَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لا ظالماً يوماً ولا مظلوما
قومٌ رِباطُ الخَيْلِ وَسْطَ بيوتِهِم ... وأسِنَّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نُجوما
ومُخَرَّقٌ عنه القميصُ تَخالُهُ ... وَسْطَ البيوتِ من الحياء سقيما
حتى إذا رُفِعَ اللِّواءُ رأيتَهُ ... تحتَ اللِّواءِ على الخميسِ زعيما

ويقال: إنه نَبَتَتْ على قبريهما شجرتان، وطالتا، فالتفَّتا[6]!

---

(١) كذا في «تاريخ دمشق» ص ٣٤٠، وفيه أيضاً رواية: وفوقي تُربة. وفي «الأمالي» ١/ ٨٧: ودوني جندلٌ، وفي «الأغاني» ١١/ ٢٤٤: ودوني تُربة.

(٢) زَقَا، أي: صاح. والصَّدَى: طائر يزعم الجاهليُّون أنه يخرج من رأس القَتِيل. وهو من الخُرافات كما في هذا الخبر.

(٣) ذكر الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/ ١٧١ من المولَّد: كلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالحٌ. وذكر العسكري في «جمهرة الأمثال» ٢/ ١١٩ قولهم: قِلَّةُ ما قرَّتْ به العينُ صالح.

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): اللوافح، وفي (ص): الهواجع، وفي (م): الطوامح. والمثبت من «المحاسن والأضداد» ص ٩٥، و«الشعر والشعراء» ١/ ٤٤٦، وفيهما: لأصعدت، بدل: لصعَّدت.

(٥) كذا في (أ) و(ب) و(خ) و(د): والكلام ليس في (ص) و(م)، ولعل الصواب: ولها، فالأبيات لليلى الأخيلية، كما في «الأمالي» ١/ ٢٤٨، و«شرح الحماسة» للمرزوقي ٤/ ١٦٠٩.

(٦) ينظر ما ذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه الصحيح في خبر وفاتها في «الأغاني» ١١/ ٢٤٤.

أبو ثعلبة الخُشَنيّ القُضاعي

[وخُشَيْن حيٌّ من قُضاعة.

واختلفوا في اسمه ونسبه، فقال ابن سعد[١]: جُرْهُم بن ناشم. قال: وأُخبرتُ عن أبي مسهر الدمشقي أنه قال: اسمُه جُرثومة بن عبد الكريم. وقيل: جرثوم بن الأشر، وقيل: لاشر بن جرثوم، وقيل: جرثومة بن ناشج، وقيل: جرثوم بن عَمرو، وقيل: جرهم بن ناشم، أو: لاشم، وقيل: ابن ناسم، بالسين المهملة][٢].

[وقال ابن سعد:] قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهَّز إلى حُنَيْن[٣].

وقيل: إنه شهد بيعة الرِّضوان وحُنيناً، ونزلَ الشام، وتوفي به في سنة خمس وسبعين.

وحكى ابنُ عساكر عن الوليد بن مسلم أن أبا ثعلبة كان يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله كما يخنقُكم. فبينا هو يصلِّي بالليل؛ قُبِضَ وهو ساجد في مُصَلَّاه.

[قال:] ويقال: إنه نزل داريًّا، وقيل: بالبَلاط[٤]. وقيل: بحمص. وقيل: بدمشق.

وأسند عن رسول الله ﷺ أحاديث، [منها في «الصحيحين» ثلاثة؛ اثنان متفق عليهما، وواحد لمسلم][٥].

فمن مسانيده قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخرة أحسنُكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم منّي في الآخرة أسوأُكم أخلاقاً[٦]، الثَّرْثَارُون المُتَفَيْهِقُون المُتَشَدِّقُون».

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٤١٩ .

(٢) ينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ١٧٥ ، و«تهذيب الكمال» ٣٣/ ١٦٩-١٧٣ ، و«توضيح المشتبه» ٣/ ١١٤ . وهذا الكلام الواقع بين حاصرتين من (ص) وحدها.

(٣) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٢٠ : خيبر. ووقع في «تهذيب الكمال» ٣٣/ ١٦٨ : حنين .

(٤) ينظر «تاريخ داريا» ص ٥٨ . والبَلاط: قرية من قرى غوطة دمشق الشرقية، بجانب المنيحة (المليحة) كما ذكر محمد كرد علي في «غوطة دمشق» ص ١٦٤ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ص) وحدها. وجاء في «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٩٠ أن له في «الصحيحين» أربعة أحاديث، المتفق عليه منها ثلاثة، ولمسلم واحد. وذكر ابن حجر في مقدمة «فتح الباري» ص ٤٧٦ أن له في «صحيح» البخاري ثلاثة أحاديث.

(٦) في «مسند» أحمد (١٧٧٣٢): محاسنكم أخلاقاً... مساوئكم أخلاقاً. (وقد نُسب الحديث في النسخة ص إليه).

[قوله: الثرثارون: الذين يُكثرون الكلام تكلُّفاً، والمُتَفَيْهِقُون: الذين يتوَسَّعون في الكلام، ويفتحون أفواههم. مأخوذ من الفَهْق، وهو الامتلاء. يقال: أَفْهَقْتُ الإناء: إذا ملأتَه.

وفي الصحابة أربعة؛ كنيةُ كلٍّ واحد أبو ثعلبة. أحدُهم هذا، والثاني: أشجعي، والثالث: أنصاري، والرابع: ابن عمّ كَرْدَم(١).

وقال ابن عساكر: روى أبو ثعلبة عن أبي عُبيدة، ومعاذ بن جبل.

وروى عنه: أبو إدريس الخولاني، وابنُ المسيِّب، وعُمير بن هانىء، وأبو رجاء العُطاردي في آخرين](٢).

حُمْرَان بن أبان

مولى عثمان ﷺ، وهو من سَبْي(٣) عين التَّمر؛ سباه خالد بن الوليد ومعه أربعون غلاماً، وكانوا مُخْتَتَنين، ففرَّقهم في الناس، وكان فيهم سِيرِين أبو محمد [بن سِيرين]. وسَبْيُ حُمران أَوَّلُ سَبْيٍ دخل المدينة من المشرق.

وقيل: هو من ذُرِّيَّة النَّمِر بن قاسط؛ اشتراه المسيِّب بن نَجَبة، فابتاعَه منه عثمان ﷺ، فأعتقه، وصيَّره حاجبَه.

وهو من الطبقة الأولى(٤) من التابعين من أهل المدينة، وكان صاحب الإذن على عثمان رضوان الله عليه.

وكان سيَّره إلى البصرة، وذلك لأنَّ عثمان ﷺ مرض، فأوصى، واستخلفَ عبدَ الرحمن بنَ عوف ﷺ، وكان ابنُ عوف في الحجّ، وكان حُمْران هو الذي كتبَ الوصيَّة، واستسرَّ بها حُمران، وعُوفي عثمان ﷺ، وقدم عبد الرحمن ﷺ، فأخبره

(١) ينظر «الاستيعاب» ص ٧٨٥.
(٢) من قوله: قوله: الثرثارون... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) وحدها.
(٣) في (ص): واختلفوا فيه، فقال مصعب الزُّبيري: هو من سبي...
(٤) في (ص): وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى... الخ. وهو في «طبقاته» ٧/ ٢٧٩ في الطبقة الثانية من أهل المدينة من الموالي. وذكره أيضاً ٩/ ١٤٩ في الطبقة الثانية من أهل البصرة.

حُمران، واستسرَّه، فقال [عبد الرحمن]: لابدّ أن أُخبرَ عثمانَ لئلا يأتمنَك على سرٍّ مثلِه. فقال: لا تفعل؛ إذاً تُهلكني. فقال: أنا أسْتأمنُه لك. فاستأمنَه، فقال: إما جلد مئة، أو النَّفْي. فاختار النفي.

[وذكره ابن عساكر وقال: كانت له دار بدمشق. وقال هشام]: وأغرمَه الحجاج مئة ألف درهم، لأنه وليَ سابور لخالد بن عبد الله بن أسيد، فاقتطعَ المالَ.

وبلغ عبدَ الملك، فكتبَ إلى الحجَّاج يلومُه ويؤنِّبُه ويقول: حُمْران أخو مَنْ مضى، وعمُّ مَنْ بقي. فردَّها عليه، فتصدَّق بها.

[وذكرنا أن حُمران كان عظيماً عند بني أمية، وأنه دخل على معاوية وعنده عبد الله ابن عامر، فمدَّ حُمْران رِجْلَه، فابتدره معاوية وابنُ عامر أيُّهما يغمزُه.

وقال أبو مُسهر:] وكان حُمْران يصلي خلف عثمان رضوان الله عليه، فإذا وقف ردَّ عليه حُمْران.

[قال هشام:] وتوفِّي بالبصرة سنة خمس وسبعين.

وقيل: بالمدينة.

أدرك أبا بكر وعُمَر رضي الله عنهما، وحدَّث عن عثمان، وابنِ عُمر رضي الله عنهما.

وروى عنه عُروة بن الزُّبير، وأبو سَلَمة بن عبد الرحمن، ونافع [مولى ابن عمر] والحسنُ البصري، ومَعْبَد الجُهَنيّ، ومسلم بنُ يسار، ومحمد بن المنكدر، وزيد بنُ أسلم، وعطاء، وعبدُ الله بن شدَّاد، وغيرهم.

وقال يعقوب بن سفيان: لم أرهم يحتجون بحديث حمران[١].

قال ابن عساكر: وقد أخرج البخاري ومسلم حديثَه، وكانت له دار بدمشق[٢].

---

(١) لم أقف على هذا القول ليعقوب. وقد قال فيه ذلك ابن سعد في «طبقاته» ٩/ ٢٧٩، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ٥/ ٢٩٠-٢٩١(مصورة دار البشير).

(٢) ينظر ما سلف في هذه الترجمة في المصدر السابق. وكلُّ ما وقع فيها بين حاصرتين من (ص) وحدها.

سُلَيْم بن عِتْر

أبو سَلَمة التُّجِيبيّ المِصْريّ، قاصُّ مصر وقاضيها، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وكان يسمَّى الناسكَ لكثرة فضله وشدَّة عبادتِه

[وحكى ابن عساكر بإسناده:] كان يختِمُ القرآن في كل ثلاث[١].

وهو أوَّلُ من قصَّ بمصر في سنة تسع وثلاثين، وشهدَ فتح مصر، وخطبة عمر رضي الله عنه بالجابية، وولَّاه معاوية القضاء على مصر سنة أربعين، فأقام عليها قاضياً إلى سنة ستين.

[قال:] وهو أوَّلُ من استجدَّ[٢] بمصر سجلًّا في مواريث، وكانت وفاتُه بدمياط سنة خمس وسبعين.

روى عن عمر[٣]، وعليّ، وأبي الدرداء، وحفصة أمِّ المؤمنين، وأمِّ الدرداء، رضي الله عنهم.

وروى عنه عُلَيُّ بنُ رباح، وأبو قبيل، ومِشْرَحُ بنُ هاعان.

ومن روايته عن حفصة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها [ما رواه ابن عساكر] قال: صَدَرْنا مع حفصة من الحجّ وعثمانُ محصور، فلما دنَونا من المدينة إذا راكبان، فسألْتُهما عن عثمان، فقالا: قُتل. فقالت حفصة: والذي نفسي بيده، إنها القرية التي قال الله فيها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية.

[قال:] وكان سُليم يستقيل معاوية من القضاء، ولا يُقيلُه.

قال [ابن عساكر عن] حرملة بن عمران: كان يوسُف الثقفيُّ جالساً في مسجد الفسطاط، ومعه ابنُه الحجَّاج بن يوسف الثقفي جالساً، فمرَّ سُلَيْم بنُ عِتْر، فقام إليه يوسف فسلّم عليه وقال: هل لك حاجةٌ إلى معاوية، فإنّي على عزم القدوم عليه. قال: نعم، حاجتي إليه أنْ يعزلَني عن القضاء. فقال له: وَدِدْتُ ـ واللهِ ـ أنَّ قضاة المسلمين كانوا كلُّهم مثلَك، فكيف أسألُه أن يعزلك؟!.

---

(١) الذي نُقل عنه أنه كان يختم في كل ليلة ثلاث ختمات! كما في «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٣٢ . وفيه من المبالغة مالا يخفى. (ووقعت ترجمتُه ضمن خرم في «تاريخ دمشق») والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٢) أي: استحدث. وهي من (م). وفي(ص): انتحل، وفي النسخ الأخرى: استجلّ.

(٣) المثبت من (ص) و(م)، وفي النسخ الأخرى: عثمان. وينظر «تاريخ الإسلام» ٢/ ٨١٦ .

ثم عاد يوسف إلى مجلسه، فقال له ابنُه: الحجَّاج: مَنْ هذا الذي قُمْتَ إليه من مجلسك؟ قال: سُلَيْم بن عِتْر قاصٌّ مصر وقاضيها. فقال: أنتَ ابنُ أبي عقيل، تقومُ إلى رجلٍ من تُجِيب! فقال له أبوه: ويلَك! إني والله لا أرى الناس يُرحمون إلا بهذا وأمثالِه. فقال له الحجَّاج: واللهِ ما يُفْسِدُ الناسَ على أمير المؤمنين إلا هذا وأشباهُه؛ يقعدُ إليهم، فيحدِّثُهم بسيرة أبي بكر وعمر، فيخرجون على أمير المؤمنين. واللهِ لو صفا هذا الأمرُ لسألتُ أمير المؤمنين أن يأذنَ لي في قتلِ هذا وأشباهِه. فقال له أبوه: لعنَك الله، واللهِ ما خلقَكَ اللهُ إلا شقياً.

شُرَيْح [القاضي]

ابن الحارث بن قيس بن الجَهْم بن معاوية بن عامر بن الرايش[١] بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرَتِّع[٢]، من كندة، أبو أمية القاضي الكوفي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[وقال ابن سعد:] سُئل شُريح: ممَّن أنتَ؟ قال: من اليمن، وعِدادي في كندة[٣].

وقال ابنُ عساكر: أسلم على يد رسول الله ﷺ، وقال: إنَّ لي أهلَ بيتٍ ذوي عددٍ باليمن، فقال: «جِئ بهم». فجاء بهم ورسولُ الله ﷺ قد قُبض[٤].

وقال ابنُ منده: أدركَ زمنَ رسول الله ﷺ ولم يَلْقَه [وهو الأصحُّ.

وقال أبو القاسم ابن عساكر: ويقال: من أولاد الفُرس الذين كانوا باليمن. أدرك النبيَّ ﷺ ولم يلقه، ويقال: بل لقيه] واستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة [وأقره عليّ] وأقام على القضاء بها ستين سنة، وقضى بالبصرة سنة[٥].

---

(١) بالياء. ينظر «توضيح المشتبه» ٤/ ٩٢.

(٢) كذا عند ابن الكلبي، وعند غيره: مُرْتِع. ينظر «توضيح المشتبه» ٨/ ١١٨-١١٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٣. والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٣٦-٣٧ (مصورة دار البشير).

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٣٦ (مصورة دار البشير).

[وقال ابن سعد:] وكان قائفاً شاعراً كوسجاً. وقيل: لم يكن له لحية[١] [وقد ذكرناه.

وقال ابن منده:] ولَّاه عمر رضوان الله عليه القضاء وله أربعون سنة، وعاش عشرين ومئة سنة.

[وقال أبو نُعيم:] وليَ القضاء لعُمر، وعثمان، وعليّ ﷺ، وعزلَه عليّ عليه السلام، ثم أعاده معاوية، ووليَ لزياد وابنِه عُبيد الله، وعبدِ الملك بنِ مروان.

وكان له في كلِّ شهر على القضاء خمس مئة درهم.

قال ابنُ سعد: إن علياً عليه السلام رزقه ذلك، وأمرَه أن يصلِّيَ بالناس في رمضان[٢].

[ذكر طرف من أخباره، وسبب ولايته القضاء

قال ابن سعد بإسناده عن الشعبي قال: ساومَ عمر بن الخطاب ﷺ بفرس، فركبه لِيَشُوره[٣]، فَعَطِبَ، فقال للرجل: خُذ فرسك. فقال الرجل: لا. قال: فاجعل بيني وبينك حكماً. قال الرجل: شُرَيْح. فتحاكما إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، خُذْ ما ابتعتَ، أو رُدَّ كما أخذتَ. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا. سِرْ إلى الكوفة. فبعثه قاضياً عليها، وإنه لَأَوَّلُ يوم عَرَفَه فيه.

وروى عنه ابنُ سعد قال: قال شُريح: ما شَدَدْتُ على لَهَوات خصم قطّ كلمة.

وما كان يلقِّنُ خصماً حجَّةً قطّ][٤].

وشُريح أوَّلُ مَنْ سألَ في السِّرّ، فقيل له: يا أبا أمية، أحدَثْتَ! فقال: أحدثَ الناسُ فأحدَثْنا[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٣ .والكَوْسَجُ: الذي لا شعر على عارضَيْه

(٢) المصدر السابق ٨/ ٢٥٩ .

(٣) أي يُجرِيهِ لتظهر قوّتُه.

(٤) من قوله: ذكر طرف من أخباره... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) و(م) إلا قوله: يلقّن خصماً حجة قطّ، فليس (ص). وينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٥٣-٢٥٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٤ . ولم يرد هذا الخبر في (ص) و(م).

وقال له ابنُه: بيني وبين قوم خُصومة، فانظر، فإن كان الحقُّ لي خاصمتُهم، وإنْ لم يكن الحقُّ لي، لم أُخاصمهم. وقصَّ قصَّتَه عليه. فقال: انطلِقْ فخاصِمْهم. فتخاصموا إليه، فقضى على ابنه، فقال له: يا أبه، فضحتَني. فقال: يا بنيّ، واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من مِلْءِ الأرض مثلهم، ولكنَّ اللهَ أعزُّ عليَّ منك، خشيتُ أنْ أخبرَك أنَّ القضاء عليك، فتُصالحَهم، فتذهبَ ببعضِ حقِّهم[١].

[قال:][٢] وكان إذا خرجَ إلى القضاء قال: سيعلم الظالم حظَّ مَنْ نَقَص، إن الظالم ينتظرُ العقاب، والمظلوم ينتظر النصر.

[قال]: واختصم إليه رجلان، فقضى على أحدهما، فقال: قد علمتُ من حيث أُتيت. فقال شُريح: لعن الله الراشيَ والمرتشيَ والكاذب[٣].

وأقرَّ رجل عنده بحقّ، ثم ذهب لينكر، فقال له شُريح: قد شهد عليك ابنُ أختِ خالتِك[٤].

[قال: فكان إذا غضب أو جاع قام.

قال: ولبث شُريح في فتنة ابن الزبير تسع سنين لا يستخبر ولا يخبر بشيء.

قال: وكان أبيض الرأس، وكان إذا ماتت له سنّور دفنها في داره.

وهذه روايات ابن سعد[٥].

وقال الشعبي: جاءت امرأة إلى شُريح، فخاصَمَتْ وجعلَتْ تبكي. قال: فقلتُ: ما أظنُّها إلا مظلومة. فقال: يا شعبيّ، إخوةُ يوسفَ جاؤوا عشاءً يبكون!

وحكى ابن عساكر عن الشعبيّ قال[٦]: خرج عليٌّ عليه السلام إلى السُّوق، فإذا بنصرانيّ يبيع دِرْعاً، فعرفَ عليّ الدِّرْع. فقال: هذه دِرْعي. فأنكر النصرانيّ وقال: بيني

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٢٥٦ . ونُسب الخبر في (ص) و(م) إليه.

(٢) يعني ابن سعد، فقد نُسب الخبر الذي قبله إليه. وهو في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٥٦ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٢٥٧ . قال ابن سعد بإثره: يعني أنك قد أقررتَ على نفسك.

(٥) ينظر «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢٦٢-٢٦٤ .

(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٤٤ (مصورة دار البشير).

وبينك قاضي المسلمين. فقدَّمَه إلى شُرَيْح ، فلما رآه قام من مجلس القضاء ، وأجلس عليّاً في مجلسه ، وجلس شُرَيْح قُدَّامه إلى جنب النصرانيّ. فقال علي : لو كان خصمي مسلماً لقعدتُ إلى جنبه. واحتكما عنده. فقال شُريح : يا أمير المؤمنين، ألكَ بيّنة؟ فسكت عليّ. فقال النصرانيّ : أشهدُ أن هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! هي ـ واللهِ ـ دِرْعُك يا أمير المؤمنين من جملك الأورق ليلة كذا وكذا، فأخذتُها.

ثم أسلم النصرانيّ، فوهبَ له علي الدِّرْع، وحملَه على فرس لإسلامه، فأُصيب معه في صفّين.

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني القصة، وقال[١] : فشهد لأمير المؤمنين ابنهُ الحسن، وغلامه قنبر، فقال شُريح : زِدْني شاهداً آخر. فقال له علي : أتردُّ شهادة الحسن؟ قال : لا ، ولكن أنتَ حدَّثتَني أنه لا يجوز شهادة الولد لوالده. قال : أما سمعتَ ابنَ عمر[٢] يقول : قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة» أفلا تُجيزُ شهادتهما؟! واللهِ لتخرجنَّ (إلى) بانِقْيا، فلتقضينَّ بين أهلها أربعين يوماً[٣].

وروى أبو القاسم ابن عساكر عن ابن قتيبة في امرأتين اختصمتا إلى شُريح في ولدِ هِرَّة، فقال : ألقوها مع هذه، فإن هي قرَّت ودرَّت واسْبَطَرَّت، فهي لها، وإن هي فرَّت وهرَّت واقشعرَّت، فليست لها. ومعنى اسْبَطَرَّت : امتدَّت للرضاع[٤].

وقال الشعبي : جاءت امرأة إلى عليّ تخاصمُ زوجها وقد طلَّقها، فادَّعت أنها حاضت في شهر ثلاث حيض، وكان شُريح عنده، فقال له : قُلْ فيها، فقال : أقول وأنت شاهد؟ قال : قل. قال : إن جاءت بامرأة من أهلها ممن ترضى دينها وأمانتها؛ تزعم أنها حاضت ثلاث حيض، تطهر عند كلّ قَرْء طهراً وتصلّي؛ قبلتَ قولَها، وإلا

---

(١) الأغاني ١٧/٢١٨ـ٢١٩ .

(٢) الأغاني : عمر.

(٣) جاء بعده في (ص) (والكلام منها) : قال ابن عائشة : نظر شُريح إلى رجل قائم على رأسه وهو يضحك... وسيرد هذا الخبر (دون نسبة كما في النسخ الأخرى) بإثر هذا الكلام الذي بين حاصرتين، والذي هو في (ص) وبعضه في (م).

(٤) تاريخ دمشق ٨/٤٩ـ٥٠ (مصورة دار البشير).

فلا. فقال أمير المؤمنين: قالون. وهو بلسان الروم: أحسنت، أو: أصبت، أو: جيّد.

وقد ذكر محمد رحمه الله هذه المسألة في الأصل وقال بمعناه.

وقد ذكره ابن عساكر(١)، وفيه: فقال شُريح: إن جاءت بنسوة من بطانة أهلها](٢).

ونظر إلى رجل قائم على رأسه وهو يضحك، فقال له: ما يُضحكك وأنت تراني أتقلَّبُ بين الجنة والنار(٣)؟!.

وكان يجعل مَيَازِيبَهُ في داره ويقول: أخافُ أن أُوذِيَ جيراني(٤).

وكان يقبلُ الهديَّة ويُثيب عليها(٥).

وقيل له: كيف أصبحت؟ فقال: كيف يُصبح مَنْ شَطْرُ الناس عليه غِضاباً(٦)؟!.

وتقدّم إليه رجلٌ فقال له: أين أنتَ؟ فقال شُرَيح: بينك وبين الحائط. [قال:] إني رجلٌ من أهل الشام. فقال: بعيدٌ سحيق. قال: إني تزوَّجْتُ امرأةً. قال: بالرِّفاء والبنين. قال: فإني شرطْتُ لها داراً. قال: الشرط أَمْلَك. قال: اقضِ بيننا. قال: قد فعلت(٧).

وافتقد ابناً له، فلم يجده، فجاؤوا به. فقال: أين وجدتُموه؟ قالوا: رأيناه يُهارش الكلاب. قال له: أصليتَ؟ قال: لا. فكتب له إلى المعلم صحيفة فيها:

تركَ الصلاةَ لأكْلُبٍ يسعى لها ... طلبَ الهِراش مع الغُواةِ النُّجَّسِ

فإذا أتاك فعَضَّهُ بملامةٍ ... وَعِظَتْهُ(٨) موعظةَ الأديبِ الكيِّسِ

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٤٥.

(٢) من قوله: قال: فكان إذا غضب أو جاع... إلى هذا الموضع (وهو ما بين حاصرتين) من (ص) وبعضه في (م).

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ٤٦. ووقع هذا الخبر في (ص) وسط الكلام الذي استُدرك بين حاصرتين، كما سلف قبل ثلاث تعليقات، ولم يرد في (م).

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٤.

(٥) المصدر السابق. ووقع هذا القول في (ص) و(م) أوائل ما سلف بين حاصرتين منهما. وهو في النسخ الأخرى في هذا الموضع.

(٦) نُسب هذا القول في (ص) و(م) للهيثم، ووقع فيهما آخر ما سلف بين حاصرتين منهما، وهو في هذا الموضع من النسخ الأخرى. وينظر «أخبار القضاة» لوكيع ٢/ ٣٢٠.

(٧) أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٣٠٤، وحلية الأولياء ٤/ ١٣٤.

(٨) في النسخ الخطية (غير ص وم فليس فيها): وعظه. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٨/ ٥٧ (مصورة دار البشير). وينظر «العقد الفريد» ٤/ ٤٣٦.

فـإذا هَـمَـمْـتَ بـضـربـهِ فَـبِـدِرَّةٍ ... وإذا ضَـرَبْـتَ بـهـا ثـلاثـاً فـاحْـبِـسِ
واعْـلَـمْ بـأنَّـك مـا أتـيـتَ فـنـفـسُـهُ ... مـع مـا يُـجَـرِّعُـنـي أعـزُّ الأنـفـسِ
فـلـيـأْتـيـنَّـكَ عـامـداً بـصـحـيـفـةٍ ... نَـكْـداءَ مثـلِ صـحـيفـةِ الـمُـتَـلَـمِّـسِ

فلما قرأ المعلِّم الصحيفة ضربه ستّاً، فأرسل إليه شريح: أمرتُك أن تضربَه ثلاثاً، فلِمَ ضربتَه ستّاً؟! فقال: ثلاثة لأمرك، وثلاثة لكونه حمل صحيفةً لا يدري ما فيها[١].

وقيل: بعث شُريح إلى المعلم البيتَ الأول، والثاني، والخامس، فحمل الغلامُ الخوف على أنه فتحها، وزاد فيها البيت الثالث والرابع.

ومرَّ شُريح على المؤدِّب، فقال: ما صنعت؟ قال: ضربتُ ثلاثاً ولم أتجاوزْ ما قلتَ. فقال: ما أمرتُ بثلاثٍ ولا بغيرها، فأخرجَ الرُّقعة وقال: هذه رقعتُك، فنظر إليها وقال: أمَّا الثلاث، فأنا قلتُها، وأما الثالث والرابع، فلا أعرفهما. فقال للغلام: مَنْ عملَ هذَيْن؟ قَرَّرَه، فقال: أنا. فقال: أردِفْهما بشيءٍ حتى نعلمَ صدقَك. فأخذ الرُّقعة، وكتب على ظهرها:

يـا أيُّـهـا الـقـاضـي الـذي مـا مـثـلُـه ... مـمَّـن تـراهُ قـاضـيـاً فـي مـجـلـسِ
أرْفُـقْ بـمـن أسـعـرتَ خـوفـاً قـلـبَـهُ ... وتـركـتَـه قـلـقـاً بـعـقـلِ مُـوَسْـوَسِ
إنَّ الـمـعـلِّـم لا يـقـومُ لـضـربـهِ ... أحـدٌ ومَـنْ يـصـبـرْ عـلـيـه يـنـكَّـسِ
رجـلٌ إذا أخـذَ الـعـصـا فـمَـدَارُهـا ... مـا بـيـن أسْـوُقِـنـا وبـيـن الأرْؤُسِ
لا يـرحـمُ الـطـفـلَ الـصـغـيـرَ لـضـعـفِهِ ... وكـذا الـكـبـيـرُ بـكـأس ذُلٍّ يـحـتـسـي
سـبـحـانَ مَـنْ خَـلَـقَ الـمُـعَـلِّـم قـاسـيـاً ... أهـونْ عـلـيـك بـطَـبّ كـلِّ مـنـكَّـس

فدمعت عينا شُريح. وقال للمعلم: الزَمْ بيتَك. وأحسَنَ جائزَتَه[٢].

وقع الطاعون بالكوفة، فخرجَ صديق لشُرَيْح إلى النَّجَف، فكتب إليه شُرَيْح:

---

(١) أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٢٠٧ـ٢٠٨ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٥٧ (مصورة دار البشير). وينظر «حلية الأولياء» ٤/ ١٣٧ . ولم يرد هذا الخبر في (ص) و(م).

(٢) لم أقف على هذه الرواية، ولم ترد في (ص) و(م).

أمَّا بعد، فإنَّ المكان الذي فررتَ منه لم يسق إلى غير من جاءه حِمامُه، ولم تتعدَّاه[(١)] أيَّامُه، وإنَّ الموضعَ الذي أنتَ فيه لَبِعَيْنِ مَنْ لا يُعجزُه طَلَب، ولا يفوتُه هَرَب، ونحن وإيَّاكَ على بساط، وإنَّ النَّجَف من ذي قدرة لَقريب. فرجع الرجل[(٢)].

وقيل: توفِّي سنة ستٍّ وسبعين بالكوفة وله مئةٌ وثمانِ سنين[(٣)].

وقيل: توفي سنة ثمانين، أو تسع وسبعين[(٤)].

وقيل: سنة ثمان وسبعين[(٥)].

وقيل: سنة خمس وسبعين.

وقيل: عاش مئة وسبعاً وعشرين سنة[(٦)].

[وقال ابنُ عبد البَرّ: ولَّاه عمر بن الخطاب القضاء، فأقام قاضياً ستين سنة][(٧)].

[وقال ابن قُتيبة:] وأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة، لم يتعطَّل سوى ثلاث سنين في فتنة ابن الزُّبير، فلمَّا وليَ الحجَّاجُ الكوفةَ سألَه أن يُعْفِيَهُ، فأعفاه[(٨)].

وقال الفَضْل بن دُكين: خرج شُرَيح يوماً من عند زياد وهو على الكوفة، فقال له رجل: يا شُريح، كَبِرَتْ سِنُّك، ورقَّ عظمُك، وارتشى ابنُك. فعاد إلى زياد، فأخبره، واستقالَه، فقال: لا أَقيلُك حتى تَدُلَّني على رجل يصلحُ. فقال: عليك بأبي بُرْدَة بن أبي موسى. فولَّاه وعزلَ شُريحاً[(٩)]، ثم عاد شُريح بعد ذلك إلى القضاء.

---

(١) كذا في النسخ غير (ص) و(م) فلم يرد فيهما الخبر.

(٢) الخبر بنحوه في «العقد الفريد» ٣/ ١٩٣ ، و«حلية الأولياء» ٤/ ١٣٦ ، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٤٦٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٥ ، وهو قول الفضل بن دُكَين.

(٤) حكاه ابن سعد عن الشعبي.

(٥) المصدر السابق عن بعض أهل العلم . و نسبت هذه الأقوال في (ص) و (م) إليه .

(٦) نُسب القول في (ص) و(م) لابن عساكر. والذي في «تاريخه» ٨/ ٥٩ عن أشعث بن سوار أن شُريحاً مات وهو ابن مئة وعشرين سنة، وأن أبا رجاء العطاردي مات وهو ابن مئة وسبعة وعشرين سنة.

(٧) ما بين حاصرتين من (ص) و(م)، وفيهما بعده: مات سنة خمسين وسبعين، ومات وهو ابن مئة وعشرين سنة، في سنة ثمانين! ولعل في الكلام سقطاً أو تكراراً.

(٨) المعارف ص ٤٣٣ .

(٩) تاريخ دمشق ٨/ ٥١ (مصورة دار البشير)، وصفة الصفوة ٣/ ٤١ .

أسند شُريح الحديث عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ ﷺ، وزيدِ بن ثابت. وقيل: لم يُسند عن أبي بكر ﷺ، وأسند عن عُروة بن أبي الجَعْد البارقيّ.

وروى عنه النَّخَعي والشعبيّ، وكان ثقةً كثيرَ الحديث، وروى عنه محمد بنُ سِيرِين، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم.

وقدم دمشق في أيَّام معاوية، وحاكم رجلاً عند قاضيها [وقد ذكرناه].

وكان سبب سفره عن المدينة أن أمَّه تزوَّجت بعد أبيه، فاستحيى من الناس، فخرج.

صِلَةُ بنُ أَشْيَم العدويّ

من بني عديّ بن عبد مناة، أبو الصهباء، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، كان له فضلٌ وورع، وكان ثقةً.

وقد ذكره النبيُّ ﷺ؛ قال ابن سعد[1]: حدثنا عتَّاب بنُ زياد، عن عبد الله بن المبارك، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن النبيَّ ﷺ قال: «يكون في أمتي رجل يقال له: صِلَة، يدخل بشفاعته الجنةَ كذا وكذا».

وقالت مُعاذةُ العدويَّة زوجة صِلَة: كان أبو الصَّهباء يصلِّي حتى ما يأتي فراشَه إلا زَحْفاً[2].

وجاءه رجل وهو يَطْعَم، فأخبره بموت أخيه، فقال: تعالَ فكُلْ، فقد نُعيَ لنا قُدْماً[3]. فقال: واللهِ ما سبَقَني إليك أحد، فمن نعاه؟ قال: الذي يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠][4].

وقال ثابت البُناني[5]: كان صلة يخرج إلى الجبَّانة، فيتعبَّد فيها، وكان يمرُّ على الصبيان وهم يلعبون، فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سَفَراً، فحادوا بالنهار عن الطريق، وناموا

---

(١) في «الطبقات» ٩/ ١٣٤ . ونُسب الكلام قبله في (ص) و(م) إليه.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٣٦ ، ونُسب الخبر في(ص) و(م) إليه والخبر قبله ضعيف لإرساله.

(٣) في (ص) و(م): قبلك.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٣٧ ، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٨-٢٣٩ .

(٥) في (ص) و(م): وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن ثابت البُناني قال...

بالليل، متى يقطعون سفرَهم؟ قال لهم ذلك مراراً، فقال شابٌّ منهم: واللهِ ما يعني بذلك غيرَنا. ثم اتَّبعَ ذلك الشابُّ صِلَةَ، فكان يتعبَّد معه في الجبَّان إلى أن مات[١].

[قال الجوهري: والجَبَّان والجَبَّانة: الصحراء، فسُمِّيت المقابر جَبَّانة].

وقال جعفر بن زيد: خرجنا في غَزاة[٢] إلى كابُل، وفي الجيش صِلةُ بن أَشْيَم، فنزلَ الناس عند العَتَمة، فقلت: لأرْمُقَنَّ عَمَلَه، فأنظرُ ما يذكرُ الناسُ من عبادته.

فصلَّى العتمةَ، ثم اضطجع، فالتمسَ غفلةَ الناس حتى إذا هدأتِ العيون، وثبَ، فدخلَ غَيْضةً قريباً منه، ودخلتُ في أثره، فتوضَّأ، ثم قام يصلِّي.

[قال:] وجاء أسدٌ، فدنا منه. [قال:] فَصعِدْتُ في شجرة. قال: فتراه التفتَ، أو عنده خبر؟! حتى سجد! فقلت: الآنَ يفترسُه. فجلس، ثم سلَّم، فقال: أيها السَّبُع اطلب الرزق من مكان آخر. فولَّى، وإنَّ له زئيراً تُصدع الجبالُ منه، ومازال يصلي حتى [أضاء] الصبح، فجلس، فحمد اللهَ بمحامدَ لم أسمع بمثلها. ثم قال: اللهمَّ إنِّي أسألُك أن تُجيرني من النار، فمثلي لا يسألُك الجنَّة. [ثم رجع] وأصبح كأنه باتَ على الحشايا[٣]، وأصبحتُ وبي من الفترة ما اللهُ به عليم[٤].

ونادى الأمير: لا يشذَّنَّ أحدٌ من العسكر، وقد دنونا من أرض العدوّ. فقام صِلَةُ يصلِّي، وذهبَتْ بغلتُه وعليها ثَقَلُه[٥]، فلما فرغَ من صلاته قال: اللهم بغلتي. فجاءت حتى وقفت بين يديه، والتقينا العدوّ، فهزمناهم.

وقال أبو السَّليل: إنَّ صِلَةَ بنَ أَشْيَم حدَّثَه قال: كنتُ أسيرُ على دابَّة لي؛ إذْ جُعتُ جوعاً شديداً، ولم أجد أحداً يبيعُني طعاماً، وجعلتُ أتحرَّج أنْ أُصيبَ من أحدٍ من الطريق شيئاً، فبينا أنا أسيرُ أدعو ربي وأستطعمُه؛ إذْ سمعتُ وَجْبَةً من خلفي، فالتفتُّ،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٨، والتوابين ص٢٥٠.

(٢) في (ص)و(م): وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل بإسناده عن حماد بن جعفر بن زيد، أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة...

(٣) جمع حَشِيَّة، أي: الفراش المحشوّ.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٠، وصفة الصفوة ٣/ ٢١٧، و«المنتظم» ٦/ ١٧٠، وقوله: «ثم رجع» الواقع بين حاصرتين منهما.

(٥) أي: متاعه.

فإذا بمنديل أبيض، فنزلتُ عن دابَّتي، وأخذتُ المنديل، وإذا فيه دُوْخَلَةٌ[١] مَلْأَى رُطَباً، فأخذتُه وركبتُ دابَّتي، وأكلتُ منه حتى شبعتُ[٢].

وأدركني المساء، فنزلتُ على راهب في دَيْر له، فحدَّثْتُه الحديث، فاستطعمني من الرُّطَب، فأطعمتُه رُطَبات.

[قال:] ثم إني مررتُ على ذلك الراهب، فإذا نخلاتٌ حِسان حمالات [ـ أو: نخل حمال ـ] فقال: إنهنَّ لمن رُطَباتك التي أطعمتني.

وجاء بالثوب[٣] إلى أهله، فكانت امرأتُه تُريه الناس[٤].

[وكانت معاذة العدويَّة زوجة صلة بن أشيم، فروى ابن أبي الدنيا عن رجل من بني عدي قال:] ولما أُدخلت[٥] مُعاذةُ العدويَّة إلى صِلَة؛ أدخلَه ابنُ أخيه الحمَّام، ثم أدخلَه بيتاً مُطَيَّباً، فقام يصلِّي، فقامَتْ مُعاذة فصلَّتْ خلفَه، فلم يزالا كذلك حتى برقَ الفجر. قال ابنُ أخيه: فأتيتُه فقلت: أي عمّ، أُهدِيَتْ لك ابنةُ عمِّك الليلةَ، فقمتَ تصلِّي وتركتَها! فقال: إنك أدخلْتَني أَمْسِ بيتاً أذكرتَني به النار، ثم أدخلتَني بيتاً أذكَرْتَني به الجنَّة، فما زلتُ مفكِّراً فيهما حتى أصبحتُ[٦].

وقال الحسن البصري: ماتَ أخٌ لنا، فصلينا عليه، فلمَّا وُضع في قبره ومُدَّ عليه الثوب؛ جاء صِلَة بنُ أشيم، فأخذَ بناحية الثوب، ثم نادى: يا فلان بن فلان:

فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإلا فإنـي لا إخالُك ناجيا

قال: وبكى وأبكى الناس[٧].

---

(١) أي: قُفَّة.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٩، وصفة الصفوة ٣/ ٢١٨. قال الذهبي في «السير» ٣/ ٤٩٩: هذه كرامة ثابتة.

(٣) أي: المنديل السالف ذكره.

(٤) صفة الصفوة ٣/ ٢١٨ـ٢١٩.

(٥) في (ص) و(م): أهديت.

(٦) صفة الصفوة ٣/ ٢١٩.

(٧) حلية الأولياء ٢/ ٢٤١، وصفة الصفوة ٣/ ٢١٩، ونُسب الخبر في (ص) و(م) لأبي نعيم.

وكان صلةُ في مغزًى له[١] ومعه ابنه، فقال له: أيْ بنيّ، تقدَّمْ فقاتلْ حتى أحتسبَك. فتقدَّمَ فقاتلَ حتى قُتل [ثم تقدَّم فقُتل] فاجتمعَ النساءُ عند امرأته مُعاذة العدويَّة، فقالت: إنْ كنتنَّ جئتُنَّ لتُهنِّئْنني؛ فمرحباً بكنَّ، وإنْ كنتنَّ جئتُنَّ لغير ذلك؛ فارْجِعْن[٢].

[قال حُميد بنُ هلال: خرجَ صلةُ بنُ أشيم في جيش ومعه ابنُه وأعرابيٌّ من الحيّ، فقال الأعرابي: يا أبا الصَّهباء، رأيتُ كأنك أتيتَ على شجرةٍ ظليلةٍ، فأصبتَ منها ثلاث شَهَدات[٣]، فأعَطْيتَني واحدة، وأمسكتَ اثنتين، فوجدتُ في نفسي أن لا تكون قاسَمْتَني الأخرى. فَلَقُوا العدوَّ، فقال صلةُ لابنه: تَقَدَّمْ. فتقدَّم فقُتل. [وقُتل صلة، وقُتل الأعرابي][٤].

[وقال ابن سعد:] وقُتل صلةُ [في بعض مغازيه شهيداً] في أول إمرة الحجَّاج على العراق[٥].

أسندَ صِلَةُ عن ابنِ عبَّاس، وابنِ عُمر، وأنس، وغيرهم[٦].

وتوفِّيت معاذةُ زوجتُه سنة ثلاث وثمانين، وسنذكرها [هناك].

أبو عثمان [النَّهْديّ

واسمه] عبد الرحمن بن مَلّ بن عَمرو بن عديّ بن وَهْب بن رَبيعة النَّهْديّ القُضاعي الحِمْيَريّ.

كان في عهد رسول الله ﷺ، ولم يلقه.

---

(١) في (ص) و(م): وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن ثابت البُناني أن صلة بن الأشيم كان في مغزىً له... إلخ. وماسيرد بين حاصرتين منهما.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٣٩، وصفة الصفوة ٣/ ٢١٩-٢٢٠، و«المنتظم» ٦/ ١٧١-١٧٢.

(٣) جمع شَهْدَة، وهي القطعة من الشُّهْد (عسل النحل).

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ١٣٧، وما بين حاصرتين منه، ولم يرد الخبر في (ص) و(م).

(٥) المصدر السابق. وما سلف في هذه الفقرة بين حاصرتين من (ص) و(م).

(٦) وقال الذهبي في «السير» ٣/ ٤٩٧: ما علمته روى سوى حديث واحد عن ابن عباس.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، صحب[١] سلمانَ الفارسيَّ اثنتي عشرة سنة.

قال: كنَّا في الجاهلية[٢] نعبدُ حجراً، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل الرِّحال، إنَّ ربكم قد هلك، فالتمِسُوه. فخرجنا على الصَّعْبِ والذَّلُول[٣]، فبينا نحن كذلك نطلب؛ إذا منادٍ ينادي: إنَّا قد وجَدْنا ربَّكم أو شِبْهَه. [قال:] فجئنا، فإذا حجرٌ، فنحرنا عليه الجُزُر.

وقال: أَتَتْ عليَّ مئة وثلاثون سنة وما منِّي شيءٌ إلا قد أنكرتُه إلا أملي، فإنِّي أجدُه كما هو[٤].

وكان أبو عثمان يسكنُ الكوفة، فلما قُتل الحسين رضي الله عنه تحوَّل إلى البصرة، وقال: لا أسكنُ بلداً قُتِل فيه ابن بنت رسولِ الله ﷺ[٥].

وكان إذا دعا يقول: واللهِ لقد استجابَ اللهُ لكم؛ قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦].

أسلم أبو عثمان على عهد رسول الله ﷺ، وصدَّق به، وأدَّى إليه صدقات مالِه[٧].

---

(١) في (ص) و(م): وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة وقال: صحبَ... الخ. وهو في «الطبقات» ٩/ ٩٧ .

(٢) في (ص) و(م): وقال ابن سعد بإسناده إلى الحجاج بن أبي زينب قال: سمعت أبا عثمان يقول: كنا في الجاهلية... وهو في المصدر السابق، وبنحوه في «تاريخ بغداد» ١١/ ٤٦١-٤٦٢ .

(٣) الصَّعْب: العَسِر. والذَّلُول: سهل الانقياد. يعني خرجوا وركبوا من الدوابّ كلَّ ما أمكن.

(٤) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٧ ، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٦٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٨ .

(٦) المصدر السابق ٩/ ٩٧ .

(٧) في (ص) و(م): وذكره ابن عساكر فقال: اسمه عبد الرحمن بن ملّ، وروى عن عاصم الأحول قال: سألتُ أبا عثمان: أرأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قلت: فأبا بكر؟ قال: لا. قال: ولكني اتبعتُ عمر حين قام، وقد صدَّق إلى رسول الله ﷺ ثلاث مرات. أي: أخذ الصدقة منَّا. وينظر «تاريخ دمشق» ٤٢/ ٤١ (طبعة مجمع دمشق). وهو أيضاً في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٩٧ ، و«تاريخ بغداد» ١١/ ٤٦٠-٤٦١ .

وغزا القادسية، وجَلُولاء، وتُسْتَر، ونَهاوند، وأَذَرْبيجان، ومِهْران، وحجَّ حَجَّتَيْن في الجاهلية قبل مبعث رسول الله ﷺ، وقَدِمَ المدينة في أيَّام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

وكان كثير العبادة، حسنَ القراءة، ثقةً ثَبْتاً، عالماً زاهداً، عابداً.

وروى ابن أبي الدنيا عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: إني لأُحبُّ أبا عثمان، كان لا يصيب دنيا[٢]، كان ليلُه قائماً ونهارُه صائماً.

[وذكره الخطيب فقال: نزل الكوفة، ثم سار إلى البصرة] وورد المدائن غازياً بلاد فارس[٣].

ذكر وفاته

واختلفوا فيها، فقال ابن سعد: توفِّي أول ولاية الحجَّاج بن يوسف العراق بالبصرة وهو ابنُ ثلاثين ومئة سنة.

وقال الهيثم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو نُعيم: في إحدى وثمانين. وقال خليفة وابنُ معين والمدائني: مات سنة مئة هو وشَهْر بن حَوْشَب وأبو الضُّحى واسمه مسلم ابن صُبيح.

وقد عاش جماعة مئةً وثلاثين سنة، منهم بيادوق[٤] طبيب الحجَّاج؛ أدرك كسرى ابن هرمز، وكذا الحارث بن كَلْدة[٥].

---

(١) ينظر «تاريخ بغداد» ١١/ ٤٦١، و«تاريخ دمشق» ٤٢/ ٤٠.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): ذنباً. والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تاريخ دمشق» ٤٢/ ٤٣.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٩.

(٤) في (ص): تباذوق.

(٥) من قوله: ذكر وفاته... إلى هذا الموضع من (ص) و(م). وقد جاء الكلام مختصراً في النسخ الأخرى، ففيها ما صورتُه: «وتوفي سنة ست وسبعين، وقيل: سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة مئة وهو ابن ثلاثين ومئة سنة». وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٩٨، و«تاريخ دمشق» ٤٢/ ٤٩-٥٠. ولم يذكر المصنف أنه توفي سنة خمس وسبعين، ولا وقفت على من ذكر ذلك، مع أن المصنف أورده هنا في وفياتها، وكذا أورده ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ١٧٢ في وفيات (٧٥).

وأسند [أبو عثمان] عن عمر، وعليّ، وسَعْد، وسعيد، وابنِ مسعود، وابن عُمر، وأبي موسى، وأُبيّ بن كعب، وبلال، وأسامة بن زيد، وابنِ عباس، وعمران بن حُصين، وعَمرو بن العاص، وأبي هريرة، وغيرهم.

العِرْباضُ بن سارية

أبو نَجِيح السُّلَميّ، من الطبقة الثالثة من الصحابة، وكان من المهاجرين(١)، ومن أهل الصُّفَّة.

أسلمَ قديماً، وكان يقول: أنا رُبْعُ الإسلام، وهو أحد البكَّائين الذين نزل فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٩٢](٢).

وبعثه رسول الله ﷺ لمَّا أراد غزو مكة إلى بني سُليم ومعه الحجَّاجُ بن عِلَاط السُّلَميُّ(٣).

وسكن العِرْباضُ حمصَ بقرية خارجَها يقال لها: مَرِيمِين، وبها عَقِبُه إلى اليوم(٤).

وكان يقول: لولا أنْ يُقال: فعل أبو نَجيح؛ لألحقتُ مالي سبيلَه، ثم لحقتُ وادياً من أودية لبنان، فعبدتُ اللهَ فيه حتى أموت(٥).

أسندَ العِرباضُ الحديثَ عن رسول الله ﷺ. ومن مسانيده:

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا معاوية بن صالح(٦)، عن سعيد بن سُويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السُّلَمي، عن العِرْباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٥، و«تاريخ دمشق» ٤٧/ ١٨٢ (طبعة مجمع دمشق).
(٢) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٨٢ و١٩٢.
(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٩٥.
(٤) المصدر السابق ٤٧/ ١٩٢، و«معجم البلدان» ٥/ ١١٩. وأخرج ابن عساكر أيضاً ٤٧/ ١٩١ رواية أن له منزلاً في الجُولة (من أعمال حمص). وينظر «معجم البلدان» ٢/ ٣٢٤_٣٢٥.
(٥) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٩٨.
(٦) روى أحمد الحديث في «المسند» عن شيخين عن معاوية بن صالح (١٧١٥٠) و(١٧١٥١).

عبد اللهِ وخاتم النبيِّين[(١)] ، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ[(٢)] في طِينتِه، وسأُنبِّئكم بأوَّلِ[(٣)] ذلك: دعوة أبي إبراهيم[(٤)]، وبِشارةُ عيسى، ورؤيا أمي التي رأَتْ، وكذلك أمَّهاتُ النبيِّين تَرَيْنَ».

[وقد رواه ليث عن معاوية، فقال: وإنَّ أمَّه رأت حين وضَعَتْه نوراً أضاءت منه قصور الشام.][(٥)]

روى عنه جُبَيْر بن نُفَيْر، وأبو رُهْم، وغيرهما.

عَمرو بن ميمون الأودي

أودِ بني صَعْب بن سعد العشيرة، من مَذْحِجٍ، أبو عبد الله.

[وهو] من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، أدركَ رسولَ الله ﷺ ولم يلقَه، وأدرك الجاهلية والإسلام[(٦)].

[وحكى ابن عساكر عن عمرو بن ميمون] قال: قدم علينا معاذُ بنُ جبل إلى اليمن رسولاً من رسول الله ﷺ، فرفع صوته في السَّحَر بالتكبير، فما سمعتُ صوتاً أحسنَ منه، فأُلْقِيَتْ عليه محبَّةٌ منّي، فخرجتُ معه إلى الشام، فما فارقتُه حتى حثَوْتُ عليه التراب. ثم سألتُ عن أفقه الناس بعدَه، فقيل: ابنُ مسعود، فلزمتُه[(٧)].

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وهو كذلك في بعض نسخ «المسند» كما جاء في حواشيه على الحديث (١٧١٥١). والرواية المثبتة فيه بلفظ: «إني عند الله خاتم النبيين».

(٢) أي: ملقًى على الجَدَالة، وهي الأرض، أي: كان بعدُ تراباً لم يصوَّر ولم يخلق. وقيل: أي: مطروحٌ على الأرض كائن في أثناء خلقته. قاله السندي كما في حواشي «المسند».

(٣) في (ص) و(م): تأويل.

(٤) في (م): أنا دعوة إبراهيم.

(٥) هي رواية «المسند» (١٧١٥١) المشار إليها من قبل. والكلام بين حاصرتين من (ص) و(م) والكلام الآتي بعده ليس فيهما.

(٦) تاريخ ابن عساكر ٥٦/ ٥٧ (طبعة مجمع دمشق). وينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٢٣٨ .

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ٥٨-٥٩ .

وحجَّ عمرو بنُ ميمون مئة حَجَّة وعُمرة، وقيل: ستين حَجَّة وعمرة[١].

وكان يقول: ما يسرُّني يومَ القيامة أنَّ أمري إلى أبويّ[٢].

[وقال هشام:] ولما كبر ربط حبلاً، فكان إذا أعيا في صلاته أمسكه.

واختلفوا في وفاته، فقال ابن سعد عن الواقدي: إنه مات في سنة أربع - أو خمس - وسبعين في أول خلافة عبد الملك بن مروان، وقال خليفة: في سنة ست وسبعين بالكوفة[٣].

وأسند عن عُمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي مسعود الأنصاري، وابن عبَّاس، وابن عَمرو، وأبي هريرة، ﷺ، في آخرين.

وروى عنه أبو إسحاق السَّبِيعي، وعَبْدة بن أبي لُبابة، وسعيد بن جبير، والنَّخَعيّ، ومحمد بنُ سُوقَة، وغيرهم[٤].

عُمير بن ضابىء[٥]

التميميّ البُرجميّ. قتلَه الحجَّاج [بن يوسف. واختلفت الروايات فيه.

فحكى عُمر بن شبَّة عن أشياخه قالوا:] لما قدم [الحجاج] الكوفة [والياً عليها في سنة خمس وسبعين] وخطب خطبته التي ذكرناها، وأمر الناس بالخروج إلى المهلّب لقتال الأزارقة [قام إليه عُمير بن ضابىء، فقال: أصلح الله الأمير، إني شيخٌ كبير، وهذا ابني هو أشدُّ منّي. قال له الحجَّاج: من أنت؟ قال: عُمير بن ضابىء التميمي.

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٤٨ . ونُسب القول في (ص) و(م) إليه.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٥٠ .

(٣) من قوله: واختلفوا في وفاته... إلى هذا الموضع من (ص) و(م). ووقع بدله في النسخ الأخرى ما صورتُه: «ومات في سنة أربع - أو خمس - وسبعين، وقيل: في سنة ثلاث وسبعين بالكوفة». ولم أقف على من ذكر أن وفاته سنة ثلاث وسبعين. لذا أثبتُّ عبارة (ص) و(م). وتنظر الأقوال في «تاريخ دمشق» ٥٦/ ٧٤-٧٦ .

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ٥٧ ، و«تهذيب الكمال» ٢٢/ ٢٦٢ .

(٥) في (م): عمرو بن ضابىء... ويقال: عُمير.

فقال: أنت الذي غزا أمير المؤمنين عثمان؟ قال: بلى. قال: وما حملَك على ذلك؟ قال: حبس أبي بغير ذنب وكان شيخاً كبيراً حتى مات. قال: ألستَ القائل:

هـممتُ ولـم أفعـل وكـدتُ وليتنـي ... تـركتُ علـى عثمـان تبكـي حلائلُـهْ

إني لأحسبُ في قتلك صلاحَ المِصْرَيْن. قم إليه يا حرسي فاضرب عنقه. فقام فضرب عنقه، ونهب ماله.

وفي رواية عمر بن شبَّة أن عنبسة بن سعيد كان إلى جانب الحجاج، فقال: هذا الذي دخل على عثمان قتيلاً فلطم وجهه. فأمر به الحجاج، فضُربت عنقه، فكان أوّلَ من قتله الحجاج بالكوفة، فقال الناس: قدم الكوفة رجلٌ من شرّ أحياء العرب من هذا الحيّ من ثمود، دقيق الساقين، ممسوح الجاعرتين، أخفش العينين، فقدَّم سيّدَ الحيّ عميرَ بن ضابىء، فقتله[1].

وذكر أبو عبيدة معمر قصته أتمّ من هذا فقال: لما] نزل من المنبر جاءه عُمير بن ضابىء، ومعه ابنانِ له، وقد ركبَ معه من البراجمة ألفا فارس وقالوا له: إنْ رابَكَ من الحجَّاج أمرٌ فَدَمُنا دونَ دمك. وكان الحجَّاج في القصر. فدخلَ عليه فقال: إني شيخ كبير، وقد خرجَ اسمي في هذا البعث، وليس لي قوة على المسير، وهذا ابني أقوى مني، فإنْ رأيتَ أن تمنَّ عليَّ بلزومي منزلي، وتُسيِّرَ ابني عوضي. فقال له الحجَّاج: نعم، انطلقْ راشداً، وابعثْ ابنك بديلاً. فلما ولَّى قال عنبسة بن سعيد: أيُّها الأمير، أتعرفُ هذا الشيخ الذي جاءك آنفاً؟ قال: لا. قال: هذا عُمير بن ضابىء البُرْجُمي الذي هجا أبوه بني قَطَن بسبب كلب لهم يقال له: قُرْحان، وكان يصيد حُمُر الوحش، فاستعارَه منهم، فطلبوه، فمنعهم منه؛ فركبوا إليه، فثاوروه، فقال:

تـكـلَّـف دونـي وَفْـدُ قُـرْحـانَ شُـقَّـةً ... تـظَـلُّ لـهـا الـوجـنـاءُ وهـي حَـسِـيـرُ

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٠٧-٢٠٨. وينظر «أنساب الأشراف» ١١/ ٣٠٢-٣٠٤. وقوله: الجاعِرَتَيْن؛ الجاعِرَة: حرفُ الوَرِك المشرف على الفخذ، وهما جاعِرَتان.

فأردَفْتُهم كلباً فراحوا كأنما ... حَباهُمْ بتاج الهُرْمُزان أميرُ
فيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... ثُمامةَ عنِّي والأمورُ تدورُ
فأمُّكُمُ لا تتركُوها وكلبَكم ... فإنَّ عقوق الأمَّهاتِ كبيرُ
إذا ما انتشى من آخرِ الليلِ نَشْوةً ... يبيتُ له[1] فوق الفراشِ هريرُ

فاستَعْدَوْا عليه عثمان، فحبَسه، فمات في الحبس. وكان قد اتَّخَذَ مشاقص ليقتلَ بها عثمان، فلم يقدر، فقال في مرضه:

وقائلةٍ لا يُبعدُ اللهُ ضابئاً ... إذا اخضرَّ من وقت الشتاء أصائلُهْ
وقائلةٍ لا يبعد الله ضابئاً[2] ... إذا القِرْنُ لم يوجد له مَنْ ينازلُهْ
هممتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حلائلُهْ

ولما قُتل عثمان دخل عليه عمير هذا، فكسرَ ضِلَعاً من أضلاعه بثأر أبيه، وقال: أنتَ حبستَ ضابئاً يا نَعْثَل.

فقال الحجَّاجُ: ردُّوه. فردُّوه، فقال: أتشهدُ يوم الدار بنفسك، وتبعثُ عنك في غيرها بديلا؟! إني لأحسب في قتلك صلاحَ المِصْرَين، قم يا حَرَسيّ فاضربْ عُنقَه. فقامَ فضرب عنقه.

وسمع ضوضاء على الباب، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البراجم ينتظرون عُميراً. فقال: أتحفوهم[3] برأسه. فألقَوْه إليهم، فولَّوْا هاربين، ولحقوا بمراكزهم، فكان أوَّل من قتله الحجاجُ بالكوفة، فقال الناس: قدم الكوفة رجلٌ من شرِّ أحياء العرب من هذا الحيّ من ثمود، دقيق الساقين، ممسوح الجاعِرَتَيْن، أخفش العينين، فقدَّم سيِّد الحيِّ عُميرَ ابنَ ضابىء، فقتله[4].

---

(١) في (أ): لها. والأبيات في «الشعر والشعراء» ١/ ٣٥٠ .

(٢) في (م): قولها.

(٣) المثبت من (م)، وهو موافق لما في «المنتظم» ٦/ ١٦٣ . وفي النسخ الأخرى: الحقوهم.

(٤) المنتظم ٦/ ١٦١ ـ١٦٣ دون قوله: فكان أول من قتله الحجاج...إلخ. وقد سلف في الرواية قبلها.

السنة السادسة والسبعون[١]

قال هشام: وفيها خرج صالح بن مُسَرِّح التميمي بالجزيرة وأرض الموصل، وكان رجلاً مُتعبّداً مُتَزَهّداً، يُزهّد أصحابَه في الدُّنيا، ويُرَغِّبهم في الآخرة، ويُفَقِّههم في مذهب الخوارج، ويقول: إن فراقَ الفاسقين حقٌّ على المؤمنين، ويذكر أفعالاً منسوبة إلى عثمان رضوان الله عليه، واستئثارَه بالأموال، وتقريبَ بني أمية، ورفعَهم على رؤوس الناس، وقصّة الحكَمين ونحو ذلك.

ومن جملة كلامه: أوصيكم بتقوى الله، والزّهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت؛ فإن الزهد في الدنيا يُرَغّب العبد فيما عند الله، ويُفرغ بدنه لطاعته، وإن كثرة ذكر الموت تُخيف العبدَ من ربه حتى يَنقاد إليه، ويحب المؤمنين، ويبغض الفاسقين المُحِلّين، واعلموا أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، فقام يُعلّم الناس الكتاب والحكمة، ويَسُنّ لهم السنن، حتى قبضه الله إليه.

ثم ولي الأمرَ بعدَه صِدِّيقُه، فاقتدى بسيرته، واهتدى بهَديه، واستنَّ بسُنَّته، حتى لحق بالله.

ثم استَخلف عمر، فعمل بكتاب الله، وأحيا السُّنن، وأمات البِدع، ولم تأخذْه في الله لَومةُ لائم حتى لحق بربه.

وقام عثمان فاستأثر بالفيء، وعَطّل الحدود، وجار في الأحكام، واستذَلّ المؤمنين، ولم يعاقب المجرمين، فسار المسلمون إليه فقتلوه.

ثم ولي أمر الأمة علي بن أبي طالب، فلم يَنشَب أن حَكّم في أمر الله الرجال، وشكّ في [أهل] الضّلال، وداهن في دين الله، ونحن منه ومن أشياعه بُرآء، فاستعِدّوا لجهاد هذه الأحزاب المُتحزِّبة، وأئمة الضّلال الظَّلَمة، والخروجِ من دار الفناء إلى دار البقاء، واللحاقِ بإخواننا المؤمنين المُوفِين بعهودهم؛ الذين باعوا الدنيا بالآخرة، وأنفقوا أموالهم

---

(١) السنوات (٧٦-١٠٠) من تحقيق عمار.

التماسَ رضوانِ الله في العاقِبة، ولا تجزعوا من القتل في الله، فإن الموت نازلٌ بكم وإن كنتم كارهين، فبيعوا النفوس لله طائعين؛ لتدخلوا الجنة آمِنين، وتُعانقوا الحور العِين، جَعَلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين، الذين يَقضون بالحق وبه يَعدِلون.

وكان يَتردَّد من المَوصل إلى نَصِيبين ودارا وبلاد الجزيرة، فاستجاب له خلقٌ كثير، فجمع خواصّ أصحابه وقال لهم: إلى متى نحن مُقيمون على الجَور والنّفاق لأئمّة الضلال؟ ابعثوا إلى إخواننا، وواعِدوهم يوماً ومكاناً بعينه.

وجاءه كتاب شَبيب بن يزيد مع المُحَلّل بن وائل اليَشكُريّ يَستَحِثُّه على الخروج، فكتب إليه: اقدم علينا لنَنظر في الأمر - وكان شَبيب مُقيماً بأذربيجان - فقدم[1] على صالح، وقال له: إلى متى نحن هكذا؟ فوالله ما تزداد السُّنَّةُ إلا دُروساً، والمجرمون إلا طُغياناً. واتّفق رأيُهم على الخروج لهِلال صَفَر ليلةَ الأربعاء، في سنة ست وسبعين.

وسأل فَروَة بن لَقيط الأزدي صالحاً فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترى في قتال هؤلاء الظَّلَمة؟! أنَدعوهم قبل القتال، أو نقاتلهم من غير أن ندعوهم؟! فقال: لا، بل نَدعوهم، فلَعَمري لا يُجيبُنا إلا مَن يرى رأيَنا، ولا يقاتلنا إلا مَن يُزري علينا، فالدُّعاء لهم أَقْطَعُ لحجّتهم، قال: فقلتُ: فكيف ترى فيمَن قاتلَنا فظَفِرْنا به؟ ما تقول في دمائهم وأموالهم؟ قال: إن قَتَلْنا وغَنِمْنا فلنا، وإن تجاوَزْنا وعَفونا فمُوَسَّع علينا ولنا، قال فَروة: فلقد أصاب وأحسن في القول.

وأقاموا بأرض دارا لما خرجوا ثلاثةَ عشر يوماً، وتحصَّن منهم أهلُ دارا ونَصِيبين وسِنْجار، وكانوا في مئة وعشرة، وكان محمد بن مروان يومئذ أميرَ الجزيرة، فلم يَحفل بأمرهم، وبعث إليهم عَديّ [بن عدي] بن عُميرة الحارِثي في خمس مئة، فقال عدي لمحمد: أتَبعَثُني إلى رأس الخوارج من عشرين سنة، ومعه من رجال ربيعة؛ الرجل منهم خير من مئة فارس؟! فزاده خمس مئة أخرى.

فسار إليهم من حَرّان في ألف، وكان محمد بن مروان في حَرّان، وسار عدي وكأنما يُساق إلى الموت، وكان عَديّ رجلاً ناسكاً، فلما نزل دَوْغان بعث زياد بنَ عبد

(١) في (ص): فنزل. وما سلف وسيرد بين معكوفين منها.

الله من بني خالد دَسيساً إلى صالح يقول له: إنني للقائك كاره، فإن رأيتَ أن تخرج من هذا البلد إلى بلدٍ آخر فافعل، فقال صالح للرسول: ارجعْ إليه وقل له: إن كنتَ ترى رأيَنا فأرِنا من ذلك ما تعرف، وإن كنتَ على رأي أئمة السُّوء فإن شئنا نابَذْناك، وإن شئنا رَحَلْنا عنك إلى غيرك. فعاد الرّسول فأخبر عدياً بما قال، فقال له: ارجع إليه وقل له: والله ما أنا على رأيك، ولكني أكره قتالَك وقتالَ غيرك، فقاتِلْ غيري.

فحبس صالح الرسول عنده، وقال لأصحابه: اركبوا، فركبوا، وجعل شَبيباً في الميمنة، وسُويد بن سليم النَّهدي[١] في الميسرة، ووقف صالح في القلب، فأتوا سوق دَوْغان، فلم يَشعر بهم عَديّ وهو قائمٌ يصلي الضُّحى إلا وقد دَهموه، وطَلعت الخيل، وحملوا على القوم فانهزموا، ونجا عديّ على فرسٍ له، وجاء صالح فنزل عَسكرَهم وحوى ما فيه.

وبلغ محمد بن مروان فغضب، وبعث إليهم خالد بن جَزْء السُّلَمي في ألفٍ وخمس مئة، وأردفه بالحارث بن جَعْوَنَة العامريّ بمثلها، وقال لهما: أغِذّا السير حتى تلحقا بهذه الطّائفة الخبيثة الحقيرة الذليلة القليلة، فخرجا وأغذّا السَّير.

وأما صالح فإنه لما غَنِم ما كان في العسكر سار بأصحابه حتى نزل على آمِد، وبلغ خالداً والحارث فسارا إليه، فقسم صالح أصحابَه قسمين؛ بعث إلى خالد شَبيباً، وسار هو إلى الحارث، وقيل: بعث شبيباً إلى الحارث، وسار هو إلى خالد، واقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، وحال بينهم الليل، وقد كثرت الجِراحات في الفريقين، وخندق خالد والحارث، فقال شبيب لصالح: هؤلاء قد اعتصموا بخندقهم، ولا سبيل لنا إلى بَياتهم فارتفعوا بنا، وكان قد قُتل منهم أكثر من سبعين ووَهَنوا، فساروا تحت الليل، ولم يتّبعهم أحد، فسلكوا أرض الجزيرة، وقطعوا أرضَ المَوصل، ونزلوا الدَّسْكرة فأقاموا بها، وبلغ الحجاج، فبعث إليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهَمْداني، في ثلاثة آلاف، فساروا إلى الدَّسكرة.

وخرج صالح إلى جَلولاء وخانِقين، واتّبعه الحارث إلى قريةٍ من قُرى المَوصِل يقال لها: المرج[٢]، على تخوم أرض جُوْخى، وصالح يومئذٍ في تسعين رجلاً، فكَرْدَس

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): المهدي، والمثبت من (ص)، وفي الطبري ٦/ ٢٢١: الهندي.

(٢) في الطبري ٦/ ٢٢٢: المدبّج.

أصحابَه ثلاثة كراديس: كردوس فيه شبيب، وكردوس فيه سُويد بن سليم، وكردوس فيه صالح، واقتتلوا والحارث في ثلاثة آلاف، وقد انْضاف إليه جماعة، وحميت الحرب، فانكشف سويد، وثبت صالح، وكشف رأسه ونادى: أنا صالح؛ يا أعداء الله المحلِّين، يا أعداء دينِ محمد، لا حُكم إلا لله، وخَرق الصفوف، وقتل جماعة وقتلوه.

وكان إلى جانبهم حصن قريب منهم، فقال شبيب: لِيُسْنِد كلُّ واحدٍ منكم ظهرَه إلى ظهر صاحبه، وليُطاعِنْ عدوَّه؛ حتى ندخل هذا الحِصن، ففعلوا ودخلوا الحصن وهم سبعون رجلاً، وجاء الحارث[١] فأحدق بالحصن[٢]، وأمر بحريق بابه ليبقى جَمْراً فلا يقدرون على الخروج منه، وكان قد جَنّ الليل، فأحرق أصحابُه الباب، ثم انصرفوا إلى عسكرهم، فقال شبيب لأصحابه: والله لئن طلع الفجر لَنُقْتَلَنّ كلّنا، قالوا: فما الحيلة؟ قال: نَبُلُّ اللَّبابيد بالماء، ونلقيها على الجَمْر، ثم نحمل على القوم وهم غارُّون[٣]، فقالوا: افعل، فبلّوا اللبابيد فرموها على الجَمْر، وخرجوا فكَبَسوا العسكر، وضربوهم بالسيوف فانهزموا، وصُرِع الحارث، فاحتمله أصحابه وهربوا به إلى المدائن، وخَلّوا لهم العسكر بما فيه، وأخذ شَبيب وأصحابه الجميع.

وكان مقتل صالح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جُمادى الآخرة[٤] سنة ست وسبعين. وبُويع شبيب بإمرة المؤمنين، وكان ذلك أول جيش هزمه شَبيب.

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه امرأته غَزالة:

قال علماء السير كهشام وأبي مخنف والهيثم بن عَديّ: وسار شَبيب في أصحابه وهم سبعون، وانضاف إليه من بني شيبان تسعون رجلاً، فصار في مئة وستين، وكان قد خلّف أمَّه جَهيرة[٥] بساتِيدَما، فأسرى إليها جَريدة[٦]، فضمّها إلى عسكره.

(١) في (د) صالح، وهو خطأ.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): فأحرق الحصن، والمثبت من (ص)، وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٢٢٣.

(٣) في (أ): غافلون. وهما بمعنى.

(٤) في الطبري ٦/ ٢٢٣ : جمادى الأولى.

(٥) في أنساب الأشراف ٦/ ٥٧٨ و٥٩٢ عن الهيثم بن عدي أن أمه غزالة وامرأته جهيرة بنت عمرو.

(٦) هي خيلٌ لا رجَّالة فيها.

وجَهّز الحجاج عبدَ الله بن عَلْقمة الخَثْعَميّ إلى الدَّسْكرة[١]، وقال: أقم بها حتى يأتيَك فَلُّ جيش الحارث بن عُميرة الهمْدَاني، وسر إلى شبيب فناجِزْه، ونادى الحجّاج: مَن بات من جيش الحارث الليلة بالكوفة فقد بَرِئت منه الذّمّة، وخرج منهم خمس مئة ولحق الباقون، والتقَوا على خانِقين، فرتّب شبيب أخاه في الكَمين، والتقَوا فهزمهم شبيب، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وجاء شبيب إلى المدائن، فقتل وسبى، وجهّز إليه الحجاج سَوْرَة بن أَبْجَر في جند كثيف، وقيل لشبيب: جاءك سَورة بن أبجر، فخرج حتى نزل النهروان، وجاؤوا إلى مصارع إخوانهم الذين قتلهم أمير المؤمنين رضي الله عنه، فبكوا عليهم وأطالوا البكاء، وترحّموا عليهم، واستغفروا لهم، وتبرَّؤوا من أمير المؤمنين رضي الله عنه وأشياعه، ثم قطعوا جسر النَّهروان، ونزلوا من جانبه الشرقي.

وجاء سورة فنزل قريباً منهم، وقال لوجوه أصحابه: إنهم إن لَقَونا على ظهور الخيل ربما ظهروا علينا، وقد بلغني أنهم في مئة رجل يزيدون قليلاً، وقد رأيت أن أسيرَ إليهم في ثلاثة مئة رجل من أقواكم وأشجعكم فأُبَيّتهم؛ فإنهم الآن آمنون أن نأتيهم، فلعل الله أن يَصرعهم في مصارع إخوانهم بالنهروان، فقالوا: افعل، فاستخلف على عسكره حازم بن قُدامة الخَثْعَميّ، وسار في ثلاث مئة رجل، وشبيب قد أذكى الحرس[٢]، فلما وصلوا إليهم ركبوا خيولَهم والتقوا، وحمل سَورة وأصحابُه عليهم فثبتوا لهم، وحمل شبيب وهو يقول: [من الرجز]

مَـن يَـنِـكِ الـعَـيْـرَ يَـنِـكْ نَـيّـاكـا

فلم يظفروا منهم بشيء، ورجع سَورة إلى عسكره وقد أُصيب فرسانه، فعاد إلى المدائن، وجاء شبيب إلى المدائن وقارب البيوت، فخرج الناس، ورَمَوه من السُّطوح بالنَّبْلِ والحجارة، فسار إلى كِلْواذى، ثم منها إلى تكريت وقد خاف الناس منه.

وجاء فَلُّ جيش سَورة إلى الكوفة، فبعث الحجاج الجَزْلَ بن سعيد الكِندي ـ واسم الجَزْل عثمان ـ وقال الحجاج: قَبّح الله سَوْرة؛ ضَيّع العسكر، وخرج يُبيّت الخوارج،

(١) كذا وهو خطأ، فقد روى الطبري ٦/ ٢٢٦ عن هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الله بن علقمة، عن سفيان ابن أبي العالية الخثعمي أن كتاب الحجاج أتاه ليسير إلى الدَّسْكَرة. . .، وانظر أنساب الأشراف ٦/ ٥٨١ .

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): العيون، وتحرف فيها أذكى: لـ أبكى! والمثبت من (ص)، وانظر الطبري ٦/ ٢٢٩ .

وتوعّده، وقال للجزل: سِرْ إلى دير عبد الرحمن حتى يَلْحقك العسكر، فقال: أيها الأمير لا تبعثْ معي من الجند المَفْلول أحداً؛ فإن الرُّعبَ قد دخل قلوبهم، فلا ينتفع منهم أحد، فقال الحجاج: لقد أحسنتَ الرَّأي ووُفِّقت.

فجهز معه أربعة آلاف ليس فيهم أحد من ذلك الفَلّ، وسار الجَزْل، وقدّم بين يديه[1] عياض بن أبي لينة الكِندي، فخرج حتى أتى المدائن، وسار يطلب شبيباً في أرض جوخى، وشبيب ينتقل من رُسْداق إلى رسداق، ويماطل الجَزْل لعلَّه يُفَرّق أصحابه، ويتعجّل إليه، والجَزْل لا يَثْبت بمكان إلا وخَنْدَق عليه، ولا يسير إلا على تعبية.

وكان شبيب في مئة وستين رجلاً، وجاءه الخبر أن الجَزْل قد نزل ديرَ يَزْدَجِرد قريباً من أصحابه، وقال: أريد أبيّتهم الليلة على كلّ حال، وجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً، فجعل أخاه مَصاداً في أربعين، وسُويد بن سُلَيم في أربعين، والمُحَلّل ابن وائل في أربعين، وبقي هو في أربعين، وقال لأخيه مصاد: ائتِهم من قِبل حُلوان، وآتيهم أنا من قِبل الكوفة، وأنت يا سُويد من قِبل المشرق، وأنت يا مُحَلِّل من قبل المغرب.

فلما هَدَأت العيون، واستوفت دوابُّهم عَليفها؛ ركبوا وساروا نحو الجَزْل، فوجدوا الجَزْلَ قد أقام عِياض بن أبي لينة[2] مَسْلَحةً، فقاتلوه حتى ألجؤوه إلى عسكر الجزل، وكان الجزل قد خَنْدَق عليه، فلم يظفروا منه بشيء، وعادوا إلى مواضعهم، ثم عادوا مرةً أُخرى، والجَزْل يُخَندق عليه، وكلما جاؤوا رَشَقوهم بالنَّبل، فساروا إلى جَرْجَرايا والجزل في طلبهم، فلما طال ذلك على الحجاج كتب إلى الجزل يقول:

أما بعد، فإني بعثتُك إلى هذه الطّائفة المارقة الضّالة المُضِلّة، حتى تلقاها فتستأصلها، فوجدت الاحترازَ بالخنادق، والتَّعريس في القُرى أهون عليك، امضِ لما أمرتك به من مُناجزتهم والسلام.

---

(١) من هنا إلى قوله بعد صفحات: وعجلته إلى عدوه، ليس في (ب).

(٢) في (ص): أمية، وهو خطأ.

فقرأ كتابَه على الناس، وشقّ على الجَزْل، وبعث الحجّاج سعيد بن المُجالد أميراً على عَسْكر الجَزْل، وقال له: لا تُناظر المارِقة، وازحف إليهم، واطلُبْهم طَلَبَ السَّبع، وحِدْ عنهم حَيَدان الضَّبع.

وجاء سعيد بن المجالد، فدخل عسكرَ أهل الكوفة، فقام خطيباً، فوبّخ العسكر وأنَّبهم، وقال: عَجَزْتُم عن طلب هذه الأعاريب العُجْف منذ شهرين، وقد أخربوا بلادكم، وكسروا خراجَكم، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخَنادق لا تُزايلونها، اخرجوا على اسم الله، ثم خرج وأخرج الخيل، وكان الجزل قد خَنْدق عليه بالنّهروان، وشبيب قريب منه، ولما أخرج سعيد بن المجالد الخيل والناسَ من الخنادق قال له الجَزْل: ما تريد أن تصنع؟ قال: أُقدم على شبيب في هذه الخيل، فقال له الجزل: أقِم أنت في جماعة الجيش، ولا تُفرّق أصحابَك، وأصْحِر لهم - أي: اخرج من الخنادق إلى الصَّحراء - فوالله ليَقدُمَنّ عليك، فلا تُفرّق أصحابَك، فقال له ابن المجالد: قِف أنت في الصف، فقال الجزل: يا سعيد، ليس [لي] فيما صنعتَ رأي، أنا بريءٌ من رأيك، وسمعه الجيش ومَن حضر من المسلمين، فقال ابن المجالد: هو رأيي، فإن أصبتُ كان من الله، وإن يكن غيرَ صواب فأنتم بُرآء.

فوقف الجَزْل في صفّ أهل الكوفة وقد أخرجهم ابن المُجالد من الخنادق، وجعل ابن المجالد على ميسرته عبد الرحمن بنَ عَوف أبا حُميد الرُّواسي(١)، وعلى ميمنته عياض بن أبي لِينة الكِندي، والجَزْل في جماعتهم.

وكان شبيب قد نزل بَراز الرُّوز بمدينة يُقال لها: قَطُفْتا(٢)، وأغلق بابها، فصعد دِهقانُها إلى السّطح، فرأى العسكر قد أقبل، وكان قد أعطى الدّهقان ما يشتري لهم غَداءً، فنزل الدّهقان وقد امتُقِع لَونُه، قال له شبيب: مالك؟! [قال] قد جاءك جمع عظيم، فقال له شبيب: بلغ الشّواء بعد؟ قال: لا، قال: دعه، ثم قال: أشْرِف إشرافة أخرى، فقال: قد أحاطوا بالجَوْسَق، فقال: هات شِواءك، فقرّبه فأكلوا، وجعل

---

(١) في (ص): الرقاشي.

(٢) في (أ): قططنا، وفي (ب) و(خ) و(د): قططيا، وفي (ص): قطيطا، والمثبت من تاريخ الطبري ٦/ ٢٣٥.

شَبيب يأكل غير مُكْتَرث، وصلّى ركعتين(١)، ودعا ببَغْلٍ له فركبه، ثم أمر بفتح الباب ففُتح، وخرج على بغله، فحمل عليهم وهو يقول: لا حُكم إلا لله، إن الحكم إلا للحكيم، أنا أبو المُدَلَّه، اثبتوا إن شئتم، وجعل ابن المجالد يجمع خيله، ثم يدلفها في أثره وهو يقول: إنما هم أكلة رأس، فلما رآهم شبيب قد تقطّعوا وانكسروا جمع خيلَه وعارضهم، فانهزموا، وكشف ابن المجالد رأسَه وصاح: إليّ إلي، فحمل عليه شبيب، فضربه بالسيف فخالط دماغَه، فوقع ميتاً، وانهزم الجيش، وقُتلوا شرَّ قِتلة، وانتهوا إلى الجَزْل، فناداهم عياض بن أبي لينة: أيها الناس، هذا أميركم الجزل المَيمون النَّقيبة، السَّديد الرأي، فأَقبِلوا إليه، فقاتل حتى ارتُثّ، وجُرح عدَّة جراحات(٢)، وكذا عياض بن أبي لينة، وحملا إلى المدائن، فكان قتالهم ما بين دَيْر أبي مريم إلى بَراز الرّوز، وغنم شبيب أموالَهم ودوابّهم.

وسار الفَلّ إلى الكوفة، وجاء شبيب فقطع دِجلة عند الكَرْخ، وكان يومَ سوق بغداد، وكانوا يخافونه، فبعث إليهم فأمّنهم(٣)، واشترى أصحابه منهم دواباً وسلاحاً وما لا بُدّ لهم منه من طعام وغيره.

وسار شبيب إلى الكوفة، فلما دَنا منها وبلغ الحجّاجَ؛ بعث إليه سويد بن عبد الرحمن السعدي في ألفي فارس من فرسان بني سعد وشجعانهم، فعسكر بالسَّبْخَة، وبعث عثمان بن قَطَن(٤) في ألفين(٥).

---

(١) في (ص): وقد امتقع لونه، قال: ما الذي بك؟! قال: الخيول قد أحدقت بنا، فقال: لابأس، هل استوى غداءك؟! قال: نعم، قال: فقرِّبْه، فقربه، فأكلوا، وصلى شبيب ركعتين.

(٢) في (ص): وانتهوا إلى الجزل، فقاتل الجزل قتالاً شديداً، وجرح عدة جراحات.

(٣) لفظ العبارة في تاريخ الطبري ٦/ ٢٣٦ : وبعث إلى سوق بغداد فآمنهم، وذلك اليوم يوم سوقهم، وكان بلغه أنهم يخافونه.

(٤) في (ص) (والكلام منها): قيس، والتصويب من الطبري ٦/ ٢٣٦ ، وأنساب الأشراف ٦/ ٥٨٤ .

(٥) من قوله: وسار شبيب إلى الكوفة... إلى هنا من (ص)، وزاد بعدها فيها:

وروى هشام من غير طريق أبي مخنف: أن المجالد بن سعيد لما قصد شبيباً وهو في قطيطفا (كذا) عند الدهقان سمع الدهقان جلبة الخيل، فصعد إلى السطح، فرأى الجيش، فنزل وقد تغيّر لونه، قال له شبيب: مالك؟ قال: جاءك جمع عظيم، فقال له شبيب: بلغ الشواء بعد؟ قال: لا، قال: دعه، ثم قال: أشرف إشرافاً أخرى (كذا)، فقال: قد أحاطوا بالجوسق، قال: هات شواءك، فجعل يأكل غير مكترث، ثم فتح الباب، =

وأقام الجزل بالمدائن يداوي نفسه، وكتب إلى الحجاج:

أما بعد أيها الأمير، فإنني خرجتُ في الجُنْد الذي وَجَّهتني فيه إلى العدو، فكنت أخرج إليهم إذا وَجَدْتُ الفُرصة، وأحبس الناس عنهم إذا خشيتُ الوَرْطة، وأرادني العدوُّ بكل كيد فلم يُصب مني غِرّة، حتى قدم علينا سعيد بن مجالد، فأمرتُه بالتُّؤدَة، ونهيتُه عن العَجَلة، وأمرتُه أن لا يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامّة، فعصاني وتَعَجّل إليهم في الخيل، فأشهدتُ عليه أهل المِصرَيْن أني بريءٌ من رأيه فلم يلتفت، ومضى فأُصيبَ تجاوز الله عنه، ودُفع الناس إليّ[١]، فترجَّلتُ وصِحتُ: يا حُماةَ الأدبار، إليّ فأنا الجَزْل، وأخذتُ رايتي بيدي، وقاتلتُ حتى جُرِحتُ عدةَ جِراحات، وحملني أصحابي من بين القتلى إلى المدائن، وبي جراحات قد يموت الرجلُ من دُونها، ويُعافى من مثلها، فليسأل الأمير جُندَه عن نصيحتي له وللمسلمين، وعن مُكايدتي العدوّ، وعن مَوقفي يومَ البأس؛ ليَتَبيّن له أني صَدَقتُه، ونصحتُ له، والسلام.

فكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإني قد صَدَّقتُك في جميع ما قلت ووَصفتَ به نفسك، وما ذكرتَه من أمر سعيد وعَجَلَتِه إلى عدوه، وقد حَمِدْتُ عليه عَجَلَتَه وتُؤدتك؛ أما عَجَلتُه فإنها أفضتْ به إلى الجنة إن شاء الله، وأما تؤدتك فإنها حَزْم، وقد أحسنتَ[٢] البَلاء، وأنت عندي من أهل السَّمع والطاعة والنَّصيحة.

وبعث إليه حَيَّان بن أَبْجر، وكان طبيباً فداواه، وبعث إليه بألفي درهم.

قال: وأقبل شَبيب إلى المدائن، فعلم أنه لا طاقةَ له بأهلها، فسار إلى الكوفة، فاجتاز ببعض بيوتها، ومضى إلى الحيرة، ثم أتى[٣] القادسية، فأصاب هناك أقواماً من

= وخرج إليهم، وحمل على ابن المجالد، فضربه بالعمود فقتله، وانهزم الناس، فانتهوا إلى الجزل، فنادى عياض ابن أبي لينة: أيها الناس، هذا أميركم الجزل الميمون النقيبة، الشديد الرأي، فأقبلوا، فقاتل حتى صرع، وحمل إلى المدائن صريعاً به جراحات كثيرة، فأقام يداوي نفسه.

وقد سلفت هذه القطعة في النسخ الأخرى.

(١) في (خ) و(ب) بعدها: مصارع إخوانهم.

(٢) في (ص): احتسبت.

(٣) في (ص): ثم مضى إلى.

الأعراب فأنكى فيهم، ثم عاد إلى طَفّ الفُرات، ووصل إلى الأنبار وقطع الفرات[١]، ووصل إلى دِجلة فعبرها، ومضى على دَقُوقاء إلى أذربيجان.

ولما بلغ الحجاج[٢] ارتفاعُ شبيب إلى أذربيجان سار إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة، فبينا هو كذلك جاءه كتاب مَهْرُوذ؛ دهقان بابل، يُخبره أنه بلغه أن شبيباً قد عاد يريد الكوفة.

وجاء شبيب فنزل خانيجار، فأرسل عروة إلى الحجاج يُخبره وهو بالبَصرة، فأقبل مسرعاً حتى دخل الكوفة.

وجاء شبيب إلى دجلة، إلى قرية من أعمال دُجَيل يقال لها: حَرْبَى، فقال: ما اسمُ هذه [القرية]؟ قالوا: حَرْبَى، فتطيَّر أصحابُه منها، فعَبر من عندها وقال: حَرْبٌ لنا على أعدائنا، وإنما يتطيَّر مَن يَقوف ويَعيف.

ثم أقبل حتى نزل العَقْر، فقال له سُويد بن سليم: لا تنزل ههنا؛ فهذان اسمان مَشؤومان، فقال شبيب: الشُّؤم والعَقْرُ لأعدائنا لا لنا، ولم يعلم شَبيب أن الحجاج قد دخل الكوفة، فقال لأصحابه: إن الحجّاج بالبصرة، وليس دون الكوفة مانع، فسيروا بنا إليها.

وكان الحجّاج قد طوى المنازل، فوصل إلى الكوفة الظُّهر، ونزل شبيب السَّبْخَة وقتَ المغرب، فصلى المغرب والعشاء، وركب في أصحابه، وهجم الكوفة، وجاء إلى باب القَصْر والحجاج فيه، فضربه بالعمود ضربة أثّرت فيه، ثم اقتحموا المسجد الأعظم، فقتلوا جماعة من المصلّين، وعاثوا في أسواق الكوفة ليلاً، وقتلوا مَن قدروا عليه، وعادوا إلى السَّبْخة، وهذه روايات هشام.

وأما أبو اليقظان فإنه قال: دخل شبيب الكوفة في مئة وخمسين رجلاً، وفي الكوفة ثلاثون ألف مقاتل، فجاء إلى باب القصر، فضربه بعموده، فكاد أن يخسفه، والحجاج فيه، ونادى[٣] شبيب الحجَّاج: يا مَلعون، يا عبد بني ثَقيف، يا بقايا قوم ثمود، يا ابن

(١) في (ص): البراري.
(٢) في (ص): وأما الحجاج فلما بلغه.
(٣) من قوله: ثم اقتحموا المسجد الأعظم... إلى هنا من (ص).

أبي رِغال، لعنك الله، ولعن ابن مَروان الفاسق معك، وَيْلك، كم أقتلُ الرجال، وأنهب الأموال، وأسبي النساء، ومعي نَفَرٌ يسير، ثم أنت الحاكم على العراقَين، وجُندك مئة ألف، اخرج إلي وأرِح الناس مما هم فيه، إلى كم تختفي خلفَ الجدران مثل النساء الغوازل، اُبْرُز إليَّ حتى أُذيقَك كأساً مُرَّة.

وكانت امرأتُه غزالة قد نذرت أنها تُصلّي ركعتين بجامع الكوفة، فوقف شبيب على باب الجامع، ودخلت غَزالة فصَلّت ركعتين قرأت فيهما سورة البقرة وآل عمران، والحجّاج يُنادي من فوق القصر: يا خيلَ الله اركبي.

وذكر جدّي في كتاب «تقويم اللسان» وقال: كان للحجاج عبد أو غلام يُشبهه، فلما اشتد عليه أمرُ شَبيب وحصره بالقصر بالكوفة، أمر ذلك الغلام ـ وكان شجاعاً ـ فلبس ثيابَ الحجاج وسلاحَه، وركب فرسَه، وصاح في الجند فجمعهم وخرج، فقال الناس: قد خرج الحجاج، فأقبل شبيب وقال: أين الحجّاج، فأومؤوا إليه، فحمل عليه حتى ضربه بالعمود على رأسه، فلما أحسَّ بوقعه قال: أخ، بالخاء المعجمة، فانصرف شبيب وقال: قَبّحك الله يا ابن أم الحجّاج، أتّقى الناس بالعبيد، وفي رواية: أتَّقى الأحرارُ بالعبيد ـ أشار شبيب إلى أن أخ بالخاء المعجمة ليس من كلام العرب، فإن العرب تقول عند الحزم ولَذْعِ الحرارة المُمِضّة: أح بالحاء المهملة، والعامّة تقوله بالخاء المعجمة[1].

وأخرج له الحجاج عَبيداً وهو يقتلهم، ثم بعث الحجاج جماعةً من فرسان الكوفة إلى شبيب، فخرج إليه زَحْر بن قيس في ثلاثة آلاف، فعطف عليهم شبيب فبدَّد جمعَهم، وجُرح زَحْر في رأسه عدَّةَ جراحات، ورجع إلى الكوفة ماشياً مُثْخَناً.

ونزل شبيب الفرات والحجّاج يُجَهّز إليه الجيوش، وهو يهزمها وهم ألوف، وهو في أصحابه مئةً وخمسين رجلاً، وبعث إليه الحجاج محمد بن موسى بن طلحة[2] بن عبد الله التَّيمي فقتله، وبعث إليه زائدة بن قدامة فقتله، وعدة من الفرسان، ويقال: إن الحجاج جهز إليه في هذه السنة سبعين جيشاً وهو يهزمهم، منهم أَعْيَن صاحب حمام

(١) من قوله: أشار شبيب... إلى هنا ليس في (ص).

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): موسى بن محمد بن طلحة، والمثبت من (ص). وانظر الطبري ٦/ ٢٤٢ .

أعين، مولى بشر بن مروان في ألف، وبُسْر بن غالب الأسدي في ألف، وسنذكر محمد ابن موسى بن طلحة في آخر السنة. وبعث جماعة من أعيان الكوفة.

وأتى شبيب المَرْدَمَة[١]، فلقي جماعة بها فقتلهم، منهم: ناجية بن مَرْثَد الحَضرميّ وكان على العُشور، ووَجّه الحجّاج زَحْر بن قيس وهو مجروح في ألف وثمان مئة فارس، وبلغ السَّيْلحين، فعطف[٢] عليه شبيب وقاتله، فترَجَّل زَحْر وقاتله حتى ارتُثّ، وانهزم أصحابُه، وبقي بين القتلى طَريحاً، فحُمل إلى الكوفة وهو مُثْخَن.

ونزل شبيب طَفَّ الفُرات، فقال له أصحابه: قد أفنيناهم وقتلنا أمراءهم ودخلنا الكوفة؛ فارجِعْ بنا، فقال: ذلك أرْعَبُ لمن بقي منهم، وقد خلت الكوفة، ولم يَبْقَ بها سوى الحجّاج، فاقصدوا إليه، وقد حكمتم على العراق.

وكان جماعة من أصحاب الحجاج قد أخذوا طريقاً غير الذي قصد شبيب إليه إلى الكوفة، وبلغ الحجاج أن شبيباً يقصده من غير ناحية الأُمراء، فبعث إليهم يُخبرهم بقصده إياه ـ وكان عليهم زائدة بن قدامة ـ وعلم بهم شبيب فقصدهم؛ وقد عبّأ زائدة أصحابه، فجعل على ميمنته زياد بن عَمرو العَتَكي، وعلى ميسرته بِشر بن غالب الأسديّ.

وجاء شبيب على فرس كُمَيت أغرّ، وهناك تلّ، فصعِد وحده، وأشرف على العسكر، وعاد إلى أصحابه، وأقبل وقد كتَّبهم ثلاث كتائب، فجعل سُويد [بنَ سُليم] في ميمنته، ومَصاداً أخاه في ميسرته، ووقف هو في القلب في كتيبة، وخرج زائدة بن قُدامة يسير بين الصُّفوف يُحرِّض الناس ويقول:

يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيِّبون، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون، وإنما جاؤوكم ليُهريقوا دماءكم، ويأخذوا أموالكم، ويَسبوا ذَراريكم ونساءَكم، غُضُّوا أبصارَكم، واستقبلوهم بالأسنّة، ولا تحملوا عليهم حتى آمُركم، ثم عاد إلى موقفه.

---

(١) في (ص): وخرج شبيب من الكوفة فأتى المردمة.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): فقطع، والمثبت من (ص).

ثم اقتتلوا، وحمل عليهم شبيب فانضموا إلى زائدة بن قُدامَة، وقد قتل مَصاد أخو شبيب منهم جماعة، فترجّل زائدة ونادى: يا أهل الإسلام، يا أهل الحِفاظ، إليَّ إليّ، وجاء الليل والقتال يعمل إلى السَّحَر، ثم إن شبيباً شدَّ على زائدة بن قدامة في جماعة من أصحابه، فقُتل زائدة مقبلاً غير مُدبر وجماعةٌ من أهل الحفاظ معه، وهناك جَوْسَق عظيم فدخله أَعْين صاحب حمام أَعْين ومعه أبو الضُّرَيْس وجماعة[1]، ونادى شبيب: ارفعوا السيفَ عنهم، فرفعوه عند الفجر، وقال: ادعوهم إلى البيعة.

ووقف شبيب على فرسه وأصحابه حوله، فكلّ مَن بايعه بإمرة المؤمنين أخذ سلاحه وأطلقه، ولما طلع الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله واقف في أقصى عسكر الحجّاج، أمر محمد مؤذّنه فأذّن، فقال شبيب: ما هذا؟ قالوا: محمد بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله التيمي في أقصى العسكر، معه عِصابةٌ من قومه قد صبروا، فقال شبيب: قد ظننتُ أن حُمقه وخُيَلاءه سيَحمله على هذا.

ثم صلّى شبيب الفجر بأصحابه، وركب فعطف على محمد، وحمل عليه محمد وأصحابه ـ ومحمد يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١ـ٢] الآيات، فقتله شبيب كَرهاً لما نذكر. ثم هرب الذين بايعوا شبيباً إلى الكوفة، وكان ممن بايعه تلك الليلة أبو بُردة بن أبي موسى، فلما بايعه قال له شبيب: من أنت؟ قال: أبو بردة بن أبي موسى، فقال شبيب لأصحابه: أبو هذا أحد الحَكَمين ألا أقتله؟ قالوا: لا ذنبَ له، ولا تزر وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى، فتركه. ولما ارتفع النهار أقبل شبيب على الجَوْسَق الذي فيه أعين وأبو الضُّرَيْس وقد تحصّنا منه، فرَمَوه بالنَّبْلِ، فأقام عليهم يومَه، فلم يقدر منهم على شيء، فرجع عنهم، فقال له أصحابه: اطلب بنا الكوفة فما دونها مانع، فقال: فيكم جِراحات، فاصبروا حتى تَبرأ.

وسار نحو المدائن، فجهّز الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في ستة آلاف من فرسان الكوفة ووجوه الناس وأشرافهم، وخرج معه ست مئة من كِندة وحَضْرَمَوت، فخرج فعسكر بدَيْر عبد الرحمن، وخرج إليه الناس فكتب إليه الحجاج كتاباً، وأمره أن يقرأه على أصحابه، يقول فيه:

---

(١) في الطبري ٢٤٦/٦ : ولما قتل شبيب زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً. والجَوْسَق: القصر.

أما بعد، فقد ولَّيتم الأدبار يومَ الزَّحْف دَأْب الكُفّار، مع كثرتكم وقلّة عدوّكم، وَصفَحتُ عنكم مرّةً بعد مَرّة، وإني أقسم بالله يميناً بَرَّةً؛ لئن عُدتم لمثلها لأُوقعنّ بكم إيقاعاً يكون أشدّ عليكم من هذا العدو؛ الذي تهْربون منه في بطون الأودية والشّعاب، وتَسَتّرون منه بأفناء الأنهار والخنادق، ثم كتب في آخره: [من الوافر]

لـقـد أسـمـعـتَ لـو نـاديـتَ حـيّـاً[(١)]

فسار ابن الأشعث إلى المدائن، وعاد الجَزْلُ من جراحاته، فقال له الجزل: يا ابن العمّ، إنك سائر إلى فُرسان العرب، وأبناء الحرب، وأَحْلاس الخيل، والله لكأنما خُلقوا من ضلوعها، ثم بُنوا على ظهورها، وإن الفارس منهم أشدُّ من مئة، إنْ لم تَبدأ به بدأ، وإن أَحْجَمتَ أَقْدم، وإني قد قاتلتُهم وبَلَوتُهم، فإذا أَصْحَرتُ لهم انتصفوا مني، وكان لهم الفضلُ عليّ، وإذا قاتلتُهم في مَضيق، أو خَنْدَقْتُ عليَّ نلتُ منهم ما أُحبّ، فلا تَلْقَهم إلا على تَعْبيَة، أو في خندق، ودفع له فرسه، ويقال لها: الفُسَيْفساء، وقال: خُذْها فإنها لا تُجارى، ولا يُقاومُها فرس.

وسار خلفَ شَبيب، فارتفع عنه [شبيب] إلى دَقُوقاء، ثم إلى شَهْرَزُور، وعبد الرحمن خلفَه؛ لا يسير إلا على تَعبية، ولا ينزل إلا ويُخَندِق عليه، وشَبيب يُراوغه، حتى عَنّى ذلك الجيش ولقوا منه كلَّ بَليّة[(٢)]، وعبد الرحمن يتبعه من مكان إلى مكان، حتى نزل شبيب على قرية يقال لها: البَتّ، من أعمال العراق على تُخوم المَوصل، وبينها وبين سَواد الكوفة نهر يقال له: حَولايا ـ ودجلة والبَتّ اليوم من أعمال الرّاذان وأرض جُوخى ـ.

وجاء عبد الرحمن فنزل في عَواقيل نهر حَولايا ـ وهو مثل الخندق ـ وتحصَّن به، وأرسل شَبيب إلى عبد الرحمن: إن هذه الأيام أيامُ عِيدٍ لنا ولكم، فإن رأيتم أن تُوادعونا هذه الأيام فافعلوا حتى يَنقضي العيد، فأجابه عبد الرحمن، وكان يُحبّ مُطاوَلَته ومُوادَعَته.

---

(١) تمامه: ولكن لا حياة لمن تنادي، انظر الطبري ٦/ ٢٤٩ . وقد نُسب إلى غير ما شاعر.

(٢) في (ص): ولقوا منه مشقة. وكلمة «شبيب» السالفة بين معكوفين من الطبري للإيضاح .

وكتب عثمان بن قَطَن عامل المدائن إلى الحجاج: أما بعد، فإن عبد الرحمن قد حَفَر أرضَ جُوخى كلّها خندقاً واحداً، وخلّى شبيب يَفعل ما يُريد، وقد كسر الخَراج، والسلام.

فكتب إليه الحجاج: سِر إلى المارِقة حتى تَلقاهم؛ فأنت أميرُ الناس، والسلام.

وولّى الحجاج على المدائن مُطَرِّفَ بن المغيرة بن شُعبة.

وسار عثمان بن قَطَن إلى عسكر عبد الرحمن لما وَرد عليه كتابُ الحجاج، فوافى عَسْكرَ ابنِ الأشعث ليلةَ التَّروية عَشِيَّةَ الثُّلاثاء، فوقف على الناس وقال: اخرجوا إلى قتال عدوّكم، فناشده اللهَ الناسُ أن يَصبر عليهم إلى الغد، وهو يَأبى، فقال له عبد الرحمن: انزل، فالذي تُريده الساعةَ من مُناجزتهم أنت قادر عليه غداً، والناس غير مُوَطّني أنفسهم على القتال[١]، وما زالوا به حتى نزل، وبات طول الليل يُعَبِّيء الناس، فأصبح الناس على تَعبية في يوم التَّروية، فثارت ريحٌ شديدة في وجوه الناس وغَبَرة، فصاحوا: يا عثمان، خَفِ اللهَ فينا، فعاد بهم إلى المنزل، فلما طلع الصباح يوم الخميس خرج بهم على التَّعبية التي كان يسير عليها عبد الرحمن.

وجاء شبيب في مئة وثمانين[٢] رجلاً، فصف أصحابه على العادة، ووقف هو في القلب، واقتتلوا فهزمهم شبيب، وقتل أعيانَ أهل الكوفة: عَقيل بن شَدّاد، ومالك بن عبد الله الهَمْداني عم عَيّاش بن عبد الله بن عيَّاش المَنتوف، وقتل شبيب خالد بن نَهيك الكِندي وكان على ميمنة عثمان بن قطن، وقَتل مَصَاد أخو شَبيب عثمان بنَ قَطَن الأمير، وقُتل الأَبْرَد بن رَبيعة الكندي، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فرآه ابنُ أبي سَبْرَةَ الجُعْفِيّ وهو على بَغْلَةٍ فعرفه، فنزل وقال له: أنت الأمير فاركب على مُقَدَّم البغلة، وأردفه ابنُ أبي سَبْرة، وجالت الفسيفساء فرس الجَزْل الذي أعطاها لعبد الرحمن في العسكر، فأخذها رجل من أصحاب شَبيب.

---

(١) في الطبري ٦/ ٢٥٢ أن القائل له ذلك: عقيل بن شداد السلولي.

(٢) في (خ): مئة وخمسين، وفي الطبري ٦/ ٢٥٣ : مئة وأحد وثمانين.

وأمر شبيب أصحابَه، فرفعوا السَّيف عن الناس، وطلب البَيعة فبايعه مَن بَقي، وسار الفَلّ إلى الكوفة، وقُتل من أهل الكوفة ألف وسبع مئة[١].

وجاء عبد الرحمن فنزل بدير أبي مريم، واجتمع إليه النّاس، فقيل له: إنْ سَمع شَبيب بمكانك أتاك؛ فكنت له غَنيمة، وقد تفرَّق الناس، وقُتل خِيارُهم، فالحق بالكوفة، فدخلها ليلاً، واختفى من الحجاج حتى أخذوا له منه أماناً.

وفيها وُلد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ويقال له: الجَعدي، آخر ملوك بني أميّة.

قال الواقدي: وحجّ بالناس أبان بن عثمان بن عفان وهو على المدينة، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف، وعلى خراسان أُميّة بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى[٢].

فصل: وفيها استشهد

زهير بن قيس البَلَويّ

المصري وكنيته أبو شدّاد.

ذكره أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» وقال[٣]: جاء الصَّريخ إلى فُسطاط مصر بنزول الرُّوم على بَرْقة، فأمره عبد العزيز بن مروان بالنهوض إليهم ـ وكان عبد العزيز واجِداً عليه لأنه قاتله بناحية أَيْلة، لما قدم مروان لأخذ مصر ـ فسبق زهير الجيش على البريد في أربعين رجلاً، فلما أشرف على الروم أراد أن يتوقّف حتى يَلحقَه الجيش، فقال له فتىً حَدَثٌ: أجَبُنْتَ يا أبا شَدّاد، فقال له زهير: قَتلتَنا وقتلتَ نَفْسك، ثم قرأ سورة السجدة، وسجد وسجد أصحابه فقتلوهم.

قال: وكان لزهير مسجد وقصْرٌ معروف بالمَعافر.

---

(١) في الطبري ٦/ ٢٥٥ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٨٦ : وقتل من كندة مئة وعشرون، وألف من سائر الناس أو ست مئة، وفي «المنتظم» ٦/ ١٨٣ : ودخل شبيب عسكرهم، وقتل نحواً من ألفين.

(٢) من قوله: وفيها ولد مروان... إلى هنا، جاء في (ص) عقب استشهاد زهير بن قيس البلوي، الآتي خبره.

(٣) قوله: ذكره أبو سعيد... من (ص) و(م).

قال الجوهري: والمعافر: حي من هَمْدان تُنسب إليهم الثياب المعافرية[١].

وحدَّث زهير عن عَلْقمة بن رِمْثَة البَلَوي، وروى عنه سُويد بن قيس التُّجِيبي[٢].

فصل: وفيها توفي

محمد بن موسى

ابن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، قال هشام بن محمد: كان عبد الملك بن مروان قد ولّى محمد بن موسى على سِجستان، وكتب له عهدَه عليها، وكتب إلى الحجّاج بأن يجهّز معه ألفي رجل، وأن يعجّل سراحه، فحسده الحجاج، وقال لمحمد: جاهد هذه المارقة، واذهب إلى عملك، وأخرجه فيمن أخرج، فقتله شبيب على ما ذكرنا.

وقال الهيثم: كتب عبد الملك عهدَ محمد بن موسى على سجستان، وقدم على الحجّاج، فقال له: إنك عامل على كل بلدٍ مررتَ به، وهذا شبيب في طريقك، فاعدل إليه.

فلما سار من الكوفة عدل إلى شبيب، فأرسل إليه شبيب: إنك أمير مخدوع، وقد لعب بك الحجاج، وقد كنت جاري، وللجوار حقٌّ، فانطلق لما أُمرت به؛ فإني أكره قتالك، فأبى إلا البراز، فبرز إليه شبيب، فضربه بالعمود الحديد، وكان وزنه اثني عشر رطلاً، فهشم البيضة ورأسَه، ثم كفّنه ودفنه، وابتاع ما غَنِم من عسكره، وبعث به إلى أهله، واعتذر إليهم، وقال لأصحابه: إني أَهَبُ ما غنمتُ من أهل الرِّدَّة.

وقال أبو عُبيدة مَعْمَر: كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن مَعْمر بفارس، وشهد معه قتال أبي فُدَيْك، وكان على مَيمنته، وكان شجاعاً شديدَ البأس، وزوّجه عمر ابن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان، وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان، فولّاه سجستان، فمرّ بالحجاج، فقيل له: إن صار هذا إلى سجستان مع نَجدته وشجاعته وصهره لعبد الملك، فلجأ إليه أحد ممن تطلبه؛ منعه منك، قال: فما الحِيلة، قيل: تأتيه فتسلّم عليه، وتذكر له نجدته وبأسَه، وأن شَبيباً في طريقه وقد أعياك، وأنك ترجو أن يُريح الله منه على يده، ويكون له ذكر ذلك وشُهرته.

---

(١) «صحاح الجوهري» (عفر ٢/ ٧٥٣). وقول الجوهري هذا من (ص) و(م).

(٢) زاد في (م) بعدها: انتهت ترجمته، والحمد لله وحده. السنة السابعة والسبعون من الهجرة. اهـ. وانظر «تاريخ دمشق» ٦/ ٤٥٦-٤٥٨ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ١٨٤.

فأتاه الحجاج فذكر له ذلك، فقال: نعم، فلما خرج من الكوفة تعرّض لشبيب، فأرسل إليه: اذهب لشأنك؛ فإن الحجاج قد خَدَعك، ووقى بك نَفْسَه، وكأني بأصحابك لو قد التقت حَلقتا البِطان قد أسلموك، فصُرعتَ مَصرعَ أصحابِك، فأطعني وانطلق لشأنك، فأبى، فبارزه فقتله.

وقيل: إن شبيباً قال لأخيه مَصَاد: بارِزْه؛ حياءً منه، وما كان يريد قتلَه، فبارزه مصاد فأبى، وبارزه سويد فأبى، وقال: ما أريد إلا شبيباً، [فبرز إليه شبيب وقال: أُناشدك الله في دمك؛ فإن لك جِواراً، فأبى إلا قتاله] فبارزه شبيب فقتله.

وذكر الموَفَّق رحمه الله القصة بمعنى ما ذكرنا، وقال في آخرها: فقال له شبيب: أما إذ أَبَيْتَ فسأنظر لك، معك جمع كثير، وأنا ذو عَددٍ يسير، فالْقَ القليلَ بكثيرك، ولا تلْقَ رجلاً بالمبارزة، فإنك لا تدري لمن تكون الدائرة، فأبى فقتله شبيب. والله أعلم[١].

السنة السابعة والسبعون من الهجرة

وفيها قتل شبيب جماعةً من أعيان أهل الكوفة[٢].

وفيها غرق شبيب.

لما هزم شَبيب الجيش الذي بعثه إليه الحجاج، وَقَتَل عثمانَ بنَ قَطَن أتى ماه بَهْزاذان ـ وكان الحرُّ شديداً ـ فأقام مُصَيّفاً بها ثلاثة أشهر، والتجأ إليه ناسٌ كثير ممّن يطلب الدنيا، وناس كان الحجاج قد طلبهم بمال وتَبِعات، فلما انقضى زمان الحَرِّ خرج شبيب في نحو ثمانِ مئةِ رجل، فأقبل نحو المدائن، وعليها مُطَرِّف بن المغيرة بن شعبة، وجاء شبيب حتى نزل قناطر حُذيفة بن اليَمان، ولا يعلم الناس أين يريد.

(١) هذا الفصل بتمامه أثبتُّه عن نسخة (ص)، وسياقه أوضح من سياقه في النسخ (أ) (ب) (خ) (د)، وذلك أن المختصِر فيها أجمل ما فُصِّل في نسخة (ص)، وحذف وقدَّم وأخرّ، وقد ذكرتُ ما أضفته منها ـ يعني النسخ ـ بين معكوفين.
وانظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٤٧ـ٢٤٨ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٩٩ ، و«التبيين» ٣٢٩ .

(٢) بعدها في (ص) و(م): وقتل شبيب أيضاً، ذكر دخول شبيب الكوفة مرة ثانية. اهـ. والأخبار في هاتين النسختين مختصرة، وسياقها مختلف عما أثبتناه من (أ) و(ب) و(خ) و(د)، وسنثبت ما أضفناه منهما بين معكوفين.

وبلغ الحجّاجَ فخطب وقال: والله لتُقاتِلُنّ عن بلادكم وفيئكم؛ أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على الأذى منكم، فيقاتلون عدوَّكم، ويأكلون فَيئكم، فصاح الناس من كل جانب: ابعَثْنا إليهم فنحن نقاتلهم.

فقام إليه زُهْرة بن حَويّة ـ وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على القيام حتى يُؤخذ بيده ـ فقال له: أيها الأمير، إنما تبعث الناس منقطعين، فاستنفر إليهم كافة الناس، وابعث عليهم رجلاً قوياً شجاعاً مجرّباً للحرب، ممّن يرى الفرار هَضْماً، والصبرَ مجداً وكَرماً، فقال له الحجاج: فأنت ذاك، فقال: إنما يصلح ذلك لرجل يحمل الرمح، ويلبس الدّرع، ويهزُّ السيف، ويثبت على متن الفرس، وأنا شيخ كبير ضعيف، لا أقدر على شيءٍ من ذلك، ولكن ابعث أميراً قادراً على ما ذكرت، وأنا أخرج بنفسي معه؛ فأشير عليه برأيي، فقال له الحجاج: جزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً في أول الأمر وآخره؛ فلقد نصحتَ وصدقتَ، سوف أفعل ما ذكرت.

ونزل الحجاج، فكتب إلى عبد الملك: أما بعد، فإن أهل الكوفة قد عجزوا عن قتال شبيب، وقد هزمهم وقتلهم في مواطن كثيرة، وأباد أُمراءهم وفُرسانهم، وقد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليهم أهل الشام، فيقاتلون عدوَّهم، ويأكلون فَيْئهم، فليَفْعل والسلام.

فدعا عبد الملك سفيان بنَ الأَبْرَد، فأمره أن يسير إلى الكوفة في أربعة آلاف، وحَبيب بنَ عبد الرحمن الحَكَميّ، فسار في ألفين، وسرَّحهم حين أتاه كتاب الحجاج.

وأقام أهل الكوفة يتجهَّزون ولا يَدرُون مَن أميرُهم.

وكان الحجاج قد كتب إلى عتَّاب بن وَرْقاء ليأتيه، وكان على خيل الكوفة مع المُهلَّب في قتال الأزارِقَة، وذلك الجيش هو الذي أُصيب فيه عبد الرحمن بن مِخْنَف، وقد ذكرنا ما جرى بين عتَّاب والمهلَّب، وأقام عتَّاب عند المهلّب على كُره، وكتب إلى الحجاج يَسأله أن يكون عنده، واتّفق قضية شبيب وتجهيز هذا الجيش، فكتب الحجاج إلى عَتّاب يطلبه إليه، فَسُرَّ.

[ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة فقال لهم: مَن ترون أن أبعث على هذا الجيش؟ فقالوا: رأيك][1] أيها الأمير أفضل، قال: فقد كتبت إلى عَتَّاب بن وَرْقاء، وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة، فيكون أمير الناس، فقال له زُهْرة بن حَوِيّة: أصبتَ، والله لا يرجع إليك حتى يَظفر أو يُقتل، فقال له قَبيصة بن وَالق: إني مُشيرٌ عليك أيها الأمير برأي، فإن يك صواباً فالله سَدَّدني له، وإن يكن خطأً فبعد اجتهادي في النّصيحة لك، ولأمير المؤمنين، و[لعامة] المسلمين، قال: قُلْ، قال: قد تحدَّث الناس أن جيشاً قد أقبل من الشام، وأن أهل الكوفة قد هُزموا غير مَرّة، وهان عليهم عارُ الفِرار، فإن رأيتَ أن تبعث إلى الجيش القادم من الشام الذي أُمدِدْتَ به، فيأخذوا حِذرَهم خوفاً من البَيات؛ فإنك إنما تحارب حُوَّلاً قُلَّباً، ظُعّاناً رُحّالاً، فافعل. فجزاه الحجاج خيراً وقال: لله أنت، ما أحسنَ ما رأيت، وما أشرتَ به.

فأرسل الحجاج إلى الجُنْد القادمين من الشام مع عبد الرحمن بن الغَرِق مولى بني عَقيل: إذا حاذيتم بلدَ هِيت فدعوا طريقَ الفرات، وخذوا على عين التَّمر حتى تَقدموا الكوفة، وأسرِعوا، فأسرَعوا.

وقدم عتّاب الكوفة في الليلة التي أَخبر فيها الحجاج بقدومه، فأمره الحجاج، فخرج فعَسْكَر بحمّام أَعْيَن، وأقبل شبيب فنزل بَهُرَسِيْر من غربيّ دجلة، فقطع مُطَرّف بن المغيرة الجِسْرَ بينه وبينهم، وأرسل إليه مُطَرّف يقول: ابعث إلي رجالاً من أصحابك أُدارِسهم القرآن، وأنظر فيما تدعو إليه، فأرسل إليه شبيب رجالاً من قومهم، فيهم قَعْنَب وسُوَيد والمُحلّل، فلما ركبوا في السفينة أرسل إليهم شَبيب: تَأَنَّوا إلى حين رجوع رسولي من عند مُطَرِّف، وبعث إلى مُطَرّف: ابعث إليَّ رجالاً عِدّةَ أصحابي الذين أبعث بهم إليك ليَكونوا رُهوناً إلى أن يَرجع أصحابي، فقال مُطَرّف لرسوله: قل له: كيف آمَنُك على أصحابي إذا صاروا في يديك، وأنت لا تأمنني على أصحابك، فرجع الرسول إلى شبيب، فأخبره فقال: قل له: قد علمتم أننا ما نَستحِلُّ الغدرَ في ديننا، وأنتم تَستَحِلُّونه، فبعث إليه مُطَرِّف الرّبيع بنَ يَزيد الأزدي، وسُلَيم[2] بن حُذَيْفَة

(١) ما بين معكوفين من الطبري ٦/ ٢٥٩ .

(٢) في الطبري ٦/ ٢٦١ : الأسدي وسليمان.

المزني، ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحبَ حَرَسِه، فلما صاروا في يدي شبيب سَرّح إليه أصحابه، فأقاموا يتناظرون أياماً، والرسل تتردّد بينه وبين شبيب.

وكان مُطَرِّف نازلاً بالمدينة العَتيقة التي فيها مَنزِل كسرى والقصر الأبيض، وشبيب نازلٌ بهرسير المدينة الغربيّة، فكان من جملة الرّسالة إلى مُطَرِّف أنهم لما دخلوا عليه قال سُويد: السلام على مَن خاف مقام ربّه، ونهى النَّفْس عن الهوى، وعرف الحقَّ وأهلَه، فقال مُطَرِّف: أجل، فسَلَّم الله على أولئك، ثم جلسوا، فقال لهم مُطَرِّف: أخبروني إلامَ تَدعون؟ فقال سويد: إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وإنا نقمنا[1] على الظَّلَمة تَعطيل الحدود، والاستئثار بالفيء، فقال مُطَرِّف: ما دعوتُم إلا إلى الحق، وأنا مُتابعٌ لكم على ذلك، فبايعوني على ما أدعوكم إليه، فقال: قُل، قال: نقاتل هؤلاء الظَّلمة العاصين، وندعوهم إلى ما ذكرتَ، وأن نجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين، يُولُّون مَن يختارون؛ ممن يكون على الحال التي كان عليها عمر بن الخطاب، فإذا وافقتموني على ذلك صارت كلمتنا واحدة، وأمرنا واحداً، وتَبعتنا العرب، فكثر أتباعُنا، فقالوا: لا نرضى بهذا وقاموا، فلما صاروا في آخر الصُّفَّة التفت إليه سُويد وقال: يا ابن المغيرة، لو كنّا قوماً غُدُراً أليس قد أمكنتَنا من نفسك، وكانوا جماعةً عليهم السلاح، ومُطَرّف عنده اثنان بغير سلاح، ففَطِن مُطَرِّف وقال: صدقتَ والله.

وانصرفوا إلى شَبيب فأخبروه بما جَرى بينهم وبين مُطَرِّف، فأعاد إليه القومُ رسائلَ وشُبَه قَرَّرت في نفسِ مُطَرّف مذهبَ الخوارج؛ حتى خرج في هذه السنة فقُتل، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وبلغ شبيباً وصولُ جُند الشام وأن عتّاب بنَ وَرْقاء بحمّام أعْيَن، فقال لأصحابه: سيروا بنا إليهم؛ فإن هذا الثَّقَفيّ ـ يعني مُطَرف بن المغيرة ـ قد ثَبّطني عن المسير إليهم، وقد نزل جيش أهل الشام بالكوفة، وقد سار عَتّاب بن وَرْقاء فنزل الصَّراة في جُند أهل الكوفة، فاقصدوه.

(١) في (أ) و(د): نقمت، وفي (خ) و(ب): نقمة، والمثبت من الطبري ٦/ ٢٨٧ .

وخرج مطرّف من المدائن، وقصد الجال[1] خوفاً من الحجاج.

فعقد شبيب الجسر وبعث على المدائن أخاه مَصَاداً، وكان أهل الكوفة في أربعين ألفاً من المقاتلة، وعشرة آلاف من الشام، فصاروا خمسين ألفاً، ولم يُبْقِ الحجاج بالكوفة قُرشياً ولا رجلاً من أهل الشَّرف إلا أخرجه.

ثم إن شَبيباً عرض أصحابَه بالمدائن فكانوا ألفَ رجل، فقام فيهم خطيباً وقال: إن الله كان يَنصُركم عليهم وأنتم مئة وهم ألوف، فسيروا وأبشِروا بالنصر.

وسار حتى نزل ساباط في ست مئة، وترك مع أخيه مصَادٍ أربع مئة بالمدائن، ووافى عَسْكرَ عَتَّاب بن وَرْقاء، فصفَ عَتَّاب عَسكره، وجعل على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وجعل عُبَيد بن الحُلَيْس على مَيسرته، ووقف هو في القلب، ورتَّبهم ثلاثة صفوف: صفٌّ فيه الرجال معهم السيوف، وصف معهم الرِّماح، وصفٌّ معهم النَّبْل، ثم سار بين الصفوف يُحَرِّضهم ويُصَبِّرهم ويقول:

عليكم بهؤلاء كلاب أهل النار، وشرار خلق الله، أين القُصَّاص؟ فلم يُجبه أحد، فقال: كأني والله بكم قد فَرَرْتُم عن عتَّاب بن وَرْقاء، وتركتموه تسفي في اسْتِهِ الرِّيح، ثم عاد إلى القلب فوقف فيه، ومعهم زُهْرَة بن حَوِيّة، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

وأقبل شبيب في ست مئة، وتخلَّف عنه أربع مئة فقال: لقد تَخلَّف عنا من لا أُحِبُّ أن يُرى فينا؛ فإنا ما نَغلِبُ النّاسَ بكثرة، ثم بعث سُويد بن سُلَيم في مئتين إلى الميسرة، والمُحلّل بن وائل في مئتين إلى الميمنة، ووقف هو في مئتين في القلب[2]؛ وذلك فيما بين المغرب والعشاء حين أضاء القمر، فمشى شبيب بين الصُّفوف وصاح: أنا أبو المُدَلَّه، لا حُكمَ إلا لله، ثم حمل عليهم فانهزمت الميسرة، وقُتل شجعانها عُبَيد بن الحُلَيس وغيره، ثم حمل شبيب على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فثبت، وهرب أبوه من القلب.

---

(١) كذا في النسخ، وهي قرية كبيرة تحت المدائن كما في معجم البلدان ٢/ ٩٥ . وفي الطبري ٦/ ٢٦١ ؛ فخرج نحو الجبال.

(٢) في الطبري أنه بعث المحلّل بن وائل في مئتين إلى القلب، ومضى هو في مئتين إلى الميمنة.

وكان عَتَّاب بن وَرْقاء وزُهْرة بن حَوِيّة جالسَين في القلب على طِنْفِسَة، فغشيهم شبيب، فقال عثمان بن يزيد الكلبي[١] لعتَّاب: يرحمك الله، قد هرب عنك عبد الرحمن بن محمد، وهرب معه أناسٌ كثير فاذهب، فقال عَتّاب: إنه قد فرَّ قبل اليوم، وقاتل عتاب فأبلى بلاءً حسناً، وانهزم الناس فقال عَتّاب: لم أرَ والله مثلَ اليوم؛ أقلّ مُقاتلاً، وأكثر هُرَّاباً، فسمعه رجلٌ من بني تغلب من أصحاب شَبيب يُقال له: عامر بن عُبَيد بن عمرو[٢]، فقال لشبيب: أظنُّ هذا المتكلّم عَتَّابَ بنَ وَرْقاء، فقصده شَبيب، وحمل عليه، فطعنه فوقع، فكان شبيب هو الذي وَلي قتلَه.

ووَطِئت الخيلُ زُهْرة بن حَوِيّة ـ وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم ـ فجاءه الفضل بن عامر الشَّيْباني فقتله، فجاء شبيب، فوقف عليه فعرفه، فقال: مَن قتل هذا؟ فقال الفضل: أنا فقال: هذا زُهْرة بن حَوية، أما والله لئن قُتلتَ على ضلالة فلَرُبّ يوم من أيام المسلمين قد حَسُن فيه بَلاؤك، وعَظُم فيه غناؤك، ثم كان في علم الله أن تُقتل ناصراً للظالمين، فقال رجل من بني بكر بن وائل: إن أمير المؤمنين لَيَتَوَجَّعُ لرجلٍ من الكافرين! فقال شبيب: إني لأعرف من قديم أمرِهم ما لا تعرف، ولو ثبتوا عليه لكانوا إخواناً.

ثم أمر شبيب برَفْع السيف عن الناس، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه، وهربوا من تحت ليلتهم، وكانوا يُبايعون شَبيباً وشبيب يقول: إلى بعد ساعة يهربون، فكان كما قال.

وحوى شبيب ما في عسكرهم، وأرسل إلى المدائن فجاءه أخوه مَصاد، فسار نحو الكوفة؛ وكان قد دخل سُفيان بنُ الأَبْرَد وعَسْكَرُ الشام الكوفة، فقوي قلب الحجّاج، واستظهر بهم، واستغنى عن أهل الكوفة، فقام خطيباً فقال:

يا أهل الكوفة، لا أعَزَّ الله مَن طلب منكم العِزّ، ولا نَصر مَن طلب منكم النَّصر، اخرجوا عنا فلا تَشهدوا معنا قتالَ عدوِّنا، الحقوا بالحيرة، فانزلوا مع اليهود والنصارى، ولا يُقاتلنّ معنا إلا مَن لم يشهد قتالَ عَتَّاب بن وَرْقاء.

---

(١) في الطبري ٦/ ٢٦٥ : عمار بن يزيد الكلبي.

(٢) في الطبري ٦/ ٢٦٥ : عامر بن عمرو بن عبد عمرو، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٨٧ : عمرو بن عبد عمرو من بني تغلب.

وأقبل شبيب حتى نزل الصَّراة، ومضى أخوه مَصَاد وقَعْنَب إلى سُورا ـ وبها أموال الخراج ـ فقتلوا عاملها، وأخذوا الأموال، وجاؤوا بالبِدَرِ[١] إلى شبيب، وقالوا: هذه الأموال، فقال: أتيتمونا بفتنة الناس[٢]، فقذف بها في الماء، وتناثر البعض على وجه الأرض.

[ذكر دخول شبيب الكوفة مرّةً ثانية:

قال هشام:] وأقبل شبيب حتى نزل بحمّام أَعْيَن، فدعا الحجاج الحارثَ بنَ معاوية ابن أبي زُرعة بن مسعود الثَّقَفي، وبعث معه ألفَ رجلٍ لم يكونوا شهدوا قتل عَتّاب، وفيهم مئتا رجلٍ من أهل الشام، وبلغ شبيباً فالتقاه، فقتله وهزم أصحابَه، فعادوا إلى الكوفة.

وجاء شبيب فنزل السَّبَخَة، وبنى مسجداً في أقصاها، يقال: إنه قائم إلى اليوم، وخرج إليه الحجّاج في أهل الشام، فكَرْدَس شَبيبٌ أصحابَه وكانوا ست مئة، مَصَاد أخوه في مئتين[٣]، وهو في مئتين، وسويد في مئتين، وقال لسويد: احمِل عليهم، فحمل عليهم، فالتَقَوه بأطراف الأسنة، وثبتوا، ثم طعنوهم فانصرفوا، وجاء المحلّل ففعلوا به مثل ذلك، وجاء شبيب ففعلوا به كذلك، وطاعنوه بالرّماح حتى ألحقوه بأصحابه، فنادى شبيب:

يا أهل الإسلام؛ إنما شَرَيْنا أنفُسنا لله تعالى، ومَن شَرَى نفسَه لم يَكْثر[٤] عليه ما أصابه من الألم في جنب الله، الصبر الصبرَ، شَدّةٌ كشَدّاتكم في مواطنكم الكريمة، وحملوا معه على أصحاب الحجاج، واقتتلوا قِتالاً لم يُرَ مِثلُه، وأهل الشام يَدفعون شبيباً وأصحابه، فلما رأى ذلك صاح: الأرضَ الأرضَ، فترجَّلَ وتَرجَّلَ أصحابُه، وقد دفعهم أهل الشام إلى آخر السَّبَخة.

---

(١) في الطبري ٦/ ٢٦٧ : بالبدور. قلت: وكلاهما جمع بَدْرَة؛ كيسٌ فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، سُمّيت بَبدْرَة السَّخْلة، يعني جلدها.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): أسمونا تعبية الناس؟! والمثبت من الطبري ٦/ ٢٦٧ .

(٣) بنحوه في الطبري ٦/ ٢٦٩ وفيه المحلل بدل مَصَاد، وما سلف بين معكوفين من (ص) و(م).

(٤) من هنا إلى قوله: ولما بلغ الحجاج كبر (بعد صفحة) وقع في (ص) و(م) في أثناء ترجمة شبيب آخر السنة، وقد زدت منها ما بين معكوفين.

وجاء الحجاج فوقف عند مسجد شبيب، ثم صاح: يا أهل الشام، يا أهل السَّمعِ والطّاعة، هذا أوّلُ الفتح، وقال خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء للحجاج: ائذن لي في قتالهم فأنا مَوْتُور، فأذن له، فخرج في جماعة من أهل الكوفة، حتى أتى القومَ من ورائهم وقاتل. فقُتل مَصَاد أخو شبيب، وقُتلت غزالة [امرأة شبيب، قتلها فَرْوَة بن الدّفّان الكلبي، وحَرّق في عسكره.

قال الهيثم: قَتلت غزالةُ في ذلك اليوم] من أهل الكوفة مئةَ فارس، فجاءها فَروةُ بن الدَّفّان الكلبي من خلفها، فطعنها. فوقعت، فقتلها وحَرّق في عسكره. [قال الهيثم:] ولم يلق أحد ما لقي الحجاج منها، فرُوي أنه خرج في الليلة التي دخلت فيها [إلى] المسجد، وصلّت [ركعتين قرأت فيهما البقرة وآل عمران، وخرج الحجاج] مُستخفياً، فلما خرجت من المسجد رأته، فقالت: الحجاج ورَبِّ الكعبة، أين شَبيب؟ وكان شبيب واقفاً على رأس السكّة، فحملت على الحجاج فولّى، فدَقّته بالرُّمح بين كَتِفيه، فكان يُعيَّر بها، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروب نَعامَةٌ   رَبْداءُ تَجفُلُ من صَفيرِ الصَّافرِ
هلّا بَرَزْتَ إلى غزالةَ في الوَغَى   بل كان قلبُك في مَخالبِ طَائِرِ
فزعَتْ غَزالةُ قلبَه بفَوارسٍ   تركتْ كَتائبَهُ كأمْسِ الدَّابرِ[1]

[وقال أبو اليقظان:] كان عبد الملك إذا غضب عليه عَيَّره بها، فيكتب إليه:

هلّا برزتَ إلى غزالة في الوَغَى

الأبيات، ويقول: قَبّح الله الأُخَيْفش، أيختبىء من امرأة، فلما بلغ عبدَ الملك قتلُها، وقيل له: إن الحجاج يقول: إنني قتلتُها، فقال: كذب، والله ما قتلها إلا أنا[2]، يعني أن جَيشَه قتلها.

[وقال أبو اليقظان:] كانت مدّةُ شبيب التي سُلِّم عليه فيها بإمرة المؤمنين ثلاثَ سنين وشهوراً.

ولما بلغ الحجاج الخبرُ كبّر وكبّر أصحابُه.

---

(١) لم ترد الأبيات في (م)، وورد منها في (ص) بيت واحد هو: هلا برزت... ثم قال عقبه: من أبيات، ونُسبت الأبيات لعمران بن حِطّان، وقيل لغيره. وانظر تخريجها ونسبتها في شعر الخوارج ١٦٦-١٦٧.

(٢) في (ص): إلا الماء.

وأما شبيب فلما رأى ذلك ركب فرسه، وأمر أصحابه بالرُّكوب، وصاح الحجّاج: شُدُّوا عليهم فشَدّوا، فانهزم أصحابه، وتخلَّف شَبيب في حاميةٍ من أصحابه، وقطع الجسر، وتبعَتْه خيل الحجاج، فجعل يَخفق برأسه، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، التَفتْ فانظر مَن خلفك، فالتفت غير مُكترث، ثم أكبَّ يَخفق برأسه، فدَنَوا منه، فقيل له: التفت، فلم يكترث، وبعث إليهم الحجاج: ارجعوا ودعوه في خزي الله، فرجعوا.

وصعد الحجاج المنبر فقال: والله ما قوتل شبيب مثلَها، هرب وترك امرأته يُكْسَر في استها القَصَب.

وبعث خلفه حَبيب بن عبد الرحمن الحَكمي في ثلاثة آلاف من أهل الشام، وقال له: احذرْ بَياتَه، وحيثما لَقيتَه فنازِلْه، فسار حبيب حتى نزل الأنبار، فبيَّتَهم شبيب، واقتتلوا طُولَ الليل، فقُتل من أصحاب حبيب مئة، وقُتل من أصحاب شَبيب ثلاثون، وكانت ليلةً مثلَ ليلةِ الهَرِير[1]، فُقِئَت فيها العيون، وقُطعت فيها الأيدي، وكَثُرت القَتْلى بين الفريقين، فلما كان عند الصُّبح انصرف شَبيب عنهم، وسار إلى الأَهْواز، ثم إلى فارس، ثم إلى كِرْمان فأقام بها، وتراجع إليه بعض أصحابه، وقَوِيت شوكتُه.

وغَرِق شبيب في هذه السنة [في قول هشام بن محمد، وفي قول غيره] سنة ثمان وسبعين. [وسنذكره في آخر هذه السنة].

وفيها خرج مُطَرّف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج، وخلع عبد الملك، ورأى رَأْيَ الخوارج، وسنذكره في آخر هذه السنة.

وفيها وقع الاختلاف بين الأزارقة الذين كانوا يُحاربون المُهَلَّب بن أبي صُفرة[2].

أقام المهلّب بسابور يُقاتل قَطَرِيّ بن الفُجاءة من الأزارقة ـ بعدما سار عتّاب بن وَرْقاء إلى الكوفة ـ سنةً، ثم زحف إليهم في يوم البُستان، فقاتلهم قتالاً شديداً، وكانت كرمان في يد الأزارقة، وفارس في يد المُهَلّب، فحسَم عنهم المُهَلَّب مَوادّ فارس، فضاق بهم الأمر [في مكانهم الذي هم به] فخرجوا إلى كرمان، وتبعهم المهلّب فنزل

(١) هي ثالثُ ليلة في وقعة صفّين وآخرُها، سُمِّيت بذلك لتركهم الكلام، فكانوا يَهِرُّون هَرًّا، وشُبِّهت بليلة القادسية، والهَرِير (كما في المصباح) صوت الكلب دون النُّباح، وبه يُشَبَّهُ نظرُ الكُماة بعضِهم إلى بعض.

(٢) من هنا إلى قوله: وحج بالناس أبان بن عثمان (بعد صفحتين)، ليس في (ص) و(م).

بجِيْرَفْت مدينة كرمان، وأقام يقاتلهم سنة، وحاز فارس بأسرها، وصارت في يديه، فبعث الحجاج عُمّالَه عليها، وبلغ عبد الملك فأرسل إلى الحجاج يُنكر عليه ويقول: دع للمهلب خراج جبال فارس فلا بدّ للجيش من قوة، فتركها للمهلب، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قَبيصَة، وكتب إليه:

أما بعد، فإنك لو شئتَ لقد اصطَلَمْتَ هذه الخارقة المارقة، ولكنّك تحب طُولَ بقائهم لتأكلَ بهم الأرض، فانهض إلى قتالهم وجهادهم، ودع عنك العلَل والأباطيل، والأمور التي ليست عندي بسائغة، وقد بعثتُ إليك البراء ليُنهِضَك إلى قتالهم، والسلام.

فلما قرأ الكتاب أخرج المهلَّب الناس على راياتهم، وأخرج أولادَه، كلّ ولدٍ في كتيبة، وأوقف البراء على تلٍّ عالٍ، وقال له: انظر، والتقت الكتائب، واشتد القتال كأشدِّ ما يكون، والكتائب تتصادم من أول النهار إلى الظُّهر، وافترقوا فلما كان وقت العصر عادوا إلى القتال، فأقاموا على ذلك أياماً، فجاء البراء إلى المهلب فقال: والله إن رأيتُ كذا قط، فإنك والله لمَعذور، فأحسن إليه المُهَلّب ووَصله، وقال: احْكِ للحجاج ما رأيت، وكتب معه كتاباً إلى الحجاج يقول فيه:

أما بعد، فقد أتاني كتاب الأمير بسبب هذه المارقة ومناهضَتِهم، وقد شاهد رسولُه ما صنعتُ، فلو قدرت على استئصالهم وإزالتهم عن مكانهم ولم أفعل ذلك لقد غَشَشْتُ المسلمين، وما وَفيت للأمير، ولا لأمير المؤمنين، والسلام.

وأقام المهلَّب يُقاتلهم ثمانية عشر شهراً، ثم إن عاملاً لقَطَرِيّ على بعض نواحي كِرمان قتل رجلاً من بني ضَبَّة من الخوارج خطأً، فطلب الخوارج إلى قَطَري أن يُقِيدَه منهم، فأبى وقال: قتله بتأويل؛ لأنه التقاه في سريّة، ولم يعرفه فأخطأ، فخذوا الدِّيَة، فأبوا وقالوا: لابُدَّ من قتله، فامتنع فافترقوا عليه، وخلعه بعضهم، ولم يَخلَعْه البعض، ووَلَّوا عليهم عبد الكبير[1] رجلاً منهم، وصاروا فريقين يقتتلون، فأقاموا على ذلك شهراً، وبلغ الحجاج فكتب إلى المهلّب: لستُ أرى قتالهم مع اختلافهم، فربما مالوا إلى الصُّلح عند مناهضتهم، وأما الآن فهم يقاتل بعضهم بعضاً، فإن تمّوا على ذلك،

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٠٣: عبد ربّه الكبير، وفي المنتظم ٦/ ١٩٤: عبد ربّ الكبير. وكذا فيما يأتي.

فهو الذي نريد من هلاكهم، وإن اجتمعوا بعد ذلك اجتمعوا وقد ضعفوا ووَهَنوا، فكان ذلك عوناً لنا على قتالهم واستئصالهم[1].

ثم إنهم افترقوا، فخرج قَطَري إلى طَبَرِسْتان، وبقي عبد الكبير فنهض إليه المُهَلَّب، فقاتله قتالاً شديداً، فنصره الله عليهم، فلم يَنْجُ منهم إلا اليسير، وهلك قَطَرِيّ وعبد الكبير ومَن كان معهم من الأزارقة.

وسبب هلاكهم أن الحجاج لما بلغه اختلافُهم وجَّه سفيان بن الأَبْرَد في جيشٍ عظيم في طَلب قطري، فتبعه إلى الرَّيّ، وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطَبرستان: أن يتّفق مع سفيان ولا يُخالفه، فسارا جميعاً، فلحقوا قَطَريّاً في بعض الشِّعاب، فقاتلوه، فتفرَّق عنه أصحابُه، ودخل الشِّعْب، فوقع من دابته، فرآه عِلْجٌ من أهل تلك البلاد، فنذر به ولم يعرفه، وكان قد عطش، فطلب منه ماءً فلم يسقه، ودَهْدَه عليه العِلْجُ حَجراً عظيماً، فأصابه فأثبته ولم يقدر على القيام، وجاءه جماعة من أهل الكوفة فقتلوه، وخرج برأسه إلى الحجاج أبو الجَهْم بن كِنانة الكَلْبيّ بعد أن ادّعى قتلَه جماعة، فأحسن إليه الحجاج وزاده عبد الملك في العطاء فصار في ألفين.

وكان مع قَطَري عُبَيْدة بن هلال الخارجيّ، فلما قُتل قطري سار عبيدة فتحصّن بقصر قُومِسَ، فحصره فيه سفيان بن الأبرد، وأقاموا أياماً، فنادى سفيان: أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن، وقال عبيدة بن هلال: [من الطويل]

لَعَمري لقد قام الأَصَمُّ بخُطبةٍ لذي الشَّكِّ منها في الصُّدورِ غَليلُ
لَعَمري لئن أعطيتُ سُفيانَ بَيعتي وفارقتُ دِيني إنني لَجَهولُ
إلى الله أشكو ما أرى بجِيادنا تَساوَكُ[2] هَزْلَى مُخُّهُنَّ قليلُ

وأقام عبيدة أياماً في الجَوْسَق، فاشتدَّ بهم الحصار، فكسروا جفون سيوفهم، وخرجوا إلى سفيان بن الأبرد، فقاتلوا حتى قُتلوا، وبعث سفيان برؤوسهم إلى الحجّاج.

---

(١) هذا كلام المهلب لا الحجاج، ذكر ذلك الطبري ٦/ ٣٠٣-٣٠٤، وابن الجوزي ٦/ ١٩٤.

(٢) أي تسير سيراً ضعيفاً، والأبيات في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣١١، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٤٩، و«شعر الخوارج» ١٠٠-١٠١ وتخريجها ثمة.

وفيها قَتَلَ أميةُ بنُ عبد الله بن خالد بن أسيد بُكيرَ بنَ وِشاح التَّميمي[١]، وكان أمية قد قطع النهر غازياً، وولّاه خراسان، وجعله مع ابنه زياد بن أمية، فقبضَ[٢] عليه، ثم عاد أمية من بُخارى وقد بلغه عصيان بُكير إلى النهر، فوجده قد أحرق السُّفُن، فجدَّدها، وجمع أمية بني تميم وقال: هذا جزاء إحساني إلى بُكير، أكل أموال خُراسان ورفع إلي منه أشياء فيما سمعت، وفي آخر الأمر وَلَّيتُه مَرْو، وجعلتُه خليفتي، ففعل بي ما تَرون.

ثم سار إلى مرو، فقاتله مدّة، فطال الحِصار على بُكير فصالح أمية، فأحسن إليه، ووَصَله بأربعمئة ألف درهم، وكان أمية سَهْلاً سَمْحاً كريم الأخلاق، فواطأ بكير بعد ذلك جماعة على قتل أمية، فوَشَوا به إلى أمية، فقال: ما أُصدِّق فيه؛ مع إحساني إليه، فشهد جماعة كثيرة على بُكير أنه عَزم على الفتك بأمية، فأحضره، فشهدوا عليه في وجهه، فسلَّمه إلى بَحِير بن وَرْقاء[٣] الصَّريمي، وكان عدوَّ بُكَير، فقتله.

وحجَّ بالناس أبان بن عثمان، وكان على المدينة، وكان العمال في هذه السنة على ما كانوا عليه في السنة الماضية.

وفيها تُوفّي

زِرُّ بن حُبَيْش

ابن حُباشة الأسَدي، أبو مريم، وقيل: أبو المُطَرِّف، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

مرَّ عليه رجلٌ من الأنصار وهو يُؤذّن، فقال: يا أبا مريم، قد كنتُ أكرِمُك عن هذا، فقال: إذاً لا أكلّمك كلمةً حتى تلحقَ بالله.

وقال عاصم بن أبي النَّجود: لقد أدركتُ أقواماً يتَّخذون هذا الليل جَملاً، منهم [زر] وأبو وائل.

---

(١) في «جمهرة» ابن حزم ٢١٨، ٢١٩: بكير بن وَسَّاج، وانظر الطبري ٦/ ٣١١، و«أسماء المغتالين» ٢/ ١٧٦ (نوادر المخطوطات). وقد ضُبط اللفظ في الطبري وعُنونَ له بعكس هذا الكلام، وهو خطأ.

(٢) تحرفت في النسخ الخطية إلى: فقضى.

(٣) كذا الطبري ٦/ ٣١١. وفي الجهرة وأسماء المغتالين: وقاء، وهو الصواب كما في توضيح المشتبه ٩/ ١٩٢.

وكتب زر إلى عبد الملك كتاباً يَعِظه فيه ويقول: لا يُطمِعَنّك في طول الحياة ما ترى من صحّةِ بَدَنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما قال الأوَّلُون: [من الرجز]

إذا الـــرجـــالُ ولـــدت أولادُهـــا   وبَـلِـيـت مـن كِـبـرٍ أجـسـادُهـا
وجَـعـلـت أسـقـامُـهـا تَـعـتـادُهـا   تـلـك زُروعٌ قـد دنـا حـصـادُهـا

فبكى عبد الملك حتى بَلّ طرفَ ثوبه، فقال: صدق زر، لو كتب إلينا بغير هذا كان أرْفَق.

عاش زر مئةً واثنتين وعشرين سنة، وافتضّ جاريةً وهو ابن عشرين ومئة سنة، وتوفي في سنة سبع وسبعين، وقيل: سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: يوم الجَماجِم.

وأسند عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عوف، وابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، والعبّاس، وصفوان، وحُذيفة، وعائشة ﵃، وغيرهم.

وروى عن أُبيّ بن كعب قال: سمعته يقول: ليلة القدر ليلة سبع وعشرين.

وروى عنه النَّخَعي، وأبو بُردة بن أبي موسى، وعاصم بن أبي النَّجود، في آخرين، وكان ثقةً كثير الحديث[١].

[وفيها توفي]

شبيب بن يزيد[٢]

ابن نُعيم الشّيباني الخارجي، قد ذكرنا بداية أمره[٣] [وما جهَّز إليه الحجّاج من الجيوش، وأنه دخل الكوفة مرتين]، وأنه مضى إلى كرمان [فأقام بها.

ذكر علماء السِّير منهم هشام بن محمد، عن أشياخه قالوا:] لما أقام [شبيب بكرمان] جَهَّز الحجّاج إليه سفيان بن الأبرد إلى الأَهْواز في أربعة آلاف، وكتب [الحجاج إلى البصرة] إلى الحكم بن أيّوب بن أبي عَقيل [زوج أخت الحجاج و] عامله على البصرة أن

(١) انظر في ترجمة زر: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٥ ، و«المعارف» ٤٢٧ ، و«الاستيعاب» (٨٧٠)، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٤١٢ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ١٦٩ ، و«السير» ٤/ ١٦٦ . ولم ترد هذه الترجمة في (ص) و(م).

(٢) في (خ): شيبان بن زيد، وهو خطأ. وما بين معكوفين من (ص) و(م).

(٣) في (ص) و(م) زيادة: في سنة أربع وسبعين اهـ وهو خطأ، فقد ورد ذكره في أول هذه السنة، وآخر التي قبلها.

يُجهِّز أربعة آلاف [أُخر] مع رجل شجاع شريف، فليلحق بسفيان بن الأبرد لقتال شبيب، فجهّز زياد بن عمرو العَتَكي، فلم ينته(١) إلى سفيان حتى التقى سفيان وشَبيب على جسر دُجَيل الأهواز، وعبر إليه شَبيب في ثلاثة كراديس، شَبيب في كُردوس، وسويد في كردوس، وقَعْنَب في كردوس، وخَلّف المحلّل [ابن وائل] في باقي عسكره.

وبعث سفيان على ميمنته بشر بن حَسّان الفِهريّ، وعلى ميسرته عُمر بن هُبَيرة الفَزاري، وعلى الخيل ناصر(٢) بن صَيفي العُذري، ووقف سفيان في القلب، ثم اقتتلوا، فقال سفيان: لا تتفرّقوا، وازحفوا إليهم زَحْفاً، فما زالوا يقاتلونهم حتى ألجؤوهم إلى الجسر، وكان نصف النهار، فاقتتلوا إلى الليل، وترجّل شبيب في مئة من أصحابه، وقاتل قتالاً شديداً حتى اختلط الظلام، وانصرفوا فقال سفيان لأصحابه: لا تتبعوهم، فإذا كان من الغد نازَلْناهم، وكان الجسر من السُّفن، فقال شبيب لأصحابه: اعبروا فإذا كان من الغد باكَرْناهم، ولم يقل: إن شاء الله تعالى، فعبروا وتَخَلّف هو في آخرهم وتحته حصان، وبين يديه فرسٌ أنثى ماذيانة، فنزا فرسُه عليها وهو على الجسر، فاضطربت الماذيانة، ونزل حافِرُ فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء، فقال: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[الأنفال: ٤٢]، فغاص في الماء، ثم ارتفع وقال: ذلك تقدير العزيز العليم، ثم غاص، وهذا هو المشهور.

وروى أبو مخنف عن أشياخه: أن شبيباً كان معه قومٌ(٣) قد وَتَرهم وهم خائفون منه، فاتفقوا في تلك الليلة عليه، فلما تخلّف في أخريات الناس قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به(٤) الجسر فندرك ثأرنا الساعة، فقطعوا الجسر، فمالت السُّفن، ففزع فرسُه فنَفر، فوقع في الماء فغرق، ولما غرق تنادَوا فيما بينهم: غرق أمير المؤمنين، وبلغ سفيان بن الأَبْرد غرق شبيب، فأتى إلى الجسر فأقام عليه باقي الليل إلى الصباح، ثم أصبح فاستخرجه وعليه الدّرع، فشقّ بطنَه وأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صُلباً كأنه صَخرة، فضرب به الأرض فوثب قامةَ الإنسان، وكلما ضرب به الأرض وثَب كذلك.

(١) في النسخ: ينتهي. وما بين معكوفات من (ص) و(م).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٧٩ : مُهاصِر.

(٣) في (أ) و(خ) و(ب) و(د): وقال أبو مخنف: كان مع شبيب قوم، والمثبت من (ص) و(م).

(٤) في (ص): عليه.

وقيل لأمّه: مات شبيب، فقالت: ما مات، فقيل: قُتل، فقالت: ما قُتل، قيل: غَرِق، قالت: نعم، قيل لها: ومن أين لك هذا؟ قالت: لما وَلَدتُه خرج مني شهاب من نار، فعلمتُ أنه لا يُطفئه إلا الماء.

[وذكر القصة هشام، عن أشياخه قالوا:] كان يزيد بن نعيم أبو شَبيب في الجيش الذي دخل الروم مع سَلْمان بن ربيعة، [إذ بعث به الوليد] بن عقبة بأمر عثمان رضي الله عنه، فرأى يزيد بن نُعيم [جارية حمراء، لا شهلاء] ولا زرقاء، طويلة جميلة، فابتاعها [وذلك] في سنة خمس وعشرين، فلما حَملها إلى الكوفة قال لها: أسلمي، فأبتْ، فضربها فلم تُسلم، فوطئها فولدت شبيباً يومَ النحر يوم السبت، في سنة خمس وعشرين، وأحبّت مولاها حبّاً شديداً، [وأسلمت] وولدت شبيباً وهي مُسلمة، قالت: رأيتُ فيما يرى النائم كأنه خرج من قُبلي شهابٌ، فسطع منه ضَوءٌ إلى عَنان السَّماء، وبلغ الآفاق، ثم سقط في ماء كثير جار فخبا، وقد ولدتُه في يومكم هذا الذي تُهرقون فيه الدّماء، وقد أوَّلتُ رُؤياي أنه سيُريق الدّماء، ويعلو شأنُه وأمرُه، ثم يَغرق، [وقد ذكرنا مقتل غزالة زوجته بالكوفة][(١)].

فصل: وفيها توفي]

عُبيد بن عُمير

ابن قتادة الليثي المكي [وكنيته] أبو عاصم، من الطبقة الأولى من أهل مكة.

[وقال ابن سعد بإسناده عن ثابت قال: أول من قصَّ عُبيد بن عُمير الليثي، على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الملك عن عطاء قال:] دخلت أنا وعُبيد بن عُمير على عائشة رضي الله عنها فقالت: مَن هذا؟ فقال: أنا عُبيد بن عُمير، قالت: أقاصُّ أهل مكة؟ قال: نعم، قالت: خَفِّف فإن الذّكر ثَقيل[(٢)].

---

(١) بعدها في (ص) و(م) خبر مقتل غزالة، وقد سلف قريباً. وانظر في هلاك شبيب: «تاريخ الطبري» ٦/ ٢٧٩، و«المنتظم» ٦/ ١٩٠، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٨٨، و«السير» ٤/ ١٤٦.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٤.

[وحكى أبو نعيم، عن] مجاهد قال: كنا نفتخر بفقيهنا ابن عباس، وقاصِّنا[١] عُبيد بن عُمير.

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده، عن مجاهد قال:] قال عُبيد بن عمير: ما المجتهدُ فيكم إلا كاللاعب فيمن مضى.

[وروى أبو نعيم عن قيس بن سعد قال: قال عبيد بن عمير:] إن أهل القبور ليَتَلقَّون الميت كما يُتَلقَّى الراكب؛ يسألونه، فإذا سألوه ما فعل فلان؟ ممن كان قد مات، فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أُمِّه الهاوية.

[وعُبيد بن عُمير صاحب المرأة، حدثنا غير واحد، عن ثابت بإسناده، عن صالح ابن] أحمد بن عبد الله العجلي، عن أبيه قال[٢]: كانت امرأة جميلة بمكة، أخذت المرآة يوماً فنظرت فيها وقالت لزوجها: أتُرى يرى هذا الوجه أحدٌ ولا يَفتتن به؟ قال: نعم، عُبيد بن عُمير، قالت: فأذَن لي في إتيانه لأَفتنه، فأذِن لها، فجاءت إليه وهو قاعد في المسجد الحرام في صورة مُستَفْتية، فسَفرت عن وجهها وكأنه فَلْقة قمر، فقال لها: يا أَمَة الله استتري، فقالت: إني قد فُتِنتُ بك فاقض حاجتي، فقال لها: فإني أسألُك عن شيء، فإن صدقتيني قضيتُ حاجتك، قالت: سَلْ، قال: أخبريني لو نزل بك المرض فغيّر ما أرى من صورتك، وشغلك عمّا أنت فيه، هل كان يَسرُّكِ أن أقضيَ حاجتَك؟ قالت: لا، قال: فلو نزل بك الموت، وجاء مَلَك الموت ليَقبض روحك، أكان يَسرُّك أن أقضي حاجتك؟ قالت: لا، قال: أرأيت لو جاءك منكر ونكير للمساءلة، أكان يسرُّكِ أن أقضيَ حاجتك؟ قالت: لا، قال: أرأيتِ لو وقفْتِ بين يدي الله تعالى للحساب، ثم عدَّد عليها أهوال [يوم] القيامة، ودخول النار، وهو يقول لها في كل فَصْلٍ أيَسرُّكِ أن أقضيَ حاجتَكِ؟ وهي تقول: لا، فقامت من عنده باكية، فدخلت على زوجها، فقال لها: ما قال لك؟ أو: ما لك؟ فقالت: نحن بَطّالون، ولَزِمت الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجُها يقول: ما لي ولعُبيد بن عمير؟! أفسد عليّ زوجتي، كانت في كل ليلة عَروساً، فصيَّرها راهبةً.

[وقال الواقدي:] توفي عُبيد بن عُمير سنة سبع وسبعين بمكة.

---

(١) تحرَّف في النسخ إلى: وقاضينا، وينظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٤، و«حلية الأولياء» ٣/ ٢٦٦-٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١.

(٢) في «المنتظم» ٦/ ١٩٧ زيادة: قال: حدثني عبد الله قال... وما يرد بين معكوفات من (ص) و(م).

وأسند عن أُبيّ بن كعب، وأبي ذرّ، وأبي قَتادة، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهم في آخرين.

وروى عنه من كبار التّابعين: مجاهد، وعطاء، وأبو حازم. [قال ابن سعد:] وكان ثقةً كثير الحديث[1]، [انتهت ترجمته والحمد لله وحده].

قَطَريّ بن الفُجاءَة المازني

وقيل: التميمي، كان أحدَ رؤوس الخوارج، حارب المُهَلَّب مدة سنتين، وسُلِّم عليه فيها بإمرة المؤمنين.

ومن شعره في «الحماسة»[2]: [من الوافر]

أقول لها وقد طارت شَعاعاً ... من الأبطال وَيْحك لا تُراعي
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يوم ... على الأجَلِ الذي لكِ لم تُطاعي
فصَبْراً في مجالِ الموت صَبْراً ... فما نَيْلُ الخلودِ بمُستطاعِ
ولا ثوبُ البَقاءِ بثوبِ عِزٍّ ... فيُطْوَى عن أخي الخَنَع اليَراعِ
سَبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حَيٍّ ... فداعِيه لأهلِ الأرضِ دَاعي
ومَن لا يَغتبطْ يَهْرَمْ ويَسْقَم ... وتُسلِمْه المنونُ إلى انقِطاعِ
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاعِ

وله: [من الكامل]

لا يَرْكَنَنْ أحدٌ إلى الإحجام ... يوم الوَغى مُتَخَوِّفاً بحِمامِ
فلقد أراني للرِّماحِ دَريئةً ... من عن يميني مَرَّةً وأمامي
حتى خَضَبْتُ بما تَحَدّر من دمي ... أكنافَ سَرْجي أو عِنانَ لِجامي
ثم انصرفتُ وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ ... جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدامِ[3]

وله: [من الطويل]

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٤، وما بين معكوفات من (ص) و(م). وبعد هذه الترجمة في (م): السنة الثامنة والسبعون. وانظر في ترجمة عبيد بن عمير: الاستيعاب (١٦٤٤)، و«السير» ٤/ ١٥٦.

(٢) بشرح التبريزي ١/ ٤٩-٥٠. وانظر «السير» ٤/ ١٥١، و«شعر الخوارج» ١٠٨-١٠٩.

(٣) «الحماسة» بشرح المرزوقي ١/ ١٣٦، وبشرح التبريزي ١/ ٦٨، وانظر «شعر الخوارج» ١١٢.

فما في تَساقي الموتِ في الحرب سُبَّةٌ   على شارِبيه فاسقني منه واشرَبا[١]

وفيها توفي

مُطَرِّف بن المغيرة

ابن شُعبة[٢] الثَّقَفي. [لأبيه صحبة، وقد ذكرناه].

كان هو وأخواه عروة وحمزة نبلاء أشراف من وجوه أهل الكوفة، ولما قدم الحجاج الكوفة راعى فيهم عهدَ أبيهم المغيرة، ومَيلَه إلى معاوية وبني أمية، فاستعمل عروة على الكوفة، ومُطَرِّفاً على المدائن، وحمزة على هَمَذان.

وكان مطرِّف حسنَ السيرة، قامعاً للمفسدين، مُبيداً للظالمين، ولما جرى بينه وبين رُسُلِ شَبيب ما جرى من المناظرة، وقال لسويد بن سُليم: أنا معكم على قَمْعِ الظالمين والمفسدين، وأعمل بكتاب الله وسنّة رسوله؛ طمع فيه شَبيب، وأعاد سويداً إليه، وعند مُطَرِّف النَّضْر بن صالح، وكان عنده عزيزاً، فأراد أن يقوم، فقال له مطرف: اجلس فما دونَك ستر، وكان النَّضْر من بني جَذِيمة شريفاً جميلاً، فقال له سويد: إنا عَرَضْنا على أمير المؤمنين شَبيب ما ذكرت، فذكر لنا فصولاً منها أنه قال: قولوا له: أليس قد مَضَت السُّنَّة أن المسلمين إذا اختاروا خيراً وأجمعوا عليه؛ وجب المصير إليه، ونحن من أهل الحق، وقد اختَرْنا مَن رأيناه أهلاً، فما لم يُغيِّر أو يُبدِّل فهو وليُّنا، وأما حديث الشُّورى؛ فنحن أهل الشُّورى، وقد اخترنا مَن رأيناه صالحاً لهذا الأمر، ولو دخلْنا في الشُّورى مع غيرنا كنا مُخطئين؛ لأن فيه عَوْناً للظالمين، وذكر كلاماً ليس له حاصل. فقال له مُطَرِّف: ارجع إلى صاحبك لننظر في أمرنا.

ودعا مُطرِّف رجالاً من ثقاته وأهل بطانته، فقال لهم: أنتم نُصحائي، وأهلُ مَودَّتي، ومَن أثق به، والله إنني كاره لأفعال هؤلاء الظَّلَمة المُستَحِلّين، وإنني لأرى قتالَهم فرضاً عليّ وعلى المسلمين، فلما مرَّ بي هؤلاء القوم دعوتُهم إلى كتاب الله، وسنَّةِ رسوله، وجعلِ الأمر شورى بين المسلمين، ولو بايعوني على ذلك لخلعتُ الحجاج

---

(١) «الحماسة» بشرح التبريزي ٢/ ١١١ ، وبشرح المرزوقي ٢/ ٦٨٢ ، وانظر «شعر الخوارج» ١١٣ .

(٢) بعدها في (أ) و(ب) و(خ) و(د): بن المغيرة، وليست في (ص) وهو الصواب، وما سيرد بين معكوفين منها.

وعبد الملك، ولسِرتُ إليهم فجاهدتُهم، فقال له سُلَيم بن حُذَيفة المُزَنيّ: إنهم لا يبايعونك ولا تُبايعهم[١]؛ فأَخْفِ هذا الكلام ولا تظهره، وقال له الربيع بن يزيد الأسَدي مثل ذلك، وجثا مولاه يزيد بن أبي زياد، وكان صاحبَ شُرطته على ركبتيه، وقال له: والله إنه ما يخفى على الحجاج مما جرى بينك وبين القوم كلمة، وأهل المدائن من الجانبين قد تحدّثوا بذلك، ولو كنتَ في السحاب لطلبك الحجّاج، فاطلب النَّجاة من ساعتك هذه لنَفْسك، واتَّخذ غير المدائن داراً، فإن في يومك هذا الحديثُ عند الحجاج، فقال للمُزَنيّ والأسدي: ما تقولان؟ قالا: هو كما قال، ولكنا معك نُواسيك بأنفسنا، ونقاتل الحجاج وغيره، وقال نَضْر بن صالح كذلك.

فأرسل مطرف إلى أصحابه وقال: أدلجوا بنا الليلة لأمر حَدَث، فخرجوا معه فسار بهم حتى نزل الدَّسْكَرة، ولما أراد أن يَرْتحل منها خطبهم وقال: إنني قد خلعتُ الحجاج وعبدَ الملك، ودخلت في حزب أهل الحق، وجهادِ الظالمين المُحلّين، فبايعوه على ذلك ما عدا سَبْرَة بن عبد الرحمن بن مِخْنَف وعبد الله بن كَنَّاز النَّهدي؛ فإنهما أجاباه وأظهرا الرضى بذلك، ثم خرجا في الليل فسارا إلى الكوفة، فشهدا مع الحجاج وَقْعةَ شَبيب.

وسار مُطَرّف إلى حُلْوان وعليها سُويد بن عبد الرحمن عامل الحجاج، فخاف من الحجاج، فجمع لمطرّف جَمْعاً وخرج يريده، وكان يكره قتالَه.

وكان الحجَّاج بن جاريَة الخَثْعَميّ حين سمع بخروج مُطَرّف لحقه في ثلاثين من قومه إلى حُلوان، فشهد معه قتالَ سويد، وكان قد أقعد لهم الأكراد على ثَنيَّة حُلوان، فحملوا على الأكراد فقتلوهم، وانهزم الباقون، ولما بلغوا من هَمذان حادوا عنها، وكره دخولها خوفاً على أخيه حمزة من الحجاج أن يتّهمه به، وكتب إليه كتاباً يشكو قلَّة النَّفَقة ويقول: أَمِدَّ أخاك بما قَدَرتَ عليه.

وبعث بالكتاب مع يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة الذي شهد مراسلة الخوارج، فدخل على حمزة ليلاً بكتاب مُطَرِّف، فلما رآه قال له: ويحك، ثكلتك أُمّك أنت قتلت مُطَرّفاً، فقال يزيد: إن مطرفاً قتل نفسه وقتلني، وليته لا يقتلك، فقال: مَن سَوَّل له هذا

---

(١) في الطبري ٦/ ٢٨٨ : سليمان بن حذيفة المزني: إنهم لن يُتابعوك وإنك لن تُتابعهم.

الأمر؟ قال: نفسُه، ثم دفع إليه كتابَ مُطرّف، فقرأه وقال: إن أنا بعثتُ له بمال وسلاح هل يخفى على الحجاج؟ قال: ما أظن، فقال: والله لئن خَذلتُه في أنفعِ النَّصْرَين له نصر العلانية؛ لا خذلتُه في أيسر النَّصْريْن نصر السريرة، ثم بعث له مالاً وسلاحاً، فسار حتى لحقه بأرض أصبهان.

وسار حتى نزل بقُم وقاشان، وأمِنَ، فكتب مع الربيع بن يزيد إلى سويد[1] بن سِرْحان الثَّقفي وبُكير بن هارون البَجليّ يدعوهم إلى ما خرج لأجله، فأجابوه، وقدموا عليه في نحو من مئة رجل، وأطاعه أهل الريّ وأصبهان وتلك النّواحي.

وكان البَراء بن قَبيصَة عاملَ الحجاج على أصبهان، فكتب إليه: الحق بأصبهان وغيرها، وأخبره الخبر، فكتب إليه: عَسْكِرْ بظاهر أصبهان، وبعث الحجاج الرجال مُقَطَّعين: خمسة وعشرة وعشرين، حتى صار عنده خمس مئة رجل.

وبلغ الحجاج فِعل حمزة بن المغيرة، فكتب إلى قيس بن سعد العِجليّ صاحب شُرطته: أن أوثِق حمزة بن المغيرة في الحديد، واحبسه حتى يأتيك أمري، وكتب له بعهده على هَمذان فأوقف العجليُّ حمزةَ على كتاب الحجاج: فقال: سَمْعاً وطاعة افعل، فأوثقه في الحديد وحبسه، وكتب إلى الحجاج يُخبره ويقول: إن رأيتَ أن تأذنَ لي في قتال المُطَرّف فافعل، فلم يجبه الحجاج، وكتب إلى عديّ بن وَتّاد الإيادي عامل الري: سِرْ إلى قتال مُطَرِّف أنت والبراء[2] بن قَبِيصَة عامل أصبهان، وأنت الأمير على الناس.

فسار عدي في ثلاثة آلاف من أهل الرَّيّ، وابن قَبِيصَة في ألف، والأكراد وأهل الشام، فصاروا في ستة آلاف مقاتل.

وبلغ مطرّفاً فخندق عليه وعلى أصحابه حين قدموا عليه، وجعل عدي بن وَتّاد على ميمنته عبد الله بن زهير، وعلى الميسرة البراء بن قبيصة فغضب، فبعث على الميسرة عمر ابن هُبَيرة، ووقف عَديّ في القلب. وبعث المطرف على ميمنته الحجاج بن جارية، وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الأسدي، ونزل هو يمشي في الرجّالة ورايته مع يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، ثم قال مُطَرّف لبُكير بن هارون البَجَليّ: اخرج فادْعُهم إلى كتاب الله وسنة

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): فكتب إلى الربيع بن سويد وسويد، وهو خطأ، والمثبت من الطبري ٦/ ٢٩٣.

(٢) في (خ): مطرف وأنت والبراء، وفي النسخ الأخرى: مطرّف والبراء، والمثبت هو الصواب، وينظر الطبري ٦/ ٢٩٥.

رسوله، فخرج إليهم، فوعظهم فلم يلتفتوا، وسَبُّوه وحملوا عليه، وقتلوا يزيد بنَ أبي زياد صاحب راية مُطرّف ومُعظمَ أصحابه، وحمل مطرف فغاص بينهم، وقاتل [قتالاً عظيماً] حتى قتل، فنزل عمر بن هُبَيْرة فاحتزَّ رأسَه، وبعثوا به إلى الحجّاج.

السنة الثامنة والسبعون [من الهجرة النبوية]

وفيها فرغ الحجاج من بناء واسط[1]، وإنما سمّاها واسطاً لأنها بين المِصرَيْن الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخاً، وإلى البصرة كذلك. قالوا: وأنفق على بنائها خراج العراق خمس سنين، وبنى بها قُبَّةً ضاهى بها إيوان كسرى، وقصراً عظيماً، فهدمها الله لظلم الحجاج، وأبقى الإيوان لعدل كسرى، ونقل إليها وجوه الناس من المِصرَين والشام والجزيرة وخراسان.

وحكى العُتْبي، عن جامع المحاربي ـ وكان خطيباً لبيباً جريئاً على السلطان ـ أنه دخل على الحجاج فقال له[2]: ما تقول في هذه البلدة والقصر؟ قال: بنيتهما في غير بلدك، وتُورثهما غير ولدك[3].

وكان جامع يوم دَيْر الجَماجِم والمصاف قائم[4]، وهو إلى جانب الحجاج، فقال: يا جامع، أشكو إليك سُوءَ طاعةِ أهل العراق، وقبحَ مذهبهم، فقال له: لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شَنؤوك لنَسَبك، ولا لذات نفسك، فدع ما يُبعدهم عنك إلى ما يُقَرِّبهم إليك، والتمس العافية ممن هو دونك تُعطَها ممن هو فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدِك، ووَعيدُك بعد وَعْدِك، فقال الحجاج: ما أرى أن أردَّ بني اللَّكِيْعَةِ إلى طاعتي إلا بالسيف، فقال جامع: إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخِيار، فقال: الخيار يومئذٍ لله، قال جامع: أجل، ولكنك لا تدري لمن يَجعله، فغضب الحجاج وقال: يا هَناه، إنك من مُحارب، فقال جامع: [من الطويل]

---

(١) ذكر الطبري أن ذلك كان في سنة ثلاث وثمانين، انظر تاريخه ٦/ ٣٨٣.

(٢) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وقال الحجاج لجامع المحاربي، والمثبت من (ص) و(م) و«العقد الفريد» ٢/ ١٧٩.

(٣) في (ص) و(م) زيادة: وكان جامع جريئاً على الحجاج، وله معه قصة عجيبة وسنذكرها. اهـ. قلت: والقصة التالية ليست في النسختين.

(٤) كذا؟!

وللحرب سُمِّينا وكنا مُحارِباً إذا ما القَنا أمسى من الطَّعنِ أحمرا

فنال منه الحجاج، فقال: إن صَدَقناك أغضبناك، وإن غَشّيناك أغضبنا الله، وغضبك علينا أهون من غضب الله، قال: أجل.

وشُغل عنه الحجاج ببعض الأمر، فانسل جامع من وراء الصُّفوف التي لأهل الشام، حتى خالط صفوف أهل العراق، فأبصر كَبْكَبةً عظيمة من بكر وقيس وتميم والأزد، فلما رأوه انحازوا إليه، وقالوا له: ما عندك؟ فقال: دعوا التَّعادي فيما بينكم، فإذا ظفرتم تراجعتم، وهل ظَفِر الحجاج بمَن ظفر منكم إلا بمن بقي معه منكم؟! ثم هرب جامع إلى الشام، فاستجار بزُفَرَ بنِ الحارث، أو ببعض وَلَده، فاجاره.

[وحكى الخطيب، عن الرِّياشِيّ قال:] قال الحجاج للحسن البصري لما فرغ [من بناء واسط]: كيف ترى هذا البناء؟ فقال الحسن: إن الله أخذ العهود والمواثيق على العلماء ألا يقولوا إلا الحق، أما أهل السماء فمَقَتوك، وأما أهل الأرض فغَرُّوك، أنفقتَ مال الله في غير طاعته، وفعلت وفعلت، فنكس الحجاج رأسَه، وقام الحسن فخرج، فقال الحجاج: يا أهل الشام، يشتِمني عبدٌ من عبيد أهل البصرة في مجلس ولا يكون لذلك تغيير ولا نكير؟! رُدُّوه، ودعا بالنِّطع والسيف، فلما دخل الحسن عليه ورآه الحجاج؛ قام من مَجلِسه، وأجلسه معه على سريره، ودعا بغالية فغلَّف بها لحيته، وصرفه مكرماً.

فلما خرج أتبعه الحجاج حاجبَه وقال له: قل له: لما دخلت عليّ وقد عزمتُ على قتلك رأيتُك حرَّكت شفتيك، فما الذي قلت؟ فقال الحسن: وما عليه مما قلت؟ فقال الحاجب: اللهَ الله، إنه الحجاج، فقال الحسن: دعوتُ الله فقلت: يا عُدَّتي عند شِدَّتي، ويا وليَّ نعمتي، ويا صاحبي عند كُربَتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ويا كهيعص، بحقّ طه وياسين والقرآن العظيم؛ ارزقني معروفَ الحجاج ومودَّتَه، واصرف عني أذاه ومَعَرَّتَه، فقال الحاجب: بخٍ بخٍ، بهذا نجوتَ، وأعاد على الحجاج ما قال، فقال: اكتبوها.

قال الرِّياشي: فوالله ما وقعتُ في شدّة فدعوت الله بها إلا فَرَّج عني[1].

---

(١) «المنتظم» ٦/ ٢٥٠.

فصل: وفيها عزل عبد الملك أميةَ بن عبد الله عن خُراسان، وضمَّ ولايتها وولاية سجستان إلى الحجاج، فسار الحجاج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عَقيل.

[قال هشام:] قدم الحجاج البصرة وقد فرغ المهلَّب من حرب الأزارِقة، فقدم المهلَّب على الحجاج، فأجلسه معه على سريره، وأعطى أصحابه الأموال، وأحسن إليهم، وأثنى عليهم وقال: هؤلاء حماة الثُّغور، وغَيظ الأعادي، أهل الحرب والجهاد، فهم أَولى بالعطاء من غيرهم.

ثم مَدح المهلَّب وأثنى عليه[١]، وقال: هو والله كما قال الشاعر: [من البسيط]

فـقَـلِّـدوا أمـرَكُـم لـلـه دَرُّكُـمُ رَحْبَ الذِّراعِ بأمرِ الحَرْبِ مُضطَلِعا
لا مُـتْـرَفـاً إن رَخـاءُ الـعـيـشِ سـاعـدَه ولا إذا عَـضَّ مَـكـروهٌ بـه خَـشَـعـا

فقال رجل ممن كان مع المهلب: لكأنّي والله أسمع قَطَريَّ بنَ الفُجاءة وهو يقول: والله ما حارَبَنا مثلُه قطّ، هو والله كما قال لَقِيط الإياديّ: [من البسيط]

صُـونـوا جـيـادَكـمُ واجْـلُـوا سـلاحَـكـمُ ثـم اقْـنَـعـوا قـد يـنـالُ الأمـرَ مَـن قَـنَـعـا
مـا انْـفَـكَّ يَـحـلُـبُ هـذا الـدَّهـرَ أَشْـطُـرَهُ يـكـون مُـتَّـبِـعـاً يـومـاً ومُـتَّـبَـعـا
حتى اسـتـمـرَّتْ عـلـى شَـزْرٍ مَـريـرتُـه[٢] مُـسْـتَـحـكِـمَ الـسِّـنِّ لا فَـانٍ ولا ضَـرَعـا

فأعجب الحجاج موافقةُ قطري إياه.

والأبيات بأسرها للَقِيط الإيادِيّ من قَصِيد، ولقيط شاعر جاهلي قديم، كتب بها إلى قومه يُنذرهم جيش كسرى[٣].

ثم إن الحجاج ولّى المهلَّب خراسان وسجستان، وقيل إنه خَيَّره بين الولايتين فاختار خُراسان[٤]، وقال المهلَّب للحجاج: ألا أدلك على رجل يصلح لسِجِسْتان؟

(١) من هنا إلى قوله: ثم إن الحجاج ولّى المهلب؛ ليس في (ص)، والخبر في (م) مختصر على الأسطر الثلاثة الأولى، وما بين معكوفين منهما.

(٢) في النسخ: سرر سريرته، والمثبت من المصادر.

(٣) «الكامل» ٣/ ١٣٥٠، و«الأغاني» ٢٢/ ٣٥٧، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٧ (مخطوط).

(٤) في النسخ خلا (ص): ثم إن الحجاج خيّر المهلب بين ولاية خراسان وسجستان فاختار خراسان، والمثبت من (ص).

قال: ومَن هو؟ قال: عبيد الله بن أبي بَكرة ـ وَلي سجستان في سنة إحدى وخمسين، فقلَّدَهم الصَّنائع؛ فأحبوه لأياديه فيهم ـ فهو خيرٌ لك مني في سجستان، وأنا في خُراسان خير لك من غيري؛ لأنها ثَغْر التُّرك، وسجستان ثغر كابُل، فولّى عبيد الله بن أبي بَكْرَة سجستان، والمهلّب خراسان، فأقام بها حتى مات.

وروى المفضَّل: أن الحجاج استعمل المهلّب على سجستان، وابنَ أبي بَكرة على خُراسان، فقال المهلب لعبد الرحمن بن عبيد بن طارق صاحب شُرطة الحجاج: أنا أعرَفُ بخراسان؛ فإني كنتُ مع الحكم بن عمرو الغفاري بها قديماً، وإن أبا بَكرة أقوى على سجستان مني، فأخبر الحجّاج فولّاه خُراسان، وولّى ابنَ أبي بَكرة سجستان.

ثم إن الحجاج أَغْرم المهلب ألفَ ألفِ درهم كان أخذها من الأهواز لما ولاه إياها خالد بن عبد الله، فلم يكن عند المهلب ما يُعطيه، فساعده ابنُه المغيرة بخمس مئة ألف، وباعت زوجةُ المهلب خَيْرة القُشيريّة حُليَّها بخمس مئة ألف، وقيل: استسلف المهلَّب البعض، وأكمل ألفَ ألفِ درهم، وبعث بها إلى الحجاج.

وبعث المهلَّبُ ابنَه حَبيباً في مُقدّمته إلى خراسان، فسار إليها، ولم يعرض لأُميَّة ولا لعُمّاله فأقام بها عشرة أشهر، حتى قدم عليه أبوه المهلّب في سنة تسعٍ وستين.

[وقال أبو معشر:] وحجَّ بالناس الوليد بن عبد الملك، وقال غيره: حج أبان(١) بن عثمان وكان على المدينة، والوليد بن عبد الملك كان ببلاد الروم غازياً، وكان على العِراقَين الحجاج، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس على ما قيل.

[قال الطبري: وكان على قضاء الكوفة شُرَيح(٢). وهو وهم، وقد ذكرنا وفاة شريح].

فصل: وفيها توفي

جابر بن عبد الله

ابن عمرو الأنصاري، [وقد ذكرنا نسب أبيه في شهداء أُحُد،] وأمُّه أنيسة بنت عَنَمة ابن عدي، من بني سَلِمة، [وكنيته] أبو عبد الله.

---

(١) هو المفضَّل بن محمد، كما في الطبري ٦/ ٣٢٠ ، وتحرف في النسخ إلى الفضل، وقوله هذا ليس في (ص).

(٢) في النسخ خلا (ص): وقيل أبان، والمثبت من (ص) وما بين معكوفين منها.

(٣) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٢١ .

وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة الثانية مع الأنصار، وكان أصغرهم سناً. [وقال ابن عبد البر:] أسلم جابر قبل العقبة الأولى بعام، وأراد أن يشهد بدراً، فخَلَّفه أبوه على أخواته ـ وكنّ تسعاً ـ وخلَّفه أيضاً عليهن لما خرج إلى أحد، وشهد ما بعد أُحد من المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

[وحكى البخاري عن جابر أنه قال: شهدتُ العقبة مع السبعين أنا وأبي وخالي، وكان خاله البراء بن مَعْرور(١).

وقال قوم: إنه شهد العقبة الأولى، وهو وهم، الذي شهد العقبتَين جابر بن عبد الله ابن رِئاب.

وقال الواقدي: غزا جابر بن عبد الله مع رسول الله تسع عشرة غزوة، وأول غزواته معه حَمراء الأَسَد وما بعدها، ولم يشهد بدراً في الأصحّ من الروايات.

قال ابن سعد: فقلت للواقدي: فقد روي عن جابر أنه قال: كنت أمتَحُ لأصحابي الماء يوم بدر، فقال الواقدي: هذا غلط من أهل العراق في جابر وأبي مسعود البدريّ، يجعلونهما فيمن شهد بدراً، ولم يروِ ذلك موسى بن عقبة، ولا ابن إسحاق، ولا أبو معْشر، ولا أحدٌ من أرباب السِّيَر(٢).

قلت:] وقد أخرج مسلم عن أبي الزبير، عن جابر قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ تسعَ عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً، ولا أُحُداً، كنتُ مَشغولاً بأَخَواتي، فلما قُتل أبي بأُحد لم أتخلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غَزاةٍ قط(٣).

وجاء رسول الله ﷺ يعوده وهو مريض، فسأله: ما أصنع في مالي، فنزلت آية الميراث(٤).

[قال ابن سعد:] وكان جابر رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجَّرة على الموت، [وقد ذكرناه].

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٩٠ـ٣٨٩١)، وانظر «فتح الباري» ٧/ ٢٢٢.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٤/ ٣٨٣، وما بين معكوفين بطوله من (ص)، جاء بدله في النسخ خلا (م) فهي مختصرة جداً: غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، أولها حمراء الأسد. قوله: أَمْتَحُ الماء، أي: أستخرجُه.

(٣) صحيح مسلم (١٨١٣).

(٤) «طبقات ابن سعد» ٤/ ٣٨٥.

وروى ابن سعد عن جابر قال: دخلتُ على الحجّاج فما سلَّمتُ عليه، وكان لا يصلي خلفه، وكان الحجاج قد ختم في يد جابر بالمدينة، يعني بالرصاص. قال: وكان يقول[1]: يا ليت سمعي ذهب كما ذهب بَصري حتى لا أسمع من حديثهم شيئاً، [قال:] وكان قد ذهب بصَرُه، [قال:] وكان أبيض الرأسِ واللّحية، وقيل[2]: كان يُصَفِّر لحيته، وكان بين عينيه أَثَر السُّجود، وكان يَؤُمُّ الناس وهو أعمى.

ذكر وفاته رضي الله عنه:

[واختلفوا فيها؛ فروى ابن سعد، عن الواقدي أنه قال:] مات جابر سنة ثمان وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، [وكان والياً على المدينة، وهو الذي] كفّنه.

[وقال ابن منده: في سنة سبع وسبعين.

وقال الهيثم: سنة تسع وسبعين.

وحكى ابن عساكر، عن معاوية بن مَعْبد: أن الحجاج صلى عليه، ونزل في حفرته. وهو وهم؛ لأن الحجاج كان بالبصرة في هذه السنة، ولم يكن على المدينة].

وجابر آخر من مات من أهل العقبة[3].

ذكر أولاده رضي الله عنه:

[قال ابن سعد:] فولد[4] جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: عبد الرحمن، وأم حبيب، وأمُّهما سُهيمة بنت مسعود بن أوس، أَوْسِيَّة.

ومحمد وحميدة، وأمُّهما أم الحارث بنت محمد بن مَسلمة الأنصاري، وميمونة لأمّ وَلَد[5].

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وكان لا يصلي خلف الحجاج وقال: دخلت على الحجاج فما سلمت عليه، وكان يقول، والمثبت من (ص) و(م) وما سيرد بين معكوفات منهما، وانظر «طبقات ابن سعد» ٤/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) في (ص) و(م): وفي رواية.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٤/ ٣٩٢، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٦٤٠-٦٤٢.

(٤) ما بين معكوفات، والعناوين من (ص) و(م).

(٥) «طبقات ابن سعد» ٤/ ٣٨٢.

وقال ابن قتيبة: عبد الرحمن ومحمد ابنا جابر بن عبد الله ضعيفان في الحديث[١].

أسند جابر عن رسول الله ﷺ ألف حديث وخمس مئة وأربعين حديثاً.

[أخرج له في «الصحيحين» منها مئتا حديث وعشرة، اتفقا على ثمانية وخمسين، وانفرد البخاري بستة وعشرين، وأخرج مسلم مئة وستة وعشرين[٢]. وأخرج له الإمام أحمد نيِّفاً وثلاث مئة حديث.]

وروى جابر عن: أبي بكر، وعمر، وأبي عُبيدة، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وأبي هريرة، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق [وهي من التابعيات][٣] رضي الله عنهم.

وروى عنه [أبو جعفر] محمد[٤] بن علي بن الحسين [بن علي] عليه السلام، والحسن بن محمد بن الحنفية، ومحمد بن المُنْكَدِر، وزيد بن أسلم، وابن المسيب، وسليمان بن يَسار، وعبد الرحمن بن كعب بن مالك، وأبو سلمة بن عبد الرحمن المدنيُّون.

وعطاء، ومجاهد، وعمرو بن دينار، وأبو الزُّبير المكيُّون.

وسالم بن أبي الجَعْد، والشَّعبي، ومُحارب بن دِثار الكوفيُّون.

والحسن البصري، وأبو المُتوكّل علي بن داود، وسليمان بن قيس البصريّون.

وشَهْر بن حَوْشَب، وعروة بن رُوَيم الشاميّان.

وأبو عيَّاش المَعافِريّ، وعمرو بن جابر الحَضْرميّ، وأبو مَعْشَر الحَضْرميّ المصريون.

وقال أبو سعيد بن يونس: قدم جابر مصر في أيام مَسْلَمة بن مَخْلَد، فحدَّث عنه الناس [قال:] وقد روى عنه خلق كثير من أهل الأمصار[٥].

---

(١) «المعارف» ٣٠٧.

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٣٦٣، ٣٨٩. وبعد هذا الكلام في (م): انتهت ترجمته.

(٣) في (ص) وما بين معكوفين منها: المبايعات، وهو خطأ؛ فإن أم كلثوم ولدت بعد وفاة أبيها أبي بكر رضي الله عنه، انظر «التبيين» ٣١٧، و«تهذيب الكمال» ٤/ ٤٤٤، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٦٢٠ (مخطوط).

(٤) في (ص): جعفر بن محمد، وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٣/ ٦٢٠، و«تهذيب الكمال» ٤/ ٤٤٧.

(٥) «تاريخ دمشق» ٣/ ٦٢٣ (مخطوط).

وليس في الصحابة مَن اسمه جابر بن عبد الله سوى رجلين[١]، أحدهما هذا، والثاني: جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سِنان بن عُبيد، أنصاري أيضاً، من بني عبيد، من الطبقة الأولى.

وأمه أم جابر بنت زهير، من بني سلمة.

قال ابن سعد: وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان من الستة نفر الذين لقوا رسول الله ﷺ في صدر الإسلام وأسلموا.

وشهد جابر هذا بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وروى عنه أحاديث، ولم يُعقب[٢].

ولم يخرج له الإمام أحمد في «المسند» شيئاً، وأخرج له ابن سعد حديثين في تفسير آيتين.

أما الأول فقال: حدثنا عفان بن مسلم، أخبرنا همّام بن يحيى[٣]، عن الكلبي في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد: ٣٩]، قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، قلت: مَن حدّثك؟ قال: حدثني أبو صالح، عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري، عن النبي ﷺ.

[وأما الثاني فقال: أخبرنا عارم بن الفضل، أخبرنا حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن ابن صالح، عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري، أن النبيّ ﷺ] قال في هذه الآية ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: إنها الرؤيا الصالحة، يراها العبد، أو تُرى له[٤].

وأما مَن اسمه جابر بن عبد الله من غير الصحابة فخمسة؛

أحدهم: جابر بن [عبد الله بن] عمرو السُّلَمي، روى عن أبيه، عن كعب الأحبار.

والثاني: جابر بن عبد الله بن عِصمة المحاربي، روى عنه الأوزاعي.

---

(١) ذكر ابن الجوزي في «تلقيح فهوم أهل الأثر» ١٧٢ أربعة من الصحابة اسمهم جابر بن عبد الله. وقد أثبت فيما يلي سياق (ص) ففيها زيادات على النسخ (أ) و(ب) و(خ) و(د)، وتفصيل.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٣١ .

(٣) في (ص) حدثنا حماد بن مسلم بن يحيى، وهو خطأ، والمثبت من النسخ، وقد تحرف فيها همام إلى هشام.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٣١ ، وما بين حاصرتين منه. دون لفظ «وأما الثاني فقال» فزيادة من أجل السياق.

والثالث: جابر بن عبد الله، روى عن الحسن البصري.

والرابع: جابر بن عبد الله، أبو الخير المصري، روى عنه يونس بن عبد الأعلى.

والخامس: جابر بن عبد الله [الغَطَفانيّ]، روى عن عبد الله بن الحسين العَلَويّ[1].

وقد ذكرنا من مسانيد جابر بن عبد الله الأنصاري مفرقاً في الكتاب، ومن مسانيده:

قال الإمام أحمد بإسناده، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله بن عمرو قال: استأذنتُ على النبي ﷺ فقال: «مَن ذا؟» قلت: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «أنا أنا!»، قال محمد: كأنه كره قوله: أنا. أخرجاه في «الصحيحين»[2].

قال المصنف رحمه الله: دقّ بعض الأشخاص على رجل الباب، فقال الرجل: مَن ذا؟ فقال: أنا، فقال صاحب المنزل: هذا دَقٌّ ثانٍ.

فصل: وفيها توفي

عبد الرحمن بن غَنْم

ابن كُرَيب الأشعري، واختلفوا في صحبته، فقال البخاري، وابن منده، والليث بن سعد، وابن لَهيعة: له صحبة، وكذا قال أبو سعيد بن يونس، قال: هو ممن قدم على رسول الله ﷺ في السفينة.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الشام بعد الصحابة، وكذا قال ابن أبي حاتم، والدارقطني، وأحمد العجلي: هو تابعي ثقة. وكذا حكى ابن عساكر أنه ذكره في الطبقة التي تلي الصحابة. وقال ابن عبد البر[3]: كان على عهد رسول الله ﷺ

(١) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٦٠٦، وفيه: عبد الله بن الحسن العلوي، وما بين معكوفين منه.

(٢) مسند أحمد (١٤١٨٥)، وصحيح البخاري (٦٢٥٠)، وصحيح مسلم (٢١٥٥).

وانظر في ترجمة جابر: الاستيعاب (٢٩٦)، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٢، و«التلقيح» ١٤٥، و«الاستبصار» ١٥١، و«السير» ٣/ ١٨٩.

(٣) من قوله: فصل وفيها توفي...، من (ص) و(م) بسياقهما، وهو في النسخ الأخرى مختصر جداً. وانظر التاريخ الكبير ٥/ ٢٤٧، و«طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٤، و«الجرح والتعديل» ٥/ ٢٧٤، والاستيعاب (١٦٠٠)، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٢٩٩، ٣٠٠-٣٠٦.

مسلماً، ولم يلقه، ولم يَفِد عليه، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثَه رسولُ الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات، وسمع من عمر بن الخطّاب وبعثه يُفقّه أهل الشام.

[وقال ابن سعد:] قدم أبوه غَنْم على عهد رسول الله ﷺ مع أبي موسى الأشعري، وصحبه، وقُتل غَنْم في بعض المغازي بعد وفاة رسول الله ﷺ.

[وقال هشام:] توفي عبد الرحمن بن غَنْم بفلسطين، وبها كان يسكن.

[وقال ابن عساكر:] أسند [عبد الرحمن بن غَنْم][1] عن علي، وأبي ذَرّ، وأبي الدَّرداء، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، وغيرهم.

وروى عنه: ابنُه محمد، وأبو سلام الحَبَشي، ورجاء بن حَيْوة، وشهر بن حَوْشب، وصفوان بن سُلَيم[2]، وعُبادة بن نُسَيّ، ومكحول، في آخَرين.

قال المصنف رحمه الله[3]: وقد أخرج له الإمام أحمد رضي الله عنه في «المسند» سبعة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها:

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا رَوْح، حدثنا عبد الحميد بن بَهْرَام، عن شَهْر ابن حَوْشب قال: حدثني عبد الرحمن بن غَنْم[4]: أن تميماً الداري كان يُهدي لرسول الله ﷺ كلَّ عام راويةَ خَمرٍ، فلما كان العام الذي حُرِّمت فيه جاء براوية، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ ضحك وقال: «هل شعرتَ أنها حُرِّمت بعدك»، فقال: يا رسول الله، أفلا أبيعها وأنتفع بثمنها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود؛ حُرِّمت عليهم شحومُ البقر والغنم، فأذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها، وإن الخمر حرام، وثمنها حرام» قالها ثلاثاً.

---

(١) ما بين معكوفات من (ص) و(م). وانظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٤، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٢٩٧.

(٢) في (ص): وعبادة بن سليم، وهو خطأ.

(٣) في (ص) و(م): قلت، بدل: قال المصنف رحمه الله.

(٤) في (ص): قال الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الرحمن بن غنم، وفي (م): قال أحمد بإسناده عن شهر بن حوشب... والخبر في مسند أحمد (١٧٩٩٥) وفيه نكارة.

فصل: وفيها توفي

كُرَيْب بن أَبْرهة

أبو راشد ويقال: أبو رِشدين.

[ذكره أبو زرعة الدمشقي] في الطبقة الأولى، وهي العليا التي تلي الصحابة.

وكان من كبار التّابعين، ثقةً فاضلاً.

[وقال ابن عبد البر:] في صحبته نظر[١].

شهد خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية، وولي لعبد العزيز بن مروان رابطة الإسكندرية.

[وحكى ابن عساكر، عن] يعقوب بن عبد الله الأَشَجّ قال: رأيتُ كُرَيْب بن أَبْرهة قد خرج من قصر عبد العزيز بن مروان؛ وفي رِكابه خمس مئة يمشون. وذكره أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» قال: أدركتُ قصرَه قائماً بجِيزة الفُسطاط[٢]، حتى هدمه ذكاء الأعور ـ أمير مصر ـ ونقل عُمده وطُوبه، فبنى به القَيْساريّة الجديدة، المعروفة بقَيْسارية ذكاء بمصر، يُباع فيها البَزّ.

[قال ابن يونس:] ومات كُرَيْب في سنة خمس وسبعين.

[وقال ابن بُكير: في سنة سبع أو][٣] ثمان وسبعين.

أسند كُرَيْب عن حُذيفة بن اليمان، وأبي الدَّرداء، وكعب الأحبار.

ووَفد على معاوية وعبد الملك بن مروان[، والله أعلم. انتهت ترجمته والحمد لله وحده].

السنة التاسعة والسبعون من الهجرة النبوية

وفيها وقع طاعون عظيم بالشام أفنى الناس، ونزلت الروم على أنطاكية فأصابوا من أهلها.

وفيها غزا عُبيد الله بن أبي بَكرة بلاد رُتْبيل، وقيل في سنة ثمانين، وسنذكره هناك.

---

(١) «الاستيعاب» (٢٢٢٧). وما بين معكوفين من (ص) و(م).

(٢) في هامش (خ): الجيزة غربي مصر، وهي بالجيم والزاي، لم يكن غيرها من البلدان.

(٣) «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٣٢_٣٣٣.

وفيها قَتَلَ عبد الملك بن مروان الحارثَ المتنبّي، ووصل المهلب إلى خراسان.

[قال الطبري[١]: وفيها استعفى شُريح بن الحارث من القضاء، وأشار بأبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، فأعفاه الحجاج، وولّى أبا بردة.

وقد وهم الطبري؛ فإن شُريحاً تقدمت وفاته على هذه السنة، وقد ذكرناه.

وقال أبو معشر والواقدي:] وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة، وكان على العراق الحجاج، والمهلَّب نائبه بخراسان، وعلى قضاء الكوفة أبو بُردة، وعلى البصرة موسى بن أنس [والله أعلم].

فصل: وفيها توفي

أوسط بن عمرو

[ويقال: ابن عامر، وكنيته: أبو عمرو] البَجَليّ.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام.

[قال ابن عساكر:] كانت له دار بدمشق بالباب الشرقي، واستعمله يزيد بن معاوية على حمص.

أسند أوسط عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وكبار الصحابة ﷺ. وروى عنه سُليم ابن عامر وغيره[٢].

[فصل: وفيها توفي]

الحارث بن عبد الرحمن

ابن سعد الدمشقي الذي ادَّعى النبوّة [في هذه السنة].

حكى ابن عساكر [بإسناده إلى عبد الرحمن بن حسان[٣] قال: كان] الحارث المتنبي الكذّاب من أهل دمشق، وكان مولًى لأبي الجُلاس، وقيل: لمروان بن الحكم، وكان

(١) في تاريخه ٦/ ٣٢٤، وما بين معكوفين من (ص) و(م).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٥، و«الاستيعاب» (١٥٧)، و«تاريخ دمشق» ٣/ ١٨٣.

(٣) ما بين معكوفين من (ص) و(م)، وكان فيهما: بإسناده إلى حسان، وهو خطأ، صوابه من «تاريخ دمشق» ١٠١/٤، و«مختصر ابن منظور» ٦/ ١٥١، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٤.

لو لَبِس جُبَّة من ذهب لرؤيت عليه زَهادة، وكان إذا أخذ في التسبيح لم يسمع الناس كلاماً أفصح منه ولا أحسن[١]، وكان يسكن حُولَة بانياس وأبوه بدمشق[٢].

فعرض له إبليس، فأراه أشياء، فكتب إلى أبيه إلى دمشق: يا أبتاه، عَجِّل علي واقدم، فقد رأيتُ أشياء، وأخاف أن يكون الشيطان عرض لي، فزاده أبوه طغياناً، وكتب إليه: يا بني، أَقبِل على ما أنت عليه؛ فإن الله لا يُنَزِّل الشياطين إلا على كلِّ أَفَّاك أثيم، ولستَ بأفّاك ولا أثيم.

فادّعى النبوَّة، وأظهر العجائب، فكان يأخذ بيده رُخامة؛ فينقرها فتسبّح، ويطعم الناس فاكهة الشتاء في الصّيف، وفاكهة الصَّيف في الشتاء، ويريهم رجالاً على خيل بُلْق، ويقول: هذه الملائكة. فتبعه خلق كثير، وكان يأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتموا أمره.

وشاع خبرُه، وبلغ عبد الملك بن مروان فاتّهم عامة عسكره به وأنهم على رأيه، فدعا أبا إدريس الخَولاني، وكان على قضاء دمشق، وجمع الفقهاء فأفتَوا بقتله، فطلبه فلم يقدر عليه، فخرج عبد الملك فنزل الصِّنَّبْرَة[٣]، وهرب الحارث من بانياس إلى البيت المقدس فاختفى فيه.

وكان للحارث أصحابٌ يدخلون عليه سرّاً، وكان قد أتى رجلٌ من أهل البصرة إلى البيت المقدس زائراً، وبلغه خبره، فتحيّل عليه حتى اجتمع به، فقال: من أين أنت؟ قال: من البصرة، فأنِس به وباسطه، فقال له البصري: ما أنت؟ فقال: نبيٌّ مُرسَل، قال: فقد آمنتُ بك وصدَّقت؛ فلا تحجبني عنك، فأجابه إلى ذلك، فكان البصري يتردّد إليه.

وكان قد حفر أسْراباً مثل أسراب اليربوع ليهرب منها إذا اطُّلع عليه، فمازال البصري يتردّد إليه حتى عرف الأماكن التي يهرب منها، وقال له: ائذن لي في المسير إلى البصرة لأدعو الناس إليك منها، فأذن له.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): كلاماً أحسن منه لفصاحته.

(٢) في المصادر أن أباه كان في حولة بانياس وهو بدمشق.

(٣) موضع بالأردن، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال. كما في معجم البلدان، ووقع في (ص): «الصُّبيرة» وهو موضع بالشام، ولم تجود الكلمة في «تاريخ دمشق» ٤/ ١٠١ وانظر مختصره ٦/ ١٥١ .

فخرج فأتى سُرادق عبد الملك وهو بالصِّنَّبرة، فصاح: نصيحة، فأدخل عليه، فقال له: ما نصيحتُك؟ قال: أخلِني، فأخلى المكان، فدنا منه، وكان عبد الملك على سريره، وقال: ما عندك؟ قال: الحارث، فلما ذكر الحارث رمى عبد الملك بنفسه عن السرير وقال: أين هو؟ قال: بالقُدس، وقصّ عليه قصّتَه، فقال: أنت أمير على من هنا وعلى من بالقدس، فمرني بما شئت، قال: ابعث معي أربعين رجلاً لا يفهمون الكلام، فبعث معه أربعين من فَرْغانة، وكتب إلى والي القدس: إن فلاناً الأمير عليك حتى يخرج، فأَطِعه فيما يأمرك به.

وجاء إلى القدس، فرتّب الرجال على الأماكن التي يهرب منها ليلاً، ودفع إلى كل واحد شمعة، ثم دخل عليه، فطلبه فلم يجده، فسأل عنه فقالوا: رُفِع، فدخل بعض الأسراب فرآه، فأخذه وأوثقه، ووكل به الفَرغانيين، وسار إلى عبد الملك فأخبره، فنصب له خشبة، فقال الحارث للفَرْغانيين: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، فقالوا: هذا كُرآننا ـ بالكاف ـ فأين كرآنك؟

ولما وصل إلى الصِّنَّبرة أمر عبد الملك رجالاً، فدخلوا عليه فوعظوه ونهَوه، وخوَّفوه الصَّلْب فلم يقبل، فأمر بصَلْبِه، وطُعن برُمح فانثنى الرُّمح ولم يعمل فيه، وكانت قد أصابت الحربة ضِلعه، فصاح الناس: الأنبياء لا يَعمل فيهم السلاح، فقال عبد الملك للذي طعنه: اذكر اسم الله وقد نفذت الحربة، فذكر وطعنه فقتله.

ولم يكن خالد بن يزيد بن معاوية حاضراً، فلما حضر قال لعبد الملك: لو كنت حاضراً لما مكَّنتُك من قتله، قال: ولم؟ قال: كان يَعتادُه المُذْهَب ـ يعني: الشيطان ـ فلو جَوَّعتَه ذهب عنه.

ولما قتله عبد الملك قال العلاء بن زياد: ما غَبطتُ عبد الملك بشيء من وِلايته إلا بقتله الحارث؛ لحديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذابون، كلّهم يزعم أنه نبي، فمن قتل واحداً منهم دخل الجنة».

قلت: وقد أخرج البخاري ومسلم بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذابون، كلّهم يزعم أنه رسول الله».

هذا لفظ المتفق عليه[(١)]، ولم يذكر فيه: فمن قتل واحداً منهم دخل الجنة.

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهُذَلي

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

روى عن علي عليه السلام وعبد الله بن مسعود، وكان ثقة، وقد تكلَّموا في روايته عن أبيه من قِبل صِغره، فإن عبد الله ﷺ مات وابنه عبد الرحمن بالكوفة ابنُ ست سنين أو نحوها.

قال الواقدي: مات عبد الرحمن بالكوفة سنة تسعٍ وسبعين[(٢)].

النابغة الجَعْدي

واسمه قيس بن عبد الله بن عُدَيْس[(٣)]، وقيل: عبد الله بن قيس، وقيل: حَبَّان بن قيس، وكنيته أبو ليلى.

وكان من شعراء الجاهلية، ولحق الأخطل ونازعه الشِّعر، ووفد على رسول الله ﷺ، ومدح عبد الله بن الزُّبير، وفد عليه مكة فأنشده في المسجد الحرام: [من الطويل]

حَكيتَ لنا الصِّديقَ لما وَليتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاحَ مُعْدِمُ
وسَوَّيتَ بين الناس في الحقِّ فاستوَوْا ... وعاد صباحاً حالِكُ الليلِ مُظلِمُ
أتاك أبو ليلى يَجوبُ به الدُّجى ... دُجى الليل جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ

---

(١) مسند أحمد (٧٢٢٨)، وصحيح البخاري (٣٦٠٩)، وصحيح مسلم (٨٤) (١٥٧) كتاب الفتن ٤/ ٢٢٣٩. وفي (أ) و(ب) و(خ) و(د): قال المصنف رحمه الله: لفظ المتفق عليه: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم أنه رسول الله (كذا). وأثبت لفظ (ص) و(م) خلا الجملة الأخيرة: ولم يذكر فيه... فإنها من النسخ، وبنهاية ترجمة الحارث المتنبي هذا تنتهي السنة في (ص) و(م) وتبدأ فيهما سنة ثمانين من الهجرة.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٠٠، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٦٠.

(٣) كذا في النسخ، والذي في المصادر: عُدَس، انظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٠١، و«طبقات فحول الشعراء» ١٢٣، و«الأغاني» ٥/ ١، و«الاستيعاب» (٢٦٤٦)، و«سمط اللآلي» ٢٤٧، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٨، و«مقدمة ديوانه» وفي حواشيها فضل تخريج.

صُروفُ الليالي والزمانُ المُصَمْصِمُ لِتَجبُرَ منه جانباً ذَعْذَعَتْ به[1]

فقال له ابن الزبير: هَوِّن عليك أبا ليلى؛ فإن الشعر أهونُ وَسائلك عندنا، أما صَفْو مالنا فلآل الزُّبير، وأمّا عَفْوُه فإن بني أسد وبني تَيْم تَشْغَلُنا عنك، ولكن لك في مال الله حَقَّان: حقٌّ برؤيتك رسول الله ﷺ، وحقٌّ بشَرِكتك أهل الإسلام في فَيْئهم.

ثم قام وأخذ بيده؛ فدخل به دار النَّعَم، فأعطاه قَلائص سَبْعاً، وجَملاً وخَيْلاً، وأوْقَر له الرِّكاب بُرّاً وتمراً وثياباً، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرفاً، فقال له ابن الزبير: وَيْحَ أبي ليلى، لقد بلغ منه الجَهْدُ!.

ذكر وفاته:

مات بأصبهان، وقال الهيثم: لما سألتْ ليلى الأخيَلِيَّة الحجاج، أجابها[2] إلى ذلك، وبلغ النابغة فخرج هارباً من الحجاج، فمات بسَاوَة.

وعاش مئة وستين سنة، لم يتغيّر منه سِنّ ولا غيره بدعاء رسول الله ﷺ، وقيل: عاش مئتي سنة، قال النَّضْر بن شُمَيل: قال النابغة الجَعدي: عِشت دارَين، ثم أدركتُ محمداً ﷺ فأسلَمْتُ، الدَّاران: مئتا سنة[3].

وقال النابغة: كنتُ أجيبُ عن رسول الله ﷺ حتى قبضه الله.

وقال يَعلى بن الأشْدَق: سمعتُ النابغة الجَعْدِيّ يقول: أنشدتُ رسول الله ﷺ: [من الطويل]

بلغْنَا السماءَ مجدُنا وجدودُنا وإنا لنرجو فوق ذلك مَظهرا

فقال: «إلى أين يا أبا ليلى؟» فقلت: إلى الجنّة، فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، ثم قال النابغة:

---

(١) في النسخ: وابجر... دعدت، والمثبت من المصادر، انظر «الأغاني» ٥/ ٢٨، و«الاستيعاب» (٢٦٤٦)، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٩، و«ديوانه» ٢٠٥، والعثمثم: الجمل الشديد الطويل، وذعذعت: فرقت ماله.

(٢) في النسخ الخطية: الحجاج بن مسلمة فرب أجابها... والتحريف به ظاهر. وقد ذكر القالي في «أماليه» ١/ ٨٩ أن ليلى الأخيلية وفدت على الحجاج، وطلبت إليه أن يدفع النابغة الجعدي إليها، فبلغه ذلك، فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان.

(٣) «المنتظم» ٦/ ٢١٠.

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوادِرُ تحمي صَفْوَهُ أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهلٍ إذا لم يكن له حَلِيمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمرَ أصْدَرا

فقال رسول الله ﷺ: «لا يفضض الله فاك» مرتين[1]؛ فعاش مئة وعشرين سنة، وكان من أحسن الناس ثَغْراً، وللنابغة صُحبة ورواية.

السنة الثمانون من الهجرة النبوية

اختلفوا فيها؛ هل كانت غزاة عُبيد الله بن أبي بَكْرة بلاد التُّرك في هذه السنة، أم في سنة تسع وسبعين؟ [على قولين].

وكان الحجاج قد ولَّى عُبيد الله سِجستان، قال المدائني: لما قدم[2] ابن أبي بكرة سجستان لم يُؤدّ إليه رُتْبيل[3] ما كان يُؤدّيه إلى العمال قبلَه من الإتاوة - وهي الخراج - فكتب إلى الحجاج يُخبره، فكتب إليه: اغزُهم، وبعث إليه من أهل الكوفة[4] عشرين ألفاً، عليهم شُرَيْح بن هانىء، فأوغل عبيد الله في بلاد التُّرك، وغنم غنائم كثيرة، فقال له شريح: قد غنمنا وسلمنا وذلَّ عدوُّنا، فارجع بنا ونحن ظاهرون، فلم يلتفت إلى قوله.

وسار حتى قَرُب من كابُل، وتفرّق أصحابُه في شِعاب ضَيِّقة؛ يطلبون النَّهب والعَلَف فأخذ عليهم رُتبيل الطُّرُق، وعلم عبيد الله، فأرسل إلى رُتْبيل يسأله الصُّلح، وأن يُخلّي بينه وبين الخروج، ويعطيه ابنُ أبي بَكْرة عِدَّةً من وجوه أصحابه رهائن، ومن ولده ثلاثة وهم: الحجاج ونهار وأبو بكرة بنو عبيد الله، وسبع مئة ألف درهم، وأنه لا يغزوه أبداً، ولا يأخذ منه خراجاً.

وعلم شُريح بن هانىء فقال له: يا ابن أبي بَكْرة، اتّقِ الله، ولا تشتر الكفر بالإيمان وزيادةِ سبع مئة ألف درهم، وأعيانِ ولَدك والمسلمين رهائن، ثم تشترط على نفسك

---

(١) «الأغاني» ٥/ ٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٨.
(٢) في (ص) و(م): وقد ذكر المدائني لما قدم.
(٣) هو ملك الترك.
(٤) في (ص): البصرة، وهو خطأ، انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٢٢، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢١، و«المنتظم» ٦/ ٢٠٣.

ألا تأخذَ منهم خراجاً، كلُّ هذا هرباً من الموت الذي أنت صائر إليه. وانفرد عنه شُريح بأعيان أهل الكوفة والبصرة.

وبعث عبيد الله إلى رُتْبيل: إني قد صالحتُك على ما صالحتك عليه، وهذا رجل واحد من أصحابي قد عصاني - يعني شُريحاً - ولست ناصره عليك. فخذل شُريحاً.

وكان شريح شجاعاً، فكتَّب الكتائب؛ فجعل أهل الكوفة كتيبة، وأهل البصرة كتيبة، وأهل الشام كتيبة، وانحاز عنه عبيد الله ناحية، ثم قاتل شريح قتالاً لم يقاتله أحد، فقُتل وأعيانُ الناس معه.

وأَذِن رُتبيل لابن أبي بَكْرة فخرج، فجعل أصحابه يأكلون الطعام، فإذا أكلوه ماتوا، فلم يصل [إلى بُسْت] إلا في خمسة آلاف رجل؛ بعد أن كانوا ثلاثين ألفاً، وبيع الرغيف بأربعين دِرهماً، ولَقُوا ما لم يلقه أحد.

[قال المدائني:] ولما رأى عُبيد الله ما جُنده فيه من الجوع والجهد باعهم الطعام والتِّبن والعَلَف والحِصرم وغيره، فقال أعشى هَمْدَان - واسمه عبد الرحمن بن الحارث - من قصيدة: [من الكامل]

أسمعتَ بالجيشِ الذين تَمزَّقوا ... وأصابهم رَيْبُ الزمانِ الأعوجِ
حُبِسوا بكَابُلَ يأكلون جِيادَهم ... بأضَرِّ مَنزلةٍ وسُوء مُعَرَّجِ
لم يَلْقَ جيشٌ في البلاد كما لَقُوا ... فلمثلهم قُل للنَّوائحِ تَنْشِجِ
واسأل عُبيدَ الله كيف رأيتَهم ... عشرين ألفَ مُجَفْجِفٍ ومُدَجَّجِ
مازلتَ تُوغلهم كما زَعموا لنا ... وتَرُومُهم وتَسيرُ سيرَ الأهْوَجِ
وتَبيعُهم أَتْبانَهم وشعيرَهم ... وتَجَرْتَ بالعِنَبِ الذي لم يَنْضُجِ[1]

ومات عبيد الله في هذه السنة كَمَداً، [وقتل شريح بن هانىء بسجستان].

قال المصنف رحمه الله: المنقول[2] عن عبيد الله خِلافُ هذا؛ فإنه لم يكن في زمانه أسخى منه [لما نذكر في ترجمته].

---

(١) الأبيات بنحوها في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢٣ ضمن قصيدة، ومنها ثلاثة أبيات في المعارف ٢٨٩ .
(٢) في (ص) و(م) وما بين معكوفين منهما: قلت والمنقول...

فصل: وفيها كان السَّيلُ الجُحاف.

[حكى ابن سعد، عن الواقدي قال:] جاء سَيْل بمكة، فذهب بالحاجّ والإبل والحَمُول والنساء، فأغرق خلقاً عظيماً، وبلغ الماء الرُّكنَ الأسود وجاوزه، ولم يقدروا على منعه؛ فسُمّي الجحاف [لأنه جحف كلَّ شيء مَرّ به، فسُمّي ذلك العام: عام الجُحَاف].

وفيها جهَّز الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَث إلى قتال التُّرك(١)، وأمره أن يُوغل في بلاد رُتبيل.

قال علماء السير: لما بلغ الحجاج ما جرى على جيش ابن أبي بَكْرة أخذه ما قَدُم وما حَدُث، ولم يَصدع قلبه شيءٌ مثل ذلك، فكتب إلى عبد الملك يُخبره بهلاك جيش ابن أبي بكرة، وأنه لم يَسْلم منهم إلا القليل، وأن العدوّ قد طمع في بلاد الإسلام، واستأذنه أن يبعث إليهم جيشاً؛ خوفاً من استيلاء العدو على البلاد، فأذن له وقال: الرأي إليك، فأَمْضِ رأيَك موفَّقاً راشداً، وأما مَن قُتل من المسلمين فأولئك قوم كُتب عليهم القتلُ فبرزوا إلى مَضاجعهم، وعلى الله ثوابُهم، والسلام.

فخطر للحجاج أن يبعث عبد الرحمن ـ وكان أبغض خلق الله إلى الحجاج، وكان يقول: ما رأيتُه قط إلا أردتُ قتلَه.

قال الشعبي: دخل عبد الرحمن يوماً على الحجاج وأنا عنده، فلما رآه قال لي: انظر إلى مِشيته، والله لقد هممتُ أن أضربَ عُنُقه، قال الشعبي: وخرجتُ من عند الحجاج، وخرج بعدي عبد الرحمن، فقلت له: لي معك حديث وهو أمانة، قال: نعم فأخبرتُه بما قال الحجاج، فقال: والله وأنا كذلك، والله لأجتهدنّ في زوال سُلطانه.

وجهَّز الحجاج من الكوفة عشرين ألفاً، ومن البصرة مثلها، وأعطى الناس أُعطياتهم، وخرجوا بالخيول والسلاح الكامل، فلم يُجَهَّز في الإسلام جيشٌ كان أحسنَ منه، كان يقال له: جيش الطَّواوِيس، أنفق عليه الحجاج ألفي ألف درهم خارجاً عن العطاء.

---

(١) الأخبار الآتية ليست في (ص) و(م).

وجاء إسماعيل بن الأشعث عَمُّ عبد الرحمن إلى الحجاج فقال له: لا تبعثْه فإني أخاف خِلافه، فوالله ما جاوز الفرات فرأى لوالٍ عليه وِلاية، فقال الحجاج: هو أهيبُ لي من ذلك.

وكان عبد الرحمن حسوداً أحمق أهوج حقوداً، وكان الزهري يقول: أبوه محمد سلب الحسين ﷺ ثيابَه وقاتله، ودلَّ ابن زياد على مُسْلم بن عقيل حتى قتله، وجدُّه الأشعث ارتدَّ عن الإسلام.

وقال الشعبي: كنت عند الحجاج، فدخل ابن الأشعث، فقال لي الحجاج: انظر إلى مِشْيَةِ المقيت، فلما سلَّم قال له الحجاج: إنك لمَنظرانيّ، فقال ابن الأشعث: ومَخْبَرانيّ[1]، فغضب الحجاج.

وخرج عبد الرحمن ينزل بدير عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، وخرج الحجاج يُودِّعه، وسار عبد الرحمن بالجيش حتى قَدِم سجستان، فقام خطيباً وقال: أيها الناس، إن الأمير الحجاج قد وَلّاني ثَغْرَكم، وأمرني بجهاد عدوّكم؛ الذي استباح بلادَكم، وقتل خيارَكم، فإياكم أن يتخلّف رجلٌ منكم؛ فيُحِلَّ بنفسه العقوبة.

فشرع الناس في الجهاد، وبلغ رُتبيل، فكتب إلى عبد الرحمن يعتذر إليه من مُصاب المسلمين، وأن ذلك لم يكن عن رأي منه، ولقد كره ذلك، وإنما هم ألجؤوه إلى قتالهم، وسأله الصُّلح، وأن يُؤدّي إليه رُتبيل الخراج.

فلم يُجبه عبد الرحمن، ودخل بلادَه، وداسها، وفتح حصونها، وكان كلما فتح بلداً أو حِصناً ولّى عليه عاملاً، ووضع البُرد فيما بين كلِّ بلدٍ وبلد، والمسالح على العِقاب والشِّعاب، وحاز من المواشي والغنائم والسَّبي شيئاً عظيماً، وقال لأصحابه: قد أصبنا ما أصَبْنا، ودسنا بلادَهم ودوّخناها، فارجعوا بنا إلى العام المقبل، فقد حَصَّلنا على الغرض، وفي كل عام نفعل بهم كذا حتى نستأصلَهم.

وعاد إلى سجستان، وكتب إلى الحجاج بما فتح الله على المسلمين، وبما رآه من الرأي.

---

(١) مَنْظَرانيّ: حَسَن المنظر، ومَخْبَرانيّ: حسن المَخْبَر.

ولما عاد ابن الأشعث إلى بُسْت كتب إليه رُتْبيل: أما بعد، فقد كان من مُصاب إخوانكم ما قد علمتم، وما كان عن إرادة مني، وكان مَن يقدم منكم معنا على أمر، ونحن نطلب تلك القاعدة، فهي أرفق بنا وبكم، يعني الصلح، فلم يلتفت ابن الأشعث إليه.

وقدم على ابن الأشعث أخوه القاسم بن محمد من طَبَرِستان، فأعطاه جيشاً، وأمره بالغارة على رُتبيل، فجاء إلى رتبيل رجل من العرب يقال له عُبيد بن أبي سُبيع[1] يرى رأي الخوارج، فقال لرُتبيل: قد جاءك أغدرُ العرب، فتحوَّلْ من مكانك قبل أن يأتيك وأنت غارٍ، فتحوّلَ رُتبيل، وجاء القاسم فلم يجد إلا شيوخاً وعجائز.

وجعل رُتبيل يتأخّر، ويدع البلاد وراءه طمعاً أن ينال من ابن الأشعث ما نال من ابن أبي بَكْرة، وابن الأشعث لا يُوغل في بلاده، وهو مقيم ببُست، وأخوه القاسم يُغير على أطراف البلاد، لا يوغل خوفاً مما جرى على ابن أبي بكرة، وكتب إلى الحجاج يُخبره الخبر، وأنه لم يَر من المصلحة أن يوغل بالجيش في أرض رتبيل؛ لأنها كثيرة المضايق والشعاب، وأن رتبيل قد ضم جيشه إليه، وهو ينتظر الفرصة، وإنما المصلحة التأني، وفتح بلاده أولاً أولاً.

فكتب إليه الحجاج: يا ابن الحائك الغادر المرتدّ، امضِ لما أمرتُك به من الإيغال في أرض العدو، والسلام.

فغضب ابن الأشعث وقال: يكتب إليَّ ابنُ أبي رِغال بمثل هذا، هو والله الجبان صاحب غَزالة، وأبوه الذَّليل الفار من قتله. وأضمر في نفسه خَلْع الحجاج.

وفيها وُلد أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

[واختلفوا فيمن حجّ بالناس في هذه السنة؛ فقال الهيثم:] سليمان بن عبد الملك، [وقال الواقدي وأبو معشر:] أبان بن عثمان بن عفّان، [وكان على المدينة].

وكان على العراق والمشرق كلّه الحجاج، وعلى خراسان المهلّب من قِبل الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس[2].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢٧ : عبيد بن أبي سبع.

(٢) ما بين معكوفين من (ص) و(م)، وانظر الطبري ٦/ ٣٢٩ـ٣٣٠ .

فصل: وفيها توفي

أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وكنيته أبو زيد.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقيل: كنيته أبو خالد.

وحكى ابن سعد أنه حبشي بِجاوي من بِجاية، وقال غير ابن سعد: هو من اليمن، وقيل: من سَبْي عين التَّمر، سباه خالد بن الوليد، فاشتراه عمر سنة إحدى عشرة لما بعثه أبو بكر على الحج، رآه بذي المجاز يُباع.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: اشتراني عمر بن الخطاب سنة اثنتي عشرة، وهي السنة التي قُدم فيها بالأشعث بن قيس أسيراً، وأنا أنظر إليه في الحديد يكلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأبو بكر يقول له: فعلتَ وفعلتَ، حتى كان آخر ذلك أسمع الأشعث بن قيس يقول: يا خليفة رسول الله، استَبْقِني لحرب عدوّك، وزوّجني أختَك، ففعل أبو بكر، ومَنَّ عليه، وزوَّجه أخته أمَّ فَروة بنت أبي قُحافة، فوَلَدت له محمد بن الأشعث.

وقال الهيثم: كان عبد الله يُعظِّمه ويَعرف حُرمته، وشهد أسلم خطبة عمر بالجابية.

وقال ابن سعد: مات أسلم في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة، ولم يُعيِّن له وقتاً.

وقال ابن عساكر، عن أبي عبيد القاسم بن سلام: مات أسلم سنة ثمانين، وله مئة وأربع عشرة سنة، ولم يتغيّر منه شيء.

أسند أسلم عن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وعن أبي عبيدة، ومعاذ، وابن عمر، وحفصة بنت عمر، وأبي هريرة.

وأسلم هو الذي روى أنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه آخذاً بطَرف لسانه، وهو يقول: هذا أوردني الموارد[1].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٨٠٩ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٩٨. وهذا سياق (ص) و(م)، وأما سائر النسخ فمختصرة. وما بعد هذه التراجم إلى ترجمة زيد بن وهب ليس في (ص) و(م).

جُبَير بن نُفَير بن مالك

ابن عامر[١] اليَحْصُبي، أبو عبد الله الحَضْرَميّ، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام، كان جاهلياً، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكان ثقة فيما يروي من الحديث، ومات سنة ثمانين، روى عن عمر، ومعاذ، وأبي الدرداء، وغيرهم.

جُنادة بن أبي أميّة الأزديّ

من الطبقة الأولى من التابعين، من أهل الشام، لقي أبا بكر، وعمر، ومعاذاً، وحفظ عنهم، وكان ثقةً صاحب غزو، شهد فتح مصر، وكان أميراً على الغزوات في البحر لمعاوية، ومات سنة ثمانين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وقيل: سنة سبعين[٢].

حسان بن النعمان الغسّاني

من أولاد ملوك غسان، ويقال: إنه ابن المنذر.

صاحب الفتوحات بالمغرب، بعثه معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية، فأقام والياً عليها يجاهد إلى أن توفي معاوية، وأقام هناك إلى سنة ثمان وسبعين، وقفل من إفريقية إلى الشام، واستخلف سفيان بن مالك الثقفي، وقدم على عبد الملك فردّه إلى إفريقية، وزاده أطْرابُلُس، فعاد إلى مصر ليتوجّه إلى المغرب، فضبطه عبد العزيز بن مروان، وولّى على المغرب موسى بن نُصير، فعاد حسان، إلى عبد الملك فأمره بلزوم بيته.

وقال خليفة: وفي سنة أربع وسبعين أغزى عبد الملك حسّان بن النعمان المغرب، فوصل إلى موضع القيروان، فخلّف بها خيلاً، فبعثت الكاهنة[٣] ابنَها فأجلى الخيل،

---

(١) في النسخ الخطية: عاصم، والتصويب من «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٢ ، و«الاستيعاب» (٣٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٨٨٩) وفروعه، و«حلية الأولياء» ٥/ ١٣٣ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٩ ، و«السير» ٤/ ٧٦ .

(٢) ينظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٣ ، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٥ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٦٢ . وثمة صحابي بهذا الاسم، ينظر تهذيب ابن حجر وتقريبُه.

(٣) هي امرأة ملكت البربر. . . بجبال أوراس بالمغرب بعد مقتل كَسِيلة. انظر الكامل ٤/ ٣٧١ - ٣٧٢ (سنة ٧٤).

وخرج في طلب حسّان، فلقيه بنهرٍ يقال له نهر البلاء[1]، فانهزم حسّان، وكتب إلى عبد العزيز بن مروان يَستمدّه، فأمدّه بجمع كثير، فسار إلى الكاهنة فانهزمت، فبعث عُبيد ابن أبي هفان الخيبري[2] في طلبها، فأدركها فقتلها وقتل ابنها، وفتح حصوناً كثيرة، وصالح البربر من لدن الزّاب إلى أطرابُلُس، ثم بعث إلى فاس خيلاً فافتتحها، وبنى القيروان في رمضان سنة أربع وسبعين.

وفي سنة تسع وسبعين عقد عبد العزيز لموسى بن نُصَير على المغرب، وجاء حسان إلى الشام، فخرج غازياً إلى أرض الروم، فتوفي بها سنة ثمانين.

حدّث عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

ولما عُزل عن المغرب قال أبو عَتيك: [من الطويل]

أقول لأصحابي عشيَّةَ جاءنا ... بغير الذي نَهوى البريدُ المبشّرُ
فإن يكُ هذا الدهرُ جاء بدولةٍ ... عليه فإن الدَّهْر بالمرءِ يَعثُرُ

من أبيات.

زيد بن وَهْب بن خالد الجُهَنيّ

أبو سليمان، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

عن زيد بن وهب قال: غَزَوْنا أذربيجان في إمارة عمر، وفينا يومئذٍ الزبير بن العوّام، فجاءنا كتاب عمر: بلغني أنكم في أرضٍ يُخالط طعامَها الميتة، ولباسَها الميتة، فلا تأكلوا إلا ما كان ذكيّاً، ولا تلبسوا إلا ما كان ذكياً.

[قال ابن سعد: وكان يصفّر لحيته.

وقال الواقدي:] شهد زيد مشاهدَ علي عليه السلام كلها، وتوفّي سنة ثمانين.

وروى عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وحذيفة رضي الله عنهم، وكان ثقةً كثير الحديث[3].

---

(١) الظاهر أنه نهر نيني (في بلاد البربر) سُمّي نهرَ البلاء لكثرة ما أصاب جيشَ حسان في تلك الواقعة من البلاء. ينظر الروض المعطار ص٦٥، وفتوح مصر ص٢١٧، ومعجم البلدان.

(٢) في «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٩٦ (مخطوط) وعنه ينقل: عبيد بن أبي هتان الحميري.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٣، و«الاستيعاب» (٨٢٤)، و«السير» ٤/ ١٩٦. وما بين معكوفين من (م).

[فصل: وفيها توفي]

السَّائب بن يزيد

ابن سعيد بن ثُمامة الكِندي، [وكنيته] أبو يزيد[١].

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الخامسة فيمن مات رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان.

وهو ابن أُخت النَّمِر الحضرمي، وكان جدُّه سعيد حَليفَ بني عبد شمس.

وقد رأى السائبُ رسولَ الله ﷺ وحفظ عنه.

وولد في أول السنة الثالثة من الهجرة.

[قال: وقال السَّائب:] أعقِل قدومَ رسول الله ﷺ من تَبوك، فخرجتُ مع الغِلمان نَستقبله إلى ثنيّة الوداع.

وحدثنا عكرمة بن عمار، عن عطاء مولى السائب بن يزيد قال: كان[٢] رأس السائب بن يزيد من هامته إلى مقدَّم رأسه أسود، وسائرُ رأسِه ولحيته وعارضه أبيض، فقلت له: يا مولاي، إن هذا لَعَجب، فقال: مَرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان، فقال: «مَن أنت؟» فقلت: السائب بن يزيد ابن أُخت النَّمر، فمسح يدَه على رأسي فقال: «بارك الله فيك»، فهو لا يَشيب أبداً.

وقال الخطيب: أخت نَمِر اسم جده، وهو رجل وليس بامرأة.

[وحكى ابن سعد عنه أنه] قال: حَجَّت بي أمي في حجّةِ رسول الله ﷺ ـ يعني حجّةَ الوَداع ـ وأنا ابنُ سبع سنين.

[قال:] وكنت غُلاماً مع عبد الله بن عُتبة بن مسعود على سوق المدينة في زمن عمر بن الخطاب، فكنا نأخذ من النَّبَطِ العُشْر مما يتَّجروا به من الحِنطة، وفي رواية: نصف العُشر.

---

(١) في (ص) و(م) وما بين معكوفين منهما: أبو زيد، وهو خطأ.

(٢) في (أ) و(خ) و(ب) و(د): وقال عطاء مولى السائب كان، والمثبت من (ص) و(م)، والأخبار السالفة وهذا الخبر في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٢٢_٥٥٣ .

وقال الزهري: ما اتّخذ رسول الله ﷺ قاضياً، ولا أبو بكر ولا عمر، حتى قال عمر للسّائب بن أخت نمر: لو رَوَّحْتَ عني بعضَ الأمر، حتى كان عثمان[١].

واختلفوا في وفاته؛ قال الهيثم: مات في سنة ثمانين[٢]. وحكى ابن سعد عن الواقدي: أنه مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، رحمه الله[٣]. وقيل: توفي قبل الحرَّة، وهو وهم، قد عاش بعد ذلك دهراً طويلاً.

أسند السائب الحديث. انتهت ترجمته، والله أعلم.

شُرَيح بن هانىء

ابن يزيد بن نَهيك[٤] بن دُريد، من بني الحارث بن كعب، من الطبقة الأولى من أهل الكوفة.

كان من أصحاب علي عليه السلام، وشهد معه مشاهدَه كلَّها، وكان ثقةً، وله أحاديث، وكان كبيراً، قُتل بسجستان مع عُبيد الله بن أبي بَكْرة.

[فصل: وفيها توفي]

شقيق بن سَلَمة الأَسَدي

[أحد بني مالك، من أسدِ خزيمة، وكنيته] أبو وائل، أدرك رسول الله ﷺ ولم يَرَه، [وقيل: إنه رآه، والأول أصحّ] وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[وحكى ابن سعد عنه أنه] قال: بُعث رسول الله ﷺ وأنا غلام شابٌّ أمرد، فلم يُقْضَ لي أن أراه.

[وفي رواية: وأنا ابن عشر سنين.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

(٢) عدّه الذهبي في السير ٣/ ٤٣٩ قولاً شاذاً.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٥٥ ، وهذا سياق (ص) و(م). وانظر «الاستيعاب» (١٠٧٤)، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٥٥٢ (مخطوط).

(٤) في النسخ خلا (ص) و(م) فليس فيهما الترجمة: سهل، والمثبت من المصادر، انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٤٨ ، و«الاستيعاب» (١١٦٩)، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٦٤ ، و«السير» ٤/ ١٠٧ ، و«تهذيب الكمال» (٢٧١٤) وفروعه.

قال:] وجاءنا مُصَدِّق رسول الله ﷺ، فأعطيناه شاةً لم يكن لنا غيرها، فقال: ليس في هذه صَدقة.

وقال: أعطاني عمر أربعة أعطية، وخرجتُ معه إلى الشام[١].

وكان لشقيق خُصٌّ من قَصب، يكون فيه هو وفرسُه، فإذا غزا نَقضه وتصدَّق به، وإذا رجع بنى غيره.

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي بإسناده، عن عاصم قال:] ما رأيت أبا وائل التفت قط في صلاة ولا في غيرها.

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي قال: حدثنا علي بن ثابت، ثنا سعيد ابن صالح قال: رأيت أبا وائل يستمع النَّوح ويبكي.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى] مغيرة قال: كان إبراهيم التيمي يذكر في منزل أبي وائل، وكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطَّير.

وقال عاصم: كان أبو وائل إذا خلا نَشَج، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل[٢].

[وقال ابن سعد[٣]: كان قد ذهب بصره.

وحكى عنه ابن عساكر[٤] قال: خرجتُ مع عمر إلى الشام، فنزلنا منزلاً، فجاء دِهقان فسجد لعمر، فقال له: ما هذا؟ فقال: هكذا نفعل بالملوك، فقال له: اسجد لله الذي خلقك، قال: قد صنعتُ لك طعاماً فأتني، قال: أفي بيتك تصاوير؟ قال: نعم، قال: لا حاجة لنا في تصاويرك ولا في بيتك، اذهب فأتنا بلون من طعام، ولا تزدنا عليه.

وقال الخطيب:] سكن أبو وائل الكوفة، وورد مع علي رضوان الله عليه إلى المدائن، وشهد صِفِّين والخوارج معه[٥].

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢١٦، ٢١٧، وما بين معكوفين من (ص) و(م).

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ١٠١-١٠٢، وما بين معكوفين من (ص) و(م).

(٣) في طبقاته ٨/ ٢٢٠.

(٤) في تاريخه ٨/ ١٠٥-١٠٦ (مخطوط).

(٥) تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٨-٢٦٩.

وكان من أكابر أصحاب ابن مسعود، وأقعد الناس بعده بعلمه.

[واختلفوا في وفاته؛ قيل: إنه] توفي في زمن الحّجاج سنة ثمانين، [وحكاه جدي في «الصفوة»، وقال خليفة:] في سنة اثنتين وثمانين أو ثلاث وثمانين. [وقال هشام: سنة ثمانين.] وقال سعيد بن صالح: عاش خمسين ومئة سنة، وهو وهم؛ لما حكينا عن شقيق أنه قال: بعث رسول الله ﷺ وأنا أمرد] فيكون قد عاش قريباً من تسعين سنة أو نحوها، والله أعلم[1].

أسند شقيق عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأسامة بن زيد، وحذيفة، وأبي موسى، وابن عباس، وغيرهم، وحضر بَلَنْجَر مع سلمان بن ربيعة.

وروى عنه أعيان التابعين مثل: الشعبي، والحكم، والأعمش، وحمّاد بن أبي سليمان، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن أبي النّجود، والثوري، وخلق كثير، وكان ثقة كثير الحديث، ولما مات قبَّل أبو بردة بن أبي موسى جَبْهَته[2].

[فصل: وفيها توفي]

أبو إدريس الخَوْلانيّ

واسمه عائذ الله بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن إدريس بن عائذ الله، قاضي دمشق في أيام معاوية [بن أبي سفيان]، ويزيد [بن معاوية]، ومعاوية بن يزيد، ومروان [بن الحكم]، وعبد الملك [بن مروان.

وذكره ابن سعد في] الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، قال: وولد عام حُنَين، وكان ثقة[3]، صدوقاً، زاهداً، عابداً، عالم الشام بعد أبي الدرداء، وكان عظيماً بالشام.

[وذكره أبو زُرعة الدمشقي فقال:] كان يَقصُّ على الناس، فعزله عبد الملك [بن مروان] عن القصص، وأقرّه على القضاء فقال: عَزَلَني عن رغبتي، وتركني في رهبتي،

---

(١) «صفة الصفوة» ٣/ ٣٠ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ١٢٠ـ١٢١ (مخطوط)، وما بين معكوفين من (ص) و(م) وانتهت عندها الترجمة فيهما.

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢١ و٣٠٠ ، و«الاستيعاب» (١١٩٦) ، و«السير» ٤/ ١٦١ ، و«تهذيب الكمال» (٢٧٥٣) وفروعه.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٥١ ، وما بين معكوفين من (ص) و(م).

وكان يقول: ما تقلَّد امرؤ بقِلادة أفضل من سكينة، وما أوتي الإنسان أفضلَ من حلم إلى علم.

[قال الواقدي:] مات في سنة ثمانين بغير خلاف.

أسند عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي موسى، وحُذيفة، وأبي هريرة، وأبي أُمامَة، وعُبادة بن الصامت، وابن عباس، ومعاوية، ووَاثِلة، وعمرو بن عَبَسَة، وغيرهم.

وروى عنه عطاء، وأبو حازم، وشَهْر بن حَوْشَب، وأبو قِلابة الجَرْميّ، ومَكحول، وخلق كثير.

وحكى ابن عساكر، عن أبي مُسْهِر أنه قال: ليس[1] لأهل الشام أشرفُ من حديث أبي إدريس، عن أبي ذَرّ، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله تعالى [أنه قال: يا عبادي، إني حرَّمتُ الظّلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّماً، فلا تظالموا، الحديث.

قلت:] والحديث أخرجه مسلم[2] فقال:

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدّارميّ، حدثنا مروان بن محمد الدِّمَشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريسَ الخَوْلانيّ، عن أبي ذَرّ، عن النبي ﷺ مما روى عن الله تعالى أنه قال: يا عبادي، إني حرَّمتُ الظُّلْمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم مُحَرَّماً، فلا تَظالموا. يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هَديتُه، فاستهدوني أهدِكُمْ. يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلا مَن أطعَمْتُه، فاستطعموني أُطعمْكم. يا عبادي،

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وقال أبو مسهر ليس. . . والمثبت من (ص) و(م). والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٨٧ (عاصم ـ عائذ).

(٢) في صحيحه (٢٥٧٧). ووقع بعده في (ص): وهو في مسند أبي ذر، وفيها توفي عبد الله بن جعفر.
ووقع في (م): وهو في مسند أبي ذر مذكور هناك والله أعلم، انتهت ترجمة أبي إدريس الخولاني، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. تم الجزء السادس من مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي رحمة الله عليه. يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع ترجمة عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ﷺ وأرضاه.

كلُّكم عارٍ إلا مَن كَسوتُه، فاستكسوني أكْسُكُم. يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفِرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغْفِرْ لكم. يا عبادي، إنكم لن تَبلغوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أوَّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجنَّكم؛ كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أوّلَكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجنَّكم؛ كانوا على أفْجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما نَقَص ذلك من مُلكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أوَّلَكم وآخرَكم وإنْسَكم وجِنَّكم؛ قاموا في صَعيدٍ واحدٍ وسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألَتَه؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالُكم؛ أُحصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إيّاها، فمن وَجَد خيراً فلْيَحْمَد الله، ومَن وَجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه.

فكان أبو إدريس الخَوْلاني إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على رُكبتَيْه. انفرد بإخراجه مسلم.

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله طريقاً لبعضه: حدثنا ابن نُمير، حدثنا موسى بن المسيّب، عن شهر، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن أبي ذَرّ، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا عبادي، كلّكم مُذنب إلا مَن عافَيتُ، فاستغفروني أغفِر لكم، وكلكم فقير إلا مَن أغنيتُ، إني جَواد ماجِد واجد، أفعل ما أشاء، عَطائي كلام، وعَذابي كلام، إذا أردتُ شيئاً إنما أقول له: كن فيكون»[1].

وقال يزيد بن عبيدة: رأيتُ أبا إدريس الخَوْلاني في زمان عبد الملك بن مروان وإن حِلَق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن جميعاً يدرسونه، وأبو إدريس جالس إلى بعض العُمُد، فكلما مَرَّت آيةُ سجدة بحلقة بعثوا إليه، فيقرأ بها، ثم يسجد فيسجدون جميعاً بسجوده، وربما سجد بهم اثنتي عشرة سجدة.

وقال يزيد بن أبي مالك: جلسنا يوماً إلى أبي إدريس، فحدَّثَنا عن بعض مغازي رسول الله ﷺ، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحضرتَ هذه الغزاة؟ قال: لا، فقال الرجل: قد حضرتُها مع رسول الله ﷺ، ولأنتَ أحفظُ لها منيّ[2].

---

(١) هو في مسند أحمد (٢١٥٤٠) مطول.

(٢) أخرجهما ابن عساكر ٥١٦، ٥١٧ (عاصم ـ عائذ) طبع مجمع اللغة بدمشق. وانظر في ترجمة أبي إدريس: «الاستيعاب» (١٩٩٩ و٢٨٤٤)، و«حلية الأولياء» ٥/ ١٢٢، و«السير» ٤/ ٢٧٢.

وفيها توفي

عبد الله بن جعفر

ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف، وكنيته أبو جعفر، وقيل: أبو محمد.

وأمُّه أسماء بنت عُمَيس، وَلَدته بالحبشة في الهجرة الثانية.

وهو أول مولود ولد في الإسلام بالحبشة.

وهو من الطبقة الخامسة، ممن تُوفّي رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان، ويقال: إنه كان له يوم توفّي رسول الله ﷺ عشر سنين.

وقال ابن سعد: وُلد للنّجاشي بعدما وَلدت أسماء ابنَها عبد الله بأيام ابنٌ، فأرسل إلى جعفر فقال: ما سَمَّيتَ ابنَك؟ قال: عبد الله، فسمَّى النّجاشي ابنَه عبد الله، وأخذت أسماء ابنَ النجاشي، فأرضعتْه حتى فَطَمَتْه بلبن عبد الله بن جعفر، وحَظِيت بذلك عندهم، [وولدت أسماء لجعفر بالحبشة عوناً أيضاً][(١)].

وقال الزبير بن بكار: وأخو عبد الله بن جعفر لأمه محمد بن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب[(٢)]. وكان أبو بكر رضوان الله عليه يُسمّي عبد الله: ابني ابني.

ذكر طرفٍ من أخباره:

[قال الموفّق رحمه الله:] كان عبد الله جواداً، ظريفاً، حليماً، عفيفاً، يُسمّى بحرَ الجود، ولم يكن في الإسلام أسخى منه.

[وقال ابن سعد بإسناده إلى] يحيى بن سعيد بن دينار قال: حجَّ معاوية فنزل في دار مروان بالمدينة، فطال عليه النهار يوماً، [وفزع من القائلة] فقال: يا غلام انظر مَن بالباب، هل ترى الحسن بن علي، أو الحسين، أو عبد الله بن جعفر، أو عبد الله بن أبي أحمد بن جحش فأدخِلْه عليَّ. فخرج الغلام فنظر فلم يرهم، فسأل عنهم، فقيل:

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦٢، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «نسب قريش» ٨٢.

هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدّون، فأخبره فقال: والله ما أنا إلا كأحدهم، ولقد كنتُ أُجامعهم في مثل هذا.

فقام، فأخذ عصا فتَوَكَّأ عليها وقال: مُرّ يا غلام، فخرج بين يديه حتى دخل عليهم، فقال: هذا أمير المؤمنين بالباب، فدخل، فأوسع له عبد الله بن جعفر عن صدر فِراشه فجلس، فقال: غَداءَكَ يابن جعفر، فقال: ما تشتهي من شيء فادعُ به، فقال: أطعمنا مخّاً، فقال: يا غلام، هات مخاً، فأتى بصَحْفَةٍ فيها مُخّ، فأقبل معاوية يأكل، ثم قال عبد الله: يا غلام، زدنا مُخاً فزاده، قالها ثلاثاً، وهو يزيد، فقال معاوية: إنما كنا نقول: زدنا سخيناً، أما زدنا مخاً فلم أسمع به قبل اليوم، يابن جعفر ما يَسَعُك إلا الكثير، فقال عبد الله: يُعين الله، فأمر له معاوية بأربعين ألف دينار [وكان قد ذبح كذا وكذا شاةً[١]].

وأيضاً حدثنا سعيد بن جبير، عن رجل من أهل المدينة[٢] قال:] خرج عبد الله بن جعفر حاجاً، حتى إذا كان ببعض الطريق، وقد تقدّم ثَقَله، مَرّ بأعرابية جالسة على باب خَيمة، فنزل قريباً منها، فقامت وقالت: إليّ إليّ، بَوَّأك الله منازل الأبرار، فأعجبه مَنطِقُها، فتحوّل إليها، فألقت له وِسادة من أَدَمٍ، وقامت إلى عُنَيزة لها في كِسْر الخيمة، فما شعر حتى قدَّمت إليه عضواً منها، فنهس منه[٣].

وأقبل أصحابه فنزلوا، وأتتهم بما بقي منها فأكلوا، وقدَّموا سُفْرَتَهُمْ، فقال عبد الله: ما لنا حاجة إلى طعامكم سائر اليوم، فلما ارتحلوا أمر صاحب نفقته أن يعطيها خمس مئة دينار، فأبت أن تقبلها وقالت: أخاف عَذْلَ بعلي، فمازال بها حتى قبلتها، وسار فلم يلبث إلا قليلاً وإذا بأعرابي يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أظنه إلا المحذور، وجاء إلى امرأته، فأخبرتْه الخبر، وأنشدته [قصيدة بشرح الحال] : [من الطويل]

توسَّمتُه لما رأيتُ مهابةً ... عليه فقلتُ المرءُ من آل هاشمِ

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦٧-٤٦٨ . وما بين معكوفين من (ص).

(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» ص٥٢ (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد): من طريق الفياض بن محمد القرشي، عن رجل من أهل المدينة، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) بالسين المهملة، أي: أخذه بمقدَّم أسنانه. وقوله: كِسْر الخيمة أي: جانبُها.

وإلا فـمـن آل الـمُـرار فـإنّـهـم ... مـلـوكٌ عـظـامٌ مـن كُـمـاةٍ ضَـراغـمِ
فـقـمـتُ إلـى عَـنْـزٍ بـقـيـةُ أعـنُـزٍ ... فـأذبـحُـهـا فـعـلَ امـرىء غـيـرِ نـادمِ
فـعـوَّضـنـي مـنـهـا غَـنـائـي ولـم يـكـن ... يُـسـاوي لُـحـيـمُ الـعـنـزِ خـمـسَ دراهـمِ
بـخـمـس مـئـيـنٍ مـن دنـانـيـرَ عَـوَّضَـتْ ... عـن الـعَـنْـزِ مـا جـادتْ بـه كـفُّ آدمـي

ثم أرته الدنانير فقال: بئس مَعقِلُ الأضيافِ والله أنتِ، أبعتِ معروفَك بما أرى من الأحجار؟! فقالت: قد امتنعتُ من قَبولها مخافة العَذْل، فقال: أخِفتِ العذلَ وما خِفتِ العار؟ كيف أخذ الرَّكب؟ قالت: كذا، فركب فرسه وقال: أنا ذاهب إليهم، فإن سَلَّموا إلي معروفي وإلا حاربتُهم، فقالت: ناشدتك الله أن تَسُوْءهم.

فركب وأخذ الدّنانير، فربطها في رأس رُمحه، ولحقهم فقال: خذوا أحجارَكم ورُدُّوا عليَّ معروفي، فلاطفه عبد الله وقال: كيف يرجع إلينا شيءٌ قد أمضيناه، فقال خذوها وإلا حاربتكم، وتهيّأ للقتال، فلما رأى عبد الله ذلك قال لغلمانه: خذوها، ثم قال له: هل لك أن نُزَوّدك من طعامنا؟ فقال: لا، الحيُّ قريب.

ثم سار والتفت فقال لعبد الله: هل لك حاجة؟ قال عبد الله: نعم، تخبر المرأة بسوء صَنيعك معنا، فضحك الأعرابي ثم انصرف، [وفي رواية: تخبر المرأة ما لقينا منك.

وحدثنا غير واحد، عن أبي الفضل محمد بن ناصر بإسناده، عن] إسحاق بن عبد الله بن جعفر قال: جاءت امرأة إلى عبد الله فقالت: يا سيدي، وهبتْ لي بعضُ جاراتي بيضة، فحضنتُها تحت دجاجة، فخرجت فرّوجة، فغذوتها بأطيب الطعام، وذبحتُها وشويتُها، وجعلتُ لله عليَّ أن أدفِنها في أكرم بُقعة في الدنيا، ووالله ما أرى بُقعةً أكرم من بطنك، فقال: يا بُدَيح، خذها منها، وامض إلى الدار التي هي فيها، فإن كانت لها فاشتر ما حولها من الدّور، وإن لم تكن لها فاشترها لها وما حولها، واحمل إليها ثلاثين بعيراً عليها حنطةً وشعيراً وأرزّاً وزبيباً وثياباً ودراهم ودنانير، فقالت العجوز: يا سيدي، لا تُسرف إن الله لا يحب المسرفين[1].

وقال إسحاق بن عبد الله بن جعفر [وقد رواه أيضاً ابن ناصر قال:]: خرج أبي في سفر، فمر بحديقة، فنزل إلى جانبها، وإذا بعبد أسود بين يديه رغيفان، فجاء كلب

---

(١) «المنتظم» ٦/ ٢١٤_٢١٥ ، وما بين معكوفين من (ص).

فربض بإزائه، فألقى إليه رغيفاً، وأكل العبد نصف رغيف، وجاء كلب آخر، فرمى إليه بالنصف الآخر، فقال له عبد الله: مَن أنت؟ فقال: عبد لصاحب هذه الحديقة، قال: كم قُوتُك كل يوم؟ قال: ما ترى رغيفان، قال: فما هذا الكلب؟ قال: كلب يجيء من مكان بعيد، فأستحي منه أن آكل وعيناه ترمقني، فأنا أقاسِمُه قُوتي، قال: وهذا الكلب الآخر؟ قال: غريب ما رأيتُه قبل اليوم، قال: وما تأكل بقية النهار؟ قال: ما رأيت، أشُدُّ صُلبي بنصف رغيف إلى غدٍ حتى يأتيني قُوتي، فأفعل فيه ما ترى، فبكى عبد الله وقال: أُلام على السَّخاء!؟ إن هذا العبد لأسْخى مني، ثم اشترى الحديقة بخمس مئة دينار والعبد، ووقفها عليه[1].

[وقال الهيثم:] كتب إليه أقوام يُخَوفونه الفقر، فكتب على الورقة: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة:٢٦٨] إن الله قد عوَّدني أن يتَفضَّل عليّ، وعوَّدتُه أن أتَفضَّل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة، فتنقطع عنّي المادَّة.

وقال الزبير بن بكار: دخل أعرابيٌّ على عبد الله بن جعفر، فرآه مَحموماً فقال: [من المنسرح]

كم لوعةٍ للنَّدى وكم قَلَقٍ ... للجُودِ والمَكْرماتِ من قَلَقِكْ
ألبَسَك اللهُ ثوبَ عافيةٍ ... في نَومك المُعتري وفي أرَقِكْ
أخرجَ من جسمك السَّقامَ كما ... أخرج ذمَّ الفِعال من عُنُقِكْ

فأمر له بثلاثين ألفاً[2].

ودخل عليه زياد الأعجم، فسأله خمسَ ديات فأعطاه إياها، ثم سأله خمسة أخرى فأعطاه إياها، ثم سأله عشر ديات فأعطاه إياها فقال: [من الوافر]

سألْناه الجَزيل فما تَلكَّا ... وأعطى فوق مُنْيَتِنا وزادا
وأحسَنَ ثم أحسَنَ ثم عُدْنا ... فأحسَنَ ثم عُدتُ له فعادا
مِراراً لا أعودُ إليه إلا ... تَبسَّم ضاحكاً وثَنى الوِسادا[3]

---

(١) أخرجه بنحوه من طريق آخر: الدينوري في المجالسة (٣٢٢٩)، وابن عساكر ٤٨-٤٩، وانظر فيهما مصادر أخرى.

(٢) «تاريخ دمشق» (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد) ٥٦، و«المنتظم» ٦/ ٢١٥.

(٣) «تاريخ دمشق» ٦/ ٤٧٤، والأبيات في ديوانه ١٠٥-١٠٦.

وقد مدحه جماعة من الشعراء، منهم عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات، له فيه قصائد، منها: [من الطويل]

تَقَدَّتْ[1] بيَ الشَّبهاءُ نحو ابنِ جعفرٍ ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
تزورُ امرأً قد يعلَمُ اللهُ أنه ... يَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أتيتُك أُثني بالذي أنتَ أهلُه ... عليك كما أَثنى على الرَّوضِ جارُها
ذكرتُكَ إذ فاضَ الفُراتُ بأرضنا ... وجَلَّل أعلى الرَّقْمَتَيْنِ بحارُها

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس: ويحك، أما استحيَيْتَ من الله حيث تقول: تزور امرأً قد يعلم الله أنه، ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: يعلم الله، فقال له ابن قيس الرقيّات: والله لقد علم الله والناس وأنت[2].

مرَّ ابنُ قيس على ابن أبي عَتيق، فسلّم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العَمياء، فقال له: وما هذا الاسم؟ فقال: أنت سمَّيتَ به نفسَك حيث تقول: سواء عليها ليلُها ونهارُها، وما يستوي الليل والنهار إلا على الأعمى، فقال: ما أردتُ إلا التَّعَب، قال: فهذا يحتاج إلى تَرجُمان يترجم عنه[3].

وكان عبد الله بن جعفر صديقاً لمعاوية، وكان يَفِد عليه كلّ سنة، فيعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له مئة حاجة ويقول: والله ما في قريش أحبّ إلي أن يكون ابن هند منك، وكان يُنزله معه في داره، ولما حضرت معاويةَ الوفاةُ قال ليزيد: يا بُنيّ، إن لي خليلاً بالمدينة، فاستوصِ به خيراً، واعرف له مكانَه مني - يعني عبد الله بن جعفر - فلما مات معاوية رحل عبد الله إلى يزيد، فأكرمه وألطَفَه، وقال له: يا أبا جعفر، كم كان أمير المؤمنين يُجيزك كلّ سنة؟ قال: بكذا وكذا ألف دينار، قال: قد أضعَفْتُها لك، فقال له عبد الله: بأبي أنت وأمي، ما قلتُها لأحد قبلك، ولا أقولها لأحدٍ بعدك.

وقال الزبير بن بكّار[4]: اجتمع عبد الله بن جعفر بيزيد بن معاوية عند أبيه معاوية، فأخذ يزيد يَعرض لعبد الله بن جعفر وينسبه إلى الإسْراف، فقال له عبد الله: يا يزيد،

---

(١) سارت سيراً ليس بعجل ولا مبطىء.
(٢) «تاريخ دمشق» ٤٢_٤٣ (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد)، والأبيات في ديوانه ٨٢_٨٣.
(٣) «الأغاني» ٥/ ٨٨_٨٩.
(٤) الخبر في «تاريخ دمشق» ٣٦ من طريق العباس بن بكار بإسناده إلى الشعبي.

[إني] لأرفع نفسي عن جوابك، ولو كلّمني أبوكَ لأجبتُه، فقال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه؟ قال: إي والله، ومنك ومن أبيك وجدِّك، فقال معاوية: ما كنتُ أظنُّ أن أحداً في عصر حَرْب بن أمية أشرف منه، قال: بلى، مَن أكفأ عليه إناءه، وأجاره بردائه، قال: صدقتَ.

قال الزبير: ومعنى هذا أن حرب بن أمية كان إذا خرج في سفر فعَرَضت له ثنيّة أو عقبة تَنَحْنَح، فلم يتجاسر [أحد أن] يربأها حتى يجوز حرب، فعرضت له ثنيّة، فتقدَّمه غلامٌ من تميم، فتهدّده حرب، فلما قدم مكة التقاه حرب فشدّ عليه، فاستجار الغلام بالزبير بن عبد المطلب فأجاره، وأراد حرب بعد ذلك قتلَ الغلام، فلقي الزبير حرباً، فشدّ عليه ليقتله، فدخل دارَ عبد المطلب مُستجيراً، فأكفأ عليه عبد المطلب جَفنةَ هاشم التي كان يَهشم فيها الثَّريد، وجمع الزبير إخوتَه، وجلسوا على الباب ينتظرون خروج حَرْب، فأعطاه عبد المطَّلب[1] رداءه وقال: البس هذا فإنهم إذا رأوه عليك لا يَهيجونك، فلبسه حرب، وخرج فنظروا إليه فلم يَهيجوه.

وقال [ابن] سَلّام الجُمحي: اجتمع عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص عند معاوية، فقال عمرو لعبد الله: يابن جعفر، ليَضع منه، فقال له عبد الله: يابن النّابغة، لئن نسبتَني إلى جعفر الطيّار فلستُ بدَعيٍّ ولا أبتر، وقد ادّعاك جماعة، ووُلدتَ على فراش مشرك، وفي أبيك العاص نزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: ٣][2].

[حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن دُلَف المقرىء قال: أخبرتنا شُهدة بنت أحمد الكاتبة بإسنادها، حدثنا] أبو نضر العُقيلي، عن جماعة من مشايخ أهل المدينة قالوا:

كانت عند عبد الله بن جعفر جارية مغنّية؛ [يقال لها: عمارة، وكان يَجِد بها وَجْداً شديداً، فقدم بها الشام]، فحضر عنده يزيد، فغَنّت الجارية، فعشقها يزيد عشقاً عظيماً، ولم يُمْكنه أن يَبوحَ بما في نفسه خوفاً من أبيه، وأقام على ذلك مدَّةً، ولم يطلبها من ابن جعفر خوفاً أن يمنعه إياها، فلم تزل في نفسه حتى مات معاوية، وولي

(١) في النسخ: عبد الملك، وهو خطأ. والخبر في تاريخ دمشق (الجزء المذكور قبل) ص٣٦ - ٣٧ بنحوه عن الشعبي مطوّلاً. قوله: يَرْبأها، أي: يشرف عليها.

(٢) بنحوه في تاريخ دمشق ص٣٩، وماسلف بين معكوفين منه.

يزيد، فأحضر رجلاً عراقياً ظريفاً، وباح إليه بما في نفسه، فقال له: إن عبد الله لا يبيعها ولا يُعتقها أبداً بملك الدنيا، ولكن سأتلطَّف لك، ادفع إليّ التُّحَفَ والهدايا والمال، فدفع إليه جملةً من ذلك.

فقدم المدينة، فنزل في جِوار عبد الله بن جعفر، وأهدى إليه من ذلك شيئاً كثيراً، فأنِس به، وأحضر يوماً عمارة بحضرة العراقي، فغَنّت فعجب بها، وقال له ابن جعفر: هل رأيتَ في الدنيا مثلها؟ قال: لا والله ما تَصلُح إلا لك، قال: فكم تُساوي؟ قال الرجل: لا أجِدُ لها ثمناً غير الخلافة، فقال له ابن جعفر: إنما قلتَ ذلك لتزداد رَغبتي فيها[1]؟! فقال: لا والله، وإنني رجل تاجر، ولو أُعطيتُها بعشرة آلاف دينار لاشتريتُها، فقال ابن جعفر: وهل تساوي في هذا الزمان جاريةٌ عشرة آلاف دينار؟! [قال: هذه، فقال ابن جعفر: قد بعتكها بعشرة آلاف دينار]، فقال: اشتريتُها وأوجب البيع.

وقام العراقي من ساعته وبعث بالمال، فقال ابن جعفر: إنما كنتُ مازحاً، فقال العراقي: البيعُ جِدُّه وهَزْلُه سواء، فقال: ما بعتك ولا أبيعُها بالدنيا وما فيها، قال الرجل: استحلفتُك عند القبر والمنبر، ففكَّر ابن جعفر وقال: يُحَلِّفني فيقول الناس: قهر عبدُ الله ضيفَه وظَلمه حتى ألجأه إلى اليمين، ما ثَمَّ غير الصبرِ وحُسنِ العَزاء، خُذها، ودفعها إليه، فأخذها من وقته، وخرج إلى الشام، وقال لها: استتري، فوالله ما اشتريتُك لنفسي، وإنما اشتريتُك للخليفة، ولستِ من جَواريَّ، وأخاف أن تَتوقَ إليكِ نفسي، فاحتجبي.

وسار إلى دمشق، فلما قَدِمها إذا بجنازة يزيد، وقد استخلف ابنَه معاوية، فأقام أياماً، وتلطَّف حتى دخل عليه، فقص عليه القصّة ـ وكان عبد الله بن جعفر قد جهَّزها بثلاثة آلاف دينار ـ فقال معاوية بن يزيد للعراقي: الجارية وما معها لك، وارْحَل من يومك عن الشام؛ لا أسمع لك فيه خبراً، فرحل وقال لها: قد قلتُ لك: إنكِ ليزيد، وقد صرتِ الآن لي، وإني أُشهد الله أنني قد ردَدْتُكِ على عبد الله بن جعفر، فاستتري مني إلى المدينة.

(١) في (ص): عيني منها.

فلما قدم المدينة نزل قريباً من عبد الله بن جعفر، فدخل عليه بعضُ خدمه، فأخبره بقدومه وقال: ضَيفُك العراقي الذي صنع بك ما صنع، قد قدم ونزل بالعَرْصَة لا حَيَّاه الله ـ وكان ابن جعفر قد وَجَد لفراقها وَجْداً عظيماً ـ فقال عبد الله: أكرموه.

وجاء الرجل يطلب الإذنَ على عبد الله، فأذن له، فدخل وقَبّل يده، وقصَّ عليه القصة، وقال: قد وَهَبتُها لك، والله ما وضعتُ يدي عليها، ولا رأيتُ وَجهَها إلا عندك، وأحضر الجارية وما معها من الجَهاز، فلما رأت ابن جعفر خرَّت مغشيّاً عليها، وخرج العراقي، وصاح أهل الدار: عمارة عمارة، وجعل ابن جعفر يقول: أحلم هذا؟ أحق هذا؟ أصدق هذا؟

ثم بعث إلى العراقي فأحضره، ودفع له عشرة آلاف دينار وقال: هذه ثمنُها، وهذه ثلاثة آلاف أخرى لك، ولو وصلتُكَ بالدنيا وما فيها لرأيتُك أهلاً لذلك، فقال العراقي: والله ما ردّها عليك إلا عملُك بالحقّ، وصبرُك عليه، ووفاؤك بقولك، وانقيادُك إليه، وتورُّعك عن اليمين، وانصرف العراقي شاكراً[1].

[واختلفوا في وفاته، فحكى ابن سعد، عن الواقدي قال:] مات عبد الله بن جعفر سنة ثمانين، وهو عام الجُحاف[؛ سيل كان بمكة، جَحف الحاج وذهب بالإبل وعليها الحُمولة]، وكان الوالي يومئذ على المدينة أبان بن عثمان، وهو صلى عليه، [وكان يوم مات ابن تسعين سنة، قال:] وكان أبان صديقاً له كثير الغِشْيان لداره، فحمل سريرَه بين العمودين، فما فارقه حتى وضعه بالبقيع؛ وإن دموعَه لتسيلُ على خدَّيه، وهو يقول: كنتَ والله خيراً لا شرَّ فيك، وكنتَ والله شريفاً واصلاً برّاً، كنتَ والله وكنت، [قال:] والوَلائدُ خلف سريره قد شَقَقْن الجُيوب، والنّاس يَزدحمون على سريره.

[وقال الواقدي: وكان ابن جعفر] قد خَرِب فوه، وسقطت أسنانه من الكبر، فكان يُعمَل له الثَّريد والشيء اللّيّن فيأكله، وكان إذا قيل له: إنك ليس تأكل؛ شقَّ عليه ذلك.

[هذا صورة ما حكاه ابن سعد[2]، عن الواقدي في وفاته، وسنّه، والصلاة عليه].

---

(١) «المنتظم» ٦/ ٢١٥ـ٢١٩، و«تاريخ دمشق» ٥٨ ـ ٦١، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في طبقاته ٦/ ٤٦٩ـ٤٧٠.

وقيل: توفّي سنة اثنتين أو أربع وثمانين، وقيل: خمس وثمانين، وقيل: سنة تسعين.

[وقال أبو بكر محمد بن الأنباري: إنّ] عبد الملك بن مروان أمسك عنه عطاءه، فأضاق إضاقةً شديدة، فلقيه رجل يوماً وقد خرج من المسجد، فشكا إليه الحاجة، فقال: اصبِرْ حتى تأتيَ غَلَّتي وأواسيك، قال: ما لي صبر، وكان عليه بُردان، فقال له: أينفعُك أحدهما؟ قال: نعم، فدفع إليه البُرْد، ثم استقبل ابن جعفر القبلة وقال: اللهم إن لم يكن إلا ما أرى؛ فاقبضني إليك، فحُمَّ من ساعته، ولم يخرج من منزله بعد هذا حتى أُخرجت جنازته[1].

ذكر أولاده:

فولد جعفراً الأكبر، وبه كان يُكنى، أمُّه أم عمرو بنت خِراش، واسمها الأُميَّة.

وعلياً، وعوناً الأكبر، ومحمداً، وعباساً، وأمَّ كلثوم، وأمهم زينب بنت علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأمها فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ.

وحسيناً؛ دَرَج، وعوناً الأصغر؛ قُتل مع الحسين رضي الله عنه ولا بقيّةَ له، أمهما جُمانة بنت المسيّب بن نَجَبة الفَزاري.

وأبا بكر، وعُبيد الله، ومحمداً، أمُّهم الخَوْصاء بنت خَصَفَة من بكر بن وائل.

وصالحاً، ويحيى، وهارون، وموسى، لا بقيَّةَ لهم، وجعفراً، وأمّ أبيها[2]، وأم محمد، أمهم ليلى بنت مسعود بن خالد، من بني دارِم، في رواية: خلف عليها عبد الله بعدما استُشهد علي عليه السلام[3].

وحميداً، والحسن لأمّ ولد.

وجعفراً وأبا سعيد، أمهما أم الحسن بنت عمرو[4]، من بني عامر بن صَعْصَعة.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/٢١٩-٢٢٠ من طريق أبي بكر بن الأنباري، عن محمد المقرىء، عن عبد الله بن عمر، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، عن مشيخة له.

(٢) في النسخ: وجعفراً وأمه أسماء، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، وسيرد ذكرها في ذكر أعيان أولاده انظر «نسب قريش» ٨٣، و«طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦١، و«المعارف» ٢٠٧، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٦٩.

(٣) انظر أنساب الأشراف ٢/ ٦٩.

(٤) في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٦٢ : أم الحسن بنت كعب.

ومعاوية، وإسحاق، وإسماعيل وقُثَم لا بقيَّةَ له، وعباساً، وأمَّ عَوْن لأمَّهات أولاد شتّى.

فنذكر أعيان أولاده فنقول:

أما جعفر الأكبر فانقرض عَقِبه.

وأما علي فكان جواداً، وفيه يقول مُساحِق بن عبد الله بن مَخْرَمة - وقد حمل أهل أبيات من قريش في سُنَيّات خالد: [من الطويل]

أبا حَسَنٍ إني رأيتُك واصِلاً   لِهَلْكى قُريشٍ حين غُيِّر حالُها
سعيتَ بهم سَعْيَ الكريمِ ابنِ جعفرٍ   أبيك وهل من غايةٍ لا ينالُها
فما أصبحتْ في ابنَي لؤيٍّ فَقيرةٌ   مُدَفَّعةٌ إلا وأنت ثِمالُها

وكان علي هذا، وعلي بن عبد الله بن عباس، وعلي بن الحسين زين العابدين إذا قَدِموا على الوليد بن عبد الملك يقول لولده العباس بن الوليد: جالسْ عُمومتَك[1].

وأما عون الأكبر فقتل مع الحسين رضي الله عنه يوم الطّفوف، وكان أبوه عبد الله يحبّه حباً شديداً، فحزن عليه حُزناً عظيماً عُرف فيه، ولا بقيَّةَ له.

وأما إسحاق فضربه عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه الحَدّ، فقال له إسحاق: يا عمر، ليس ثَمَّ قرشيٌّ إلا وقد حُدَّ، أشار إلى عبد العزيز بن مروان، فإنه ضُرب الحدَّ.

وولد إسحاق: القاسم بن إسحاق، أمّه أمّ حَكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصّدّيق[2].

وأما معاوية بن عبد الله بن جعفر فذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة، وأمه أم وَلَد، وكان صديقاً ليزيد بن معاوية خَصيصاً به، ولما سمّاه أبوه عبدُ الله معاويةَ؛ هجره بنو هاشم قاطبةً، فلم يُكلِّمه أحد منهم حتى مات، ولما رأى ذلك معاوية بن عبد الله وُلد له ولدٌ، فسمّاه يزيد محبةً ليزيد بن معاوية.

وكان معاوية وَصيَّ أبيه، وكان بخيلاً، وكان له أولاد منهم: عبد الله الخارج بالكوفة في آخر زمان مروان بن محمد، وجعفر؛ لا بقيَّةَ له، ومحمد، وأمّهم أمّ عَون

---

(١) «أنساب الأشراف» ٢/ ٦٧-٦٨، و«التبيين» ١١٨-١١٩، و«تاريخ دمشق» ٥١/ ١١-١٢. قوله: ثِمالُها أي: ملجأها.
(٢) «المعارف» ٢٠٨، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٧٠.

بنت عَون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وسليمان لأم ولد، والحسن، ويزيد، وصالح، وحمَّادة، وأُبيَّة، وأمهم فاطمة بنت حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب، وعلي قتله عامر بن ضُباره، لأمّ ولد(١).

فأما عبد الله بن معاوية فإنه مضى إلى أصبهان، وطلب الخلافة، فاستولى على فارس، فقتله أبو مسلم، وله عَقِب، وعبد الله بن معاوية هو القائل: [من الطويل]

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً مُلَفَّفاً ... وكشَّفه التَّمحيصُ حتى بدا ليا
أأنتَ أخي ما لم تكن ليَ حاجةٌ ... فإن عَرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا
فلا زادَ ما بيني وبينك بعدما ... بدا ليَ في الحاجاتِ إلا تَماديا
فلستُ بِراءٍ عيبَ ذي الوُدِّ كلَّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضيا
فعينُ الرِّضى عن كلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المَساوِيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن إذا مِتْنا أشدُّ تغانيا(٢)

وهو القائل(٣): [من الوافر]

أرى نَفسي تَتوقُ إلى أُمورٍ ... يُقَصّر دون مَبْلَغِهِنَّ مالي
فنَفسي لا تُطاوعني لبُخلٍ ... ومالي لا يُبَلِّغُني فَعالي(٤)

حدّث معاوية بن عبد الله عن: أبيه، والسَّائب بن يزيد، ورافع بن خَديج، وروى عنه الزُّهري، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي.

وأما أمُّ كُلثوم بنت عبد الله بن جعفر فأمُّها زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت عند القاسم بن محمد بن جعفر بن علي بن أبي طالب، ثم زوّجها أبوها عبد الله بن جعفر من الحجاج بن يوسف، فسقطت منزلتُه عند الناس، وجفاه الخلق، وكان إذا مَرَّ في المدينة فسلَّم لا يردُّ عليه أحد، وإذا دخل المسجد خرج منه الناس ويقولون: صاهر مَن قال: يا خبثة، ومَن فعل بالصحابة ما فعل، وسلَّطه على بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢٣ ، و«المعارف» ٢٠٧ ، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٣٤٧ـ٣٤٨ .
(٢) «أنساب الأشراف» ٢/ ٦٣ ، و«تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٦٧ ، و«التبيين» ١١٨ ، وديوانه ٨٨ـ٩٠ .
(٣) في (د): وله أيضاً.
(٤) «تاريخ دمشق» ٣٩/ ١٦٦ ، وديوانه ٦٧ .

[وقال الزبير بن بكار:] فلما بلغ الوليد بن عبد الملك هذا عزَّ عليه، وكان وليَّ عهد أبيه، فوفد ابنُ جعفر على عبد الملك، فالتقاه ظاهرَ دمشق، فسلَّم عليه فقال الوليد: لا سَلَّم الله عليك، ولا قَرَّب دارَك، ولا أدنى مَزارَك، وَيْحك، عَمَدْتَ إلى عَقيلة آل جعفر، وابنة رسول الله ﷺ، تدفعها إلى عبد ثقيف يَتَفَخَّذُها، والله لئن عشتُ لأُرينَّك العَجبَ، فاعتذر إليه بضيقِ ذات يده، وبجفاء عبد الملك إياه، فلم يقبل عُذْرَه، ومات بن جعفر قبل أن يُفضي الأمر إلى الوليد.

[قال الزبير بن بكار:] وكان الحجاج يقول: إنما تزوَّجتُها لأُذِلَّ آل أبي طالب، وكان الحسن البصري يَذمُّ عبد الله بن جعفر ويقول: أما كفاه سماعُ الغناء واللهو، وشَريُ المولَّدات بالألوف؛ حتى يزوّج ابنة رسول الله ﷺ بالحجاج(١).

وأما أمُّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر فتزوَّجها عبد الملك بن مروان، فكانت تُبغِضُه لبَخَره، ويقال: إنها التي عضَّ عبد الملك على تُفَّاحة، ورمى بها إليها، فقوَّرَتْها بالسِّكّين، ورمت مكان العَضَّة، فقال: ما هذا؟ فقالت: أُمِيطُ عنها الأذى، فطلَّقها، فتزوَّجها علي بن عبد الله بن العباس، فتوفِّيت عنده.

وأما أم محمد بنت عبد الله بن جعفر فتزوَّجها يزيد بن معاوية(٢)، [وقد ذكرناها في ترجمة يزيد، وهذا ما انتهى إلينا، والله أعلم].

أسند عبد الله بن جعفر الحديث عن رسول الله ﷺ.

أخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» ثلاثة عشر حديثاً.

وروى عن أمه أسماء بنت عُميس، وروى عنه بنوه: إسماعيل، وإسحاق، ومعاوية، ومحمد بن علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، والشَّعبي، وغيرهم(٣).

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا يزيد بن زُرَيع وحُمَيد ابن الأسود، عن حَبيب بن الشَّهيد، عن ابن أبي مُليكة قال: قال ابن الزبير لعبد الله

---

(١) انظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٦١، ٦٩، و«العقد» ٢/ ٧١، وما بين حاصرتين من (ص).

(٢) انظر «نسب قريش» ٨٢ـ٨٣، و«المعارف» ٢٠٧، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٦١، ٦٩.

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد، طبعة المجمع العلمي).

ابن جعفر: أتذكر إذ تلقَّينا رسولَ الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ فقال ابن جعفر: نعم، فحمَلَنا وتركَك[١].

وليس في الصحابة عبد الله بن جعفر غيره. وأما من غيرهم فثلاثة:

عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر[٢] بن مَخْرَمَة الزُّهريّ، من الطبقة السادسة من أهل المدينة، وأمُّه بُرَيْهَة بنت محمد، من ولد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وكان من رجالات قريش، من أشراف المدينة، عالماً بالفتوى والمغازي وغيرها.

وكان محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن إذا دخل المدينة مُستخفياً نزل عليه، وكان من ثِقاته وخَواصّه، ينقل إليه الأخبار، ولما خرج محمد خرج معه، ولما قُتل محمد اختفى.

وكان محمد لما خرج بالمدينة تبعه مع أخيه موسى بن عبد الله إلى الشام ليدعُوَا إليه، فرجعا من دُومَةِ الجَنْدل خوفاً على أنفسهما، ثم أقام مُستخفياً، وقد خرج الحسين ابن علي بن حسن بن حسن، فخرج معه، فقتل معه بفَخّ[٣].

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن عبد الله بن جعفر هذا فقال: ثقة ثقة.

وإنما كره أهل المدينة روايته لخروجه مع محمد، والحسين.

قال الواقدي: كنتُ بالمدينة وجاءني نَعْيُ أبي عمر، فخرجتُ إلى السّوق، فإذا أنا بالمَخْرَميّ - يعني عبد الله بن جعفر هذا - راكب على بغلته واقف، فسلّم علي وقال: ما رأيتُك منذ أيام! فقلت: جاء نَعْيُ أبي، فلم يكلّمني حتى رَدَّ رأسَ بَغْلته إلى داره فنزل، ثم جاءني ماشياً إلى بيتي فعزّاني، فشَقَّ عليَّ مَجيئُه، فقلت: ما أحبُّ أن تَتَعنَّى وتجيءَ ماشياً، فقال: إنَّ أحبَّ إليّ ما أقضي فيه الحقّ أشقُّه علي، ألم تسمع حديث أم بكر بنت المِسْوَر؟ قلت: لا، قال: حدَّثتني أم بكر: أن المِسْوَر اعتَلَّ، فجاءه ابنُ عباس يَعوده في وقتِ القائلة، فقال له المِسْوَر: يا أبا عباس، هلّا في ساعةٍ غير هذه، فقال ابن عباس: إن أحبّ الساعات إليَّ أن أُؤدّي فيها الحقّ أشقُّها عليَّ.

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٨٢)، وأخرجه أحمد (١٧٤٢)، ومسلم (٢٤٢٧).

(٢) في النسخ: الأسود، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٥٨٠، و«تاريخ دمشق» ٧٠ (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد)، و«تهذيب الكمال» (٣١٩١)، و«السير» ٧/ ٣٢٨.

(٣) هو وادٍ بمكة. معجم البلدان ٤/ ٢٣٧.

والثاني عبد الله بن جعفر بن محمد الطبري، سمع عبد الله بن بكر الطّبراني بجبل لبنان، والحسن بن عبد الله بن سعيد ببعلبك وغيرهما.

والثالث عبد الله بن جعفر المالكي، كنيته أبو القاسم، الضّرير[(١)].

[وفيها توفي]

عُبيد الله بن أبي بَكْرَة الثّقفي

وكنيته أبو حاتم [ذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وأمُّه هَوْلَة بنت غليظ، من بني عِجْل[(٢)].

وكان أحد الأجواد، [وقال ابن قتيبة:] وهو أول من قرأ القرآن بالألحان[(٣)].

وولي عبيد الله القضاء على البصرة، وأوفده الحجاج على عبد الملك يسأله أن يولي الحجَّاج خُراسان وسجستان، فلما خاطب عبد الملك قال له: أتحبُّ أن أُوَلِّيَكَهُما؟ فامتنع وقال: والله لا خُنتُ رجلاً بعثني في حاجة، فعظم في عين عبد الملك.

قال خليفة: وفي سنة خمسين ولّى زياد بن أبيه عبيد الله بنَ أبي بَكْرة سجستان، وأمره أن يقتل الهرَابِذَة[(٤)]، وأن يُطفيء النيران ما بينه وبين سجستان، ولما مات زياد سنة ثلاث وخمسين عزل معاوية عُبيدَ الله عن سجستان، وولاها عباد بن زياد، وفي سنة ثلاث وسبعين[(٥)] ولّى الحجاجُ عبيد الله على سجستان، والمهلّب على خُراسان.

[وقال المدائني:] كتب عبد الملك إلى الحجاج: لا تُوَلِّ عبيد الله خراجاً ولا بيتَ مال، فإنه أَرْيَحيٌّ[(٦)].

(١) ترجم لهما ابن عساكر ٧٩، ٨٠ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد). ومن قوله: أسند عبد الله بن جعفر الحديث (قبل صفحة) إلى هنا ليس في (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٨٩.

(٣) «المعارف» ٥٣٣، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) هم قَوَمَةُ بيت النار للهند، أو عظماءُ الهند، أو علماؤهم، أو خَدَمُ نار المجوس. انظر القاموس.

(٥) كذا، وهو خطأ، صوابه: ثمان وسبعين، انظر «تاريخ خليفة» ٢١٠ و٢١٩ و٢٧٧، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٣٦.

(٦) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩٢، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٣٨.

[وقال المدائني أيضاً عن] سُليم مولى عبيد الله: ختمتُ بخاتمي هذا على أربعين ألف ألفِ درهم، فما حال الحول وفي بيت مال عُبيد الله منها درهم[١].

[وحكى المعافى بن زكريا بمعناه فقال:] دخل عبيد الله على الحجاج وفي يده خاتم فقال: يا عُبيد الله، كم ختمتَ بخاتمك هذا؟ فقال: على ثلاثين ألف ألف درهم، قال: ففيم أنفقتَها؟ قال: على تزويج العقائل، والمكافأة بالصّنائع.

[وحكى ابن عساكر، عن] محمد بن سلام قال[٢]: اشترى عبيد الله جارية نفيسةً بمال عظيم، فلم يجد دابّةً يحملها عليها، وإذا برجلٍ على دابة، فنزل وقال لعبيد الله: احملها عليها، فقال له عبيد الله: احملها إلى منزلك فهي لك.

[قال:] وكان عبيد الله يُنفِق على جيرانه، أربعين داراً عن يمينه، وأربعين عن شماله، وأربعين خلفه، وأربعين أمامه، يبعث إليهم بالطعام والكسوة والأضاحي، ويزوّج منهم مَن طلب التزويج.

وكان يقول: موتُ الوالد مِلكٌ حادث، وموت الولد صَدْعٌ في الفؤاد لا يَنجبر أبداً، وموت الأخ قَصُّ الجناح، وموت المرأة عُرْسٌ جديد[٣].

وحكى القاضي التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة»، عن رجل من أهل الكوفة، أنه ضاق به الحال[٤] حتى نقض منزله، وباع خَشَبه، وفقد القوت، فخرج على حمار إلى البصرة، فصادف مَوْكباً فدخل في غمارهم، فجاء صاحب المَوْكب فنزل في داره، قال الرجل: ونزلتُ معهم، فدعا بطيب فغَلَفَهم بالغالية وغَلَفني معهم، ودعا بسَفَط ففتحه وأخرج منه أكياساً؛ في كلّ كيسٍ ألف درهم، فبدأ بيمينه ففرَّق على الحاضرين، حتى انتهى إليّ فأعطاني كيساً، ثم دار الدّور عليّ فأعطاني كيساً آخر، ودار الدور

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩٨.

(٢) في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٠ : عن محمد بن سلام، عن مؤرج قال. اهـ. والخبر الذي قبله فيه ٤٣٨.

(٣) الخبران في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٢، ٤٣٨ ـ٤٣٩ (على الترتيب).

(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وضاق برجل من أهل الكوفة الحال، والمثبت من (ص). والخبر في «الفرج بعد الشدة» ٢/ ٢٨، ونقله عنه ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٢٢١.

فأعطاني آخر، ثم صعَّد النظر فيَّ وقال: من هذا الذي لا أعرفه؟ ورمى إليّ كيساً آخر، فأخذتُ أربعة أكياس، وخرجت فقلت لرجل: مَن هذا؟ فقال: عبيد الله بن أبي بَكْرة.

[وقال المدائني:] عطش عبيد الله يوماً، فاستسقى [ماءً]، فأخرجت له امرأة كُوزاً من ماء، فأعطاها ثلاثين ألفاً(١).

وقال أبو اليقظان: كان عبيد الله من أشْجعِ الناس وأجوَدِهم، أقْطَع عمر بنَ عُبيد الله بن مَعْمر بالبصرة سبع مئة جَريب، فحلف عمر عُمُرَه لا يرى عبيد الله إلا أخذ بركابه، ولا يزوّج ولداً حتى يكون عبيد الله هو الذي يُزوّجه، ولا يُولد له مولود فيُسميه غير عبيد الله(٢).

ولما ولّاه الحجاج سجستان قدم عليه عمر هذا، فأقام عنده شهراً، فلم يُعطه شيئاً، واشتغل عنه، فطلب عمر الرجوع إلى أهله، فاعتذر إليه عبيد الله وقال: انظروا في بيت المال، فنظروا فيه فإذا فيه ألف ألف وسبع مئة ألف، فدفعها إليه(٣).

قال المدائني(٤): مرض رجلٌ بتَشَنُّج العَصَب، فوَصَف له الأطباء لبن الجاموس والقعود فيه، فقال: ومَن لي بذلك؟ قيل: فعليك بعبيد الله فله جَواميس، فحُمِل على سرير، وألقي على باب عبيد الله، فأطلق له ثمان مئة جاموسة بأولادها.

وكان عبد الملك بن مروان إذا ذكره قال: ذاك الأسود الأدْغَم، سيّد أهل المشرق، وكان عبيد الله أسمر اللون جداً(٥).

وقال المدائني: كان عبيد الله جالساً في أصحابه، فأُهدي إليه وَصيف ووَصيفة، فقال لبعض جلسائه: خُذهما لك، ثم فكّر وقال: إيثار بعض الجلساء على بعض قبيح، ثم قال: يا غلام، ادفع لكلِّ واحدٍ من جُلسائي وَصيفاً ووَصيفة، قال: فأُحصيَ ما دَفع إليهم فكان ثمانين وصيفاً ووصيفة.

---

(١) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩١، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) «المعارف» ٢٨٩. والجَرِيب: المزرعة.

(٣) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩٠.

(٤) في (ص): وحكى المدائني قال... والخبر في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩١، و «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٥) «المعارف» ٢٨٩، وفسّر الأدغم بأنه: الدابة الدّيزج. اهـ وفي صحاح الجوهري (دغم ٥/ ١٩٢٠): الأدغم من الخيل: الذي لون وجهه وما يلي جحافله يضرب إلى السواد مخالفاً للون سائر جسده، وهو الذي تسميه الأعاجم: دِيْزَج. وجاء في (ص) زيادة: والأدعم بعين مهملة: السيد.

وقال الهيثم: انقطع رجلٌ إلى عبيد الله، فألحقه بحَشَمه وخاصّته، فبطر وكفر النعمة، وسعى به إلى زياد بن أبيه[١]، وبلغ عبيد الله ففكّر ساعة، فقيل له: فيم تفكّر؟ فقال: أخاف أن أكون قَصَّرتُ في حقه في الإحسان، فحمله ذلك على مَساوىء أخلاقه.

ذكر وفاته:

قد ذكرنا ما جرى على جيشه من الضّائقة [والجهد والقتل، فيقال: إنه] لما وصل إلى بُسْت مات كَمداً، وقيل: [إنه] اشتكى أُذُنه فمات [في هذه السنة].

أسند الحديث عن أبيه، وعلي عليه السلام، وروى عنه ثابت ابنُه، وابن سيرين، وغيرهما.

وقال ابن سعد: كان ثقةً قليلَ الحديث[٢].

ورثاه شعراء عصره، ويقال: مات بزَرَنْج من أعمال بُسْت.

قال مجاهد المقرىء: [من الكامل]

إن الـجَـوادَ إذا الـرِّيـاحُ تَـنـاوَحَـتْ ... بـزَرَنْـجَ أصـبـحَ مـا يُـثَـمِّـرُ مـالا
لـو صـاحب الـسُّـمَـحاءَ كعبٌ ذو النَّدى ... أو حـاتـمٌ كـانـوا[٣] عـلـيـه عِـيـالا
أو طـلـحـةُ الـطَّـلـحـاتِ فـي عِـدَّانـه ... أيـامَ يُـطـعـم مـا تَـهـبُّ شـمـالا
مـا أكـبـرَ الأُمـراء فـي سُـلـطـانـه ... وأشـدّهـم رأيـاً خُـلِـقْـتَ ثِـمـالا[٤]
قـد طـال مـا سُـسْـتَ الجنودَ فلم تكن ... نَـزِقـاً تُـسـيء بـهـم ولا تِـنْـبـالا
قـد فُـقْـتَ بـالـمِـصـرَيْـن كـلَّ سَـمَـيْـدَعٍ ... وغـلَـبْـتَ مَـن نـزلَ الـحـجازَ فِـعـالا
والـشـام لـو قـاسـوا بـه سُـمـحاءَهـم ... لـسـبَـقْـتَ حَـلْـبَـتَـهـم مـعـاً أمْـيَـالا

[فصل: وفيها توفي]

العلاء بن زياد

ابن مَطَر بن شُرَيْح العَدَويّ، من بني عديّ بن عبد مَناة من مضر، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان من العُبَّاد الخائفين.

---

(١) في «المنتظم» ٦/ ٢٢١ ، والخبر السابق فيه: فسعى به إلى عبيد الله بن زياد

(٢) انظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٨٩ .

(٣) في «أنساب الأشراف» ١/ ٥٩٦ : لو صاحب السمحاء كعباً ذا الندى أو حاتماً كانا.

(٤) في «أنساب الأشراف»: يا أكرم الأمراء في سلطانه وأقلهم كبراً. . . وهو الأشبه. وقوله: ثِمَالا، أي: ملجأً وغياثاً.

[وحكى أبو نُعيم الأصفهاني قال: تعبَّد العلاء، فكان يأكل في كل ليلة رغيفين]، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً، كان يخرج إلى المسجد فيصلّي، ويرجع إلى أهله، فاجتمع إخوانه: أنس بن مالك والحسن البصري والناس، فدخلوا عليه وقالوا: رحمك الله، أهلكتَ نفسَك، وهو ساكت، فلما فرغوا من كلامهم قال: إنما أَتَذَلَّل لله تعالى لعله يَرحَمُني[1].

[وقال ابن أبي الدنيا بإسناده عن] حُميد بن هلال[2] قال: دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد نعوده وقد سَلَّه الحُزن، وكانت له أخت يُقال لها: شادة، تَندف القطن تحته غُدوةً وعشية، فقال له الحسن: كيف أنت يا علاء؟ فقال: واحُزناه على الحُزن، فقال الحسن: قوموا، فإلى هذا [والله] انتهى استقلالُ الحزن.

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده، عن هشام بن زياد؛ أخي العلاء بن زياد] قال: كان أخي العلاءُ يُحيي كلَّ ليلة جمعة، فوجد فترةً، فأتاه آتٍ في منامه فجذب بناصيته وقال: قم يا ابن زياد فاذكُر الله يَذكُرك [قال:] فقام، فمازالت تلك الشّعرات التي أُخِذ بها قائمةً إلى أن مات.

وقال قتادة: كان زياد العدويّ قد بكى حتى عَمِي، وبكى ابنُه العلاء حتى عَشِيَ بصَرُه، وكان إذا أراد أن يتكلّم أو يقرأ أَجْهَشَه البكاء[3].

[وروى أبو نعيم الحافظ] عن هشام بن حسّان العدويّ قال: تجهز رجل من أهل الشام يريد الحج، فأتاه آتٍ في منامه فقال: إِئتِ العراق، ثم ائتِ البصرة فبَشِّر العلاء ابنَ زياد بالجنة.

فتجهّز الرجل بعد أن رأى المنامَ ثلاثاً، فرحل إلى البصرة، فدخل على العلاء فبَشّره برؤياه، ثم خرج من وقته، وركب وسار من البصرة، فأقام العلاء سبعة أيام يبكي ليلاً

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٤٣، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٥٣، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) الخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ٢٤٢ عن أبي بكر القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، عن المبارك بن فضالة، عن حميد بن هلال، وأورده ابن الجوزي في «الصفوة» ٣/ ٢٥٣. وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «الحلية» ٢/ ٢٤٤، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٥٤.

ونهاراً، ولا يذوق طعاماً، ولا يُسيغ شراباً، ولا يفتح بابه، فأتى أهلُه إلى الحسن، وقالوا له: أدرِكْه وإلا مات، فجاء الحسن إليه ولامه، فقال: لا أجد ريح الجنة وثوابها ما دمتُ حياً(١).

قال ابن سعد: توفي العلاء في ولاية الحجاج على العراق(٢).

وقال الهيثم: في سنة ثمانين، رحمه الله تعالى(٣).

وأسند عن أنس، وعمران بن الحُصَين، وأبي هريرة. وأرسل عن معاذ، وأبي ذَرّ، وعُبادة بن الصّامت وغيرهم. وروى عنه الحسن، وابن سيرين، وعلماء البصرة. وكان ثقة، وله أحاديث(٤).

[وفيها توفي]

معاوية بن قُرَّة

ابن إياس بن هلال المُزَنيّ [وكنيته] أبو إياس، وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة.

و كان زاهداً، خائفاً، وَرِعاً.

[روى عنه أبو نعيم أنه] كان يقول: لقد أدركتُ سبعين رجلاً من الصحابة، لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم عليه إلا الأذان. وكان يقول: مَن يدلُّني على بكّاءٍ بالليل، بسّامٍ بالنهار.

[وروى أبو نعيم عنه أيضاً أنه] كان يقول: إن القوم ليَحُجُّون ويَعتمرون، ويجاهدون، ويصلّون، ويصومون، وما يُعطَونَ يوم القيامة إلا على قَدْرِ عقولهم.

---

(١) «الحلية» ٢/ ٢٤٥ـ٢٤٦، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٥٥ـ٢٥٦ دون اللفظة الأخيرة.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢١٦، وانظر «السير» ٤/ ٢٠٥.

(٣) من قوله: قال ابن سعد... إلى هنا من (ص)، وجاء بدله في النسخ: توفي العلاء في سنة ثمانين.

(٤) من قوله: وأسند عن أنس... إلى هنا ليس في (ص).

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: إن الله يرزق العبدَ رزقَ شهر في يوم واحد، فإن أصلح أصلح الله على يديه، وعاش هو وعياله بقيّةَ شهرهم بخير، وإن هو أفسد أفسد الله على يديه، وعاش هو وعياله بقيّةَ شهرهم بشرٍّ(١).

[وقال ابن سعد بإسناده قال:] سئل معاوية: كيف ابنُك لك؟ قال: نِعْمَ الابن، كفاني أمر دنياي، وفرَّغني لآخرتي.

ولم يذكر ابن سعد تاريخ وفاته، وقال: كان ثقة، وله أحاديث(٢).

وقال غير ابن سعد: مات سنة ثمانين(٣).

أسند عن الحسن، وابن عباس، ومَعْقِل بن يَسار، وخلقٍ من الصحابة.

السنة الحادية والثمانون

فيها أغزى عبد الملك ابنَه عُبيد الله بلادَ الرُّوم، فوصل إلى قَالِيْقَلا ففتحها، ويقال: إن الفرات من عندها يجتمع.

وفيها خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجّاج وخَلَعه، وقيل: في سنة اثنتين وثمانين.

قد ذكرنا فيما تقدَّم مَقْتَ الحجاج لابن الأشعث، وتجهيزَه له إلى سجستان، وأنه رأى المصلحةَ أن يُغير على أطراف البلاد؛ إلى أن تلوح فرصة، فكتب إليه الحجاج في هذه السنة:

إني لا أرى رأيك الذي رأيتَه صواباً، وإنما حَمَلك عليه ضَعفُ عزيمتك، وخوفُك، فأوغِل في بلاد القوم، ومُرْ مَن قِبَلَك من المسلمين أن يَحْرُثوا ويَزْرعوا، ويقيموا، فإنها دارُهم حتى يفتحها الله عليهم، فإن أبيتَ فأخوك إسحاق الأمير على الناس، فخَلِّه وما وُلِّيتَه.

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٩٩، ٢٩٨، ٣٠٠ (على الترتيب)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٢.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢١٩ـ٢٢٠، وانظر «السير» ٥/ ١٥٥.

(٣) من قوله: ولم يذكر ابن سعد... إلى هنا من (ص)، وما سلف بين معكوفات منها، وجاء بدل هذا في النسخ: مات معاوية سنة ثمانين، وكان ثقة وله أحاديث.

فجمع ابن الأشعث الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لكم ناصح، وعليكم مُشفق، وقد كان من رأيي ورأيكم ما اتَّفقْنا عليه من صلاح الأحوال، وقد جاءني كتابُ الحجاج يُعجِّزني ويُضعفُني، ويأمرني بالوُغول في الأرض التي هلك فيها إخوانكم المسلمون بالأمس، لنَهلِك كما هلكوا، فرَوْا رأيكم، فنادوه: لا سَمْعَ لعدوِّ الله ولا طاعة.

وقيل: إن الحجّاج بعثَ إسحاقَ إلى عبد الرحمن في جيش، وكتب إلى عبد الرحمن أن: سِرْ إلى بلاد التُّرك، وإلا فقد وَلَّيتُ أخاك إسحاق أميرَ الجند. فعزَّ على ابن الأشعث، وخلع الحجاج، وصعد المنبر وقال[1]: أيها الناس، إن الحجاج لا يُبالي أن يُخاطر بكم فتقتَحموا البلاد، فإن ظَفِرتم أكل بكم البلاد، وإن ظَفر بكم العدوّ كنتم الأعداء البُغَضاءَ. اخلعوا عدوَّ االله، فنادى [الناس] من كل جانب: قد خلعناه.

وقام عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبعيّ التَّميمي ـ وكان على الشرطة ـ فقال: إنكم إن أطعتُم الحجاج جعل هذه البلاد بلادَكم ما بقيتم، ولم تُعاينوا الأحبة، أو يموتَ أكثرُكم، بايعوا أميرَكم، وانصرفوا إلى بلادكم فانْفُوا عدوَّ الله منها، فبايعوه على خَلْعِ الحجاج وجهادِه، ونفيِه من أرض العراق، ولم يذكروا عبدَ الملك حينئذٍ بشيء.

وبعث ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل فصالحه على أنه إنْ ظهر على الحجَّاج وضع عنه خراجَه، وإن لم يَظهر أو هُزِم والتجأ إليه حَماه من الحجاج، وتعاهدا وتعاقدا، ثم سار ابنُ الأشعث بجيوشه من بُسْت، وبين يديه الأعشى[2] على فرسٍ وهو يرتجز ويقول:

شَطَّتْ نَوى مَن داره بالإيوان ... إيوانِ كِسرى ذي البُنا بالرَّيْحانْ[3]
من عاشقٍ أمسى بزابُلِسْتان ... إنّ ثَقيفاً منهم الكَذّابانْ
كَذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ ... أمكن ربّي من ثَقيفِ هَمْدَان
إنا صَمَدْنا للكَفورِ الفَتّان ... لما طَغى في الكُفْرِ بعد الإيمان

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٣٥، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٠، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٥ أن القائل عامر بن واثلة الكناني.

(٢) هو الهمداني، والرجز في الطبري ٦/ ٣٣٧، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٢. ببعض اختلاف.

(٣) في المصدرين: ذي القرى والريحان.

يا سيِّدَ الفِتيانِ عبدَ الرحمن هذي الجُموع سِرْ بها من قَحْطان
ومن مَعَدٍّ قد أتتْ وعدنان وقُل لحجَّاجٍ وليِّ الشَّيطان
جاءت مَذْحِجٌ وهَمْدان[١] وإنَّهم ساقوه كأسَ الذِّيْفان
ويُلحِقوه بقُرى ابنِ مَرْوانْ

ولما سار ابن الأشعث إلى العراق هرب منه إخوته: إسحاق، والصباح، والمنذر، والقاسم بنو محمد، فأما القاسم فعاد إلى أخيه عبد الرحمن، وأما الثلاثة الأُخَر فلَحِقوا بالحجّاج، وجعل ابنُ الأشعث على مُقدِّمته عَطيّة بن عمرو العَنْبري، وبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلتقي له خيلاً إلا هزمها، فقال الحجاج: مَن هذا؟ قالوا: عطيّة، قال: نعم، وفيه يقول الشاعر[٢]: [من مجزوء الكامل]

فإذا جعلتَ دُروبَ فا رسَ خلفَهم دَرْباً فدَرْبا
فابعَثْ عَطيَّةَ في الخيو لِ يَكُبُّهنّ عليه كَبَّا

ولما نزل ابن الأشعث بكَرْمان وَلّى عليها خَرَشَة بن عمرو التَّميمي، وكان بها أبو إسحاق السَّبيعي، وكان ابنُ الأشعث يقول له: خالي خالي، فقيل لأبي إسحاق: قد سأل عنك أفلا تأتيه؟ قال: لا، فلم يَقْرَبْه في الفتنة حتى كانت الجماجِم.

ولما دخل الناس فارس اجتمعوا وقالوا: إنا إذا خلَعْنا الحجاج فقد خَلَعْنا عبدَ الملك، فقام يحيى بن أَبْجَر[٣] من تَيْم الله بن ثعلبة فقال: أيها الناس، إني قد خلعتُ أبا الذِّبَّان كما خلعتُ قميصي هذا، فخلعه الناس إلا قليلاً، وبايعوا ابنَ الأشعث على كتاب الله، وسنَّةِ رسوله ﷺ، وخلعِ أئمةِ الضَّلالة، وجهادِ المُحِلِّين.

ولما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى عبد الملك يُخبره، ويسأله تعجيلَ الجنود، وسار من الكوفة حتى نزل البصرة.

وبلغ المهلَّب ما فعل ابن الأشعث، فكتب إليه: اللهَ اللهَ في دماء المسلمين لا تَسفِكْها، وأمة محمد ﷺ لا تُفرِّقْها، وبيعتك لا تَنْكُثْها.

---

(١) وفيه سقط، ولفظُه في الطبري: يثبت لجمع مذحج وهمدان، وفي «أنساب الأشراف»: اثبت لجمع...
(٢) هو الأعشى الهمداني، والبيتان في الطبري ٦/ ٣٣٧، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢٥.
(٣) في الطبري ٦/ ٣٣٨: تيحان بن أبجر، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٦: بيحان بن الجرّ؟!

وقيل: إن ابن الأشعث كتب إلى المهلَّب وهو على خراسان ليُوافقه على الحجاج، فكتب إليه: يا ابنَ الأشعث، لقد وضعتَ رِجْلَك في غَرْزٍ طويلِ الغَيِّ على أمة محمد ﷺ.

وكتب المهلَّب إلى الحجاج: إن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثلَ السَّيلِ المُنْحَدِر من عَلٍ، لا يَرُدُّه شيء حتى ينتهي إلى قراره، وإن لهم شِرَّةً في أول مَخرجهم، وبهم صَبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فلا يَرُدُّهم شيء حتى يَنتهوا إليهم، فخلِّ لهم عن البصرة حتى يأتوها فيُواقِعوا نساءهم، ويَشمُّوا أولادهم، فترِقّ قلوبُهم، فيخلدوا إلى المقام في منازلهم، فيتفرَّقوا عن ابن الأشعث، ثم واقِع مَن جاءك منهم، فإن الله ناصرُك عليهم.

فلما قرأ الحجاج كتابَه قال: فعلَ الله به وصنع، ما لي نظر، ولكن لابن عمِّه نَصح، وبعث بكتابه إلى عبد الملك، فلما قرأه نزل عن سريره، وبعث إلى خالد بن يزيد، فأقرأه الكتاب، فلما قرأه ورأى ما به من الخوف والجزع؛ قال له: لا تخف، لو كان الفَتْقُ من خراسان كان، أما من سِجستان فلا بَأْسَ عليك.

ثم قام عبد الملك خطيباً وقال: أما بعد، فإن أهلَ العراق طال عليهم عُمري؛ فاستعجلوا عليّ، اللهم سلِّطْ عليهم سيفَ أهل الشام حتى يَبلغوا رِضاك، فإذا بلغوا رِضاك لم يَتجاوزوا إلى سُخْطك.

ثم سَرَّب عبد الملك الجيوشَ إلى الحجاج، وعزَم الحجاج على لقاء ابنِ الأشعث، فسار من البصرة، فنزل إلى تُسْتَر، وقدَّم بين يديه مظهر بن حيّ[1] الجُذَاميّ، وعبد الله ابن رِمْث[2] الطّائيّ في خيل، فالتقوا على دُجَيل الأهواز بأصحاب ابن الأشعث؛ وعليهم عبد الله بن بيان[3] الحارثي في خيل، فهزموا أصحابَ الحجاج، وذلك في يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين، وقتلوا منهم خلقاً عظيماً.

وجاء الحجاج الخبرُ وهو يخطب، فنزل وعاد إلى البصرة، وخيلُ ابن الأشعث في طلبه، وكان عامله على البصرة الحكم بن أيوب ابن أبي عقيل الثقفي، وجاء أهل العراق إلى البصرة، فخرج الحجاج فنزل الزّاوية، وجاء أهل البصرة فنزلوا دورهم،

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٣٩ : مطهر بن حر، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣٩ : مظهر بن حيي.

(٢) في (د): رمثة، وفي الطبري: رميثة.

(٣) في الطبري ٦/ ٣٤٠ : عبد الله بن أبان، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٤٠ : محمد بن أبان بن عبد الله.

فقال الحجاج: لله درُّ المهلَّب، لقد أشار علينا بالرأي فلم نقبل، وكان يقول الحجاج بعد ذلك: رحم الله المهلَّب؛ لقد كان ناصحاً للإسلام.

وفي رواية: أن الحجاج نزل رُسْتُقباذ، وعامله على البصرة الحكم على الصلاة، وعلى الشرطة عبد الله بن عامر بن مِسْمَع، وجاء ابن الأشعث فنزل تُسْتَر، وبينهما نهر، وذلك عشية يوم الأضحى، فواقعَهم، فقتل من أهل الشام ألفاً وخمس مئة، وانهزم الباقون، وكان مع الحجاج يومئذ خمسون ألف ألف درهم[1]، ففرَّق الجميعَ في قُوَّاده، وضمَّنهم إياها، وأقبل مُنهزماً إلى البصرة، فقال ابن الأشعث: أما الحجَّاج فليس بشيء، وإنما نريد غزوَ عبد الملك.

وبلغ أهلَ البصرة هزيمةُ الحجاج، وأراد عبد الله بن عامر بن مِسْمَع أن يقطع الجسرَ دونه، فرَشَاه الحكم بن أيوب مئة ألف درهم فكفَّ عنه، ودخل الحجاج البصرة، وعرفه الحكم، فأرسل إلى ابن عامر فأخذ منه المئة ألف، وجاء ابن الأشعث فدخل البصرة، وهرب الحجاج إلى ناحية العراق، وبايع أهلُ البصرة ابنَ الأشعث على قتال الحجاج وحربِ عبد الملك، من القُرَّاء وغيرِهم.

ذكر أسامي أعيان مَن بايعه من أهل العراق:

مسلم بن يَسار، وجابر بن زيد أبو الشَّعْثاء، وأبو الجوزاء وقتل معه، وأيّوب بن القِرِّيَّة، وماهان العابد، قتلهما الحجاج، وأنس بن مالك في جملة القُرّاء.

ومن أهل الكوفة: سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر الشعبي، وطَلحة بن مُصَرِّف، وذرّ، وعبد الله بن شدّاد، وأبو البَخْتَري الطائيّ، والحكم بن عُتبة، وعون بن عبد الله بن مَسعود الهُذَليّ، في خلقٍ عظيم.

وكان ابن الأشعث في مئتي ألف فارس، وعشرين ومئة ألف راجل، وكان دخوله البصرة في آخر ذي الحجة سنة إحدى وثمانين.

فصل: [قال أبو معشر:] وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك.

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٤١: مئة وخمسون ألف ألف.

وكان على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق الحجاج دون البصرة، والمهلب على خراسان، وعلى قضاء الكوفة أبو بُردَة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَينة.

[قال الواقدي:] وفيها ولد ابن أبي ذئب.

[فصل:] وفيها توفي

بَحِير بن وَرْقاء[1] الصُّرَيْميّ

وهو الذي تولَّى قتلَ بُكَيْر بن وِشاح بأمر أميَّة بن عبد الله لما كان بخراسان.

قال علماء السير: ولما عُزل أميّة عن خراسان تواعد بنو سعد بَحِيراً بالقتل، وقال عثمان بن رجاء - من بني عوف بن سعد - يحرِّض الأبناء من آل بُكَير على قتل بَحِير، من أبيات: [من الطويل]

فلو كنتَ من سعدِ بنِ عوفٍ ذؤابةً ... تركتَ بَحِيراً في دمٍ مُتَرَقْرِقِ
فقل لبَحِيرٍ نَمْ ولا تَخْشَ ثائراً ... بعَوفٍ فعوفٌ أهلُ شَاةٍ حَبَلَّقِ[2]
دَع الضَّأنَ جذعاً قد سُبِقتم بوِتْرِكم ... وصرتُم حديثاً بين غَربٍ ومَشْرِقِ

وبلغ بَحيراً فقال: [من الطويل]

تواعَدَني الأبناءُ جهلاً كأنما ... يَرَون فِنائي مُقْفِراً من بني كَعْبِ
رفعتُ له كَفّي بحَدٍّ مُهَنَّدٍ ... حُسامٍ كلَونِ الثَّلْجِ ذي رَوْنَقٍ عَضْبِ

فتعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد على الطَلَبِ بدم بُكَيْر بن وِشاح، واتَّخذَ رجلٌ منهم يقال له: صَعْصَعة بن حرب العَوْفيّ خنجراً وسمّه، وقيل: غَمَسه في لبن أتانٍ مراراً، وكان بَحير في عسكر المهلَّب وقد قطع النهر، فتلطّف صعصعة حتى أخذ كتاباً من أهل بحير إلى بحير بالوصية به، فلما قدم على بَحير أقام عنده شهراً، ثم طعنه بالخنجر فقتله، وقُتل صعصعة.

---

(١) كذا في تاريخ الطبري ٦/ ٣٣١، وسلف ص٢١٦ أن الصواب: وِقاء.

(٢) أي: صغيرة، والأبيات هذه والتي تليها في الطبري ٦/ ٣٣١، ٣٣٢.

[فصل: وفيها توفي]

سُوَيد بن غَفَلَة

ابن عَوْسَجَة بن عامر بن وَدَاع بن معاوية بن سعد بن المغيرة بن مَذْحِج[١]، وكنيته أبو أمية، كناه بها عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

[وذكره ابن سعد] في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وقال: أدرك رسول الله ﷺ، ووفد عليه فوجده قد قبض، فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم، وشهد مع علي عليه السلام صفين، وسمع ابن مسعود، [ولم يسمع من عثمان شيئاً، وهذا قول ابن سعد[٢].

وقال ابن منده: أدرك دفن رسول الله ﷺ وهم ينفضون أيديهم من التراب.

قال ابن منده:] وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام.

وكان يقول: أنا لِدَةُ رسول الله ﷺ، لأنه وُلد عامَ الفيل، وقيل: قبله بسنتين.

قال الشعبي: قال سويد: أنا أصغر من رسول الله ﷺ بسنة.

وشهد خطبة عمر رضوان الله عليه بالجابية، وقال: أتانا مُصَدِّق رسول الله ﷺ فأخذتُ بيده، فقرأتُ في عهده، فإذا فيه: أن لا يُفَرَّقَ بين مجتمع، ولا يُجمَع بين مُتَفَرِّق، فأتاه رجل بناقةٍ عظيمةٍ مُلَمْلَمَة، فأبى أن يأخذها، ثم أتاه آخر بناقة دونَها، فأبى أن يأخذها، ثم قال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا أتيتُ رسول الله ﷺ وقد أخذتُ خيارَ إبل امرئٍ مسلم.

وقال ابن سعد: كان سويد متوارياً من الحجاج، فكان يُصلّي الظهر يوم الجمعة في جماعة.

[وحكى ابن سعد بإسناده إلى] الحارث بن لَقِيط قال: كان سويد [بن غفلة] يمرُّ بنا في المسجد إلى امرأة له من بني أسد هاهنا، وهو ابن سبع وعشرين ومئة سنة.

---

(١) كذا، وفي «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩٠ ، و«تهذيب الكمال» وفروعه: سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر بن وداع ابن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩٠ ، وما بين معكوفين من (ص).

وقال ابن سعد: أذَّن يوماً بالهاجرة، فسمعه الحجاج وهو بالمَدَرَة[١] فدعاه وقال: ما حملك على الصلاة بالهاجرة؟ فقال: صليتُها مع أبي بكر وعمر وعثمان، فقال الحجاج: لا تُؤذّن لقومك ولا تَؤُمَّهم.

وقال [ابن أبي الدنيا بإسناده إلى] عمران بن مسلم قال: كان سويد بن غَفَلة إذا قيل له: أعطِ فلاناً، ووَلِّ فلاناً، يقول: حسبي كِسرتي ومِلحي، قال: وكان سويد يقول: إذا أراد الله أن ينسى أهلَ النار؛ جعل كلَّ واحدٍ منهم في تابوت من نار على قَدْره، ثم أقفل عليهم بأقفال من نار، ثم يُجعل التابوت في تابوتٍ آخر، ثم يُضرم بينهما ناراً، فلا يرى أحدٌ منهم أنه قد بقي في النار غيره.

[وروى أبو نعيم قال:] كان سويد يؤمُّ الناس في رمضان وقد أتت عليه عشرون ومئة سنة، وكان يمشي إلى الجمعة ماشياً[٢].

وقال علي بن المديني: دخلتُ منزلَ أحمد بن حنبل، فما شبَّهتُ بيتَه إلا بما وُصِف لنا من بيت سُويد بن غَفَلة من زهده وتواضعه[٣].

وقال ابن عبد البر[٤]: شهد سويد القادسية، فصاح الناس: الأسدَ الأسدَ، فخرج إليه سويد، فضربه بالسيف على رأسه، فمر في فَقار ظهره، فخرج من ذَنَبه، وأصاب حَجراً ففلقه.

وحكى ابن عساكر عنه أنه افتض جارية بكراً وهو ابن سبع وعشرين ومئة سنة.

[ذكر وفاته:

حكى ابن سعد، عن الواقدي قال:] توفي سُويد بن غَفَلة بالكوفة، سنة إحدى ـ أو اثنتين ـ وثمانين، وهو ابن مئة وثمان وعشرين سنة[٥]، وأوصى أن لا يُؤْذَن بموته أحد، وأن يُكَفَّن في ثوبيه، ولا تتبعه امرأة.

---

(١) هي القرية من الطين، وفي (أ) و(د): بالمدر، وفي «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩١ ، و«الحلية» ٤/ ١٧٥ : بالدير.

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ١٧٦ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٧ـ٢٢٨ ، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢١ـ٢٢ .

(٣) «تهذيب الكمال» (ترجمة سويد).

(٤) في «الاستيعاب» (١٠٩٣).

(٥) بعدها في النسخ خلا (ص): وقيل سبع وعشرين، وقيل ثلاثين ومئة، والمثبت سياق (ص)، والخبر في «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٩١ .

[وذكر جدّي رحمه الله في «أعمار الأعيان» أن سُويد بن غَفَلة توفي وله سبع[1] وعشرون ومئة سنة، قال: وماتت سارة زوجة الخليل عليه السلام لهذا السنّ. وقيل: مات سويد وهو ابن ثلاثين ومئة سنة، والله أعلم.]

أسند عن عمر، وعلي، وبلال، وابن مسعود، وأبي ذَرّ، وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم. وصحب أبا بكر رضوان الله عليه.

وروى عنه الشعبي، وعَبْدة بن أبي لُبابَة، وطلحة بن مصرف وغيرهم. وكان ثقةً، زاهداً، كثيرَ الحديث.

[فصل: وفيها توفي]

محمد بن الحَنَفيَّة

وهو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، وأمه الحنفيَّة خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يَرْبوع بن ثعلبة بن الدُّول بن حَنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر ابن وائل، ويقال: بل كانت من سَبْي اليمامة، فصارت إلى علي عليه السلام.

ومحمد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكنيته أبو القاسم.

[وقد ذكرنا قول النبي ﷺ لعلي: «سيولد لك من بعدي، قد نحلته اسمي وكنيتي»[2].

واختلفوا في مولده، فقال قوم:] ولد في خلافة أبي بكر رضوان الله عليه.

[وقال ابن أبي حاتم: ولد] لثلاث سنين، أو لسنتين بَقِين من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، في السنة التي ولد فيها سعيد بن المسيب[3].

[ذكر طرف من أخباره:

قال علماء السير، منهم الشيخ الموفق: كان محمد بن الحنفية] عاقلاً، فاضلاً، ذا دين وعلم وعبادة، وكان حامل راية أبيه يوم الجمل، وكان أيِّداً، [أي:] قوياً، ذكر أن

---

(١) في (ص): تسع، وهو تصحيف، صوابه من النسخ الأخرى، و«أعمار الأعيان» ص ٩٨.

(٢) هو مرسل انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٥٧، والسير ٤/ ١١٥، وبنحوه أخرجه أحمد (٧٣٠) بإسناد صحيح كما ذكر محقّقوه. وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «الجرح والتعديل» ٨/ ٢٦، ونقله ابن عساكر ٦٣/ ٣٥٣.

أباه علياً رضوان الله عليه كان بين يديه درع فقال: ينبغي أن يُقَصَّر هذا الدرع من هذا المكان، فأخذه محمد فشرطه بيده من ذلك الموضع[١].

[وقال الهيثم:] كان من عقلاء الناس [وأجوادهم]، معتزلاً للفتن وما الناس فيه من طلب الدنيا، وكانت القلوب مائلة إليه.

[وقال ابن سعد: كان محمد حاملَ راية أبيه يوم صفّين][٢].

وكان المختار يدعو إليه ويقول: إنه المهديّ، وهذا مذهب الكَيْسانيّة؛ وهم طائفة من الشيعة من أصحاب المختار، وكان المختار يُلَقَّب بكَيْسان، وقيل: الكيسانية أصحاب كيسان مولى علي عليه السلام، وقيل: كان تلميذَ محمد ابن الحنفية، وأما المختارية فأصحاب المختار، وجماعة منهم يزعمون أن محمد ابن الحنفية بجبل رَضْوى في شِعب منه مقيم لم يمت، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه، فلم يُوقف لهم على خبر، وأنهم أحياء يُرزَقون، وممن كان يذهب إلى هذا المذهب كُثَيِّر عَزَّة، والسيِّد الحِميريّ، ولهما فيه أشعار كثيرة[٣].

قال كُثَيِّر[٤]: [من الوافر]

ألا إنّ الأئمّةَ من قُريشٍ ... وُلاةُ الأمرِ أربعةٌ سَواءُ

عليٌّ والثلاثةُ من بَنيهِ ... هم الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ

فسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وسِبطٌ غيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ

وسِبطٌ لا يذوقُ الموتَ حتى ... يَقودَ الخيلَ يَقْدُمُها اللِّواءُ

يَغيبُ فلا يُرى فيهم زماناً ... برَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

ومنهم من يقول: إنه برَضْوى مقيم بين أسد ونمر، وعنده عينان نضَّاختان تجريان عسلاً وماءً، وأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً، ومن أشعار السيِّد الحِميَريّ، وهو إسماعيل بن محمد: [من الوافر]

---

(١) «التبيين» ١٣٥ـ١٣٦.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٥.

(٣) انظر «الملل والنحل» ١/ ٢٠٠.

(٤) ديوانه ص ٣٧.

ألا قـلْ لـلإمـام فَـدَتْـكَ نَـفْـسـي أطـلْـتَ بـذلـك الـجـبـلِ الـمُـقـامـا
أضـرَّ بـمـعـشَـرٍ والَـوْكَ مـنّـا وسَـمَّـوك الـخـلـيـفـةَ والإمـامـا
وعـادوا أهـلَ هـذي الأرضِ طُـرّاً مُـقـامُـك فـيـهـمُ سـتّـيـن عـامـا
ومـا ذاق ابـنُ خَـولَـةَ طَـعْـمَ مَـوْتٍ ولا وارتْ لـه أرضٌ عِـظـامـا
لـقـد أمـسـى بـمَـوْرِقِ شِـعْـبِ رَضْـوى تُـراجـعُـهُ الـمـلائـكـةُ الـكـلامـا
هـدانـا الـلـه إذ جِـرْنـا لأمـرٍ بـه ولـدَيْـه نَـلْـتَـمِـسُ الـتّـمـامـا

وقال السيّد أيضاً: [من الكامل]

يا شِعْبَ رَضْوى ما لـمَن بك لا يُرى وبـنـا إلـيـه مـن الـصَّـبـابـةِ أوْلَـقُ
حتّى متى وإلى متى وكم المدى يـا ابـن الـوَصِـيِّ وأنـت حـيٌّ تُـرزَقُ(١)

قال ابن سعد: جاء رجل إلى ابن الحنفيّة، فسلم عليه وقال: كيف أنتم؟ فقال محمد: إنما مَثَلُنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل في آل فرعون، كان يُذَبِّح أبناءهم، ويَستحيي نساءهم، وإن هؤلاء يُذَبِّحون أبناءنا، ويَنكحون نساءنا بغير أمرنا(٢).

وكان محمد يقول: ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لم يجد من معاشرته بُدّاً، حتى يجعل الله له فَرَجاً ومَخْرجاً.

[وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه] قال: مَن كَرُمَتْ نفسُه عليه؛ لم يكن للدنيا عنده قَدْر.

وقال: إن الله جعل الجنةَ ثَمناً لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

وقال: كلُّ ما لا يُبتَغى به وَجهُ الله يَضْمَحلّ(٣).

[وروى أبو نعيم أيضاً بإسناده إلى] علي بن الحسين ﵄ قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدَّدُه ويتوعَّدُه، ويحلف أنه يبعث إليه مئة ألف في البحر، ومئة ألف في البر، أو يُؤدّي إليه الجِزية، فسقط في ذَرْعه، وكتب إلى الحجاج: أن اكتُب إلى ابن الحنفيّة فتوعَّدْه وتَهَدَّدْه، ثم أخبرني بما يَرُدُّ عليك، فكتب الحجاج إليه يتوعَّده بالقتل، فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله في كل يوم إلى خلقه ثلاث مئة وستين [لحظة،

---

(١) الأشعار الثلاثة في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٥١-٣٥٢ ، و«السير» ٤/ ١٢٢-١١٣ ، وفي حواشيهما فضل تخريج.
(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٦ .
(٣) «حلية الأولياء» ٣/ ١٧٥-١٧٧ ، و«التبيين» ١٣٦ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٩ ، وما بين معكوفات من (ص).

أي:] نظرة، وانا أرجو أن يَنظرَ الله إليّ نظرة يمنعني بها منك. فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك نسخته إلى ملك الروم، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا من أهل بيتك، ما خرج إلا من بيت نُبُوّة[١].

[ذكر ابن عساكر القصة، وقال: إن عبد الملك استقدم محمداً إلى دمشق، وسأله عن جواب ملك الروم. وذكر القصة[٢].]

وذكر ابن عساكر أيضاً أن محمد ابن الحنفية وفد على عبد الملك[٣] بدمشق في سنة ثمان وسبعين، فأنزله قريباً منه، وأكرمه وأحسن إليه، فأقام عنده شهراً، فأجازه وقضى حوائجه، وقال له: أتذكر يومَ صرعتَ مروان وجلست على صدره يوم الجمل، فقال محمد: عفواً[٤]، فقال عبد الملك: ما ذكرت لك ذلك وأنا أريد أن أكافئك، وإنما أردتُ إعلامَك أني قد علمتُ.

وذكر ابن سعد عن محمد ابن الحنفية قال: وفدتُ على عبد الملك فقضى حوائجي، وودَّعتُه، فلما كدتُ أن أتوارى عنه ناداني: يا أبا القاسم، مرتين، فكررت إليه، فقال لي: أما إن الله يعلم أنك يوم صنعت بالشيخ ما صنعت أنك كنت ظالماً له، يعني حين أخذ ابنُ الحنفية مروانَ يوم الدار، فلَبَّبَه بردائه، قال عبد الملك: وأنا أنظر إليه ولي يومئذ ذؤابة[٥].

وقيل لمحمد: ما بالُ أبيك كان يرمي بك في أماكن لا يرمي فيها الحسن والحسين؟! فقال: كانا خدَّيْه، وكنتُ يدَه، فكان يَتَوقّى بيده عن خدَّيه[٦].

وكان محمد ابن الحنفية يخضب بالحِنّاء والكَتَم، فقيل له: أكان أبوك يَخْضِب؟ قال: لا. قيل: فما بالك؟ فقال: أتشَبَّب للنساء.

---

(١) «حلية الأولياء» ٣/ ١٧٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٢٩_٢٣٠.

(٢) ذكر ابن عساكر القصة ٦٣/ ٣٦٢ من طريق أبي نعيم، دون ذكر استقدام عبد الملك لمحمد.

(٣) في النسخ خلا (ص): وقال ابن عساكر وفد محمد بن الحنفية على عبد الملك، والمثبت من (ص)، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٤٨.

(٤) في (ص): غفراً.

(٥) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٣.

(٦) «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٦٤.

[وقال ابن سعد:] كان يَلبَس الخَزّ، ويتعمَّم بعمامة سوداء، ويتختَّم في يساره، وكان يَفلي رأسَ أُمِّه ويُمَشِّطها(١).

ذكر وفاته:

حكى ابن سعد عن الواقدي قال(٢): مات محمد في سنة إحدى وثمانين وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: ابن خمس وستين سنة، وكانت وفاتُه في المحرَّم، ودُفن بالبقيع، وجاء أبان بن عثمان وهو والي المدينة ليصلّي عليه، فقال أبو هاشم بن محمد: لا تُصَلِّ عليه حتى تطلب ذلك منا، فقال أبان: أنتم أولى بجنازتكم، فقدِّموا مَن شئتم. فقال أبو هاشم: نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ولولا ذلك لما قدَّمْناك، فقَدَّموه، فصلّى عليه(٣).

وقيل: مات سنة ثلاث وثمانين أو اثنتين وثمانين. وقيل: إنه توفي بأيلة. وقيل: بين الشام والمدينة، والأول أشهر(٤).

ذكر أولاده:

فولد محمد ابن الحنفية عبد الله وهو أبو هاشم، وحمزة، وعلياً، وجعفراً الأكبر، وأُمُّهم أمُّ ولد.

والحسن، وكان من ظرفاء بني هاشم، وأهل العقل منهم، وهو أول مَن تكلَّم في الإرجاء، ولا عقب له. وأمه كمال(٥) بنت قيس بن مَخْرَمَة بن المطَّلب بن عبد مَناف.

وإبراهيم، وأمُّه مُسْرِعَة بنت عبَّاد بن شيبان، من قيس عيلان.

والقاسم، وعبد الرحمن، لا بقيَّةَ لهما، وأمَّ أبيْها، وأمهم أم عبد الرحمن، واسمها بَرَّة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٥، والخبر السابق فيه.

(٢) في النسخ خلا (ص): قال الواقدي.

(٣) بعدها في (ص): رحمه الله تعالى انتهت ترجمته والله أعلم. اهـ وانظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ١١٧.

(٤) انظر «المعارف» ٢١٦، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٧٢_٥٧٣، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٣٩٠_٣٩٣، والتبيين ١٣٦، و«السير» ٤/ ١٢٨_١٢٩.

(٥) كذا في النسخ، وفي «نسب قريش» ٧٥، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤، و«أنساب الأشراف» ٢/ ٥٥٣: جمال.

وجعفراً الأصغر، وعوناً، وعبدَ الله الأصغر، وأمهم أم جعفر بنت محمد بن جعفر ابن أبي طالب.

وعبد الله، ورقيَّة لأمّ وَلَد[١].

فأما أبو هاشم فأكبر ولده، وكان من العلماء الأشراف، نذكره سنة تسع وتسعين.

قال الزبير بن بكار: وأمُّه أمُّ وَلَد تُدعى نائلة، وولدت لمحمد ابن الحنفية جعفراً الأكبر [وحمزة] درجا، وعلياً بني محمد[٢].

وأما الحسن فكان يُقدَّم على أخيه عبد الله، مات وليس له عقب، وسنذكره سنة أربع وتسعين.

وأما إبراهيم فكان يلقَّب شعيرة[٣].

وأما القاسم [فكان] مُؤَخَّذاً عن مسجد رسول الله ﷺ لا يقدر أن يدخُلَه[٤].

أسند محمد ابن الحنفية رضي الله عنه عن أبيه علي عليه السلام، وجماعة من الصحابة، ومعظم رواياته عن أبيه رضوان الله عليه.

السنة الثانية والثمانون

فيها كانت وقائع الحجاج وابن الأشعث، منها وقعة الزَّاوية، وكانت في أول المحرَّم، اقتتلوا قتالاً شديداً، وقال الحجاج: لله درُّ مصعب بن الزبير ما كان أكرمه! فعلم أهل الكوفة أنه لا يفر حتى يُقتَل، فقاتلوا دونه هم وأهل الشام، منهم سفيان بن الأَبْرد، فحمل على ميمنة ابن الأشعث فهزمها، وقتل جماعة من القراء، وقُتِل ابن المنذر بن الجارود[٥]، وعبد الله بن عامر بن مِسْمَع، وقُتل الطُّفَيل بن عامر بن واثِلة، وانهزم ابن الأشعث والناس معه إلى الكوفة، وبلغ أهل الكوفة فخرجوا إليه، فاستقبلوه وفرحوا به، وكان القصر قد عَصى فيه مَطر بن ناجية، فأخذوه وأتوا به ابن الأشعث،

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٩٤.

(٢) «نسب قريش» ٧٥، وما بين معكوفين منه.

(٣) في «المعارف» ٢١٧ : يلقب بشعرة.

(٤) «المعارف» ٢١٧ وما بين معكوفين منه.

(٥) في الطبري ٦/ ٣٤٣ : وقُتل المنذر بن الجارود.

فأراد قتلَه، فقال: استَبْقِني فإني أعظمُ فُرسانك، فاستبقاه وبايعه، ودخل وجوه أهل الكوفة فبايعوا ابن الأشعث، وأتاه العلماء والزُّهَّاد من الأمصار.

وقتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفاً، نادى مناديه بالأمان، ثم قتلهم إلا واحداً كان ابنه معه[١]. وأقام الحجاج بالبصرة إلى أوَّل صفر، واستخلف عليها أيّوب بن الحكم ابن أبي عقيل، وسار من البصرة في البرّ حتى مرَّ بين القادسية والعُذَيْب، فبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في خيل عظيمة، فمنعه من نزول القادسية، ثم سايروه إلى دَير قُرَّة، فنزل الحجاج به، وجاء ابن الأشعث فنزل دير الجَماجم، وكان نزول ابن الأشعث بدير الجماجم في شعبان.

وتفاءل الحجاج بذلك، فكان يقول بعد الوقعة: قاتل الله ابن الأشعث، أما كان يَزجُر الطيرَ حتى رآني قد نزلتُ بدير قُرَّة، ونزل هو بدير الجَماجم، أي: أستقرُ بالبلاد، وتقر عيني، وتكثر جماجم أصحابه، ودير قُرَّة مما يلي الكوفة ـ.

واجتمع أهل الكوفة والبصرة، وأهل الأمصار والثغور، والقراء من المصريين على حرب الحجاج والبغضِ له، وكانوا مئةَ ألف مقاتل ممَّن يأخذ العطاء، ومعهم مثلُهم من مواليهم، وأما المطَّوّعة فخلقٌ لا يُحصَون، وجاءت أمداد الشام إلى الحجاج، وكان في عزمه أن ينزل قريباً من الجزيرة والشام، أو يرتفعَ إلى هِيت ليكون قريباً من عبد الملك، فلما مر بدير قُرَّة تفاءل به وقال: عينُ التَّمرِ قريبةٌ منا، وخندق على عسكره، وخندق ابن الأشعث أيضاً، وكانوا يخرجون من الخنادق فيقتتلون.

وكان على ميمنة ابن الأشعث الحجاج بن جارية الخَثْعَميّ، وكان على ميسرته الأَبْرَد ابن قُرَّة التَّميمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس الهاشمي، وعلى رجَّالته محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى القُرَّاء جَبَلَة بن زَحْر بن قيس الجُعْفِيّ، وكان فيهم عامر الشَّعبيّ، وسعيد بن جُبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو البَخْتَري الطائي وغيرهم.

وكان على ميمنة الحجاج عبد الرحمن بن سليمان[٢] الكنانيّ، وعلى ميسرته عُمارة ابن تميم، وعلى خيله سفيان بن الأَبْرد، وعلى الرجَّالة عبد الله بن حبيب، ودام القتال

---

(١) انظر الطبري ٦/ ٣٨١ .

(٢) في الطبري ٦/ ٣٤٩ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٣٣ : سليم.

بينهم أياماً، فقال رؤساء قريش ووجوه أهل الشام لعبد الملك: إن كان إنما يُرضي أهلَ العراق عَزْلُ الحجاج عنهم؛ فإن نَزْعَه أيسرُ من حربهم؛ فاعزله عنهم تَخلص لك به طاعتُهم، وتحقن به دماء الفريقين.

فأجابهم وبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان ـ وكانا بأرض الموصل ـ وأمرهما أن يَعرضا على أهل العراق عَزْلَ الحجاج عنهم، وأن يُجري عليهم أعطياتهم على عادتهم وزيادة، وأن يَنزل ابنُ الأشعث أيَّ بلد اختار، يكون عليه والياً مادام حياً، فإن قبلوا ذلك فانزع الحجاج عنهم، ويكون محمد بن مروان أمير العراق، وإن أبَوا فالحجاج أميرٌ عليهم ووليُّ القتال، وعبد الله بن عبد الملك ومحمد ابن مروان في طاعته.

فلم يأت الحجاجَ أمرٌ كان أشدّ عليه ولا أعظم؛ مخافةَ العَزْل، فكتب إلى عبد الملك: والله لئن عزلتَني عن العراق لا تزيد أهلَه إلا جَراءة عليك، وقد رأيتَ عثمان لما سألوه عَزْلَ سعيد بن العاص فعزله عنهم كيف ساروا إليه فقتلوه، إن الحديدَ بالحديدِ يُفلح، والسلام.

فلم يلتفت عبد الملك إلى قوله طلباً للعافية، وخرج عبد الله بن عبد الملك ومحمد ابن مروان إلى صفوف أهل العراق، وذكرا ما قال لهما عبد الملك، فقالوا: حتى ننظر ونرى، واجتمعوا العشية عند ابن الأشعث، فقال لهم: إنكم قد أُعطيتم أمراً انتهازُكم له فُرصة، وأنتم اليوم على النّصف، فاقبلوا ما عَرض عليكم وأنتم أعزَّاء أقوياء، ويوم تُسْتَر بيوم الزّاوية، والقوم لكم هائبون، فاقبلوا العافية، فوثب الناس من كل جانب وقالوا: إن الله قد أظهرنا عليهم، وقد ذَلُّوا واستكانوا، وأهلكهم الجوع والضِّيق، ونحن في كثرة من العَدَد والمادة.

وقيل: إن ابن الأشعث قال: ألا إن بني[1] مروان يُنسبون إلى الزّرقاء، وهم أعلاجٌ من أهل صَفُّورِية، ونحن أصل العرب ومادَّتها. ونال من بني أبي العاص، وردُّوا عليهم، فقال عبد الله ومحمد للحجاج: دونك والجيش فأنت الأمير، ثم أخذوا

(١) في النسخ: ابن، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٤٩.

يَقتتلون كل يوم، والمادة تأتي ابن الأشعث من البصرة والكوفة والسواد، وأهلُ الشام في قلّة من الزاد وغيره، فأقاموا على هذا مدّة هذه السنة.

وفيها عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة في جمادى الآخرة، وولّى هشامَ ابنَ إسماعيل المخزومي، فكانت ولايةُ أبان سبعَ سنين وثلاثة أشهر وأياماً، وكان قد استقضى نَوفل بن مُساحق العامري على المدينة.

وقيل: إنما استقضاه يحيى بن الحكم، وأقرَّه أبان، فعزله هشام بن إسماعيل، واستقضى مكانه عمرو بن خالد الزُّرَقي.

وحجَّ بالناس هشام بن إسماعيل، وقيل: أبان، وكان العراق فيه من الفتن ما فيه، وكان المغيرة بن المهلب قد مات في هذه السنة، وكذا المُهلَّب، فولّى الحجاج خراسان يزيد بن المُهَلَّب.

فصل: وفيها توفي

أسماء بن خارجة

أبو مالك[1] الفَزاري الكوفي، أحد الأجواد.

وفد على عبد الملك بن مروان فقال له: بلغني عنك خصال شريفة، فأخبرني بها، فقال: إن استماعَهنّ من غيري أحسن من استماعهنّ مني، فقال: أقسمتُ عليك إلا أخبرتني بهنّ، فقال: يا أمير المؤمنين، ما سألني أحدٌ حاجة إلا وقضيتُها كائنة ما كانت، ولا أكل رجلٌ من طعامي إلا رأيتُ له الفضلَ علي، ولا أقبلَ عليّ رجلٌ بحديث إلا وأقبلت عليه بسمعي وبصري، حتى يكون هو المولّي عني، فقال: حقّ لك أن تشرف وتسود وهذه خصالك.

وجاء أسماء يوماً فرأى على بابه شاباً فقال له: ما يُقعدك ها هنا؟! فقال: حاجة. فألحّ عليه، فقال: خرجت من هذه الدار جارية فاختطفت قلبي، فأدخله الدار وعرض عليه كل جارية له وهو يقول: لا، حتى مرت عليه جارية فقال: هي هذه، فقال له:

(١) في النسخ: بن مالك، وهو خطأ، والمثبت من المصادر، انظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٣٥، و«السير» ٣/ ٥٣٥.

اخرج واجلس على الباب، فخرج وجلس، وخرج إليه بعد ساعة وهي معه، فقال: ما أبطأتُ عليك إلا لأنها لم تكن لي، وإنما هي لأختي ساومتني[١] ثمناً كبيراً، فاشتريتها بثلاثة آلاف درهم، فأخذها وانصرف.

[وفيها توفي]

أبو الشَّعْثاء

[واسمه] سُلَيم بن أسود بن حَنْظلة المُحاربي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

روى عن ابن عمر، وابن مسعود، وحُذَيفة، وأبي هريرة، وغيرهم، وروى عنه ابنُه أشعث، وأبو مالك الأشْجَعيّ، والنخعي، وغيرهم.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمة الله عليهما: سئل أبي عن أبي الشَّعْثاء: أثقة هو؟ قال: بخ بخ. توفي بالكوفة زمنَ الحجّاج[٢].

عبد الرحمن بن يزيد

ابن قيس النَّخعَي، أبو بكر، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، كان يسجد على كُورِ عمامته، قد حالت بين جبهته والأرض.

روى عن ابن مسعود، وتوفّي في ولاية الحجاج قبل الجماجم، وكان ثقة وله أحاديث، وكان يَلْبَس عمامة سوداء[٣].

[فصل: وفيها توفي]

عمر[٤] بن عُبيد الله

ابن مَعْمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة [وكنيته] أبو حفص [التيّمي]، أحد أجواد قريش.

---

(١) في (ب) و(خ): حتى ساومتني، وفي «المنتظم» ٦/ ٢٣٦ : كانت لبعض بناتي، وقد اشتريتها...

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣١٤ ، و«تهذيب الكمال» (٢٤٦٨)، و«السير» ٤/ ١٧٩ .

(٣) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٤٢ ، و«السير» ٤/ ٧٨ .

(٤) في (أ) و(ص) وما بين معكوفين منها: عمرو.

ولد بعدما استشهد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

قال محمد بن قدامة[١]: كان يقال: ما مات رجل نَبيهٌ قطّ فسُمِّي أولُ مولود باسمه إلا نَبَه.

ولما قتل عمر بن الخطاب وَلَدت زوجة عثمان بن عفان، فقال لها: سَمِّيه عمر، فقالت له: قد سبقتْك زوجةُ عُبيد الله بن مَعْمَر.

[وقال المدائني: وُلد سنة ثلاث وعشرين، مَقْتَلَ عمر رضي الله عنه].

وكان عمر بن عبيد الله جواداً شجاعاً مُمَدَّحاً، ولي البصرة لابن الزبير وفارس أيضاً، وكان يُقاوم قَطَرِيَّ بن الفُجاءة، وهو الذي ضرب جَبينه ففَلَقه، فلذلك قيل لقَطَري: المُفَلَّق، قال الشاعر: [من الطويل]

وشَدّوا وِثاقي ثم أَلْجَوا خُصومتي إلى قَطَرِيٍّ ذي الجَبينِ المُفَلَّقِ[٢]

وشهد عمر مع عبد الرحمن بن سمرة فتح كابل شاه، وهو كان صاحب الثُّغْرَة، قاتل إلى الصباح.

ووَلّاه عبد الملك بن مروان قتال أبي فُدَيْك الخارجيّ والبحرين، فامتنع، فقال له عبد الملك: أرأيتَ لو كان بين عينيَّ وَتِد أكنتَ تَنْزِعُه؟ قال: نعم، قال: فهذا أبو فُدَيْك هو ذاك، فسار إليه في جماعةٍ من أهل الحِفاظ، والتقَوا بالبحرين، فانكشف أصحابُ عمر، فثبت عمر في خواصّ أصحابه، ودعا[٣] ابنَ الحُصين، ومجاهد بن بَلْعَاء[٤] وغيرهم، وقُتل أبو فُدَيْك.

ولما سار إلى أبي فُدَيْك التقاه العَجَّاج في طريقه، فمدحه بأرجوزة طويلة منها:

قد جَبَر الدِّينَ[٥] الإلهُ فجَبَرْ وعَوَّرَ الرحمنُ مَن ولَّى العَوَرْ

---

(١) في «التبيين» ٣٣٣، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٣٢: وقال محمد بن محمد بن أبي قدامة.

(٢) «التبيين» ٣٣٢، ونسبه المبرد في «الكامل» ١٢٦٨ إلى الفِزْر بن مُهَزِّم العَبْديّ، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في (أ) و(د): وعاد!

(٤) في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٣٣: وثبت عمر ومعه عباد بن الحصين الحبطي ومجاهد بن بلعاء العنبري.

(٥) في النسخ: الرب، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٣٦ والمصادر في حواشيه.

وحدثنا غير واحد عن شُهدة بنت أحمد، بإسنادها عن الرِّياشيّ ـ وذكر القاضي التنوخي الحكاية عن الرياشي ـ أن بعض أهل البصرة اشترى جارية[١]، فأحسن تأديبَها، وأحبَّها حبّاً شديداً، وأنفق عليها مالَه حتى أَمْلَق، فقالت له: قد أرى ما بك من سوء الحال، فلو بِعتَني فانتفعتَ بثمني، وصَلَح حالي أيضاً، فباعها من عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر بمئة ألف درهم، وعمر أمير البصرة يومئذ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية، فبكت وقالت[٢]: [من الطويل]

هنيئاً لك المالَ الذي قد أصبتَهُ ... ولم يَبقَ في كفَّيَّ إلا تَفكُّري[٣]
أقول لنَفْسي وهي في غَشْيِ كُربَةٍ ... أَقِلِّي فقد بان الخليطُ أوَ اكْثِري
إذا لم يكن في الأمر[٤] عندكِ حِيلةٌ ... ولم تجدي بُدّاً من الصَّبر فاصبري

فأجابها مولاها وهو يبكي ويقول: [من الطويل]

ولولا قُعودُ الدَّهرِ بي عنكِ لم يكن ... يُفرِّقُنا شيءٌ سوى الموتِ فاعْذُري
أروحُ بحُزنٍ من فِراقِكِ مُوجِعٍ ... أُناجي به قلباً طويلَ التَّحَيُّرِ
عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وَصْلَ إلا أن يَشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

وسمعهما ابنُ مَعْمر فقال: قد شئتُ، والله لا فَرَّقْتُ [بينهما أو] بين مُحِبَّيْن، خُذِ الجاريةَ والمالَ فهما لك، فأخذهما وانصرف.

[وقال الرياشي:] لقي زياد الأعجم [عمر بن] عبيد الله قبل أن يليَ البصرة، وكان صديقاً له، فقال له عمر: يا أبا أميّة، لو وَليتُ لم أَدَعْك تحتاج إلى أحد أبداً، فلما ولي عمر البصرة جاءه زياد فقال[٥]: [من الطويل]

أبلغْ أبا حَفْصٍ رسالةَ مُحْضَرٍ ... أتتْ من زيادٍ مُسْتَبيناً كَلامُها
فإنكَ مثل الشمسِ لا سِترَ دونها ... وكيف أبا حَفصٍ عليَّ ظَلامُها

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وقال الرياشي: اشترى بعض أهل البصرة جارية، والمثبت من (ص).

(٢) في (ص) زيادة: هذه الأبيات، والقصة والأبيات في «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤٩، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٣٨ـ٢٣٩، و«التبيين» ٣٣٣، و«المنتظم» ٦/ ٢٤١.

(٣) في (ص): تحسري.

(٤) في (خ) و(ب): المرء.

(٥) في (ص) زيادة: فقال: وعدك، وأنشده أبياتاً من الشعر، فلما تمت قال: سل حاجتك.

فقال عمر: لا يكون عليك ظَلامُها أبداً، فقال زياد:

وقد كنتُ أدعو اللهَ في السرِّ أن أرى أُمورَ مَعَدٍّ في يدَيك نِظامُها

قال عمر: قد رأيتَ ذلك، فقال زياد:

فلما أتاني ما أردتُ تباشَرَتْ بَناتي وقُلْنَ[1] العامَ لا شَكَّ عامُها

فقال عمر: هو عامُهنَّ إن شاء الله تعالى، فقال زياد:

وإني وأرض أنتَ فيها ابنَ مَعْمَرٍ أُقيمُ بها لا يَطْرُقَنِّي حَمامُها[2]

فقال ابنُ مَعْمَر: إن شاء الله، فقال زياد:

إذا اخترتُ أرضاً للمُقامِ رَضيتُها لنفسيَ لم يَثقُلْ عليَّ مُقامُها

فقال عمر: وأنا كذلك، فقال زياد:

وكنتُ أُمَنِّي النفسَ فيك ابنَ مَعْمَرٍ أمانيَّ أرجو أن يَتمَّ تَمامُها

فقال له عمر: قد تمَّتْ فسَلْ حاجَتَك، فقال زياد: نَجِيبةٌ وخادمُها، وفرس وسائسُه، وخادمة ودابّتها، وبَدْرَةٌ وحاملُها، وتَخْتُ ثياب ووَصيفٌ يحمله، فقال عمر: قد أمرنا لك بجميع ذلك، وهو لك علينا في كلِّ سنة.

ذكر وفاته:

[اتفقوا على أنه توفي بالشام، وإنما اختلفوا في أي مّكان، فذكر البلاذري أنه] قَدِم على عبد الملك، فنزل مَرْج العَذْراء في سنة اثنتين وثمانين؛ والطاعون يغلي بالشام، فمات في المَرْج، وخرج عبد الملك من دمشق فصلّى عليه، ومشى إلى قبره، وجلس عليه، فقالت امرأة: واسيِّد العرب، فقال لها رجل: أتقولين هذا وأمير المؤمنين يستمع؟! فقال له عبد الملك: اسكتْ، فقد صدقت والله، ولما قام من عند قبره قال: السلام عليك أبا حفص، لقد كنتَ والله لا تَحسُد غنيًّا، ولا تَحتَقِر فقيرنا، وقال: لقد علمتْ قريش أنها فقَدَتْ اليوم ناباً من أنيابها[3].

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): مناي وقلت، والمثبت من المصادر، انظر «الأغاني» ١٥/ ٣٨٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٤٠، وديوانه ١٦٥.

(٢) في المصادر: كمكّةَ لم يطرب لأرض حمامها.

(٣) «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤٧ـ٢٤٨، وانظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٣٩، و«المنتظم» ٦/ ٢٤٢.

وقال شيخنا موفق الدين رحمة الله عليه: مات بضُمَير على خمسة عشر ميلاً من دمشق، وهو ابن ستين سنة، وسبب موته أن ابن أخيه عمر بن موسى خرج مع ابن الأشعث، فأخذه الحجاج، فبلغ عمر وهو بالمدينة، فخرج إلى عبد الملك بسببه، فلما بلغ ضُمَير[١] وصله خبرٌ بأن الحجّاج ضرب عُنُقَ ابن أخيه، فمات كَمداً، ورثاه الفرزدق فقال: [من البسيط]

يا أيُّها الناسُ لا تَبْكُوا على أحدٍ بعد الذي بضُمَيرٍ وافقَ القَدَرا
كانت يداه لنا سَيفاً نَعوذُ به على العدوِّ وغَيْثاً يُنبتُ الشَّجَرا
أمَّا قريشٌ أبا حفص فقد رُزِئتْ بالشَّامِ إذ فارقَتْك البَأسَ والظَّفَرا[٢]

ولما مات عمر لَطَمتْ عليه امرأتُه عائشة بنت طلحة قائمة، وذلك أمارة أن لا تتزوّج بعده أبداً[٣]، [وسنذكره في ترجمتها في سنة ثلاث وعشرين ومئة إن شاء الله].

ذكر أولاده:

[ذكرهم الموفق]؛ منهم طلحة، وكان من سادات قريش، تزوج فاطمة بنت القاسم ابن محمد بن جعفر، وكانت قبله عند حمزة بن عبد الله بن الزبير، فلما احتُضر حمزة قال لفاطمة: كأني بك قد تزوجت طلحة بن عمر، فحلفت له بعَتْقِ رقيقها، وصَدقةِ ما تملك إن تزوَّجته، فلما حلَّت للأزواج خطبها فأخبرته بيمينها، فأضعف لها ذلك، فبلغ عشرين ألف دينار، وأصدقها أربعين ألف دينار، وتزوَّجها، فأولدها إبراهيم ورَمْلة، فزوَّج طلحةُ رَمْلَةَ من إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس بمئة ألف دينار، فقال إسماعيل بن يسار لطلحة: أنت أتجر الناس، فقال: والله ما عايَنْتُ تجارةً قط، قال: وأيُّ تجارة أربح من كونك تزوَّجتَ فاطمة بنت القاسم على أربعين ألف [دينار، فولدت لك إبراهيم ورَمْلة، فزوَّجتَ رملة على مئة ألف] دينار، فربحت إبراهيم وستين ألفاً.

وكان إبراهيم بن طلحة هذا من أشراف قريش وساداتهم، وكانت قريش كأنهم عبيد بالنسبة إليه، وكان إذا مشى في طريق أو رَكِبَ لا يَبْتَدِره أحد من قريش إعظاماً له،

(١) في (ص): فلما وصل إلى ضمير.
(٢) «التبيين» ٣٣٣، وانظر «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤٨، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٤٠، و«المنتظم» ٦/ ٢٤٢، وديوانه ١/ ٢٣٥.
(٣) «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤٣، وما سيرد بين حاصرتين من (ص).

وسقط سوطه يوماً من يده فابتدره ثلاثون من ولد طلحة بن عمر يأخذونه.

وكان لإبراهيم بن طلحة هذا ولد اسمه إسحاق بن إبراهيم، من سَرَوَات قريش، دعاه حسن بن زيد لما كان عاملاً على المدينة إلى القضاء فامتنع، فحبسه، فجاء بنو طلحة كلّهم فدخلوا معه السجن، وبلغ حسن بن زيد فأرسل إلى إسحاق وقال: إنك قد تلاجَجْتَ عليّ، وقد حلفتُ أن لا أُطلِقَك حتى تعمل، فبِرَّ يميني. وأرسل معه جُنْداً إلى مجلس القضاء، فجلس فيه ساعة والجند على رأسه، وجاءه داود بن سَلْم فأنشده: [من الخفيف]

طلبوا الفقهَ والمروءةَ والفضـ ـلَ وفيك اجتمعْنَ يا إسحاقُ

وقام من مجلسه فأعفاه حسن بن زيد، فأرسل إلى داود بخمسين ديناراً، وقال للرسول: قل له: ما الذي حملك على أن تَمدحني بما أكره[(١)]؟

وكان لطلحة بن عمر أولاد غير إبراهيم بن طلحة وهم: محمد، وعبد الرحمن، وعثمان، وجعفر بنو طلحة، وكانوا أشرافَ قريش وساداتهم وسَراتهم.

ولّى المهديُّ قضاءَ المدينة لعثمان بن طلحة، وكان لا يأخذ على القضاء أجراً توَرُّعاً، واستعفى فأعفاه المهدي.

وأوصى جعفر بن طلحة إلى أخيه عثمان بن طلحة بابنه عبد العزيز بن جعفر، فزوّجه عثمان امرأةً من أهل المدينة، وأصدقها عمُّه عثمان صداقاً صالحاً، وماتت المرأة وتركت حُليّاً وفَرْشاً وأثاثاً له قَدْر، فجاء عبد العزيز إلى عمه عثمان بمفاتيح دارها، فقال: هذه المفاتيح، وقد أغلقتُ الباب على ما خَلَّفَتْ، فقال له عثمان: يا ابن أخي، ابعث بالمفاتيح إلى أهل المرأة، وأعرض عما تركتْ، فبعث عبد العزيز بالمفاتيح إلى أهل المرأة، ولم يأخذ من التَرِكة شيئاً.

وكان جعفر بن طلحة من الأجواد، استدان أخوه عثمان دَيناً يبلغ ألفي دينار، فعزم عثمان على الخروج إلى العراق؛ يتعرَّضُ للسلطان ليَقضيها عنه، وبلغ جعفراً فقال: لا بارك الله في مالي بعد أخي عثمان، فدخل على نسائه، فجعل يأخذ الأَسْوِرَةَ من أيديهن، والخَلاخِل من أرجُلهنّ، والحلق من آذانهن، وباع أثاثهن، وقضى دَينه[(٢)].

(١) «التبيين» ٣٣٣_٣٣٥، وينظر «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٥٤ _٢٥٧، و«الأغاني» ٦/ ١٢_١٣. وجاء بعد هذا في (ص): السنة الثالثة والثمانون.

(٢) «التبيين» ٣٣٥_٣٣٦.

ذكر إخوة عمر:

كان له إخوة، منهم: عثمان، ومعاذ، وموسى بنو عبيد الله بن مَعْمَر.

فأما عثمان فخرج إلى الأزارقة، فلما رآهم استقلَّهم وقال: ما هم إلا هؤلاء؟! فقيل له: حسبك بهؤلاء شرّاً، فقال: أبيتُم يا أهل العراق إلا جُبناً، والله لا أصلّي الظهر حتى أفرغ منهم، ثم حمل عليهم بعسكره فقتلوه.

وأما معاذ بن عبيد الله فكان من وجوه قريش، وابنُه محمد بن معاذ هو القائل فيمن أُصيب بقُدَيْد، وهم الذين قتلهم أبو حَمزة الخارجيّ: [من الخفيف]

بعد رُزْءٍ أُصِبتُه بقُدَيْدٍ ... هَدَّ رُكني وهاضَ منّي جَناحي

لخِيار الجميعِ قومي بني عُثْـ ... ـمانَ كانوا ذَخيرتي وسِلاحي

فهمُ بعد سُؤددٍ وبَيانٍ ... وفعالٍ عند النَّدى وارْتياحِ

أَقْبُرٌ بالمَحلِّ تَسفي عليها ... بدُقاقِ التُّرابِ هُوجُ الرِّياحِ

من أبيات[1].

وأما موسى بن عبيد الله فكان من وجوه قريش، وذكر الطَّبريُّ أن يزيد بن المهلب لما هزم عبد الرحمن بن العباس الهاشمي؛ بعث بموسى إلى الحجاج في جُملة الأَسرى، فقتله وقتل عُمر بن موسى[2].

وابن ابنه عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله كان على قضاء المدينة زمن محمد ابن مروان، ثم ولّاه إيّاه المنصور.

وكان ابنه عمر بن عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله من وجوه قريش، ولاه هارون الرشيد البصرةَ على القضاء، فكان يتواضع، فقيل له في ذلك، فقال: أنتم إذا وَليتم القضاء تركتموه ها هنا، وأشار إلى رأسه، ونحن إذا وَليناه تركناه هاهنا، وأشار إلى قدميه.

---

(١) «التبيين» ٣٣٧.

(٢) الذي في الطبري ٦/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٠ أن الحجاج قتل عمر بن موسى بن عبيد الله، وكذا في أنساب الأشراق ٨/ ٢٤٦، وأما موسى فقد هلك بسجستان غازياً في ولاية عبد الرحمن بن سَمُرة كما في «أنساب الأشراف» ٨/ ٢٤٥-٢٤٦.

وخرج حاجّاً، ولم يرجع إلى البصرة خوفاً من القضاء، وأقام بالمدينة، فأعفاه هارون، فأقام بالمدينة حتى توفي بها.

وخاصمه بعض القُرشيّين، وتَسرَّع إليه القُرَشيّ، فقال له عمر: على رِسْلك، فإنك سريع الإنفاذ، وَشيكُ الصّرمة، وإني والله ما أنا بمُكافيك دون أن أبلُغَ غاية التّعدّي، وأبلُغَ غاية الإعذار(١).

المغيرة بن المُهَلَّب

ابن أبي صُفْرة: ظالم بن سَرَّاق، وكنيته أبو خِداش، كان خليفةَ أبيه على مَرْو، فمات في رجب، وأبوه قد قطع النهر غازياً، وكان المغيرة جواداً شجاعاً سيِّداً، ووصل الخبر إلى أبيه فاسترجع، وبكى وحزن عليه حزناً أثَّر فيه، وبعث ابنَه يزيد بن المهلّب إلى مرو، وبلغ الحجاج فكتب إلى المهلب يُعَزّيه، وكان المهلّب على مدينة كِيش وراء النهر يحارب أهلَها.

وسار يزيد إلى مرو في ستين راكباً، فلقيهم خمس مئة من الترك في مَفازة نَسَف، فقالوا: ما أنتم؟ قالوا: تجار. قالوا: فأين أمتعتُكم؟ قالوا: قدَّمْناها، فطلبوا منهم شيئاً، فأبى يزيد أن يُعطيهم، وأعطاهم مُجَّاعة بن عبد الرحمن العَتَكي ثيابَ كَرابيس وقوساً، وقيل: أعطاهم عِمامةً صفراء وانصرفوا، ثم غدروا وعادوا إليهم، فقال يزيد: أنا كنتُ أعلمُ بهم، فقاتلوهم فهزمهم يزيد، وكان يزيد قد رُمي في ساقه، فقال له مُجَّاعة: ناشدتُك الله فقد هلك المغيرة، وقد رأيتَ ما دخل على قلب أبيك بسببه، فاللهَ اللهَ في نفسك أن تُصاب اليوم، فقال: إنما هلك المُغيرة بأجَلِه، ولن أَعْدُوَ أجَلي، فمازال مُجَّاعةُ به حتى صَرفه عن قتال التُّرك، وافترقوا، وفيه يقول الشاعر(٢): [من البسيط]

والتُّرْكُ تَعلَمُ إذ لاقى جُموعَهمُ ... أنْ قد لَقَوهُ شِهاباً يَفرِجُ الظُّلَما
بفِتيةٍ كأُسودِ الغابِ لم يَجدوا ... غيرَ التَّأسّي وغيرَ الصَّبْرِ مُعْتَصَما(٣)

---

(١) «التبيين» ٣٣٨.

(٢) في (أ) زيادة: من أبيات.

(٣) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٥٠-٣٥٢.

وقد رثى زياد الأعْجم المغيرة فقال: [من الكامل]

قُلْ لِلقَوافِلِ والغَزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكِرِينَ ولِلمُجِدِّ الرَّائحِ
إن السَّماحةَ والمروءةَ ضُمِّنا ... قَبْراً بمَرْوَ على طريقِ الواضحِ
مات المغيرةُ بعد طُولِ تَعَرُّضٍ ... للموت بين أسِنَّةٍ وصَفائحِ
فإذا مَرَرْتَ بقَبره فاعقِرْ به ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرْفٍ[1] سابحِ
وانضَحْ جوانبَ قبرِه بدمائها ... فلقد يكونُ أخا دَمٍ وذَبائحِ

فقال يزيد بن المُهَلَّب، وقيل: قَبيصة بن المُهَلَّب: هل عَقَرْتَ؟ قال: لا. قال: ما منعك؟ قال: كنتُ على همة[2] الهمارة، يريد الحمارة، وكان يَرتاد لُكْنَةً، فقال: أما والله لو عَقَرتَ، ما أصبح في آل المهلَّب صاهِلٌ إلا على مِزْوَدِك.

وقال ثعلب: أُنشِدْتُ لبعض المحدثين في معنى ما قال زياد الأعجم: [من الخفيف]

أيُّها النَّاعِيان مَن تَنْعَيان ... وعلى مَن أراكما تَبكيانِ
انْدُبا الماجدَ الكريمَ أبا إسـ ... ـحاقَ ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بي إن لم يكن لكما عَقْـ ... ـرٌ إلى قُربِ قَبرِه فاعقِراني
وانْضَحا من دَمي عليه فقد كا ... نَ دَمي من نَداه لو تَعلمانِ[3]

وهو زياد بن سليمان، كان ينزل إِصْطَخْر، غلبت الأعجميَّةُ على لسانه فقيل: الأعجم.

وقيل: مَولدُه ومَنشؤه بخُراسان، وقيل: بأصبهان، ثم انتقل إلى خُراسان ومات بها، وكان شاعراً مُفْلِقاً، وديوانُه مشهور[4].

وكان المهلب لما بلغه وفاةُ ابنه المغيرة بعث يزيد إلى مرو، وصالح أهلَ كِيش، وأخذ منهم رُهوناً ليُؤَدُّوا إليه الفِدْيَة، وسار عن كِيش، واستخلف مع الرُّهون حُرَيْثَ بنَ قُطْبَة مولى خُزاعة، وقال: إذا استوفيتَ الفِديةَ فسَلِّم إليهم الرُّهون والحَقْني.

(١) بكسر الطاء: هو الكريم من الخيل.
(٢) كذا، وفي «الأغاني» ١٥/ ٣٨٢، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٤٧٥ (مخطوط): بنت، وانظر ديوانه ٨٤ـ٨٧ وتتمة تخريجها فيه.
(٣) «الأغاني» ١٥/ ٣٨٢.
(٤) انظر «الأغاني» ١٥/ ٣٨٠، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٤٧٣.

وسار فقطع النَّهر، ونزل بَلْخ فأقام بها، وكتب [إلى] حُرَيْث: لستُ آمنهم عليك إن رَدَدْتُ عليهم الرُّهون من الغارة، فإذا قَبضتَ الفِديةَ فلا تُسلم إليهم الرُّهون حتى تَقدم أرض بَلْخ، فأرسل حُرَيْث إلى ملك كِيش يخبره أنه سائر بالرُّهون إلى بَلْخ، فإن عجَّلتَ ما عليك دفعتُ لك الرهون. فعجَّل ما صالح عليه، وردَّ عليهم الرهون، وسار يطلب النَّهر، فعَرض له الترك وقالوا: افْدِ نفسَك ومَن معك، فقد لَقينا يزيد بنَ المهلَّب ففدى نفسَه، فقال حُريث: ولَدَتْني إذاً أمُّ يزيد، ثم قاتلهم فقتلهم، وأسر منهم جماعة ففَدَوْهُم، فمنَّ عليهم، وردَّ عليهم الفِداء، وبلغ المهلَّبَ قولُه: وَلَدَتْني أمُّ يزيد إذاً، فعزَّ عليه، وقال: يَأنَفُ العبدُ أن تَلِدَه رَحِمُه! وغضب.

فلما قدم حُرَيْث على المهلَّب قال له: أين الرُّهُن؟ قال: قبضتُ ما عليهم وخلَّيتُهم، قال: ألم أكتب إليك لا تُخَلّيهم؟ قال: جاءني كتابُك وقد خلَّيتُهم، وكُفيتُ ما خِفتُ منهم، قال: كذبتَ، ولكنك تقرَّبتَ إلى مَلِكهم، وأطلعتَه على كتابي.

ثم أمر بتَجريده فجُرِّد، وكان يَظُنُّ أن به بَرَصاً[1]، فضربه ثلاثين سَوطاً، فكان حُريث يقول: وَدِدتُ أنه ضَربني ثلاثَ مئةِ سَوْطٍ ولا جَرَّدَني، واستحيى من التَّجريد، وحلف ليَقْتُلَنَّ المهلَّب، وأمر غُلامَين بقتله، وركب يوماً وراء المهلَّب، وأشار إلى الغُلامَين أن يَقتُلاه، فأبى أحدهما وتركه وانصرف، وبقي الآخر وحدَه، فلم يُقدم على المهلّب، فلما نزل حُريث قال لهما: ما منعكما من قتله؟ قالا: خفنا والله عليك لا على أنفسنا، لعلمنا أنك ستُقْتَل.

وترك حُريث إتيانَ المهلَّب وتمارض، وعلم المهلَّب بما عَزم عليه من الفَتْك به، فقال لأخيه ثابت بن قُطْبَة: أحضِر أخاك، فإنما هو عندي كبعض وَلَدي حتى أُؤدِّبَه، فأتى ثابت أخاه، فناشده الله أن يَركبَ إلى المهلب، فأبى وخافه على نفسه، فقال ثابت: فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، فخرجا إليه.

وتوفي المهلب في سنة اثنتين ـ وقيل في سنة ثلاث ـ وثمانين، فنذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٣: فجزع من التجريد حتى ظنَّ المهلَّب أن به بَرَصاً.

السنة الثالثة والثمانون

فيها كانت وَقْعةُ دَير الجَماجم، كان جَبَلَة بن زَحْر وكُمَيْل بن زياد على القُرَّاء، وكان الكُمَيْل له صَولةٌ في الحرب، وخرج ابن الأشعث وقد عَبَّى أصحابَه سبعَ صفوف بعضها في إثر بعض، وبعث الحجاج إلى كَتيبة ابنِ زَحْر ثلاث كتائب، عليها الجَرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ.

ونادى عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: يا معاشر القُرَّاء، إن الفِرارَ ليس بأحد من الناس أقبح به منكم، قاتلوا هؤلاء المُحِلِّين الظالمين المبتَدِعين.

ونادى أبو البَخْتَري: أيها الناس، قاتلوا عن دينكم ودنياكم، فوالله لئن غَلبوا عليكم ليُفْسِدُنَّ عليكم دينكم، وليَغْلِبُنَّ على دُنياكم.

ونادى الشعبي: يا أهل الإسلام[١]: قاتلوا أهلَ العُدوان، ولا تأخُذْكم فيهم لَومةُ لائم، فوالله ما أعلم على بَسيط الأرض قوماً أعمَلَ بظُلمٍ ولا جَورٍ منهم.

ونادى سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثَّموا في قتالهم على جَورهم في الأحكام، وتجَبّرِهم في الدين، واستِذلالهم الضُّعفاء، وإماتتهم الصلاة، وإحيائهم البدع.

واشتدّ القتال، فحمل جَبَلَةُ بن زَحْر عليهم، وغاص فيهم فقتلوه، ولما رآه الوليد بن نجيب[٢] الكلبي - وكان رجلاً جَسيماً، وجَبَلَةُ رَبْعة - فالتقاه، فضربه الوليد على رأسه، فوقع[٣]، وقيل: قتله الحارث بن جَعْوَنة[٤]، وقيل: لم يُعرف قاتُله، وحُزَّ رأسُه، وحُمل إلى الحجاج، فحمله على رمحين وقال:

يا أهل الشام، أبشِروا، فهذا أوَّلُ الفتح، والله ما كانت فتنةٌ قط فخَبَتْ حتى يُقتَل فيها عظيمٌ من عُظماء أهل اليمن، وهذا من عظمائهم، فسُقط في يد أصحاب جبلة،

---

(١) في (خ): الشام؟!

(٢) في الطبري ٦/ ٣٦٠ : الوليد بن نُحَيْت.

(٣) في الكلام اختصار كبير، ولعل فيه سقطاً، فقولُه: ولما رآن الوليد. . . هو رواية أخرى لمقتل جَبَلَة. انظر تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٨ - ٣٦٠ .

(٤) انظر أنساب الأشراف ٦/ ٤٥٧ .

وفشل القُرّاء، ووَهَنوا وضعفوا، فصاح بهم أبو البَخْتَريّ الطائي: ويحكم، لا يُؤثّر فيكم قتلُ جبلة، إنما هو كرجلٍ منكم، أتته مَنيَّتُه لوَقْتها.

وفرح أهل الشام وقالوا: قد هلك طاغيتُهم، وقَدِم في تلك الحال بِسطام بنُ مَصْقَلَة ابن هُبَيْرة الشَّيباني، فشَجَّع الناسَ قدومُه وقالوا: هذا عِوَضُ جَبَلَة.

وكان مَقدَمُ بِسطام من الرّيّ، والتقاه قُتَيبةُ بن مُسلم في الطريق، فدعاه إلى الحجاج، ودعاه بِسطام إلى ابن الأشعث، فلم يُجِب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه.

وجاء بِسطام إلى ابن الأشعث، فأمَّره على خيل ربيعة، ثم اقتتلوا أياماً في هذه السنة مُبارزةً وغيرها، وربما عفا بعضُهم عمَّن يَعرفه ولم يقتُلْه.

وأمر ابنُ الأشعث الكُمَيْلَ بن زياد أن يَصعد المِنبر، ويُحرِّضَ الناس على قتال الحجاج، ويَذكر مَساوئه، فخطب فقال: أيها الناس: إنكم قد غُلبتم على فيئكم وبلادكم، وحكم فيكم أهل الشام، وإنه والله لا يَنفي عنكم الظُّلمَ والعُدوان إلا التَّناصُحُ واجتماعُ الكلمة، والصَّبرُ على الضَّربِ بالسيف والطَّعنِ بالرُّمحْ، يا أهل العراق إنكم قد مُنيْتُم[1] بشَرِّ أهل بيتين في العرب: آل الحكم بن [أبي] العاص بن أمية، وآل أبي رِغال من ثَقيف، فتناصَحوا وتواسَوْا بالنفوس والأموال.

ونادى عبد الرحمن بن أبي ليلى[2]: أيُّها الناس، إني سمعتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ـ رفع الله درجتَه إلى عِلِّيين، وأثابه جَزاء الشُّهداء والصِّدِّيقين ـ يقول ونحن بصفِّين نُحارب أهلَ الشام: قال رسول الله ﷺ[3]: «مَن رأى مُنكراً فأنكره بقلبه فقد سَلِم، ومَن أنكره بلسانه فقد أُجِر، وهو أفضلُ ممَّن أنكره بقلبه، ومَن أنكره بالسَّيف لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الظالمين هي السُّفلى؛ فذلك الذي نَوَّر الله قلبَه، وسلك به مَسْلَكَ اليقين والهُدى».

ثم حرَّض الناس على القتال، ومازال القتال يَعمل بينهم [إلى] اليوم الذي انهزم فيه ابن الأشعث.

---

(١) في (خ) و(ب): رميتم، وفي (د): رضيتم، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٥٦ وما سيرد بين معكوفين منه.

(٢) سلف أول خطبته قريباً.

(٣) كذا وقع، وهو وهم، فالكلام لعليٍّ ؓ كما في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٧ وأنساب الأشراف ٦/ ٤٥٧ .

قال هشام: نزل ابن الأشعث بدير الجَماجم يوم الثلاثاء لليلةٍ مضت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثمانين، وهُزم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة.

وقال الهيثم: نزلوا بدير الجماجم في سنة اثنتين وثمانين، وافترقوا عنه في سنة ثلاث وثمانين، وهو الأصح.

وقيل: أقاموا بدير الجماجم مئةَ يوم، كان بينهم فيه ثمانون وَقْعة.

وقيل: أقاموا به أربعة أشهر.

ولما كان في آخر الوقائع ظهر ابن الأشعث وكاد الحجاج أن ينهزم، وكان سُفيان ابن الأَبْرد الكَلْبي على الخيل في ميمنة الحجاج، والأَبْرد بن قُرَّة التميميّ على ميسرة ابن الأشعث، فقاتله ساعة، فانهزم الأبرد وكان شجاعاً، وليس من عادته الهزيمة، وإنما نافق على ابن الأشعث، وأصلح حاله مع الحجاج.

ولما انهزم الأبرد انتقضت صفوف ابن الأشعث، وركب الناس بعضهم بعضاً، فصعد ابن الأشعث المنبر وجعل يصيح: إليَّ إلي يا عباد الله، أنا ابن محمد، فأتاه عبد الله بن رِزام الحارثي، فوقف عند المنبر، وجاءه عبد الله بن ذُؤاب السُّلَمي في أصحابه، فوقف قريباً منه، وجاء أهل الشام فدخلوا العسكر وكبَّروا، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغَفَّل الأزديّ ـ وكانت مُليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن ـ فقال له: انزل فإني أخاف عليك القتلَ أو الأسْرَ، فنزل وخلَّى العسكر بما فيه، وانهزم أهل العراق لا يَلْوُون على شيء.

وجاء ابن الأشعث مع ابن جَعْدة بن هُبَيْرة في ناس من أهله، فعبروا الفرات من عند الفَلُّوجة، وهي قرية بني جَعْدَة، وجاء بِسطام بن مَصْقَلَة فقال: هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد؟ فلم يكلّموه، فقال: [من المتقارب]

ضَـــرَّمَ قَــيْـــسٌ عَــــلَـــيَّ الــبـــلا ... دَ حـتـى إذا اضْـطَـرَمَـتْ أَجْـذَمَـا

وقال الحجاج: اتركوهم فليَتَبَدَّدوا ولا تتبعوهم، ونادى منادي الحجاج: مَن رجع فهو آمن.

ورجع محمد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وخلَّيا العراق للحجاج.

وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة، وجاء الناس يبايعونه، فكان يقول للذي يبايعه: اشهَدْ على نفسك بالكفر، فإن شهد وإلا قتله، فأتاه رجل من خَثْعَم كان قد اعتزل الناس من وراء الفرات، فقال: اشهد على نفسك بالكفر، فقال: ما زلتُ معتزلاً للناس من وراء هذه النُّطْفَة، منتظراً ما يكون، حتى ظهرتَ فأتيتُك، فقال: اشهْد على نفسك بالكفر، فقال: إن كنتُ عبدتُ ربّي ثمانينَ سنة، ثم أشهد على نفسي بالكفر؛ لبئس العبدُ أنا، والله ما بقي من عُمري إلا ظِمْءُ حِمار، وإنني أنتظر الموتَ صباحاً و مساء، فأمر به فضرب عنقه[1].

وأُتي بآخر بعده فقال الحجاج: ما أظنُّه يَشهد على نفسه بالكفر، فقال: يا حجَّاج، أخادعي أنت عن نفسي، أنا أعرف بها منك، بلى، أنا أكفَرُ من فرعون وهامان، فضحك الحجاج وخلَّى سبيله، وأقام الحجاج بالكوفة.

وفيها كانت الوقعة بمَسْكِن بين الحجاج وابن الأشعث بعد الجماجم.

خرج عبد الرحمن بن الأشعث حتى قدم البصرة، واجتمع إليه فَلُّ أهل الكوفة والبصرة والأمصار، وتلاوموا على الِفرار، وبايع أكثرهم على الموت، وجاء الحجاج بجيوشه، ونزل ابن الأشعث بمَسْكِن على دُجَيل الأهواز، وخَنْدَق عليه، وبَثَق الماء من جوانبه، فلم يجعل القتال إلا من مكان واحد، فاقتتلوا خمسَ عشرة ليلة من شعبان أشدَّ القتال.

وكان على مَسالح الحجَّاج زياد بن غُنَيْم القمي[2]، وكان شجاعاً، فقُتل، فهدَّ قتلَه الحجّاج، وأصبح الحجاج ذات ليلةٍ وقتَ السحر، فقاتلهم فظَهر عليهم، وقُتل أبو البَخْتَريّ الطّائي وابن أبي ليلى وقالا [قبل أن يُقتلا]: إن الفِرار[3] بنا كلَّ ساعةٍ لَقَبيح.

وانهزم أصحابُ ابنِ الأشعث، فلما رأى ذلك بِسطام بن مَصْقَلَة الشَّيبانيّ؛ بايع على الموت أربعةَ آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المِصْرَين، وكَسروا جُفونَ سيوفهم، وقال

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٦٤-٣٦٥ . وقولُه: إلا ظِمءُ حمار؛ الظِّمْءُ، ما بين الشُّرْبين، أي لم يبق إلا اليسير، لأن الحمار قليل الصبر على الظمأ.

(٢) كذا، وفي الطبري ٦/ ٣٦٦ : القيني.

(٣) في النسخ: وقال إن الفرار، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٦٧ .

لهم بسطام: لو كنا إذا فَررنا بأنفُسنامن الموت نَجونا منه لفررنا، ولكنا قد علمنا أنه نازِلٌ بنا عن قليل، فأين المَحِيد عما لابدَّ لنا منه، والله إنكم على الحق، ولو لم تكونوا عليه لكان موتٌ في عز(١)؛ خير من حياة في ذل، فحملوا فكشفوا أهلَ الشام مِراراً، فقال الحجاج: عليَّ بالرُّماة، فجاؤوا فرشقوهم مِراراً حتى قتلوا أكثرهم.

وأما ابن الأشعث فإنه مضى ومَن معه إلى سجستان، فأتبعهم الحجاج عُمارةَ بنَ تميم اللَّخمي، ومعه ابنه محمد بن الحجاج، وعُمارة هو الأمير على الجيش، فأدركوا ابنَ الأشعث بالسُّوس فقاتلوه، ثم انهزم فأتى سابور، واجتمع إليه الأكراد والفُلول، وقاتلهم عُمارة قِتالاً عظيماً وجُرح جراحات كثيرة، ثم انهزم عمارة وأصحابه، وأتى ابن الأشعث كَرْمان، وعامِلُه بها عَمرو بن لَقيط العَبْديّ، فأكرمه، وأقام له الضيافة، ثم سار في مَفازة كَرمان فإذا بقَصرٍ في المَفازة، فدخله بعضُ أصحابه، وإذا على حائطه مكتوب: [من الوافر]

أيا لَهفا ويا حزنا جميعاً ... ويا حَرَّ الفؤادِ بما لَقِينا
تركْنا الدّينَ والدُّنيا جميعاً ... وأسْلَمْنا الحَلائلَ والبَنِينا
فما كُنَّا أُناساً أهلَ دينٍ ... فنَصبِرَ في البلاء إذا ابتُلِينا
وما كنَّا أُناساً أهلَ دُنيا ... فتَمنَعَنا(٢) ولو لم نَرجُ دِينا
تَرَكْنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ ... وأنباطِ القُرى والأشْعَرِينا

والشعر لأبي جِلْدَةَ(٣) اليَشْكُريِّ من أبيات كتبها بعض أهل الكوفة.

ثم سار ابن الأشعث حتى أتى زَرَنْج مدينة سِجستان، وبها عاملُ ابن الأشعث عبد الله بن عامر من بني مُجاشع، فعصى عليه وأغلق الأبوابَ دونَه، فأقام أياماً رَجاء فتحها فلم تُفتح له، فسار إلى بُسْت، وعليها عامله عِياض بن هبان(٤) السَّدُوسيّ - وقيل: من بكر بن وائل - فاستقبله وأنزله، وانتظر غَفْلَةَ أصحاب ابن الأشعث عنه وتَفرُّقَهم، ثم وَثَب عليه فأوثقه؛ ليتَّخذَ به عند الحجاج يداً، وأغلق باب البلد.

---

(١) في النسخ: موت في غير عز، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٦٧.

(٢) في الطبري ٦/ ٣٦٨، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٤، و«الأغاني» ١١/ ٣١٣: فنمنعها.

(٣) في النسخ: لابن خلدة، والتصويب من المصادر.

(٤) كذا في النسخ، وفي الطبري ٦/ ٣٦٩: هميان، وفي «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٤: عمرو.

وكان رُتبيل لما بلغه مَقدَم ابن الأشعث خرج بجنوده ليستقبله، فأُخبر بخبره، فجاء فأحاط ببُسْت، وأرسل إلى العامل: والله لئن آذيتَه بما يُقْذي عينَه؛ لا أبرحُ حتى آخُذَ البلد، وأقتُلَك وجميعَ من معك، وأسبي ذَراريكم، وأقسم أموالكم، فأرسل إليه العامل يَطلب أماناً على نفسه وماله وأهل البلد، فأعطاهم وأطلق ابن الأشعث، فجاء إلى رُتبيل، فخرج فالتقاه، وأكرمه، وأحسن إليه، وسار معه إلى بلاده، فأنزله وعظَّمه، ودفع إليه الأموال والخيلَ والعبيد.

وأقبل فَلُّ ابنِ الأشعث وكانوا ستين ألفاً، فنزلوا على عبد الله بن عامر بزَرَنْج وحصروه، وكتبوا إلى ابن الأشعث: أقبلْ إلينا فنحن في ستين ألفاً، وفيهم وجوه الأشراف ممَّن لم يُعطهم الحجاجُ الأمان، فأخبر رُتبيل فقال: أقم عندي، فأهلُ العراق غُدُر، وقد خانوك، فلم يلتفت، فسار إليهم، فحصَروا عبد الله بن عامر حتى أنزلوه، وضَربوه وعَذَّبوه، وأقبل نحوهم عُمارة بن تميم في جيش أهل الشام، فقالوا لابن الأشعث: اخرُجْ بنا عن سجستان فلنَدَعْها لعُمارة، ونأتي[1] خراسان، فقال لهم: عليها يزيد بن المُهَلَّب، وهو شابٌّ شُجاع صارم، وليس بتارك لكم سُلطانَه، ولن يَدَعَ أهلُ الشام اتِّباعكم، فأكره أن يَجتمع علينا أهلُ خراسان وأهلُ الشام، فقالوا: أهلُ خراسان منا، وهي أرض عَريضة طويلة، نسير فيها حيث شئنا؛ إلى أن يُهلك الله الحجاج أو عبد الملك، فقال لهم: فسيروا على خِيرة الله.

فساروا حتى بلغوا هَراة، وخرج عُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ القُرشيّ في ألفين، ففارق ابنَ الأشعث، وسلك غير [طريقهم] ليلاً، فلما أصبح ابن الأشعث قام فيهم خطيباً فقال:

أما بعد، فقد جَرَّبْتُكم في مواطنَ ليس فيها مَوطنٌ إلا وأصبِر لكم فيه حتى لا يبقى فيه منكم أحد، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ولا تصبرون؛ أتيتُ مَلْجأً ومَأمَناً يُغني عند رُتْبيل، فكنتُ فيه، فجاءتني كُتبُكم أن أقبِل إلينا فقد اجتمعنا وأمرُنا واحد، ثم تتفرَّقون

(١) في (د): ولنأتي.

عليّ! اصنعوا ما بدا لكم، فإني مُنصَرِفٌ إلى صاحبي الذي أتيتُ من عنده، فمَن أحبَّ أن يَتبعني، ومن أحبَّ فلْيَذْهب حيث شاء.

وسار إلى رُتْبيل، وسارت معه طائفة، وبقي مُعظم العسكر، فبايعوا عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ومضى ابن الأشعث إلى رُتْبيل، ومضوا هم إلى خراسان، حتى انتهوا إلى هراة وبها الرّقّاد الأزديّ(١)، فقتلوه وأقاموا. وهذه رواية(٢) الكلبي.

وأما المدائني فحكى أن ابن الأشعث لما هُزم من مَسْكِن مضى إلى كابُل، وأن عبيد الله ابن عبد الرحمن بن سَمُرة أتى هَراة، فذمَّ ابن الأشعث، وعاب عليه فِراره، وأن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة أتى سِجستان، فانضمَّ إليه فَلُّ ابنِ الأشعث، فسار في عشرين ألفاً إلى هَراة، وبها الرّقّاد بن عُبيد العَتَكيّ فقتلوه، وكان مع عبد الرحمن بن العباس من عبد القيس: عبد الله بن المنذر بن الجارود(٣)، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلَّب:

قد كان لك في البلاد متَّسَعٌ، فارتحِلْ إلى مكان ليس فيه سلطان، فإني أكره قتالَك، وإن أحببتَ أن أُمدَّك بمالٍ لسَفَرِك أمدَدْتُك.

فأرسل إلى يزيد بن المهلب: ما نزلنا هذه البلاد لمحاربةٍ ولا لمقام، ولكنا أردنا أن نَستريح ثم نَرحل، وليس لنا إلى ما عرضتَ علينا حاجة.

وانصرف رسول يزيد، وأقبل الهاشمي على جباية الخَراج، وبلغ يزيد فقال: من يريد أن يستريح ثم يرحل يجبي الخراج؟!

فجهز المفضَّلَ أخاه في أربعة آلاف، ويقال: في ستة آلاف، وسار هو في أربعة آلاف، ووزن نفسَه وعليه سلاحُه فكان أربع مئة رطل، فقال: ما أراني إلا قد ثَقُلتُ عن الحرب، فأيُّ فرسٍ يُقِلُّني؟! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه، واستخلف على مرو خاله

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٧١: الرقاد الأزديَ من العتيك، وسيرد بنسبة العَتَكيّ.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): روايات، وانظر الطبري ٦/ ٣٧٠-٣٧١، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٥.

(٣) في النسخ: وكان مع عبد الرحمن بن العباس بن عبد القيس بن عبد الرحمن المنذري الجارود، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٧١.

جُدَيْع بن يزيد، ومرَّ على مَرْوِ الرُّوذ، فنزل عند قبر أبيه، فأقام ثلاثاً، ثم سار إلى هَراة، وأرسل إلى عبد الرحمن بن العباس يقول: قد جَبَيْتَ وأخذتَ وأرحْتَ واسترحتَ، وإن أردتَ زيادةً زِدناك، فاخرج فوالله ما أحبُّ قتالكَ.

ودسَّ عبد الرحمن إلى جيش يزيد يدعوهم إلى نفسه، فأخبروه، فقال يزيد: جلَّ الأمر عن العتاب[1]، أتغدَّى به قبل أن يتعَشَّى بي، وسار إليه، وتقاتل العسكران، ووُضع ليزيد كرسي، وتولّى الحربَ أخوه المفضَّل بن المهلَّب، واقتتلوا، وصبر عبد الرحمن ساعة ثم انكشفوا، فقال يزيد: لا تَتبعوهم، وأخذ ما كان في عسكرهم، وأَسَروا منهم أُسارى.

وأمر يزيد عطاءَ بنَ أبي السَّائب بأن يتولّى أمرَ العسكر وإحصاءَ ما فيه، وكان في الأسرى: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وموسى بن عُبيد الله بن مَعْمر التَّيمي، وعيَّاش بن الأسود بن عَوف الزُّهري، والهِلْقام بن نُعيم، وعبد الله بن فضالة الزهراني، والقعقاع بن مَعْبَد بن زُرارة[2]، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف، في آخرين. فسأله محمد بن سعد وقال: يا يزيد، أسألك بدعوة أبي لأبيك، فأطلقه، والأصح أن الحجاج قتله، وأطلق عبد الرحمن بن طلحة وعبد الله بن فضالة، وبعث بالباقين مع سَمُرة بن مِخْنَف بن المهلَّب[3] إلى الحجاج، ثم عاد يزيد إلى مَرْو، ومضى عبد الرحمن بن العباس إلى السِّند.

وقال مَعْمَر[4]: إن يزيد لما أراد أن يَبعث الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حَبيب: بأيِّ وجه تَنظر إلى اليَمانية وقد بعثتَ ابنَ طلحة؟! فقال يزيد: هو الحجاج! فقال: وَطِّن

(١) في النسخ: القتال، والتصويب من تاريخ الطبري ٦/ ٣٧٢.

(٢) في (د) زيادة: وعبد الرحمن بن زرارة، هذا والنص في الطبري ٦/ ٣٧٣، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٦: وكان في الأسرى: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري، والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وعبد الرحمن بن طلحة، وعبد الله بن فضالة الزهراني.

(٣) في الطبري ٦/ ٣٧٣: سبرة بن نخف بن أبي صفرة.

(٤) هو ابن المثنى أبو عبيدة، والخبر في الطبري ٦/ ٣٧٩.

نفسَك على العَزْل ولا تَبعث به، فإن له عندنا يَداً، قال: وما يَدُه؟ قال: لَزم المهلَّبَ مئتا ألفِ دينار، فأداها طلحة عنه، فأرسله يزيد. وفيه يقول الفرزدق: [من الكامل]

وجَدَ ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومَه قَحطانَ يوم هَراةَ نِعمَ المَعْشَر[1]

وبلغ الحجاج ذلك، فحقد على يزيد وعزله بعد ذلك.

قال هشام: ولما قُدم بالأسرى على الحجاج قال له موسى بن عبيد الله بن معمر[2]: أصلح الله الأمير، كانت فتنةً شَمِلت البرَّ والفاجر، فدخلنا فيها، وقد أمكنك الله منا، فإن عفوتَ فبحلمِك وفَضلِك، وإن عاقبتَ عاقبتَ ظَلَمةً مُذنِبين، فقال الحجَّاج: أما قولُك: شَمِلت البرَّ والفاجر فكذبتَ، ولكنها شَمِلت الفُجَّار وعُوفي منها الأبرار، وأما اعترافُك بذَنْبِك فعسى أن يَنفعك، فرجا الناسُ له العافية.

وقُدِّم إليه الهِلْقَام بن نعيم، فقال له الحجَّاج: أخبرني، ما رَجوتَ من اتِّباعك ابنَ الأشعث، أرجوتَ أن يكون خليفة؟ قال: نعم، وطمعتُ أن يُنْزِلَني منزلتَك من عبد الملك، فغضب الحجاج وقال: اضربوا عُنقه فقُتل، ونظر إلى موسى فقال: اضربوا عُنقه. فقُتل، وقَتلَ بقيَّتَهم.

ذكر حضور الشَّعبي عند الحجّاج:

قال المدائني: ونادى الحجَّاج بعد يوم الجَماجم: مَن لَحق بقُتيبةَ بنِ مُسلم بالرّيّ فهو آمن، فلحق به ناسٌ كثير منهم عامر الشَّعبي، فذكره الحجاج يوماً وقال: أين هو؟ قالوا: عند قُتيبة، فقال لكاتبه يزيد بن أبي مُسلم: اكتب إلى قُتيبة يُسَرِّح إلينا[3] عامراً، فكتب إليه، قال الشعبي: وكنتُ صديقاً لابن أبي مسلم، فلما قدم بي على الحجاج لقيتُ ابن أبي مُسلم فقلت: أشرْ عليَّ، فقال: والله لا أدري بمَ أُشير عليك به، غير أنك اعتذِرْ ما استطعتَ، وأشار علي، أصحابي وإخواني بذلك، قال: فلما دخلتُ سلمتُ عليه وقلت: أيها الأمير، إن الناسَ أمروني أن أعتذرَ إليك بغير ما تَعلَمُ مني، وإن الله غيَّرَ ما عزمتُ

---

(١) في الطبري: خير المعشر.

(٢) في الطبري ٦/ ٣٧٤، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٦٧: عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وانظر ما سلف ص٢٩٧.

(٣) في (خ): لنا.

عليه، والله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، والله لقد حرَّضنا وجَهِدنا عليك كلَّ الجهد، فما ألَوْنا، وما كنَّا بالأقوياء الفَجَرَة، ولا الأتقياء البَرَرَة، ولقد نَصرك الله علينا وظَفَّرك بنا، فإن سَطَوتَ فبذنوبنا، وما جَرَّت إليه أيدينا، وإن عَفوتَ فبحلمك، وبعد الحجَّة لك علينا، فقال له الحجاج: أنت والله أحبُّ قولاً إلينا ممَّن يَدخُلُ علينا يَقطُر سيفُه من دمائنا، ثم يقول: ما فعلتُ ولا شَهِدتُ، انصرف فقد أَمِنت.

فلما مشيتُ قليلاً قال: هلمَّ يا شعبيّ، فوَجِل قلبي، ثم ذكرتُ أمانَه فاطمأنَّتْ نفسي، فقال: كيف وَجَدَت الناسَ بعدنا؟ فقلت: أصلَح الله الأمير، اكتحلتُ والله بعدك[1] السَّهَر، واستوعَرْتُ الجَناب، واستحلستُ[2] الخوفَ، وفقدتُ صالحَ الإخوان، ولم أجد من الأمير خَلَفاً، فقال: انصرِفْ، وكان له مُكرماً.

وقال الطبري[3]: كان الشعبي ممَّن خرج على الحجاج مع القُرَّاء، وشهدَ ديرَ الجماجم، وكان ممَّن أفلتَ فاختفى زماناً، وكان يكتب إلى يزيد بن أبي مُسلم أن يُكلِّم له الحجَّاج، فأرسل إليه يزيد: إني والله ما أقدر على ذلك، ولا أجترئُ عليه، ولكن تحيَّنْ جلوسَه للعامَّة، ثم ادخُل عليه فامثُلْ بين يديه واعتَذِرْ، واستشهِدْ بي على ما أحببتَ أشهدْ لك، ففعل الشعبيُّ، فلم يشعر الحجاج به إلا وهو قائمٌ بين يديه، فقال: أشعبيّ؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، قال: ألم أقدَم البلدَ وعطاؤك كذا وكذا، فزدتُ في عطائك ولا يُزادُ مثلُك؟ قال: بلى، قال: ألم آمُر أن تَؤمَّ قومَك ولا يؤمُّ مثلُك؟، قال: [بلى، أصلح الله الأمير، وقال:]، ألم أُعَرِّفْك على قومك ولا يُعَرَّف مثلُك؟ قال: بلى، قال: ألم أُوفِدْك على أمير المؤمنين ولا يُوفَدُ مثلُك؟ قال: بلى، قال: فما الذي أخرجك عليَّ؟ قال: أصلح الله الأمير، خَبَطَتْنا فِتنة، فما كنا فيها بأبرار أتقياء، ولا فُجَّارٍ أقوياء، وقد كتبتُ إلى يزيد بن أبي مسلم أعلمه ندامتي[4] على ما فَرط منّي،

---

(١) في (خ): بعدكم. والخبر في الطبري ٦/ ٣٧٥.

(٢) أي: لزمتُ، ووقع في (ب): واستجللت، وفي النسخ الأخرى: استجلست. والمثبت من الطبري.

(٣) لم أقف عليه في تاريخه، وأخرجه ابن سعد ٨/ ٣٦٨، وعنه ابن عساكر ٢١٢-٢١٣ (عاصم - عائذ).

(٤) في النسخ: إنه بدا مني، والمثبت من المصدرين السالفين. وما سلف بين حاصرتين منهما.

ومَعرفتي بالحقّ الذي خرجتُ منه، وسألتُه أن يُخبر بذلك الأمير، ويأخُذَ لي منه أماناً فلم يفعل، فالتفت الحجّاج إلى يزيد فقال: أهكذا هو؟ قال: نعم، قال: فما مَنَعك أن تُخبِرَني بكتابه؟ قال: الشُّغْلُ الذي كان فيه الأمير، فقال الحجاج: انصرف آمناً.

وقال مجالد: قال الشعبي: لما قَدِم الحجَّاجُ الكوفةَ والياً عليها عُرض عليه الناس، فكنتُ فيمن عُرض عليه، فقال: مَن أنت؟ قلتُ: عامر الشعبي، قال: اجلس، فجلستُ، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قلت: نعم، قال: ففرضْتَ الفرائض؟ قلت: نعم، قال: أنظَرْتَ في العربية والشعر؟ قلت: نعم، قال: ففي المغازي، قلت: نعم، قال: فحدِّثْني حديثَ بَدْرٍ، فحدَّثْتُه من رُؤيا عاتكة، إلى أن أذَّن المُؤذِّنُ للظُّهر، فقام فدخل وقال: لا تبرَحْ، وخرج فصلّى الظهر وقال: تَمِّم، فأتممتُها له، فجعلني عَريفاً على الشَّعْبيين، ومَنكِباً[1] على هَمْدان، وفرض لي في الشَّرف من العطاء، فلم أزل عنده على أحسن حال حتى خرج ابن الأشعث، فأتاني قُرَّاء الكوفة وقالوا: يا عامر، إنك زعيم القراء، وأنت كذا وكذا، فلم يزالوا بي حتى أخرجوني معهم، فكنتُ أقوم بين الصفَّيْن فأذكُر الحجاج، فأعيبُه بأشياء كنت أعرفُها فيه، وبلغ الحجاج فقال: ألا تَعجبون من هذا الخبيث؟! جاءني وهو وَضيعٌ فرفعتُه، وفعلتُ معه وفعلت، ثم خرج عليَّ ويقول ما يقول، أما والله لئن مَكَّنني الله منه لأجعلَنَّ عليه الدنيا مثلَ مَسْكِ حَمَلٍ[2].

قال: فما لَبثنا أن هَزَمنا الله، فدخلتُ بيتي، وأغلقتُ بابي، وأقمتُ مُستخفياً تسعةَ أشهر، فكانت الدنيا عليَّ أضيَقَ من مَسْك حَمَل، ثم هربتُ إلى خُراسان وقد نادى مناديه: مَن التجأ إلى قُتيبة بن مُسلم فهو آمِنٌ، فركبتُ حماراً، وسرتُ إلى فَرْغانة، فدخلتُ على قُتيبة فلم يعرفْني، وكنتُ أغشى مَجلِسَه.

ثم إنه فُتح عليه فَتْحٌ فلم يَدْرِ ما يَكتب إلى الحجاج، فكلَّمني في ذلك فقلت: عندي كلّ ما تريد، فقال: مَن أنت؟ قلت: لا تسأل عن ذلك، فقال: اكتُب كتابَ الفتح لأكتُبَ منه، فقلت: لا أحتاج، اكتب وأنا أُملي، فأخذ يكتب وأنا أُملي عليه، وهو ينظر إليّ، حتى فَرَغْتُ، فحَمَلَني على بَغْلة، وأعطاني بُرْنُساً وسَرَقاً من حرير، وكنتُ عنده في أعلى منزلة.

(١) أي: عريفاً، ولم تجوَّد كلمة الشعبيين في النسخ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢٠٨ (عاصم ـ عائذ).

(٢) يعني جلد حمل. وفي (أ): جمل.

فبينا أنا عنده ذات يوم إذ جاءه كتابُ الحجَّاج يقول: صاحبُ كتابك عامر الشَّعبي، فإذا نظرتَ في كتابي فابعثْ به إليَّ؛ وإلا عَزَلْتُك وفعلتُ بك وفعلتُ، فاحذر أن يَفوتَك، فالتفت إليّ وقال: ما عَرفتُك قبل هذه الساعة، وهذا كتابُه، فاذهب حيث شئتَ من الأرض، ولأحلفنَّ له بكلِّ يمينٍ أنني ما عرفتُك قبل هذه الساعة، فقلت له: مثلُ هذا لا يَخفى، فابعث بي إليه، فقال: أنت أعلم.

ثم بعث معي جماعةً وأوصاهم بي، ثم قال: إذا وصلتُم به إلى الحجّاج فأدخلوه عليه مُقَيَّداً، ثم قال: قُل ما شِئتَ واستشْهِد بي.

فلما وصلتُ إلى باب الحجاج لَقِيَني يزيدُ بن أبي مُسلم، فقال لي: إنا لله لما بين دَفَّتَيْكَ من العلم، قلت: فاشفع لي، قال: ليس بيوم شفاعة، قلت: فخُذْ لي أماناً، قال: لا أقدر، ولكن إذا دخلتَ عليه فبُؤْ له[1] بالكُفر؛ فبالحريّ أن تَنجو، وما أُراك بنَاجٍ، ولكن استشهِدْ بي، قال: ولقيتُ محمد بن الحجَّاج فقال لي مثلَ ذلك، وأُدخِلتُ عليه فقال: هيه يا عامر، أكرمتُك، وأحسنتُ إليك؛ وتخرج علي وتقول ما قلت؟! قال: فذكرتُ له بمعنى ما تقدَّم، واستشهدتُ بيزيد بن أبي مسلم، فسأل يزيداً: أكذا؟! قال: نعم، فقال: انصرِفْ راشِداً، وأمرني بلُزوم بابه.

ذكر جماعة أُتي بهم إلى الحجاج:

منهم: عبد الرحمن بن عائذ الحمصي، أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين، ويقال: إنه أدرك رسول الله ﷺ وروى عنه، واتّفقوا على أنه سمع من عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي ذَرّ رضي الله عنهم، وغيرهم، وحضر خطبة عمر رضوان الله عليه بالجابية.

وكان قد خرج مع ابن الأشعث، فجيء به إلى الحجاج وكان يعرفه، فقال له: كيف أصبحتَ يا أبا عبد الله؟ فقال: كما لا يريد الله، ولا الشيطان، ولا أنا، قال: وكيف؟ قال: يريد الله أن أكون عابداً زاهداً، والله ما أنا بذاك، ويُريد الشيطان أن أكون فاسقاً وما أنا بذاك، وأُريد أن أكون آمِناً في سِرْبي وما أنا بذاك، فقال الحجاج: مَولِدٌ شاميّ، وأدبٌ عراقيّ، وجارُنا إذ كنا بالطّائف، خَلُّوا عنه[2].

---

(١) في النسخ الخطية: فتولَّه، وكذا في «تاريخ دمشق» ص٢١٥، والمثبت من المصادر، والكلام فيها بنحوه. ينظر أنساب الأشراف ٦/٦/٤٧٨، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٩٨، والعقد الفريد ٥/ ٣٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣١٤.

(٢) «تاريخ دمشق» ٩/ ٩٨٧، ٩٩١ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٤٨٧-٤٨٩.

قوله: كما لا يريد الله: خطأ، فإنه لا يكون إلا ما يُريد الله، وربما أنه قال: كما لا يُحبّ الله، أو كما لا يُرضي الله، فحرَّفَتِ الرُّواةُ قولَه.

وجيء بجماعة من الأَسرى، فأمر الحجَّاج بقتلهم، فقال له رجلٌ منهم: أصلح الله الأمير، لي عندك حُرمة، قال: وما هي؟ قال: شُتم أبوك في عسكر ابن الأشعث فقلت: والله ما في نسبه مَطْعَن، قال: ومَن يعلم هذا؟ فالتفت إلى أقرب أسيرٍ منه فقال: هذا، فقال له الحجاج: ما تقول؟ قال: صدق، فقال: خَلُّوا عن هذا لنُصْرَتِه، وعن هذا لشهادتِه.

ولما دخل الحجَّاج البصرة بعد الجَماجم دخل عليه الحسن البصري فقال: أنتَ الذي حملتَ علينا السلاح؟ فقال الحسن: لا والله، فأخرج الحجَّاج إليه كفَّه، فمسح عليها، فقيل للحسن: لا تَأْمَنْه، فتوارى عنه تسعَ سنين؛ ينتقل من منزلٍ إلى منزل، حتى هلك الحجّاج[1].

وروى هشام: أن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص جيء به في الأسرى، فأُوقف بين يدي الحجاج[2]، فقال له: يا ظلَّ الشيطان، أتأبى بيعةَ يزيد بن معاوية، وتتشبَّه بحُسين وابن عمر؟! يا أعظم الناس كبراً، فقال له محمد: أيُّها الرجل، مَلَكْتَ فأسْجِح، فضرب عُنُقَه.

ثم دعا بموسى بن عُبيد الله بن مَعْمر، فقال: يا عبدَ المرأة، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك، وتشرب معه الشَّراب في حمَّام فارس، وتقول المقالة التي قلتَ؟ فقال: والله لقد دَفعتُه عن عقائلِ نسائك، فضرب عُنقه[3]، وقيل: إن الذي قتله الحجاج: عمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمر[4].

وقتل الحجاج في وقعة الجَماجم أربعة آلاف من أعيان الناس، منهم: عبد الله بن شدَّاد بن الهاد، وبِسْطام بن مَصْقَلَة، وبِشْر بن المُنذر بن الجارود وغيرهم.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٤.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): بين يديه، والمثبت من (أ).

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٨٠، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٦٧ وفيهما: عمر بن موسى بن عبيد الله. وابن الحائك يعني ابن الأشعث.

(٤) وإلى هذا ذهب الطبري والبلاذري كما في التعليق السالف.

قال الطبري: وفي هذه السنة بنى الحجاج واسِطاً، وسببُه أنه ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خُراسان، فعسكروا بحمَّام أَعْيَن[١].

وكان فتًى من أهل الكوفة حديثَ عهدٍ بعُرسٍ، فكان يأتي ابنةَ عمِّه ثم يعود إلى العسكر، وكان رجل من أهل الشام يأتي إلى منزل الفتى، فيتعرَّض لامرأته كلَّ ليلةٍ، فشكت إلى ابنِ عمّها فقال: إذا جاء الليلة فأدخليه، ووقف له خلفَ الباب، فلما دخل قتلَه، وأخبر الحجاج فأهدَر دمَه وقال: لا يَنزلَنَّ أحدٌ على أحد.

ثم أمر الرُّوَّاد فارتادوا له مكانَ واسِط.

والأصح: أنه شرع فيها في سنة خمس وسبعين[٢]، وفرغ منها في سنة ثمان وسبعين.

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان والياً على المدينة.

فصل: وفيها توفي

أبو الجَوزاء

[واسمه] أوس بن خالد الرَّبَعيّ البصري، وقيل: خالد بن سُمَير[٣].

[ذكره ابن سعد] من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، [وحكى أنه] قال: صحبتُ ابنَ عباس اثنتي عشرة سنة، فما بقي في القرآن آية إلا سألتُه عنها.

[وذكر ابن سعد أن أبا الجوزاء] لم يلعن شيئاً قطُّ، ولا أكل طعاماً ملعوناً.

[قال:] وكان يقول: لأن تمتلىء داري قردةً وخنازير؛ أحبُّ إليَّ من أن أجاور رجلاً من أهل الأهواء.

---

(١) في الطبري ٦/ ٣٨٣، و«المنتظم» ٦/ ٢٤٩: بحمام عمر.

(٢) بعدها في (ص): وقد ذكرنا السبب هناك.

(٣) كذا في النسخ غير (ص)، فليس فيها هذه العبارة، وقد اختلفوا في اسم هذا الرجل على قولين: أوس بن خالد الربعي البصري، وأوس بن عبد الله، فقال بالأول ابن سعد ٩/ ٢٢٢، وابن قتيبة في «المعارف» ٤٦٩، وابن الجوزي في «الصفوة» ٣/ ٢٥٨، وقال بالثاني خليفة في طبقاته ٢٠٥، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ١٦، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٠٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٧٨، والمزي في «تهذيبه» (٥٧١)، والذهبي في «السير» ٤/ ٣٧١.

وأما خالد بن سمير فهو رجل آخر، ذكره ابن سعد ٩/ ٢٢٢ قبل أبي الجوزاء، ولم يذكر له أخباراً، فلعل هذا ما أوقع المصنف أو المختصِر في الوهم، وقد ترجم له المزي (١٦٠٤).

وكان يقول: ما ماريْتُ أحداً قط، ولا كذَّبتُ أحداً قط(١).

[وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل بإسناده إلى سليمان الرَّبَعيّ قال: كان أبو الجوزاء] يواصل في الصوم بين سبعة أيام، ثم يَقبض على ذِراع الشابّ فيكادُ يَحْطِمُها(٢).

وقال ابن سعد: خرج أبو الجَوزاء مع ابن الأشعث، فقتل أيام الجَماجم، سنة ثلاثة وثمانين(٣).

وأسند عن ابن عباس وعائشة وغيرهم.

إياس بن قتادة

ابن أوفى بن عَبْشَمْس(٤) بن سعد بن زيدِ مَناة بن تميم، وأمُّه الفارِعة بنت حِمْيَريّ، من بني مُرَّة.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، ولأبيه قَتادة صُحبة.

وكان إياس شريفاً في قومه، اعتَمَّ وهو يُريد بِشرَ بن مروان، فنظر في المرآة، فإذا بشَيْبَةٍ في ذَقنه، فقال: يا جارية، افليها، فإذا أخرى فقال: انظري مَن بالباب من قومي، فأُدخلوا عليه، فقال لهم: يا بني تَميم، إني كنتُ قد وهبتُ لكم شَبابي، فهبوا لي مَشيبي، ألا تراني حُمَيِّرَ الحاجات(٥) وهذا الموت يقرب إلي، ثم نَقَض عِمامته، واعتزل يُؤَذِّن لقومه، ويعبد ربه حتى مات(٦).

قال ابن سعد: سمعتُ أنه خرج من المسجد يوم الجمعة، فقرَّبوا إليه أتاناً له ليركَبَها، فلما اغترز في الرِّكاب نظر(٧) إلى شيبه فقال: مرحباً بك، طالما انتظرتُك، ثم انصرف فاضطجع على شِقِّه الأيمن، فمات في خلافة عبد الملك بن مروان.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٢ـ٢٢٣، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «الزهد» لأحمد ٣٧١، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٧٩ـ٨٠، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٣.

(٤) في «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٢٧، و«أنساب الأشراف» ١١/ ٤٩٨: بن أوفى بن موءلة بن عتبة بن ملادس بن عبشمس.

(٥) حُمَيِّر، تصغير حمار، والمعنى: امتهنوه في جليل أمرٍ ودقيقهِ، كما في جمهرة الأمثال ١/ ٣٨١. وينظر أيضاً مجمع الأمثال ٢/ ٤٠٤.

(٦) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٤١، و«المنتظم» ٦/ ٣١٢ وذكره في وفيات سنة (٩٣).

(٧) في النسخ: فنظر، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٤١.

رَوْحُ بن زِنْباع

أبو زُرْعَةَ الجُذاميّ الشامي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام، ولم تكن له صُحبة، وكان ذا منزلة عند الناس، فخاف منه معاوية، فعزم على قتله، ففهم رَوْح فقال له: لا تَهدِم رُكناً بنيتَه، ولا تُحزِن صاحباً أنت سَرَرْتَه، ولا تُشمِت عدواً أنت كَبَتَّه، فكفَّ عنه معاوية.

قال المصنف رحمه الله: وأحسنُ من هذا قولُ الشَّريف الرَّضِيّ: [من السريع]

لا تُعْطِشِ الزَّرْعَ الذي نَبْتُه ... بصَوْبِ إنعامِكَ قد رَوَّضا
لا تَبْرِ عُوداً أنت رَيَّشْتَهُ ... حاشا لباني المَجْدِ أن يَنْقُضا

من أبيات[1].

ولما طَلب مروان الخلافة قام رَوْح معه حتى وَليها، ثم صار خصيصاً بعبد الملك، وكان يكتب له، ويُثني عليه عبد الملك ويقول: هو عراقيُّ الخَطّ، حجازيُّ الفقه، فارسيُّ الكتابة.

أسند روح عن جماعة من الصحابة[2].

زاذان الكوفي

أبو عبد الله، مولى كِندة[3]. من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

وكان بَزّازاً يبيع الكَرابيس. [قال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى سالم بن أبي حفصة، عن زاذان أنه] كان يبيع الثياب، فإذا عرض الثوب على المُشتري ناولَه شرَّ الطَّرفَيْن، [وفي رواية] وسامَه[4] مَرَّةً واحدة.

وكان صالحاً مُجابَ الدَّعوة، [روى أبو نعيم عنه أنه] جاع يوماً فقال: يا ربِّ، إني جائع فأطعمني، فسقط عليه رَغيفٌ مثلُ الرَّحىَ من الرّوْزَنَة[5].

---

(١) انظر ديوانه ١/ ٥٧٥ (صادر).

(٢) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٩٧ فما بعدها، و«المنتظم» ٦/ ٢٥١ ، والسير ٤/ ٢٥١ .

(٣) في (ص): ومنهم زاذان الكوفي مولى كندة، وكنيته أبو عبد الله.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): وساومه. والخبر في الحلية ٤/ ١٩٩ .

(٥) «حلية الأولياء» ٤/ ١٩٩ ، والروزنة: الكُوَّة. وما سلف بين معكوفين من (ص).

وكان سببُ إقبالِه على الله تعالى ما قرأتُه على شيخنا الموفَّق رحمه الله في كتاب «التَّوابين» قال: مَرّ ابن مسعود بالكوفة(١)، وإذا بشباب مُجتمعين يشربون، ومعهم زاذان يَضرب بالعود، ويغنِّي بصوتٍ حَسَن، فسمعه ابن مسعود فقال: ما أحسن هذا الصَّوتَ لو كان بكتاب الله، وسمعه زاذان، فقام وضرب بالعود الأرض فكسره، ثم جعل منديله في عُنقه، وأدركَ ابنَ مسعود وهو يبكي، فاعتنقه ابنُ مسعود، وجعلا يبكيان، وابن مسعود يقول: كيف لا أحبُّ مَن قد أحبَّه الله تعالى، ثم تاب وحَسُنَت توبتُه، ولزم ابنَ مسعود حتى صار إماماً في العلم(٢).

وقال أبو أحمد بن عدي: تاب زاذان على يد ابن مسعود، وسمع منه(٣).

ذكر وفاته:

قال خليفة: مات زاذان وأبو وائل في سنة اثنتين وثمانين.

وقال جدِّي في «الصَّفوة»: تُوفِّي زاذان بالكوفة أيام الحجّاج، بعد الجَماجم(٤).

أسند زاذان عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، والبراء بن عازب، وسلمان الفارسي، وجرير بن عبد الله البَجَليّ، وأبي هريرة، وعائشة ﷺ في آخرين.

وقد تكلَّم فيه أبو عبد الله الحاكم فقال: زاذان ليس بالقوي عندهم.

ووثقه ابن مَعين، والنسائي، وأبو أحمد بن عدي، وابن سعد(٥).

سفيان بن وَهْب

أبو أيمن الخَولانيّ، شهد حجَّةَ الوداع مع النبي ﷺ، ووفد عليه، وله أحاديث.

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وكان سبب إقباله على الله أن ابن مسعود ﷺ مر بالكوفة، والمثبت من (ص)، والخبر في التوابين ٢١٤ـ٢١٥.

(٢) بعدها في (أ) و(ب) و(خ) و(د): ومات في سنة اثنتين وثمانين، والمثبت من (ص).

(٣) «الكامل» ١٠٩١.

(٤) «طبقات خليفة» ١٥٨، و«صفة الصفوة» ٣/ ٥٩. وانتهت ترجمة زاذان في (ص)، وفيها بعدها ترجمة أعشى همدان.

(٥) انظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٨، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٣١٨ وما بعدها، و«المنتظم» ٦/ ٢٥١ـ٢٥٢، و«السير» ٤/ ٢٨٠.

وقال ابن سعد: هو من ثقات التابعين(١).

وبعثه عبد العزيز بن مروان إلى إفريقية غازياً.

وقال: حضرت مع عمر بالجابية، فجاءه قوم من أهل الذِّمَّة فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد فَرَضْتَ علينا أن نَرزُقَ المسلمين العَسَل، ولا نجده عندنا، وإن عندنا شراباً يشبه العسل، فقال: ائتوني به، فأتوه به فجعل يرفعه على إصبعه، فيمتدّ كهيئة العسل، فقال عمر: إن هذا يشبه طِلاء الإبل، فأتوه بماءٍ، فصبّ(٢) عليه وشرب منه، وسقى أصحابَه وقال: ما أطيب هذا، ارْزُقونا منه وارزقوا المسلمين منه.

عبد الله بن الحارث

ابن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد الهاشمي، من الطبقة الأولى من التابعين، وأمه هند بنت أبي سفيان بن حَرْب، وهو الملقَّب: بَبَّة.

وُلد في زمن رسول الله ﷺ، فأتت به أمُّه إلى أختها أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ عليها فقال: من هذا؟ فقالت: ابنُ عمّك وابن أختي، فتَفَل في فيه ودعا له.

وقد ذكرنا طرفاً من أخباره، ووفاته بعُمان.

وكان له من الولد: عبد الله، ومحمد، أمهما [خالدة بنت مُعَتِّب بن أبي لَهب ابن عبد المطلب، وأمُّها] عاتكة بنت أبي سفيان بن الحارث(٣).

وإسحاق، وعبيد الله وهو الأَرْجُوان، والفضل، وأمّ الحَكَم ولدت لمحمد بن علي ابن عبد الله بن عباس: يحيى ومحمداً والعالية بني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وأمّ أبيها(٤) بنت بَبَّة.

وزينب، وأم سعيد، وأم جعفر، وأمهم أم عبد الله بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٤٤ وفيه: سفيان بن وهب الخولاني، لقي عمر بن الخطاب. اهـ. ونقله عنه ابن عساكر ٦/ ٣٨٥ (مخطوط)، ولم أقف على كلام ابن سعد الذي نقله المصنف.

(٢) في (أ): فيريقه على إصبعه... فصبه، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦/ ٣٨٤.

(٣) ما بين معكوفين من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨، وجاء في نسب قريش ص٨٦ - ٨٧ أن أمّ محمد هي هند بنت خالد بن حِزام.

(٤) في النسخ: وأم أمها، والمثبت من «طبقات ابن سعد».

وعبد الرحمن، وأمُّه بنت محمد بن صَيفيّ المخزومي.

وكان لبَبَّة ضُرَيْبة، وأم عَون[(١)]، وهند، وعون، لأمَّهات أولاد شتّى[(٢)].

أسند بَبَّة عن عمر، وعثمان، وأُبيّ بن كعب، بن زيد، والمغيرة بن شُعبة، وصفوان ابن أمية، وميمونة زوج النبي ﷺ، وعن كعب الأحبار، فأرسل الحديثَ عن رسول الله ﷺ وله إدراك.

وكان ثقةً قليلَ الحديث، وروى عنه ابناه إسحاق وعبد الله، وسليمان بن يسار، وعبد الحميد[(٣)]، وعبد الملك بن عمير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو إسحاق السَّبيعي، وعمر بن عبد العزيز، في خلق.

وكان من أفاضل المسلمين، شهد مع عمر رضوان الله عليه الجابية، وسمع خطبته قال: فقال عمر فيها: مَن يَهدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلِ فلا هاديَ له، وكان هناك جاثَليق النصارى، فنَفَض ثوبَه، وقام كالمُنكِر لقول عمر، فقال عمر: ما يقول عدوُّ الله؟ قالوا: إنه يقول: إن الله لا يهدي ولا يضل، فقال: كذبت يا عدو الله، بل الله خَلَقك، ثم أضلَّك، ولولا وَلْثٌ[(٤)] من عَهْدٍ لضَرَبْتُ عُنقَك، ثم قال عمر رضوان الله عليه: إن الله لمَّا خلَق آدم بَثَّ ذُرِّيتَه في الأرض وقال: هؤلاء وما كانوا عاملين للجنة، وهؤلاء وما كانوا عاملين للنار، وأشار بالجنة لأهل اليمين، والنار لأهل الشمال، قال: فافترق الناس وما يختلف اثنان في القَدَر[(٥)].

عبد الله بن شداد بن الهاد

واسم الهاد عَمرو اللَّيثي، وسمي الهادي لأنه كان يوقد نارَه للأضياف ليلاً، ولمن سلك الطريق.

---

(١) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨ : وأم عمرو.

(٢) ذكر الزبيري من أولاده في نسب قريش ص٨٦ الصَّلْت بن عبد الله بن الحارث، وانظر ما سيرد ص٣٤٥ في ذكر أولاد عبد الله بن نوفل بن الحارث.

(٣) هو ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، انظر «تاريخ دمشق» ٨٥ (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد).

(٤) شيء قليل.

(٥) «تاريخ دمشق» ٨٦ـ٨٨ ، وانظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» ٩/ ٩٩ ، و«السير» ٣/ ٥٢٩ .

وعبد الله من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه سَلْمى بنت عُمَيس الخَثْعَميَّة أخت أسماء.

روى عبد الله عن عمر، وعلي رضي الله عنهما.

وكان شيعياً ثقةً قليلَ الحديث، وهو أخو بنت حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه لأمها.

وكان يأتي الكوفة كثيراً فينزلها، وخرج فيمن خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث فقتل يوم دُجَيل.

وقال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصُّفوف، وهو يقرأ سورة يوسف حين بلغ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٨٦].

وكان عابداً فقيهاً كثير الحديث، شهد مع علي عليه السلام النهروان، وخالته ميمونة زوج النبي ﷺ أخت سلمى وأسماء ابنتي عُمَيْس، وأمهن هند بنت عوف.

وكان شريفاً مُطاعاً، ولقي معاذاً، وابنَ عباس، وابن عمر، وعائشة وأم سلمة، وميمونة رضي الله عنهم، وغير واحد من الصحابة.

وكان من كبار التابعين وثِقاتهم، وروى عنه طاووس، والشّعبي، وابن عَون، وأبو إسحاق الشَّيباني وغيرهم(١).

عبد الرحمن بن حُجَيْـرَة

أبو عبد الله الخَوْلاني، كان يقصُّ بمصر على الناس، وهو قاضيها، وكان يلي بيت المال، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وكان رزقُه في كلِّ سنةٍ ألفَ دينار: مئتان عن القضاء، ومئتان عن القصص، ومئتان عن ولاية بيت المال، ومئتان عن رزقه، ومئتان جائزة، فلا يَحول الحَوْل وعنده دِرهم، ومات في المحرَّم، وروى عن ابن عمرو، وأبي هريرة وغيرهما(٢).

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦٤، ٨/ ٢٤٦، و«تاريخ دمشق» ٩/ ٤٠٢، و«تهذيب الكمال» (٣٣١٨)، و«السير» ٣/ ٤٨٨.

(٢) «أخبار القضاة» ٣/ ٢٢٥، و«تهذيب الكمال» ١٧/ ٥٤.

[فصل: وفيها توفي]

أعشى هَمْدان

واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، [وكنيته] أبو المُصَبَّح الكوفي الهَمْداني، كانت أخت الشعبيّ تحته، وأختُه تحت الشعبي.

وكان الأعشى قارئاً لكتاب الله تعالى، فقيهاً، فترك ذلك واشتغل بالشعر.

[وحكى الهيثم عنه] قال: رأيت في المنام كأني دخلت بيتاً فيه حِنطة وشَعير، [فقبضتُ بيدي اليمنى على الحنطة، والأخرى على الشعير، فقصصتها على الشعبي، وفي رواية:] فتركتُ الحِنطةَ وأخذتُ الشعير، فقال له الشعبي: لئن صدقتْ رؤياك لتَسْتَبدِلَنَّ القرآن بالشعر[1]، [ويقال: إنه نسي القرآن وقال الشعر.

ذكر طرف من أخباره:

وهو أعشى هَمْدان، قال الجوهري: والأعشى هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار][2].

وقد ذكرنا أنه خرج مع ابن الأشعث، قال المبرّد: أُتي الحجاجُ بأعشى هَمْدان، فقال له: يا عدوَّ الله، الحمد لله الذي مَكَّنني منك، وشفى صدري، ألست القائل: [من الرجز]

إن ثَقيفاً منهم الكَذّابانْ كذّابُها الماضي وكَذّابٌ ثان

وذكر الأبيات، ألستَ القائل في ابن الأشعث: [مجزوء الكامل]

يا بنَ الأشَجِّ قَريعَ كِنْـ ـدَةَ لا أُبالي فيك عَتْبا
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ ـس وأنت أعلى الناسِ كَعْبا
نُبِّئْتُ حَجّاجَ بنَ يو سفَ خَرَّ من زَلَقٍ فتَبَّا
فانهضْ هُديتَ لعلّه يَجلو بك الرحمنُ كَرْبا

يا عدو الله، بل ابن الأشعث خرَّ من زَلَقٍ فتبّ، وجار وانْكَبّ، وما لقي ما أَحَبّ، ورفع بها صوتَه، وارْبَدَّ وَجهُه، واهتزَّ مَنكِباه، فلم يَبقَ في المجلس إلا مَن أهَمَّتْه نفسُه، فقال الأعشى: بل أنا القائل: [من الطويل]

---

(١) كذا، والجادة: لتستبدلَنَّ الشعر بالقرآن.

(٢) «الصحاح» (عشى ٦/ ٢٤٢٧)، وما بين معكوفين من (ص).

أبى الله إلا أن يُتَمِّمَ نُورَه ... ويُطفِيءَ نُورَ الفاسِقين فيَخْمُدا(١)

ويُنزِلَ ذُلاً بالعراقِ وأهلِه ... كما نَقَضوا العَهْدَ الوَثيقَ المُؤكَّدا

وما أحدثوا من بِدعةٍ وعَظيمةٍ ... من القَوْلِ لم تَصْعَد إلى الله مَصْعَدا

وما نَكَثوا من بَيْعةٍ بعد بَيْعةٍ ... إذا ضَمِنوها اليوم خاسوا بها غدا

فكيف رأيتَ الله فَرَّق جَمْعَهم ... ومَزَّقهم عُرْضَ البلادِ وشَرَّدا

فلا صِدقَ في قولٍ ولا صَبْرَ عندهم ... ولكنَّ فَخراً فيهمُ وتَزَيُّدا

فقَتْلاهمُ قتلى ضَلالٍ وفِتْنةٍ ... وحَيُّهمُ أمسى ذَليلاً مُطَرَّدا

ولما زَحَفْنا لابنِ يُوسُفَ غُدوةً(٢) ... وأبْرقَ منّا العارِضان وأرْعَدا

قَطَعْنا إليه الخَنْدَقَين وإنما ... قَطَعْنا وأفْضَيْنا إلى الموتِ مُرصِدا

فما لَبث الحجاجُ أن سَلَّ سيفَه ... علينا فولّى جَمْعُنا وتَبَدَّدا

فيَهْنى أميرَ المؤمنين ظُهورُه ... على أُمَّةٍ كانوا بُغاةً وحُسَّدا

وَجَدْنا بني مَروان خيرَ أئمَّةٍ ... وأفضلَ هذي الناسِ حِلْماً وسُؤدَدا

وخيرَ قُريشٍ في قريش أرُومَةً ... وأكرمَهم إلا النبيَّ مُحَمَّدا

إذا ما تَدَبَّرْنا عَواقِبَ أمرِه ... وَجَدْنا أميرَ المؤمنين مُسَدَّدا

سيُغْلَبُ قَومٌ غالبوا الله جَهْرةً ... وإن كايَدوه كان أقوى وأكْيَدا

لقد تَركوا الأهْلِينَ والمالَ خَلْفَهمْ ... وبِيضاً عليهنّ الجَلابيبُ خُرَّدا(٣)

يُنادِيْنَهم مُسْتَعبِراتٍ إليهمُ ... ويُذْرِينَ دَمْعاً في الخُدودِ وإثْمِدا

لقد شَأمَ المِصْرَين فَرْخُ محمّدٍ ... بذُلٍّ وما لاقى من الطَّيرِ أسْعدا

كما شَأمَ اللهُ النُجَيْرَ(٤) وأهلَه ... بجَدٍّ له قد كان أشْقى وأنْكَدا

---

(١) كذا في الطبري ٦/ ٣٧٦، وفي الأغاني ٦/ ٦٠: نارَ الفاسقين فتخمدا. وهو الأنسب

(٢) كذا في الطبري. وفي الآني: ضِلَّةً، أي: ضلالاً. وهو الأشبه.

(٣) جمع خَريدة، وهي الفتاة العذراء.

(٤) هو حصن منيع باليمن قرب حضرموت، لجأ إليه أهل الرِّدَّة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه، فحاصره زياد بن لبيد البياضي حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك سنة (١٢) للهجرة ينظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٢.

من أبيات، فقال مَن حَضر من أهل الشام: أيها الأمير، إنه قد أحسن، فخلِّ سبيلَه، فقال الحجّاج: والله ما أراد بهذا المدح، وإنما قاله حَنَقاً وتَغَيُّظاً على أصحابه حيث لم يَظفَروا بكم، وظهرتُم عليهم، ثم قال له: ألست القائل:

بين الأشَجِّ وبين قَيْسٍ باذِخٌ؟

قال: بلى، قال: فأنشِدْها، فأنشد: [من الكامل]

كم من أبٍ لك كان يَعْقِدُ تاجَه ... بجَبينِ أبْلَجَ مِقْوَلٍ صِنْديدِ
وإذا سألتَ: المجدُ أين مَحَلُّه ... فالمَجْدُ بين محمدٍ وسعيدِ
بين الأشَجِّ وبين قيسٍ باذِخٌ ... بَخْ بَخْ لوالدِه وللمَولودِ

قال له الحجاج: وَيْحك، هذا لابن الحائك، فما أبقيتَ لمَن بعده؟ والله لا تُبَخْبِخُ بعدها لأحدٍ أبداً، وضرب عُنقه.

فقال الشعبي: قدمتُ البصرةَ، فجلست في حَلقةٍ فيها الأحنف بن قيس، فقال رجل من القوم: من أين أنت؟ فقلت: من الكوفة، فالتفت إلي رجل فقال: هذا مولانا، أي: عبدنا، فقلت له: هل علمتَ ما قال أعشى هَمْدان فينا وفيكم؟ قال: وما الذي قال؟ قلت: [من الرمل]

وإذا فاخَرْتُمونا فاذكُروا ... ما فعَلْنا بكمُ يومَ الجَمَلْ
إن ذاك اليوم لا مِثلَ له ... فانتَهُوا قد سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ
بين شيخٍ خاضِبٍ عُثْنُونَه ... وفَتىً أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ[1]
جاءنا يَهْدِرُ في سابِغَةٍ ... فذَبَحْناه ضُحًى ذَبْحَ الجَمَلْ
ثم ناداكُم مُنادٍ أنه ... آمِنٌ مَن رَدَّ باباً ودَخَلْ
وعَفَوْنا فنَسِيتُم عَفْوَنا ... وكفَرْتُم نِعْمَةَ الله الأجَلّ
أفَخَرْتُمْ أن قَتَلْتُم أعْبُداً ... وهَزَمْتُم مَرَّةً آلَ رُغَلْ[2]
نحن قُدناكُم صِغاراً عَنْوَةً ... وجَمَعْنا أمرَكُمْ بعد الفَشَلْ

قال: فغضب الأحنف بن قيس وقال: هاتوا تلك الصَّحيفة، فإذا هي من المختار إلى الأحنف بن قيس ومَن قِبَلَه من مُضَر: أما بعد، فويلٌ لمُضَر من شَرٍّ قد حَضَر، ولابد

(١) العُثنون: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً، والرِّفَلّ: الطويل الذيل من الثياب.
(٢) في الأغاني ٦/ ٥٥: آل عَزَل. يريد بهم الخوارج.

أن يُورَد الأحنفُ وقومُه حرَّ سَقَرْ، لا يَقدِرُون على صَدَرْ، وقد بلغني أنكم تُكَذِّبون بي وبرُسُلي، فإن فعلتُم فقد كُذِّب الرُّسُل من قَبلي، ثم قال الأحنف: فهذا منا أو منكم؟ قال الشعبي: فلم أُحِرْ جواباً.

وقال حمّاد بن زيد: خرج الأعشى إلى بلاد الدَّيْلَم فأُسِر، فأقام عند بعض الدَّيْلَم مُدةً، فهَوِيَتْه ابنتُه، وصارت إليه ليلاً، وأمكَنَتْه من نفسها، فواقَعها في تلك الليلة ثماني مرات، فقالت: هكذا تَصنعون بنسائكم؟ قال: نعم. قالت: فبهذا تُنْصَرون. ثم قالت: فإن أنا خَلَّصتُك تَصطَفيني لنفسك؟ قال: نعم. فلما كان الليل حَلَّتْ قُيودَه، وأخذت به طرائق تعرفُها، فخَلَصا[1].

عبد الرحمن بن أبي ليلى

يسار بن بلال بن بُليل بن أُحَيحَة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبا بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف، من الأوس، أنصاري.

وأبو ليلى صحب رسول الله ﷺ وشهد معه أُحداً وما بعدها من المشاهد، ثم انتقل إلى الكوفة وبنى بها داراً في جُهينة.

روى عنه ابنُه عبد الرحمن، وشهد هو وابنه عبد الرحمن مع علي عليه السلام مشاهدَه كلَّها، ووفد على معاوية، ووُلد ابنُه عبد الرحمن لستّ سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وقدم المدائن في حياة حُذيفة وفي أيام علي عليه السلام.

وعبد الرحمن كُنيته أبو عيسى، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان عالماً زاهداً متعبداً، كان إذا صلى الصبح نشر المصحف، وقرأ حتى تطلع الشمس.

ولما قدم الحجاج الكوفة أراد أن يستعمله على القضاء، فقال له حَوْشَب: إن كنتَ تريد أن تبعثَ عليَّ بن أبي طالب على القضاء فافعل.

قال الأعمش: رأيتُ عبد الرحمن وقد أوقفه الحجاج فقال: الْعَن الكذّابِين: علياً وعبد الله بن الزبير والمُختار بن أبي عبيد، فقال عبد الرحمن: لعن الله الكذّابين، ثم

---

(١) انظر في ترجمته: «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٧٥، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٥، و«مروج الذهب» ٥/ ٣٥٥-٣٥٨، و«الأغاني» ٦/ ٣٣-٦٢، و«تاريخ دمشق» ٩/ ١٠٠٣ و١٠/ ١-٣ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٣، و«السير» ٤/ ١٨٥. والدَّيْلَم (كما في المعجم الوسيط): جيلٌ من العجم كانوا يسكنون نواحي أذربيجان.

ابتدأ فقال: عليٌّ وابنُ الزبير والمختار، قال الأعمش: فعلمتُ حين ابتدأ فرفعهم أنه لم يَعْنِهم.

وولاه الحجاج قضاء الكوفة فقيل: هو شيعي، فعزله، وولّى أبا بُردة بن أبي موسى، وأقعد معه سعيد بن جُبير.

وكان عبد الرحمن عَلويّاً، وعبد الله بن عُكَيم عُثمانياً، اصطحبا عشرين سنة، وكانا في مسجد واحد، فما جرى بينهما كلمة في أمر عثمان وعلي رضوان الله عليهما.

ولما ماتت أمُّ عبد الرحمن قدم ابنُ عُكَيم فصلّى عليها.

وعبد الله بن عُكَيم الجُهَني من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود ﷺ، وكان كبيراً قد أدرك الجاهلية، وتوفّي بالكوفة في ولاية الحجاج، وقال سفيان بن عُيينة: أنا غَسّلتُه[1].

ذكر وفاة عبد الرحمن:

خرج على الحجاج فقتل بدُجَيل، وقيل: غرق بدُجَيل.

أسند عبد الرحمن عن أبيه، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب في آخرين، وقال: أدركت عشرين ومئةً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سُئل أحدُهم عن المسألة أحبّ أن يكفيه غيره، وفي رواية: ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا أحبّ أن يكفيَه صاحبُه الفُتيا، وإنهم ها هنا يَتوثَّبون على الأمور تَوثُّباً.

وروى عنه الشعبي، ومجاهد، والحسن البصري، وابن سيرين، والأعمش، وأقرانهم[2].

وعبد الرحمن بن أبي ليلى والد محمد الفقيه قاضي الكوفة، توفي سنة ثمان وأربعين مئة.

عُقبة بن عبد الغافر

أبو نَهار الأزديّ، من الطبقة الثانية[3] من أهل البصرة، كان زاهداً عابداً.

---

(١) انظر ترجمة ابن عكيم في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٣٣.

(٢) انظر في ترجمة عبد الرحمن: «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٩، و«تاريخ بغداد» ١٠/ ١٩٩، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٢، و«السير ٤/ ٢٦٢.

(٣) في (خ): الثالثة، وهو خطأ.

قال ثابت البُناني: ما كان أحدٌ من الناس أحبّ إليَّ أن ألقى [الله في] مِسْلاخِه[١] إلا عُقبة بن عبد الغافر، فلما وقعت الفتنةُ أتيناه فقال: ما أعرفكم.

ولما وقعت فتنةُ ابن الأشعث خرج فيها، وقاتل الحجاج مع القُرَّاء، فلما وقع جَريحاً في الخندق، وانهزم الناس؛ جعل يقول: ذهبت الدنيا والآخرة، ثم قُتل.

[وفيها توفي]

أبو البَخْتَرِيّ الطائيّ

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة، [قال:] واسمُه [فيما ذكر] عليّ بنُ عبد الله بن جعفر: [سعيد بن أبي عمران]، وقيل: سعيد بن جُبير[٢].

وهو مولى لبني نَبْهان من طَيّىء.

ولما كان يوم الجَماجم أراد القُرَّاء أن يُؤمّروه عليهم فقال: لا تفعلوا فإني رجل من الموالي، فأمَّروا عليهم رجلاً من العرب.

شهد مع ابن الأشعث يوم دُجَيل الأهواز سنة ثلاث وثمانين فقتل.

وكان يسمع النَّوحَ ويبكي، وكان[٣] كثيرَ الحديث، يُرسل حديثَه [ويروي عن أصحاب رسول الله ﷺ]، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان مرسلاً فهو ضعيف.

[فصل: وفيها توفي]

الكُمَيْل بن زياد

ابن نَهيك بن مالك[٤] النخعي، من الطبقة الأولى من أهل الكوفة، وكان من أصحاب علي عليه السلام، شهد معه صفِّين والنَّهروان ومشاهدَه كلَّها.

---

(١) في النسخ: ألقى سلاحه، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٩/ ٢٢٤ . والمِسْلاخ: الجِلْد.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وكان فيها: واسمه فيما ذكر علي بن عبد الله بن جعفر، وقيل سعيد بن جبير، وقيل سعيد بن أبي عمران، وأصلحت سياقه من «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠٩ ، وسمّاه الذهبي في «السير» ٤/ ٢٧٩ سعيد بن فيروز.

(٣) في (ص): وقيل كان يسمع... قال وكان.

(٤) بين نهيك ومالك ستة آباء في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٩ ، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٨٠ .

وكان فصيحاً شريفاً مطاعاً في قومه. [وذكره المدائني فقال: كان] من عُبّاد الكوفة ورؤساء الشيعة. [قال ابن سعد: كان] ثقةً قليلَ الحديث[١].

سيَّره عثمان ﷺ من الكوفة إلى الشام مع مَن سَيَّره، وكان عثمان رضوان الله عليه قد لَطمه، فطلب منه القِصاص، فقال: اقتصّ، فعفا عنه.

واختلفوا في كيفية قتله ومتى قُتل، فذكرنا أن الحجاج لما دخل والياً إلى الكوفة قتله؛ لأنه لما فرغ من خطبته قال للنَّخَع: أفيكم الكميل بن زياد؟ قالوا: نعم، قال: أحضروه، فامتنعوا، قال: لا عطاء لكم حتى تأتوني به، فجاؤوا به على نعش، فتركوه إلى جانب المنبر فقتله[٢].

والمشهور [أنه] قتلَه بعد دير الجماجم، وكان مع القُرَّاء، فلما انهزم ابن الأشعث، وجيء بالأسرى؛ جيء بالكُميل [بن زياد] فقال له الحجاج: أنت المُقتَصُّ من أمير المؤمنين عثمان؟ قد كنتُ أحبُّ أن أجِدَ عليك سبيلاً، فقال له الكُميل: ما أدري على أيِّنا أنت أشدُّ غضباً، عليه حين أقاد من نفسه، أو عليَّ حين عفوتُ عنه! فقال: والله لا تركتُك تقتصُّ من خليفة أبداً، فقال: أيها الرجل، لا تَصرِف عليَّ أنيابَك، ولا تَهَدَّم عليّ تَهدُّمَ الكَثيب، ولا تكشِرْ كَشَرَان الذِّئب، والله ما بقي من عُمري إلا ظِمْءُ الحِمار[٣]، يشرب غُدوةً ويموت عَشيَّةً، أو يشرب عَشيةً ويموت غُدوة، اقضِ ما أنت قاض [إنما تقضي هذه الحياة الدنيا]؛ فإني أنتظر الموت صباحاً ومساء، والقصاصُ أمامك، والموعد القيامة. فقال: والله لأقتلَنَّك على يدي إنسانٍ هو أشدُّ بُغضاً لابن أبي طالب من حبّك إياه، فقال: أما أمير المؤمنين فقد صار إلى جنّات النعيم، وأما أنت وبنو أمية ففي عذاب الجَحيم، والله لو علموا أكثفَ وجهاً، وأقلَّ عقلاً، وأجرأ على الله منك لما ولَّوك يا ابن أبي رِغال، يا بقية [آل] ثَمود، ولعنه لَعْناً كثيراً، فأمر ابنَ أدهم القيسي[٤] الحمصي - وكان أبغض الناس لأمير المؤمنين عليه السلام - فضرب

---

(١) ما بين معكوفات من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٩، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٨٢ و٤٨٤ وعنه ينقل.

(٢) من قوله واختلفوا. . . إلى هنا من (ص) وفي (أ) و(ب) و(خ) و(د): فعفا عنه، وقد ذكرنا قتل الحجاج له لما دخل الكوفة.

(٣) أي: إلا اليسير. لأن الحمار قليل الصبر على الظمأ. والظِّمْءُ: ما بين الشُّرْبين.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٤٩١: فبعث إلى أدهم القيسي، وانظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٦٥.

عنقه، وقيل: إنما قتله أبو جَهْم بن كِنانة الكلبيّ [وكان] ابنَ عمِّ منصور بن جُمهور، وكان الكُميل قد جاوز التسعين.

أسند عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي هريرة ﷺ، وروى عنه الأعمش، وأبو إسحاق الهَمْداني وغيرهما.

[ومن رواياته عن علي الموعظة البالغة، وقد ذكرناها في ترجمة أمير المؤمنين]. وحضر الكُميل حصار عثمان رضوان الله عليه.

محمد بن سعد بن أبي وقّاص

من الطبقة الأولى من التّابعين من أهل الكوفة، وكان بالمدينة، فتحوَّل إلى الكوفة، وكان ثقةً وله أحاديث، والأصحُ أنه قتل بعد الجَماجم، أُتي به أسيراً إلى الحجَّاج فقتله[١].

[فصل: وفيها توفيت]

معاذة بنت عبد الله

[وكنيتها] أمُّ الصَّهباء العَدَويّة، زوجة صِلة بن أَشْيَم [وقد ذكرناها في سنة ست وسبعين].

كانت من عابدات البصرة.

[قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن فُضيل، عن أبيه قال:] كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تُمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تُصبح، وإذا جاء البَرْدُ لبست الثيابَ الرِّقاق حتى يَمنعها البردُ من النوم[٢].

[وقال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حكم بن سنان الباهلي، عن امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت:] كانت تحيي الليل صلاةً، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٦٥-١٦٦.

(٢) «الزهد» لأحمد ٢٥٧. وما بين معكوفين من (ص).

وتقول: يا نفس، النوم أمامَك، ولو قد متِّ لطالت رَقْدَتُك في القبر على حسرةٍ أو سرور، [قالت:] فهي كذلك حتى تُصبح.

[قالت:] وكانت تصلّي كلّ يومٍ وليلةٍ ستّ مئة ركعة، وتقرأ جُزأها من القرآن، تقوم به الليل وتقول: عَجِبتُ لعينٍ تنام وقد عرفتْ طُولَ الرُّقادِ في ظُلمة القبور.

[وقال ابن أبي الدنيا بإسناده: إنها] لم ترفع رأسَها إلى السماء أربعين عاماً.

[قال: وقالت معاذة لابنةٍ] أرضعتْها[١]: يا بُنَيّة، كوني من لقاء الله على حذر ورجاء، فإني رأيت الراجي له مَحْفوفاً بحسن الزُّلفى لديه يوم القيامة، ورأيت الخائف له مؤمِّلاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم غلب عليها البكاء.

[قال:] وقالت: قد صحبتُ الدنيا سبعين عاماً، فما رأيتُ فيها قُرَّةَ عينٍ قط، وكيف أرى السرورَ فيها وقد كَدَّرَتْ على الأمم قبلَنا عيشَهم؟!

[وروى ابن أبي الدنيا أن معاذة] لم تتوسَّد فراشاً بعد أبي الصَّهْباء حتى ماتت[٢].

[قال:] وكانت تقول: والله ما أحبُّ البقاءَ في الدنيا إلا لأتقرَّبَ إلى الله بالوسائل، لعله أن يجمع بيني وبين أبي الصَّهباء وولده في الجنة، فلما احتُضرت بكت ثم ضحكت، فقيل لها في ذلك فقالت: أما بكائي فإني ذكرتُ مفارقةَ الصلاةِ والصيام والذّكر، وأما ضَحكي فإني رأيتُ أبا الصهباء قد أقبل في صحن الدار، وعليه حُلَّتان خَضْروان ما رأيتُ في الدنيا أحسنَ منهما، ورأيت معه نفراً ليس في الدنيا مَن يُشبِههم[٣] فضحكتُ فَرَحاً بهم، ثم ماتت بعد ساعة قبل دخول وقتِ الصلاة.

[قال الواقدي: توفيت معاذة] في سنة ثلاث وثمانين، وروت عن عائشة رضوان الله عليها، وروى عنها الحسن البصري وغيره، والله أعلم[٤].

---

(١) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): وقالت لامرأة أرضعتها، والمثبت من (ص) وما بين معكوفات منها.

(٢) انظر «التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا (٨١) (٨٢) (١٤٥)، وما بين معكوفات من (ص)، وقوله: لم تتوسد... جاء في (أ) و(ب) و(خ) و(د) عقب القول الذي قبله. والمثبت من (ص).

(٣) في (أ): لم أر في الدنيا من يشبههم أحسن منهم.

(٤) بعدها في (ص): السنة الرابعة والثمانون. وانظر ترجمة معاذة في «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٤٤٧، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٤، و«صفة الصفوة» ٤/ ٢٢-٢٤، و«السير» ٤/ ٥٠٨.

مَعْبَد الجُهَنيّ

من أهل البصرة، من الفقهاء، وهو أول من تَكَلَّم في القَدَر بالبصرة، وهو من الطبقة الثانية من أهل البصرة، وحضر التَّحكيم بدُومة الجَنْدل.

روى عن عِمران بن حُصَين، وعمر بن الخطاب رضوان الله عليه مرسلاً، وعثمان ابن عفان، وحُمْران بن أبان، وابن عمر، وابن عباس وغيرهم، وروى عن الحسن البَصريّ، وابن سيرين[1]، وروى عنه قتادة، ومالك بن دينار، وعَوف الأعرابيّ، ومعاوية ابن قُرَّةَ المُزَنيّ.

واستقدمه عبد الملك بن مروان إلى دمشق؛ ليُنْفِذَه رسولاً إلى ملك الروم، ثم جعله مع ابنه سعيد بن عبد الملك يُؤدِّبه ويُعلّمه.

وقال عبد الملك بن عمير[2]: اجتمع القُرَّاء إلى مَعْبَد الجُهنيّ ـ وكان ممن شهد دُومة الجَنْدل موضع الحكَمَين ـ فقالوا له: قد طال أمرُ هذين الرَّجُلَيْن، فلو لقيتَهما فسألتَهما عن بعض أمرهما، فقال: إنكم تُعَرِّضوني لأمرٍ أنا له كاره، والله ما رأيتُ مثلَ هذا الحيّ من قريش، كأنما أُقفلت قلوبُهم بأقفالٍ من حديد، وأنا صائر إلى ما سألتم.

قال مَعْبَد: فخرجتُ فلقيتُ أبا موسى، فقلت له: صحبتَ رسولَ الله ﷺ وكنتَ من صالحي أصحابه، واستعملك فكُنتَ من صالحي عُمّاله، وقُبض وهو عنك راض، وقد وَليتَ هذا الأمر، فانظر ما أنت صانع، قال: فقال لي: يا مَعْبد، غداً ندعو الناس إلى رجلٍ لا يَختلفُ عليه اثنان، فقلت: أما هذا فقد عزل صاحبَه، فطمعتُ في عمرو، فخرجتُ فلقيتُه وهو راكب على بغلة، فأخذتُ بعِنانها، وقلتُ له كما قلتُ لأبي موسى، فخلع عنانها من يدي وقال: إيه يا تيسَ جُهَيْنة، ما أنت وهذا؟ لستَ من أهل السرِّ ولا من أهل العلانية، والله ما يَنفعُك الحقّ، ولا يَضرُّك الباطل. ثم مضى وتركني، فقال معبد: [من البسيط]

---

(١) كذا وقع في النسخ، وإنما روى عنه الحسن البصري كما في تهذيب الكمال ٤٨/ ٢٤٥، ولم أقف على رواية ابن سيرين عنه، وإن كان ذلك ممكناً، فوفاة ابن سيرين سنة (١١٠). وقد روى معبد عن الحسن بن علي بن أبي طالب كما في تهذيب الكمال وتاريخ دمشق ٦٨/ ٤١٥.

(٢) في النسخ: عبيد بن عمير، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤١٩، و«السير» ٤/ ١٨٦.

إني لقيتُ أبا موسى فأخبرني ... بما أردتُ وعَمرٌو ضَنَّ بالخَبرِ
شتّانَ بين أبي موسى وصاحِبِهِ ... عمرٍو لعَمْرُك عند الفَضْلِ والخَطَرِ
هذا له غَفْلةٌ أبدتْ سريرتَه ... وذاك ذو حَذَرٍ كالحيَّةِ الذَّكَرِ

وقال ابن معين: كان مَعْبد ثقةً صدوقاً في الحديث، وكان رأساً في القَدَر.

وقال أبو زُرْعَة: كان مَعبد ضعيفاً، وقال يحيى بن يَعْمَر: زعم معبد أن الأمر أُنُف، مَن شاء عمل خيراً، ومَن شاء عمل شرّاً.

وقال الأوزاعي: أول من تكلَّم في القَدَر رجل من أهل العراق يقال له: سُوْسَن، كان نصرانياً فأسلم ثم ارتدّ، فأخذ عنه مَعْبَد الجُهنيّ، وأخذ غَيْلانُ عن مَعْبَد.

وروى ابن عساكر: أن مَعبد الجُهنيّ لما تكلّم في القَدَر أخذه الحجاج فقتله.

وكان مَعْبد قد قاتل الحجاج في المواطن كلها، ثم ندم على قتاله، وكان الحجاج يُعذِّبُه بأنواع العذاب فلا يَصيح، فإذا جاء الذُّباب فوقع على جُرحه يَستغيث، فقيل له في ذلك فقال: عذابُ بني آدم أصبر عليه، أما الذباب فمن عذاب الله فلا صبر لي عليه.

وقيل: إن عبد الملك بن مروان قتله في القَدَر في سنة ثمانين، وصَلَبه بدمشق، وكان الحسن البصري يقول: أنهاكم عن مَعْبَد؛ فإنه ضالٌّ مُضِلّ[(١)].

المُهَلّب بن أبي صُفْرة

ظالم بن سَرَّاق بن صُبْح بن كِنديّ بن عمرو بن عَديّ بن وائل بن الحارث بن العَتيك بن الأَسْد بن عِمران بن عمرو بن مُزَيْقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد، الأَزْديّ، العَتَكيّ، البَصْريّ، وقيل: اسم أبي صُفْرة: سارق بن ظالم، وقيل: ظالم بن سارق، وقيل طارق بن سارق، وقيل: قاطع بن سارق.

وكان له ابنة يقال لها: فاختة، فسماها صُفرة.

وكان أبو صُفْرة من أَزْدِ دَبا، ما بين عُمان والبَحرين، وكانوا قد أسلموا، وقدم وَفْدُهم على رسول الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام، فبعث إليهم مُصَدِّقاً منهم يقال له: حُذَيفة

(١) انظر «تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٢٠-٤٢١ ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٨-٤٢٩.

ابن اليَمان الأَزْدِيّ من أهل دَبَا، وكتب له فرائضَ الصدقات، فكان يأخذ صَدَقات أموالهم من أغنيائهم، ويَردُّها على فقرائهم، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدُّوا ومنعوا الصدقة، فكتب حذيفة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذلك، فوجه عكرمةَ بنَ أبي جَهْل إليهم، فقاتلهم فهزمهم عكرمة، وأكثر فيهم القتل، ومضى فَلُّهم إلى حِصن دَبا فتحصَّنوا فيه، وحَصرهم المسلمون في الحصن، حتى نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان الأزديّ، فقتل مئةً من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعث بهم إلى أبي بكر الصديق رضوان الله عليه إلى المدينة، وفيهم أبو صُفرة غلامٌ لم يَبلغ يومئذ، فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتلَهم، فمنعه عمر بن الخطاب من ذلك وقال: هؤلاء قوم قد شَحُّوا على أموالهم، وأبى أبو بكر عليه، فوقَّف أمرَهم، وأنزلهم في دار رَمْلة بنت الحارث إلى أن توفي أبو بكر رضوان الله عليه، وولي عمر رضوان الله عليه، فدعاهم وقال: قد أفضى هذا الأمر إليّ، فانطلقوا إلى أيِّ البلاد شئتُم وأنتم أحرار لا فديةَ عليكم، فخرجوا حتى نزلوا البصرة، ورجع بعضهم إلى بلاده، وكان أبو صُفرة فيمن نزل البصرة، وشَرُف بها هو وأولاده[1]. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

وأما المهلب فمن الطبقة الأولى أيضاً من التابعين من أهل البصرة، وكنيته أبو سعيد، أدرك عمر رضي الله عنه ولم يرو عنه شيئاً، وروى عن سَمُرة بن جُنْدب وغيره، وولي خُراسان، ومات بمَرْوِ الرُّوذ سنة ثلاث وثمانين، واستخلف على خراسان ابنَه يزيد فأقرَّه الحجَّاج[2].

وكان المُهلَّب وأولاده من وجوه أهل البصرة وأشرافهم وشُجعانهم وفُرسانهم وأجوادهم.

وقال ابن عساكر: وفد أبو صُفرة على عمر رضوان الله عليه ومعه عشرة من الولد؛ المُهلَّبُ أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم ويتوسَّمُهم، ثم قال لأبي صُفرة: هذا سيدُ ولدِك، يعني المهلب[3].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٠٠-١٠١ ، ومن طريقه «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٢-٤٤٣ ، و«تهذيب الكمال» (٦٨٢٤).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٢٩ .

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٥ (مخطوط).

وفي سنة أربع وأربعين غزا المهلَّبُ أرضَ الهند، وولاه مصعب بن الزبير الجزيرة بعد قتل المختار، وغزا في خلافة عثمان رضوان الله عليه، وولي لبني أمية ولايات كثيرة، وأوفده سالم بن زياد على يزيد بن معاوية بهدايا كثيرة، فقدم على يزيد وهو بحُوَّارِين، واعتلَّ المهلَّبُ بالشام، فكان يزيد يعودُه، ويبعث إليه في كلِّ يومٍ بدواءٍ مختوم.

وقال خليفة: وَلّاه مصعب البصرة نيابة عنه، وولاه الحجاج خراسان في سنة ثمان وسبعين، وولاه إياها عبد الملك في سنة تسع وسبعين[١].

وقاتل أصحابَ أبي راشد[٢] نافع بن الأزرق، وكانوا خرجوا من البصرة فغلبوا على الأهواز وكُوَرِها، وما وراءها من بلد فارس وكَرْمان في أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عُمَّالَه بتلك النواحي، وكان مع نافع من أمراء الخوارج قَطَريّ بن الفُجاءة، وعطيّة بن الأسود الحَنفيّ، وعُبيدة بن هلال اليَشْكُريّ، وكانوا زُهاء ثلاثين ألفاً ممّن يرى رأيَهم، وكان عبد الله بن الحارث بَبَّه قد ولي البصرة عَقِيب إخراج عُبيد الله بن زياد منها، وأقرَّه ابن الزُّبير، وكان الخوارج قد ثاروا في زمنه، فجهز إليهم الجيوش وهم يهزمونها، وذلك في سنة أربع وستين، فبعث إليهم المهلَّب فأقام يُحاربهم تسعَ عشرة سنة؛ إلى أن ظهر عليهم في أيام الحجاج، وقَدِم عليه البصرة، فأكرمه وأجلسه معه على سريره، ووصل أصحابَه.

ومات نافع بن الأزرق وهم في حرب المهلَّب، فولَّوْا عليهم قَطَريَّ بن الفُجَاءة، وسمَّوه أميرَ المؤمنين، فخوطب بإمرة المؤمنين ثلاثَ عشرة سنة.

قال المغيرة بن محمد المُهَلَّبي[٣]: لما قاتل المهلَّب الأزراقة كان يَحترز من البَيات، فكان هو وابنُه المُغيرة يَدوران في أقاصي العسكر، ويَحرُسان الناس، فبينما هما ذات ليلة يَحرسان إذ مرّ بهما فارس مُتَلَثِّم قد سَتَر وجهَه وسائرَ بدنه بالحديد، فناداهما: أيّ شعرائكم يقول: [من الكامل]

(١) «تاريخ خليفة» ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٧٧، وانظر «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) في المخطوطات: رافع، وهو خطأ.

(٣) الخبر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٧ من رواية المغيرة بن محمد عن أبيه.

وطَوى الطِّرادُ مع القِياد بطونَها ... طَيَّ التِّجار بحضرموتَ بُرودا[(١)]

فقال المهلّب: هو جرير، فقال: هو والله أشعرُ شُعرائكم، ثم ولى، فقال المهلب: هذا والله قَطَرِيّ بن الفُجاءة.

ذكر وصية المهلب لأولاده، وطرف من كلامه وأخباره:

لما مرض دعا مَن عنده من بنيه وقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرَّحم، وأنهاكم عن القطيعة، واعرفوا لمَن يغشاكم حقَّه، ويكفي غُدوُّ الرجل ورَواحَه إليكم تذكرة، وعليكم في الحرب بالأناة والمَكيدة؛ فإنها أنفع من الشجاعة، وعليكم بقراءة القرآن، وتعلُّمِ السنن وآداب الصالحين، وعليكم بالصَّمت، وإياكم كثرة الكلام، وعليكم بالاجتماع، واحذروا الفُرقة.

ودعا بسهامٍ فربطها وقال: اكسروها، فلم يقدروا، ففرَّقها وقال: اكسروها، فكسروها، فقال: كذا أنتم إذا اجتمعتم وتفرَّقتم، أخذه من قول ابن عبد الأعلى الشيباني: [من الكامل]

إن القِداحَ إذا اجتمَعْنَ فرامَها ... بالكَسْرِ ذو حَنَقٍ وعِزٍّ[(٢)] أَيِّدِ

عَزَّتْ فلم تُكْسَرْ فإن هي بُدِّدَتْ ... فالكَسْرُ والتَّوهينُ للمُتَبَدِّدِ

قال المهلَّب لابنه يزيد: يا بُنيّ، إياك والإسراع إلى «نَعَم» عند السؤال؛ فإن أولَها سَهْل، وآخرَها وَعْر، وإن «لا» وإن قَبُحَتْ فربما رَوَّحَتْ.

وقيل للمهلب: بمَ نِلتَ ما نلت؟ فقال: بطاعة الحزم، وتجديد العزم، وعصيان الهوى.

وقال: ما شيء أَبْقى للمُلك من العَفو.

وقال: يُعجبني أن أرى عقلَ الكريم زائداً على لسانه، ولا يُعجبني أن أرى لسانَه زائداً على عقله.

---

(١) البيت لجرير، وهو في صفة خيل، انظر ديوانه ١/ ٣٣٩ (بشرح ابن حبيب).

(٢) في (أ): وبطش، وهي رواية في البيت، ونسبهما لابن عبد الأعلى: ابن الجوزي في المنتظم ٦/ ٢٧٥، وهما من قصيدة تمثل بها عبد الملك كما في التعازي والمراثي للمبرد ١٢٤-١٢٥.

ولم يُحفظ عنه من الشعر سوى هذين البيتين: [من البسيط]

إنّا إذا نَشأتْ يوماً لنا نَعَمٌ ... قالت أكُفٌّ لنا أزدِيَّةٌ عودوا

لا يوجدُ الجودُ إلا عند ذي كَرَمٍ ... والمالُ عند لِئام الناسِ مَوجودُ

ونزل المهلَّبُ دار محمد بن مِخْنَف، فلما أراد الرحيل قال لغلمانه: لا تحملوا من مَتاعنا شيئاً، فقُوِّم المتاعُ بثلاث مئة ألف درهم.

وكان المهلَّب أعورَ، سمع رجلاً يقول: هذا الأعور ساد الناس، ولو أُخرج إلى السوق لما ساوى أكثر من مئة درهم، فبعث إليه بمئة درهم وقال: لو زِدْتَنا في القيمة زِدناك في العطيَّة.

وأغلظ رجل للمهلب فلم يُجبه، فقيل له: اربأ عليك، فقال المهلب: لم أعرف مَساوئه، أفأَبْهَتُه بما ليس فيه.

وقدم زياد الأعجم خُراسان على المهلَّب، فنزل على حَبيب بن المهلَّب، فجلسا يوماً على الشراب؛ وفي الدار شجرةٌ عليها حَمامة، فجعلت تدعو، فقال زياد: [من الوافر]

تَغَنَّيْ أنتِ في ذِمَمي وعَهْدي ... بأن لن يَذْعَرُوكِ ولن تُطاري

إذا غَنَّيْتِني وطَرِبْتُ وَهْناً ... ذَكرتُ أحبَّتي وذَكَرْتُ داري

فإمّا يَقتلوكِ طَلبتُ ثأراً ... بقَتلِهمُ لأنكِ في جِواري

فأخذ حبيبٌ سهماً، فرماها به فقتلها، فقال زياد: قتلتَ جاري؟ بيني وبينك أبوك. فاحتكما إلى المهلب فقال: يا حَبيب ادفع إلى أبي أُمامة دِية جارته ألفَ دينار كاملة، فقال حبيب: إنما كنتُ ألعب! فقال: ليس مع جارةِ جاري لَعب. فأعطاه ألفَ دينار، فقال زياد يمدح المهلَّب: [من الطويل]

فلله عَيْنا من رأى كقَضيَّةٍ ... قضى لي بها شيخُ العراقِ المُهَلَّبُ

قضى ألفَ دينارٍ بجارٍ أجرتُه ... من الطير حَضَّانٍ على البَيْضِ يَنعَبُ

رماه حَبيبُ بنُ المُهَلَّب رميةً ... فأنفذه بالسَّهْمِ والشمسُ تَغرُبُ

فألزمه عَقْلَ القتيلِ ابنُ حُرَّةٍ ... فقال حبيبٌ إنما كنتُ أَلعَبُ

فقال: زيادُ لا يُروَّعُ جارُه ... فذلك جاري بل من الجارِ أقربُ

وبلغ الحجاج فقال: ما أخطأتِ العربُ حيث جعلتْ المُهلَّبَ رَجُلَها[١].

وقال ابن قتيبة: لم يكن المُهلَّبُ يُعاب بشيءٍ إلا بالكَذِب[٢].

ذكر وفاته:

مات بخُراسان بمَرْوِ الرُّوذ، بقرية يقال لها: زاغول، غازياً في ذي الحجة هذه السنة، وله ست وسبعون سنة، ويقال: إن مَولده سنة فتح مكة، وقيل: مات سنة اثنتين وثمانين.

وقال المفضَّل بن محمد: سار المهلب من كِيش يريد مَرْو، فلما كان بزاغول أصابته الشَّوْصَة[٣]، وقيل: الشَّوْكَة، فدعا حَبيباً ومَن حَضَر من وَلَده فأوصاهم، ودعا بسِهامٍ فحُزِمت، وذكر بمعنى ما تقدّم في الوصية، وقال: وإياكم والقطيعة فإنها توجب الذِلَّة، وتُورث القِلَّة، فتحابّوا وتواصلوا، ولا تختلفوا يجتمع لكم أمْرُكم، وإن بني الأم يختلفون فكيف ببني العَلّات؟ ولتكن أفعالكم أفضلَ من أقوالكم، واتّقوا زلَّة اللسان؛ فإن الرجل تزِلُّ قدمُه فيُنْعَشُ من زَلَّته، ويزِلُّ لسانه فَيَهْلك، واصطنعوا العُرْفَ، وَفُوا بالمواعيد، وقد استخلفت يزيد، وجعلت حبيباً على الجُند حتى يَقدم بهم عليه.

ثم مات فصلى عليه حبيب، وكان يحبّ حَبيباً ويقول: هو سيّد أولادي[٤].

ورثاه نَهار بن تَوْسِعة التَّميمي بقصائد منها: [من الكامل]

كان المهلَّبُ للعراق سَكينةً ... وولِيَّ حادِثِها الذي يُستنكَرُ[٥]

إن يَدْفِنوه فإن مثلَ بَلائه ... في المسلمين وذِكْرِه لا يُقْبَرُ

كان المدافِعَ دون بيضَةِ مِصْرِه ... والجابرَ العَظْمِ الذي لا يُجْبَرُ

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٤٤٩-٤٥٠، وانظر ديوان زياد ٦٧، ١٢٠ وتخريجها فيه.

(٢) «المعارف» ٣٩٩. وقد ردّ هذه التهمة ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣٠٢٤).

(٣) هي وَجَعٌ في البطن، ومن هنا وقع في (ب) سقط ينتهي في أول ترجمة قبيصة بن ذؤيب في أثناء سنة (٨٧هـ).

(٤) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٥٤-٣٥٥.

(٥) في (د) و(خ): يستكثر، والمثبت موافق لتاريخ دمشق ١٧/ ٤٥٣، و«تهذيب الكمال» (٦٨٢٤).

وقال أيضاً : [من الطويل]

أَلا ذهب الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنى ... وماتَ النَّدى والجُودُ بعد المُهَلَّبِ
أقام بمَرْوِ الرُّوذِ وهو[١] ضَرِيحُهُ ... وقد غُيِّبَا[٢] من كلِّ شرقٍ ومَغْرِبِ
إذا قيل أيُّ الناسِ أولى بِنعمةٍ ... على الناس قلناه ولم نَتَهَيَّبِ
أباح لنا سَهْلَ البلاد وحَزْنَها ... بخَيْلٍ كأرْسالِ القَطا المُتَسَرِّبِ
يُعَرِّضُها للطَّعنِ حتى كأنّما ... يُجَلِّلُها بالأُرجُوانِ المُخَضَّبِ
تُطيفُ به قَحطانُ قد غَضِبَتْ له[٣] ... وأَحْلافُها من حيِّ بكرٍ وتَغلبِ
وحيَّا مَعَدٍّ عُوَّذٌ بلوائه ... يُفَدُّونه بالنَّفسِ والأُمِّ والأبِ

ذكر أولاده:

وُلد للمهلب عشرة أولاد: يزيد، وزياد، ومُدْرِك، وحبيب، والمغيرة، والمفضَّل، وقَبيصة، ومحمد، وهند، وفاطمة.

فأما يزيد وزياد ومدرك فإنهم وُلدوا في سنة واحدة، وأعمارهم واحدة، وعاش كل واحد منهم ثمانياً وأربعين سنة، وقتلوا في سنة اثنتين ومئة.

وأما المغيرة فمات بخراسان كما ذكرنا، وابنُه بشر بن المغيرة، ومن شعره في الحماسة : [من الطويل]

جَفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جَفا ... وأمسى يزيد لي قد ازْوَرَّ جانبُهْ
وكلُّهمُ قد نال شِبْعاً لبطنهِ ... وشِبْعُ الفتى لُؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيا عَمُّ مَهْلاً واتَّخِذني لنَوْبَةٍ[٤] ... تُلِمُّ فإن الدَّهرَ جَمٌّ نوائبُهْ
أنا السيفُ إلا أن للسيف نَبْوَةً ... ومثليَ لا تَنْبو عليك مضارِبُهْ

أسند المهلب عن سَمُرة بن جُندب وغيره، وروى عنه أبو إسحاق الهَمْداني، وسِماك بن حرب وغيرهما.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٥٥ : أقاما . . . رَهْنَيْ، وفي «أمالي القالي» ٢/ ١٩٩ و«العقد الفريد» ٣/ ٢٩٨ : رهن.

(٢) في النسخ: يعدو به، والمثبت من المصادر.

(٣) في تاريخ الطبري ٦/ ٣٥٥ : عُصِّبَتْ به، وهو الأشبه.

(٤) في النسخ: لنبوة، والمثبت من ديوان الحماسة ١/ ٢٦٦ (بشرح المرزوقي).

السنة الرابعة والثمانون

وفيها فتح يزيد بن المهلب قلعة نَيْزَك ببَاذَغيس، [قال المفضل بن محمد:] وهي من أعظم القِلاع، وكان صاحبها نيزك شجاعاً فاتكاً، وكان ينزل فيها في بعض الأيام للصيد، فرصده يزيد، ووضع عليه العيون وكاتب مَن فيها فأجابوه، فخرج إلى الصيد، فجاء يزيد إليها وبلغ نيزك، فصالح يزيد على أن يُعطيه عيالَه، وما في القلعة من الخزائن، وأن يُسلِّمها إليه، ففعل، وكتب يزيد بن المهلّب إلى الحجاج بالفتح.

وكان الكتاب بخطّ يحيى بن يَعْمَر العَدْواني، وفيه: أما بعد، فإنا لقينا العدوّ، فمنحنا الله أكتافهم، فقتلنا طائفة، وأسرنا طائفة، وهربت طائفة إلى رؤوس الجبال، وعَراعِر الأودية، وأَهْضَام الغِيطان، وأثناء الأنهار، فلما قرأه قال: مَن يكتب ليزيد؟ قيل: يحيى بن يَعْمَر، فكتب إلى يزيد فحمله على البريد، فقدم عليه أفصحُ الناس، فقال: أين وُلدت؟ قال: بالأهواز، قال: فهذه الفصاحة من أين؟ قال: حفظتُ كلامَ أبي وكان فصيحاً، قال: فأخبرني هل يَلْحَن عَنْبَسَةُ بنُ سعيد؟ قال: نعم كثيراً، قال: ففلان؟ قال: نعم، فعَدَّ جماعة ثم قال: فأنا؟ قال: لا، فأقسم عليه فقال: نعم تلحن لحناً خفيّاً؛ تزيد حرفاً وتَنقص حرفاً، وتجعل أنْ في مواضع إن، وإن في موضع أن، قال: قد أجَّلتُك ثلاثاً، فإن وُجِدتَ بعدها قتلتُك، فرجع إلى خراسان[1].

وقال عاصم[2]: ذكر الحجاج يوماً الحسين بن علي عليه السلام فقال: لم يكن من ذرّية رسول الله ﷺ، فقال له يحيى بن يَعْمَر: كذبت، فقال الحجاج: لئن لم تأتني ببيِّنة من كتاب الله لأقتُلنّك، فقرأ يحيى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٤ـ٨٥]، ولم يكن له أب، فأخبر الله أنه من ذرِّية آدم بأمه، فكذا الحسين بن علي ابنُ رسول الله ﷺ، فنفاه إلى مرو، وفي رواية: فقال الحجاج: والله ما كأني سمعتُ بهذه الآية قطّ، ثم قال له: قد وَلَّيتُك قضاءَ مَرْو فاخرج إليها، فخرج قاضياً عليها.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٨٦ـ٣٨٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٥٦ـ٢٥٧.

(٢) هو ابن بهدلة، والخبر في «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٣٠ (مخطوط).

وفيها فتح عبد الله بن عبد الملك المَصِّيصَة.

وفيها قتل الحجاج أيوب بنَ القِرِّيَّة، وحُطَيط الزَّيَّات، وماهان العابد.

وحجّ بالناس هشام بنُ إسماعيل المخزومي، وكان العمال على الأمصار بحالهم.

فصل: وفيها قتل الحجاج

أيُّوب بن السّائب

من النَّمِر بن قاسِط[1]، والقِرِّيَّة[2] بكسر القاف وتشديد الراء أُمُّه. وكان أحد الفُصحاء.

وقال المدائني: وجَّه الحجاج أيوب بن القِرِّيّة إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عيناً له عليه بسجستان، فلم يلبث أن غُمز به، فأُدخِل على ابن الأشعث فقال[3]: مرحباً بالموصوف عندنا بتَزيين البلاغة، أخبِرْني عن الحجاج؛ ما أمرُه لديك، أعلى مَحجَّةِ القَصْد، أم في مُجانَبةِ الرُّشْد؟ فقال: الأمان قبل مخاطبة البيان، قال: نعم، قال: إن الحجاج على احتجاجٍ في قَصْد المنهاج، يلمح[4] الظَّفر، ويَجتنب الكَدَر، لا تقطعه الأمور، وليس هو فيها بعَثور، وفي النَّعْماء شَكور، وعلى الضَّرّاء صَبور، وأنا أنهاك أن تُقاوِلَه، وأُعيذُك بالله أن تُطاوِلَه، فقال ابن الأشعث: كذبتَ يا عدوَّ الله، والله لأقتُلَنَّك، قال: فأين الأمان؟ قال: لا أمانَ لمن كذب وفجَر، وخان وغَدر، والله لأقتلنّك أو لتُظاهِرَنِّي على الحجاج، فلما رأى أنه غيرُ مُنْتَهٍ عنه

(١) كذا نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٦ . ونُسب في المعارف ص٤٠٤، و«تحفة الأَبِيهِ فيمن نُسبَ إلى غير أبيه» للفيروزآبادي (نوادر المخطوطات ١/ ١٠٢): أيوب بن زيد بن قيس، وكذا في «الاشتقاق» ص٣٣٥ دون ذكر قيس، وفي «جمهرة أنساب العرب» ص٣٠١ و«تاريخ دمشق» ٣/ ٢٩٤، و«السير» ٤/ ١٩٧ : أيوب بن يزيد بن قيس بن زُرارة، وزاد بعده في نسبه ابنُ حزم وابنُ عساكر والفيروزآبادي عدة آباء.

(٢) في (ص): وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية .

(٣) في (خ): وأيوب أحد الفصحاء وجهه الحجاج إلى عبد الرحمن بن الأشعث فقال، والمثبت من (أ) و(د) و(ص).

(٤) في «مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ١٣٢ : يمنح.

بايعه[(١)]، وأقام مدَّةً يُصدر له الكتبَ إلى الحجاج، فقال له يوماً: قم خطيباً فذُمَّ الحجاج، فقام فقال: أيها الناس، إن الأمر الذي يدعوكم إليه الحجاج لم يَنزل من السَّماء، ولم تَقُم به الخُطباء، ولم تَسُنَّه الأنبياء.

فلم يَلبث ابن الأشعث أن انهزم، وأُخذ ابن القِرِّيّة أسيراً، فجيء به إلى الحجاج فقال له: ألم تكن في خُمول من الدَّعَة، وعُدْم من المال، وكَدَرٍ من العَيْش، وتَضَعْضُعٍ من الهَيْئة، ويأسٍ من بُلوغ ما بلغتَ إليه؟! فولَّيتُك وِلاية الوالد ولم أكن والداً، وولاية الرَّاجي عندك الخير ولم أرجُه عندك أبداً، حتى قمتَ خطيباً وقلتَ كذا وكذا؟! فقال: أيها الأمير، إني أتيتُ إنساناً في مَسْك[(٢)] شيطان، يَتَهَدَّدني بتَخَوُّنِه، ويَقهرني بسُلطانه، فَنَطق اللسانُ بغير ما في القلب، والنَّصيحةُ لك ثابتة، والموَدَّة باقية، قال: كذبت يا عدوَّ الله.

ثم قال له: كيف عِلْمُك بالأرض؟ قال: عِلمي ببيتي، قال: فأخبرني عن الهند، قال: تُرابها مِسْك، وحَطَبُها عُود، ووَرَقُها عِطر، قال: فعُمان، قال: حَرُّها شَديد، وصَيْدُها عَتيد، قال: فالبصرة، قال: ماؤها مالح، وشُربُها سانح، وهي مأوى لكلّ فاجر، ومَلجأ لكلّ غادر[(٣)]، قال: فواسط، قال: جَنَّةٌ بين حَماةٍ وكَنَّة، يعني بين الكوفة والبصرة، قال: فالكوفة، قال: ارتفعت عن اليَمَن[(٤)]، وسَفُلَت عن الشّام؛ فطاب لَيلُها، وكَثُر نَيْلُها، قال: فمكَّة، قال: تَمرُها دَقَل، ولِصُّها بَطَل، إن كَثُر بها الجُند جاعوا، وإن قَلُّوا ضاعوا، قال: فاليَمامة، قال: أهلُ جَفاءٍ وجَلَد، وغِلْظَةٍ ونكَد، قال: فالمدينة، قال: رَسَخ العلمُ فيها ووَضَح، وكَثُر خَيْرُها وطَفَح، قال: فاليمن: قال: أصلُ العرب، وأهلُ الحَسَب، قال: فالشام، قال: أهل النَّجْدَةِ والباس وخيار الناس، قال: فمصر، قال: عَروسٌ بين نِسوةٍ كلُّهنَ يَزُفُّها، قال: فكيف رأيتَ خُطبتي؟

(١) في (أ) و(د): تابعه.

(٢) أي: جِلْد، ووقع في (ص): زي.

(٣) في «مختصر تاريخ دمشق» ٥/ ١٣٤: مأوى كل تاجر، وطريق كل عابر.

(٤) في «مختصر تاريخ دمشق»: ارتفعت عن البحر.

فسكت، فقال: أقسمتُ عليك، أو عَزمتُ عليك إلا صَدَقْتَني، قال: تُكثِر الرَّدَّ، وتُشير باليَد، وتقول: أما بعد، فقال له الحجاج: فأنت ما تَستعينُ بيدك في كلامك؟ قال: لا أَصِلُ كلامي بيدي حتى يَضيقَ بي لَحْدي، قال: فأخبرني عن أشعر بيت قالته العرب، قال: قول القائل: [من الطويل]

فما حَملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها ... أَبَرَّ وأوْفى ذِمَّةً من مُحَمَّدِ[1]

وقال المفضَّل بن محمد: خرج ابن القِرِّيَّة مع ابن الأشعث، فلما كان بعد الجماجم وسار الحجاج إلى البصرة؛ استخلف على الكوفة حَوْشَب بن يزيد، فكان أيوب يَدخل على حَوْشَب فيَقِفُ على رأسه، فيقول حوشب: انظروا إلى هذا الواقف، غداً يأتي كتابُ الحجاج يَطلبه فلا أقدِر على منعه، فبينا هو واقف إذ جاء كتاب الحجاج إلى حوشب يقول: قد صِرتَ كهفاً لمنافقي أهل العراق، فابعث بابن القِرِّية إليّ مَشْدودةً يده إلى عنقه، فرمى حَوْشب بالكتاب إلى أيوب فقال: سمعاً وطاعة، وحمله إليه.

فلما دخل على الحجاج قال له: ما أعددْتَ لهذا الموقف؟ قال: أصلح الله الأمير، ثلاثة حروف كأنهنّ رَكْبٌ وقوف، دنيا وآخرة ومعروف، قال: اخرج مما قلت، قال: أما الدنيا فمالٌ حاضر يأكل منه البَرُّ والفاجر، وأما الآخرة فميزانٌ عادل، وشهادةٌ ليس فيها باطل، وأما المعروف فإن كان عليَّ اعترفتُ، وإن كان لي اغترفتُ، قال: الآن تعترف إذا وقع عليك السيف[2]، قال: فأقِلْني عَثْرتي؛ فإنه ليس جَوادٌ إلا وله كَبْوَة، ولا شُجاعٌ إلا وله هَفْوة، فقال الحجاج: لأُزيرَنَّك جهنّم، قال: فأرِحْني فإني أجد حَرَّها، فضرب عُنقه، فلما رآه يَتَشَحَّط في دمه ندم على قتله وقال: لو تركناه لسمعنا كلامه[3]، [وفي رواية أن أيوب قال: استَبْقِني أكن لك كما كنتُ عليك، فقال الحجاج: هيهات هيهات، ثم طعنه بالحربة فقتله.

(١) البيت لأنس بن زُنَيم، انظر «سيرة ابن هشام» ٢/ ٤٢٤.
(٢) في (ص): وقيل بعد هذا إن الحجاج قال له اعترف، وإن لم تعترف أوقع عليك السيف.
(٣) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٨٥-٣٨٦، و«المنتظم» ٦/ ٣٥٦. وما سيرد بين معكوفين من (ص).

فصل: فيها توفي]

حُطَيط الزَّيات

الكوفي مولى بني ضبّة، كان عابداً زاهداً يَصدَع بالحق، وكان متشيّعاً، قتله الحجاج في هذه السنة لتشيُّعه أولاً، ولميله إلى ابن الأشعث أخيراً بعد أن عذَّبه بأنواع العذاب.

[وقد ذكرنا الإسناد فيما تقدم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبيه قال:][(١)] قال له الحجاج: اصدُقْني، قال: سَلْني؛ فقد عاهدتُ الله إن خلوتَ لي لأقتُلَنَّك، وإن عذَّبتَني لأصبِرَنّ، وإن سألتَني لأصدُقَنّ، قال: فما قولك في عبد الملك؟ قال: ما أسْفَهك! تسألُني عن رجلٍ أنت خَطيئةٌ من خطيئاته، وقد ملأتَ الأرضَ فساداً، فعذّبه بأنواع العذاب وهو صابر.

قال الحجاج: فهل له من حميم؟ قالوا: أمّ وأخ، فوضع على أمِّه الدَّهَق[(٢)]، فقال حُطيط: يا أَمة الله اصبري، فقتلها، ثم عذّبه ولم يَنطق، فأخرجه فألقاه على مِزبلة وبه رمق، فاجتمع عليه الناس فقالوا: يا حُطيط، قل لا إله إلا الله، فجعل يُحرِّك بها شفتيه حتى مات.

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى عمرو بن قيس قال: لما أُتي[(٣)] الحجاج بحُطيط ـ وكان شاباً أبيض ـ قال للحجاج: أما تستحي تكذب وأنت أمير؟ فقال له: أحَروريّ أنت؟ قال: ما أنا بحروريّ، ولكني عاهدتُ الله أن أُجاهدك بيدي ولساني وقلبي، فأما يدي فقد فُتَّها، وأما لساني فها تسمع ما يقول، وأما قلبي فالله أعلم بما فيه، فسارّه حَوْشب بن يزيد صاحب شُرطته بشيء، فقال حطيط: لا تسمع منه فإنه غاشٌّ لك، فقال الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أقول فيهما خيراً، قال: ما تقول في

(١) ما بين معكوفين من (ص). وأخبار حطيط الآتية في الصبر لابن أبي الدنيا (٩٨ـ٩٩) و(١٢٢ـ١٢٨)، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩١ـ٤٩٢ .

(٢) خشبتان يعصر بهما الساق في التعذيب.

(٣) في (أ) و(خ) و(د): وقال عمرو بن قيس لما أتي، والمثبت من (ص).

عثمان؟ قال: ما وُلدتُ إذ ذاك، فقال الحجاج: يا ابن اللَّخْنَاء، وُلدتَ في زمن أبي بكر وعمر، ولم تولد في زمن عثمان؟ فقال له حُطيط: يا ابن اللَّخْنَاء، إني وجدتُ الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر فقلتُ بقولهم، واختلفوا في عثمان فوَسِعني السكوت، فقال مَعَدّ صاحب عَذاب الحجاج: إن رأيتَ أن تَدفعَه إليَّ، فوالله لأُسمعنَّك صياحَه.

فسلَّمه إليه، فجعل يّعذِّبه ليلتَه كلَّها وهو ساكت، فلما كان عند الصبح دعا بدَهَق، واعتمد على ساقه فكسرها، فلما أصبح دخل على الحجاج، فقال له: ما فعل أسيرُك؟ فقال: إن رأى الأمير أن يأخذَه؛ فقد أفسد عليَّ أهلَ سِجني، يَستحيون ألا يَصبروا، فقال: عليّ به، فعذّبه بأنواع العذاب وهو صابر.

[وفي رواية ابن أبي الدنيا:] كان يؤتى بالمسالّ فيغرزها في جسده ولا ينطق، فلفَّه في باريَّة[١] وألقاه على كُناسة فمات.

[فصل: وفيها توفي

أبو عمرو الشَّيبانّي]

صاحب العربية[٢]، وإمام الناس فيها.

[ذكره ابن سعد في] الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة [وقال: اسمه سعد[٣] ابن إياس].

شهد القادسية، وروى عن عمر، وعلي، وابن مسعود وغيرهم، وكان كبيراً له سن عالية، وكان ثقة وله أحاديث [منها:

قال ابن سعد: وحدثنا الفضل بن دُكين، حدثنا عيسى بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عمرو الشيباني] قال: أذكر أني سمعت برسول الله ﷺ وأنا أرعى إبلاً لأهلي بكاظمة.

---

(١) أي: الحصير المنسوج. (معرَّب) ينظر القاموس.

(٢) ما بين المعكوفين من (ص)، وكان في (أ) و(خ) و(د): أبو عمرو سعيد بن إياس الشيباني.

(٣) في النسخ: سعيد، وهو خطأ، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٤، و«المعارف» ٤٢٦، و«تهذيب الكمال» (٢١٨٩)، و«السير» ٤/ ١٧٣.

قال إسماعيل بن أبي خالد: سمعت أبا عمرو الشَّيباني - وكان قد عاش مئةً وعشرين سنة - يقول[1]: تكامل شبابي يوم القادسية، فكنتُ ابنَ أربعين سنة.

وقال هشام: كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، وأجمعوا على فضله وصلاحه.

[فصل: وفيها توفي]

عبد الله بن نَوْفَل

ابن الحارث بن عبد المطلب [بن هاشم]، أبو حمزة، وأمه ظُرَيْبَة بنت سعيد بن القَشِب من الأزد، وأمُّها أم حكيم بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس؛ خالة سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، وأم سعد: حَمْنَة بنت سفيان[2].

وعبد الله من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال ابن سعد: ولد في عهد رسول الله ﷺ.

قال: وحدثنا محمد بن عمر بإسناده إلى أبي هريرة قال: لما ولي مروان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبي سفيان سنة اثنتين وأربعين في الإمرة الأولى؛ استقضى عبد الله ابن نَوفل على المدينة، قال أبو هريرة: فهو أول قاض رأيته في الإسلام.

قال الواقدي: فأجمع أصحابنا على أن عبد الله بن نوفل أول من قضى بالمدينة لمروان بن الحكم[3]، قال: وأهل بيته ينكرون أن يكون ولي القضاء بالمدينة، هو ولا أحدٌ من بني هاشم.

قال: وقال أهل بيته: إن عبد الله توفي في أيام معاوية بن أبي سفيان.

قال الواقدي: ونحن نقول: إنه عاش بعد معاوية دهراً طويلاً، ومات في سنة أربع وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان.

قلت: والعجب من قول الواقدي، وأهل بيت الرجل أعرف به من غيرهم، وإن كان كما قال الواقدي فقضاء المدينة يُعَدُّ شرفاً لا نقيصة، فلو ولي القضاء لما نَكِره أهله.

---

(١) في (ص) وما سلف بين معكوفين منها: قال ابن سعد وحدثنا الفضل بن دكين حدثنا عيسى بن عبد الرحمن قال سمعت أبا عمرو الشيباني وكان قد عاش مئة وعشرين سنة يقول. وفيه وهمٌ، دمج المختصر فيه الخبرين بإسناد واحد، وانظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٢٤ .

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤ ، وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥-٢٦ . وقاله أيضاً الزبيري في نسب قريش ص٨٦، وابن حزم في جمهرته ص٧٠ .

وقال الموفق رحمه الله: كان عبد الله يشبه رسول الله ﷺ[١].

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عبد الله ومحمد، أمُّهما خالدة بنت مُعَتِّب بن أبي لَهَب.

وإسحاق، وعبيد الله؛ وهو الأرْجُوان.

والفضل، وأمّ الحكم، وأمّ أبيْها، وأمّ سعيد، وأم جعفر، أمُّهم أم عبد الله بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وعبد الرحمن، أمّه بنت محمد بن صَيْفي بن أبي رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر ابن مَخزوم.

وعَون، وظُرَيبة، وخالدة، وأم عَون، لأمهات أولاد شتّى[٢].

فصل: وفيها توفي

قيس بن أبي حازم

الأحْمَسيّ البَجَليّ، واسم أبي حازم: عَوف بن عبد الحارث، وكنية قيس: أبو عبد الله[٣].

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، وشهد مع خالد بن الوليد حروب العراق، ولأبيه صحبة.

وقال هشام: وهو القائل[٤]: دخلنا على معاوية في مرض موته، فأخرج إلينا ذِراعَيه كأنهما سَعْفَتان مُحترقتان، أو عَسِيبا نَخْل، فقال: ما الدنيا إلا ما ذُقْنا وجَرَّبنا، والله لَوَدِدْتُ أني لا أعيش فيكم إلا ثلاثاً، حتى ألحقَ بربّي، فقلنا: إلى رحمة الله، فقال: إلى ما يشاء الله.

---

(١) «التبيين» ١٠٢ . ومن قوله: وعبد الله من الطبقة الأولى... إلى هنا من (ص) وتنتهي ترجمته فيها، وهي في النسخ الأخرى مختصرة.

(٢) وقع تشابه كبير بين هذه الفقرة (أولاد عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب) وفقرة أولاد ابن أخيه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث السالفة ص٢١٩ . ولم ترد هذه الفقرة في النسخ الخطية الجيدة لطبقات ـ ابن سعد كما ذكر محققه ٧/ ٢٤ . فالظاهر أن هذا الكلام وقع في نسخة المصنف للطبقات، وفيه نظر، فليحرَّر. وينظر نسب قريش ص٨٦ - ٨٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص٧٠ .

(٣) في (أ) و(خ) و(د): أبو عبد الله قيس بن أبي حازم عوف بن عبد الحارث الأحمسي البجلي، والمثبت من (ص).

(٤) في (أ) و(خ) و(د): حروب العراق، وشهد حرب الخوارج مع علي رضوان الله عليه، وكان عثمانياً يخضب بالصفرة، وسيأتي هذا السياق مسنداً إلى قائله في (ص) قريباً، فأثبت سياق (ص)، والقول في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ١٤٧ـ١٤٨ من رواية ابن أبي الدنيا بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس.

قال ابن سعد: وكان قيس يَخضب بالصُّفْرة.

وقال ابن مَنْده: شهد حرب الخوارج مع علي، وكان عثمانياً.

واختلفوا في وفاته؛ فحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: مات في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك. وكذا قال خليفة: في سنة ثمان وتسعين.

وقال الهيثم: سنة أربع وثمانين، قال: وأسند عن العشرة المبشرين بالجنة، وليس في التابعين من أسند عنهم غيره، رحمه الله تعالى(١).

قال ابن سعد: وروى عن ابن مسعود، وخَبّاب، وخالد بن الوليد، وحُذيفة، وأبي هريرة، وعُقبة بن عامر، وجَرير بن عبد الله، وعَديّ بن عَمِيرة، وأسماء بنت أبي بكر(٢).

وقال ابن منده: وله أحاديث مناكير، منها حديث كِلاب الحَوْأب(٣).

قال ابن عساكر: وروى عنه الحسن البصري، وابن سيرين، وأبو مِجْلَز لاحِق بن حُمَيد وغيرهم(٤).

[وفيها توفي]

ماهان العابد الحَنَفيّ

[وكنيته:] أبو صالح، وقيل: أبو سالم. [وقيل:] اسمه: عبد الرحمن بن قيس(٥).

---

(١) من قوله: قال ابن سعد وكان قيس يخضب بالصفرة... إلى هنا من (ص) وتنتهي ترجمته فيها، وقد جاء في النسخ الأخرى مختصراً. وانظر «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٨٨ـ١٨٩، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ١٦٥ـ١٦٦، و«تهذيب الكمال» (٥٤٨٥)، و«السير» ٤/ ١٩٨.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٨٩.

(٣) نسب هذا القول في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ١٦٤ إلى يحيى بن سعيد، والحديث في مسند أحمد (٢٤٢٥٤) عن عائشة، والحديث في خروج السيدة عائشة يوم الجمل، والحَوْأب: ماء في البصرة على طريق مكة، والمراد بالمنكر الفرد المطلق كما ذكر ابن حجر في تهذيبه ٣/ ٤٤٥، وصحَّح إسناده في فتح الباري ١٣/ ٥٥..

(٤) لم يذكر ابن عساكر ٥٩/ ١٤٥ في الرواة عنه مَن ذكرهم المصنف. وكذا لم يذكرهم المزي في «تهذيب الكمال» (٥٤٨٥)، والذهبي في «السير» ٤/ ١٩٨.

(٥) جزم البخاري والمزي والذهبي بأن ماهان العابد الحنفي أبا سالم غير أبي صالح عبد الرحمن بن قيس، انظر «التاريخ الكبير» ٨/ ٦٧، و«الصغير» ١/ ٢٢٩، و«طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٤٧، و«تهذيب الكمال» ٢٧/ ١٦٩، و«تاريخ الإسلام» ٢/ ١٠٠٣. وقد تابع المصنف جده في «صفة الصفوة» ٣/ ٧٤.

[وهو] من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

وكان قد خرج مع ابن الأشعث، ثم هرب إلى مكة، وكان عابداً صالحاً مجاب الدعوة.

[قال أبو نعيم:] سئل [ماهان:] ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالهم قليلة، وقلوبهم سليمة[(١)].

ذكر مقتله:

[قال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده: ثنا أبي، حدثنا محمد بن فُضيل، حدثني] إبراهيم مؤذن مسجد بني حنيفة قال: أمر الحجاج بماهان أن يُصلب على بابه، فأتيتُه حين رُفع على خشبته؛ وهو يُسبّح ويُهَلّل ويُكَبّر، ويَعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين، فطعنه رجل على تلك الحال، فلقد رأيته بعد شهر مَعقوداً بيده تسعة وعشرين.

[قال:] وكنّا نرى عنده الضوء بالليل شِبْهَ السِّراج[(٢)].

[قلت: ذكر جدي قصة ماهان، وأنه أقام شهراً ويده معقودة بالتسبيح، وأنشد: [من البسيط]

لتُحْشَرَنّ عِظامي بعدما بَلِيَتْ   يومَ الحسابِ وفيها حُبُّكم عَلِقُ][(٣)]

وقال ابن الكلبي: كان ماهان مقيماً بمكة، فأرسل إليه الحجاج، فأخذه من الطَّواف، فقال: أُخذت من حَرم الله، وأنا طائف ببيت الله، وأنا بعين الله، ونعم القادر الله[(٤)].

[وروى أبو نعيم الأصفهاني،] عن أبي إسحاق الشيباني قال: دنوتُ من ماهان عند صَلْبه، فقال لي: يا ابن أخي، تنحَّ لا تُسأل عن هذا المقام[(٥)].

أسند ماهان عن علي، وابن مسعود، وحذيفة وغيرهم، رحمه الله تعالى.

---

(١) «حلية الأولياء» ٤/ ٣٦٥.

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ٣٦٤ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «المدهش» ٢٧٧، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٩.

(٥) «حلية الأولياء» ٤/ ٣٦٤.

السنة الخامسة والثمانون

وفيها عزل الحجاج يزيد بن المهلَّب عن خراسان، وولّى عليها أخاه المفضَّل بن المهلب.

قال علماء السير: كان في قلب الحجاج من يزيد، حيث أطلق بعض الأسرى من أصحاب ابن الأشعث، ثم أكّد ذلك أن الحجاج وَفد على عبد الملك، ثم عاد إلى العراق، فمرَّ في طريقه بدَيْرٍ فيه راهب؛ عالم بالكتب والعلم الأوّل، فسأله: هل تَجدون أمرَنا في كتبكم؟! قال: نعم وما هو كائن، قال: فما تقول في عبد الملك؟ قال: نجده في زماننا الذي نحن فيه، قال: ومَن يقوم بعده؟ قال: رجل يُسمّى بالوليد، قال: ثم مَن؟ قال: رجل يُدعى باسم نبيّ، يفتح الله به على الناس، قال له الحجاج: فتعلم ما ألي؟ قال: نعم، قال: فمَن يليه بعدي؟ قال: رجل اسمُه يزيد، قال: في حياتي أم بعد مماتي؟ قال: لا أعلم، قال: أتعرف صِفته؟ قال: نعم، يَغْدِر غَدرة، قال: ثم ماذا؟ قال: لا أدري.

فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلَّب، فكتب إلى عبد الملك يَستعفيه من ولاية العراق، فلم يُعفه، وجلس الحجاج بعد ذلك يفكّر، فدخل عليه عبيد بن مَوْهَب وهو يَنكُت في الأرض، فقال له: ما الذي بك؟ فقال: إن أهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يَليه رجل يقال له: يزيد، وإني نظرتُ في هذا الاسم فتذكَّرتُ جماعة لا يَصلحون له: يزيد بن أبي كَبْشَة، ويزيد بن حُصَين بن نُمير، ويزيد بن دينار، وليس فيهم مَن يَصلح، وما ثَمَّ غير يزيد بن المُهَلّب، فقال: فأَخْلِقْ به.

فنظر فلم يَجد شيئاً يَعزِلُه به، فكتب إلى عبد الملك يذمُّ يزيد ويقول: إنه يميل إلى آل الزبير، فكتب إليه عبد الملك: إن ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب، وإن وفاءهم لأولئك يَدعوهم إلى الوفاء لنا، فكتب إليه الحجاج يُخوِّفه غَدْرَ يزيد وآل المهلب، فكتب إليه عبد الملك: قد أكثرتَ في يزيد، فسَمِّ لي رجلاً يَصلح لخُراسان، فسمَّى له مُجَّاعة بن سِعْر السَّعديّ، فلم يَرْضَه عبد الملك، وسَفَّه رأيَ الحجاج فيه، فسمّى له قُتيبةَ بن مسلم، فقال: وَلِّه.

وبلغ يزيد فقال لأهله: مَن تَرون الحجاج يُوَلّي خراسان؟ قالوا: رجلاً من ثقيف، قال: كلا، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْده، فإذا قدمتُ عليه وَلّى رجلاً من قيس، وأخلِقْ بقُتيبة.

وكره الحجاج أن يُواجِه يزيد بالعَزْل، فكتب إليه أن استخلِفْ أخاك المفضَّل واقدم عليّ، فاستشار يزيد حُضَين بن المنذر فقال: أقم وتعلَّل عليه، فإن عبد الملك حسنَ الرأي فيك، وإنما أُتيت من قِبلَ الحجاج، فإن أقمتَ فربما كتب إلى الحجاج بإبقائك، قال: فإنّا أهلُ بيت بُورك لنا في الطاعة، وأكره المعصية والمخالفة.

وشرع في جِهازه، وأبطأ على الحجاج، فكتب إلى المفضَّل بعهده على خُراسان، فجعل المفضَّل يَستحثُّ يزيد، ففطن فقال: يا مُفَضَّل، إن الحجاج لا يُقرُّك بعدي، وإنما وَلّاك مخافةَ أن أمتنع عليه، قال المفضَّل: بل حَسَدْتَني، فقال يزيد: يا بن بَهلة، أنا أحسدُك! ستعلم.

وسار يزيد من خراسان في ربيع الأول[١] هذه السنة، وعزل الحجاج المفضَّل، وولَّى قتيبة، فقال حُضَين بن المنذر ليزيد: [من الطويل]

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَني ... فأصبحتَ مَسلوبَ الإمارةِ نادِما
فما أنا بالباكي عليك صَبابةً ... وما أنا بالدَّاعي لتَرجِعَ سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحُضَين: كيف قلتَ ليزيد؟ فقال:

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَني ... فنَفْسَك وَلِّ اليومَ[٢] إن كنتَ لائما
فإن بلغ الحجَّاجَ أن قد عَصيتَه ... فإنك تَلْقى أمرَه مُتفاقِما

فقال: فما أمرتَه به فعصاك؟ قال: أمرتُه أن يَحمل إلى الحجاج كلَّ بيضاء وصَفْراء فخالفني. ولم يُرد هذا، وإنما مَوَّه على قُتيبة فخلَصَ منه.

وكانت ولاية يزيد من سنة اثنتين وثمانين، وعُزل سنة خمس وثمانين.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٥: وخرج يزيد في ربيع الآخر.

(٢) كذا، والذي في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٦: فنفسك أَوْلِ اللَّوْمَ، وهو الصواب.

قال هشام بن الكلبي[١]: كان الحجاج قد أَذَلَّ أهل العراق كلهم إلا آل المهلب، فلما فرغ من ابن الأشعث شرع فيهم خوفاً منهم، وكتب إلى عبد الملك فيهم مراراً، حتى أجابه إلى عزل يزيد.

وفيها هلك ابن الأشعث.

وفيها غزا المفضَّل بن المهلَّب باذَغِيْس، فغنم غنائم كثيرة، وفتح المدينة، فأصاب كلُّ فارس ثمان مئة درهم، ولم يكن للمفضَّل بيت مال، كان يعطي الناس كلَّ ما عنده، وإذا غنم شيئاً قسمه، وأقام على خراسان تسعة أشهر، وجاءها قتيبة بن مسلم.

وفي المفضَّل يقول كَعْب الأَشْقَرِيّ: [من الطويل]

ترى ذا الغِنى والفقرِ من كلِّ مَعْشَرٍ ... عَصائبَ شَتَّى يَقْصِدون المُفَضَّلا
فمِن زائرٍ يرجو فَواضِلَ سَيْبه ... وآخرُ يَقضي حاجةً قد ترحَّلا
إذا ما عَدَدْنا الأكرمِيْنَ ذوي النُّهى ... وما قَدَّموا من صالحٍ كنتَ أَوَّلا
صَفَتْ لك أخلاقُ المهلَّبِ كُلّها ... وسُرْبِلْتَ من مَسعاتِه ما تَسَرْبَلا[٢]

وفيها هلك موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرمِذ.

وفيها عزم عبد الملك على خَلْع أخيه عبد العزيز بن مروان.

وحج بالناس هشام بن إسماعيل المَخْزومي، وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج.

[فصل:] وفيها توفي

سفيان[٣] بن الأَبْرد

ابن أبي أُمامة بن قابوس الكلبي، [وكنيته] أبو يحيى.

[وقد ذكرناه في قصة الضحاك بن قيس ومروان، وكان بدمشق.]

---

(١) في (ص): وذكر هشام بن الكلبي وجهاً آخر في عزل يزيد عن خراسان، فصل: وفيها توفي شقيق بن الأبرد.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٣) في (ص): شقيق، وهو خطأ.

كان مع عبد الملك لما خرج عليه عمرو بن سعيد.

وهو الذي كان على ميمنة الحجاج يوم هزم ابنَ الأشعث، وكان في حروب الحجاج حتى استقام له العراق.

[وذكره ابن عساكر في «تاريخه» وقال:] كانت له دار بجَيْرون، وكان له سُوق الصَّياقل قَطيعةً[1].

[وقال الواقدي:] غزا مع يزيد بن معاوية القُسطنطينية في سنة خمسين، ورأى يزيد أبوابَ البلد لا تُغلق ليلاً ولا نهاراً، فقال لسُفيان وحُمَيد بن حُرَيْث: ما لي أرى الأبواب لا تُغلق ليلاً ولا نهاراً؟! فقالوا: إنما يفعل الروم ذلك لعِزَّتهم؛ وأنهم لا يخافون أحداً يدخل عليهم منها، فقال يزيد: لئن أصبحتُ صالحاً ليُغْلِقُنَّ الباب أو لأدخُلَنَّ عليهم منه، ثم قال لسفيان وحُميد: إذا شددت غداً فشُدًّا من ظَهري.

فلما طلع الصباح حمل يزيد وحملا معه وهو بينهما، حتى وصلوا إلى الباب، وخرجت الروم، وعاد بعضهم فأغلقوا الباب، وحمل بطريق على سفيان فطعنه فصرعه، وشدَّ حُمَيد على البطريق فطعنه فوقع ميتاً، ووقف يزيد على الباب ساعة، ونظر إلى سفيان صريعاً فقال: خالي خالي، ثم نزل ووضع رأسه في حجره وقال: ابغوني شَحْماً، فأبطؤوا عليه، فأخذ من شَحْم البطريق، فأدخله في جَوْف سفيان، وخَيَّطه مَوضعَ الطَّعنة، فبرىء سفيان ولم يُولد له بعد ذلك.

[وفيها توفي]

عبد الله بن عامر[2]

ابن ربيعة بن مالك العَدَويّ، من بني ربيعة بن نزار، حليف الخَطّاب بن نُفَيل، وكنية عبد الله أبو محمد.

[ذكره ابن سعد في] الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة [وقال: ولد على عهد رسول الله ﷺ]، وكان ابن خمس سنين أو ست سنين يوم قُبض رسول الله ﷺ.

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٧٣ : له سوق: الصاقلة بدمشق قطيعة وما بين معكوفات من (ص).

(٢) في (أ) و(خ) و(د): عباس، وهو خطأ، والمثبت من (ص).

وقال [ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال]: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبيٌّ صغير، فخرجتُ ألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعالَ أُعطيك، فقال رسول الله ﷺ: «وما أردتِ أن تُعطيه؟» قالت: أردتُ أن أُعطيه تَمراً، فقال: «لو لم تفعلي كُتِبت عليك كَذْبة»(١).

وحفظ عن أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، وروى عنهم وعن أبيه، وقال: أدركتُ أبا بكر وعمرَ ومَن بعدهم من الخلفاء يَضربون في قَذف المَمْلوك أربعين.

وقال محمد بن عمر: مات عبد الله بن عامر بن ربيعة بالمدينة سنة خمسٍ وثمانين، وكان ثقةً كثيرَ الحديث [رحمه الله تعالى](٢).

عبد الرحمن بن محمد

ابن الأشعث بن قيس الكندي، الخارج على الحجاج.

نشأ بالكوفة، وكان مُقَدَّماً في كِندة، وكان وُلاةُ العراق يخافون شرَّه فيُجاملونه، وكان أبغضَ خلق الله إلى الحجاج، فتمكَّن واستطال، وخرج عليه، وطمع في الخلافة، وواقع الحجَّاج نيِّفاً وثمانين وَقعة، إلى أن انهزم وحصل عند رُتبيل.

ولما رجع من هَراة يريد رُتبيل قال له علقمة بن عمرو الأَوْدي: ما أحبُّ أن أدخل معك بلاد رُتبيل، قال: ولم؟ قال: كأني والله بكتاب الحجاج قد جاء إلى رُتبيل يُرَهِّبُه ويُرَغِّبه، فإذا هو قد بعث بك إليه سَلَماً، أو قتلك وقتل كل مَن معك، ولكن ها هنا خمس مئة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصَّن فيها، ونقاتل حتى نُعطى أماناً، أو نقتل كراماً، فوافِقْنا، فأبى عبد الرحمن، ودخل إلى رُتبيل، وأقام هؤلاء الخمس مئة خارجاً عن بلاد رُتبيل حتى قدم عُمارة بن تميم اللخمي، فأمّنهم ووفى لهم لما خرجوا إليه.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٥٦_٥٥٧ و٧/ ١٠٠٩ . وما بين معكوفين من (ص)، ووقع فيها بعد هذا زيادة مكررة نصها: قال ابن سعد: وقد أدرك الخليفتين يعني أبا بكر وعمر.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وجاء بعدها ترجمة عبد العزيز بن مروان، وانظر «طبقات ابن سعد»، و«السير» ٣/ ٥٢١ .

ولما حصل ابن الأشعث عند رتبيل كتب إليه الحجاج: والله لئن لم تبعث إليّ بابن الأشعث لأُوطِئَنَّ أرضك ألف ألف مقاتل، وإن بعثت به إليّ وضعتُ عنك خراجَك سبع سنين.

فقتل رتبيل ابنَ الأشعث، وبعث برأسه إلى الحجاج، وقيل: إنه مات بعلّة السلّ عند رُتبيل، فبعث فحزّ رأسه وبعث به إلى الحجاج، وكان قد أسر ثمانية عشر رجلاً من آل ابن الأشعث، فكتب إلى الحجاج يخبره، فخاف الحجاج أن يبعث بهم إليه أحياء؛ فيطلب منه عبد الملك تَخليتَهم، فكتب إلى رتبيل: اضرب أعناقهم، وابعث إليّ برؤوسهم ففعل.

وقال معمر: خرج عُمارة بن تميم اللخمي من كَرمان يطلب سِجستان، فأتى إليها وعلى الخمس مئة الذين ذكرناهم مَودود العَنْبريّ، فحصرهم ثم أمَّنهم، واستولى على سجستان، وبعث إلى رتبيل بكتاب الحجّاج وفيه معنى ما تقدم الترغيب والترهيب، فأبى رُتبيل أن يُسلِم ابن الأشعث.

وكان مع ابن الأشعث عُبيد بن أبي سُبَيع التميميّ، وكان خَصيصاً به، وكان رسولَه إلى رُتبيل، فخف على رُتبيل[١] واستخصّه، فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: قد رابني أمرُ هذا التميميّ فاقتله، فهمّ به، وبلغ التميميَّ فخافه ووشى به إلى رُتبيل، وخوَّفه الحجاجَ، وخرج سرّاً إلى عُمارة، فصالحه على مالٍ لرُتبيل ولنفسه؛ يقال: إنه ألف ألف درهم، ووضع الخراج عنه مدة عشر سنين، واتّفق عُمارة مع الحجاج على ذلك.

جعل رُتبيل في عُنق عبد الرحمن وأخيه وأهله الجوامع[٢]، وبعث بهم إلى عمارة وكان نازلاً ما بين سجستان وبلاد رُتبيل، ولما قَرُب عبد الرحمن من عُمارة مرَّ في طريقه بقصرٍ، فصعد إلى أعلاه، ثم ألقى نفسه منه فمات، فاحتزّوا رأسَه، وأتوا به وبأهله إلى عُمارة، فقتل الأسرى، وبعث بالرأس إلى الحجاج، فبعث به إلى عبد الملك، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

---

(١) أي: أَنِسَ به. وقولُ معمر هذا (وهو ابنُ المثنَّى) في تاريخ الطبري ٦/ ٣٩٠ .

(٢) كذا، وهذا السياق فيه انقطاع، صوابه: فأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود. . . انظر الطبري ٦/ ٣٩١ .

قال عمر بن شبّة: لما بعث الحجاج رأس ابن الأشعث بعثه عبد الملك إلى امرأة من آل الأشعث كانت تحت رجل من قريش، فلما وضع بين يديها قالت: مرحباً بزائرٍ لا يتكلم، ملكٍ من الملوك، طلب ما هو أهله فأبت عليه المقادير، ثم طيَّبَتْه بالمسك بعد أن غسلته.

ونظر ابن الأشعث إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد رُتبيل فتمثَّل: [من السريع]

مُنْخَرِقُ الخُفَّينِ يشكو الوَجَا ... تَنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادِ
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حَتْمٌ في رقابِ العِبادِ
طَرَّده الخوفُ وأزرى به ... كذاك مَن يَكره حَرَّ الجِلادِ

وسمعه الرجل فقال: هلا ثَبَتَّ في موطن من تلك المواطن فنموت بين يديك، ثم تموت أنت، فهو خيرٌ لك مما صِرتَ إليه[(١)].

والذي حمل رأس عبد الرحمن إلى عبد الملك عِرار بن عمرو بن شَأْسٍ الأسديّ الكوفي، قال عرار: لما قدمتُ على عبد الملك بكتاب الحجاج جعل يقرؤه، وكلما شَكّ في شيءٍ منه سألني فأخبرتُه، فعجب عبد الملك من فصاحتي مع دَمامتي وسوادي، فضحكت وأنشدت: [من الطويل]

فإن عراراً إن يكن غيرَ واضحٍ ... فإني أحبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فغضب عبد الملك وقال: لم ضحكتَ[(٢)]، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرف عِراراً؟ قال: لا، قلت: أنا عِرار؛ كان أبي قد تزوّج امرأةً وهي أم حسان[(٣)]، فكانت تُؤذيني فقال:

فإن كنتِ منّي أو تُريدين صُحبَتي ... فكوني له كالسَّمْن رُبَّتْ به الأَدَمْ
وإلا فسِيري مثلَ ما سار راكبٌ ... تيمَّم خَمساً ليس في سَيْره أَمَمْ
أرادتْ عِراراً بالهوان ومَن يُرِدْ ... عِراراً لعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ
فإن عراراً إن يكُن غيرُ واضحٍ ... فإني أحب الجَوْنَ ذا المنكِبِ العَمَمْ[(٤)]

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٢. وينظر الأخبار الطوال ص ٣١٩ـ٣٢٠.

(٢) كذا، وسياق الخبر في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ١٧٠ : فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده فقال متمثلاً: فإن عراراً... فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك فقال له: مم ضحكت؟ وقولُه: الجَوْن، يعني الأسود.

(٣) بعد وفاة والدة عرار، وهو رضيع.

(٤) بدل هذا الشطر في (أ) و(د): وذكر البيت.

فضحك عبد الملك وأحسنَ جائزتَه.

وكان عرار دَميماً قبيحاً أسود.

ولأبيه عَمرو بن شَأس صُحبة ورواية، شهد الحُدَيبية وكان شاعراً، ومن شعره: [من الطويل]

إذا نحن أدلَجْنا وأنتِ أمامَنا كَفى لمَطايانا بوَجهك هاديا
أليس تُريد العِيْسُ خِفَّةَ أَذرُعٍ وإن كُنَّ حَسْرى أن تكون أمانيا[1]

وقال عمرو بن شأس: خرجت مع عليّ بن أبي طالب إلى اليمن، فجفاني في سفري ذلك، حتى وَجدتُ في نفسي عليه، فلما قدمتُ أظهرتُ شِكايته في المسجد حتى بلغ رسولَ الله ﷺ، فدخلتُ المسجد ذاتَ غَداة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فلما رآني أبَدَّني عينيه، حتى إذا جلستُ قال: «يا عمرو، والله لقد آذيتَني» فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله! فقال: «بلى من آذى علياً فقد آذاني»[2].

وقال ابن عساكر[3]: كان عبد الرحمن بن الأشعث حَسوداً حَقوداً، وكان قد توجَّه إلى خراسان مع خالٍ له بطَلبِ مِيراثٍ، فجعل يختلف إلى بغيٍّ هناك يقال لها: ماهنوس، فأُخذ معها، فشهد عليه جماعة منهم كَرْدَم بن مَرْثَد بن نَجَبَة الفزاري، وزُفَر ابن عَمرو الفزاريّ، ومحمد بن قَرَظَة، ويزيد بن زهير، فضُرب حدّاً، ولم تذهب الأيام حتى صار هؤلاء النَّفر من جُند ابن الأشعث لما ولي سجستان، فدسَّ إليهم مَن شهد عليهم بالزنى، فحدَّهم، فقال بعضهم: [من الطويل]

شَهِدْنا بحقٍّ وانتقمتَ بباطلٍ فأُبْنا بخَيرٍ واشتملتَ على وِزْر

[فصل: وفيها توفي]

عبد العزيز بن مروان

ابن الحكم [بن أبي العاص]. وأمُّه ليلى بنت زَبّان[4] بن الأَصبغ بن عمرو الكلبيّ. وكنيته أبو الأَصْبَغ.

---

(١) «الاستيعاب» (١٧٨٥)، وينظر «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٩٧ وتخريجها ثمة.

(٢) مسند أحمد (١٥٩٦٠). وقوله: أَبَدَّني عَيْنَيْه، أي: حَدَّدَ إليَّ النظرَ. قاله راوي الحديث.

(٣) كذا، ولم أقف عليه في تاريخه، والخبر في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤١٨ .

(٤) في النسخ: زياد، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٢ . وما بين معكوفين من (ص).

من الطبقة الثانية من أهل المدينة ومُحدِّثيهم.

وذكره ابن سُمَيع في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام.

وكان جواداً ذا مُروءةٍ ظاهرة، وكان أبوه قد عَقد له بولاية العهد بعد عبد الملك، وولّاه مصر فأقره عليها عبد الملك، وثَقُل عليه مكانه، فأراد خلعَه ليُبايع لابنه الوليد وسليمان بالخلافة بعده، فمنعه قَبيصَةُ بنُ ذُؤَيب ـ وكان على خاتم عبد الملك ـ وقال له: لا تفعل؛ فإنك باعث على نفسك صَوْتاً نَعَّاراً، ولعل الموت يأتيه فتَستريح منه، فكفَّ عن ذلك ونَفْسُه تُنازعه، فدخل عليه رَوْحُ بنُ زِنْباع الجُذاميّ ـ وكان أجلّ الناس عنده ـ فشاوره فقال: لو خلعتَه ما انتَطَح فيها عَنْزان.

فبينا هما على ذلك وقد نام عبد الملك وروح في تلك الليلة، إذ دخل عليهما قَبيصة ابن ذُؤيب ليلاً، وكان لا يُحجب عن عبد الملك، وكانت الأخبار والكتب تأتيه فيقرؤها قبل عبد الملك، فقيل له: قد جاء قَبيصة، فدخل فقال: آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز، فاسترجع عبد الملك وقال لرَوْح: يا أبا زُرعة، كفانا الله ما أجمعنا عليه، فقال قَبيصة: إن الرأيَ كلّه في الأناة، وفي العجلة ما فيها، فقال عبد الملك: ربّما كان في العَجَلةِ خيرٌ كثير، ألم تر أمر عمرو بن سعيد؟! ألم تكن العَجَلة فيه خيراً من التأنّي[1]؟

ثم قال له قَبيصة: قد أتاك ما أردْتَ ولم تَقطع رَحم أخيك، ولم تأت ما تُعَاب به، ولم يُظهِر عليك غدراً، ولم يَسُؤه عنك السَّماع.

وكان الحجاج قد كتب إلى عبد الملك يُزَيّن له بيعةَ الوليد وسليمان، وأوفد إليه وَفْداً في ذلك منهم، عِمران بن عِصام العَنَزيّ، فقام عِمران خطيباً، وتكلم للوفد في ذلك، وسألوا عبد الملك، وأنشده عمران: [من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليك نُهدي ... على النَّأْيِ التحيَّةَ والسَّلاما
أجِبْني في بَنيك يكن جَوابي ... لهم أُمْنِيَّةً ولنا قِواما
فإن تُؤثِرْ أخاك بها فإنّا ... وجَدِّكَ لا نُطيقُ لها تماما
ولكنا نُحاذِرُ من بَنيه ... بني العَلّاتِ مَأْثَرَةً سَمَاما
ونخشى إن جَعلتَ المُلكَ فيهم ... سَحاباً أن تَعودَ لهم جَهَاما

(١) تاريخ دمشق ٤٣/١٩ .

فقال عبد الملك: يا عمران، إنه عبد العزيز، قال: فاحْتَلْ له.

وكتب عبد الملك إلى عبد العزيز: يا أخي، إن رأيتَ أن تُصيِّر الأمْرَ لابن أخيك فافعل، فأبى، فكتب إليه، فاجعلْه له من بعدك؛ فإنه أعزُّ الخلق علي، فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما تراه في الوليد، فكتب إليه: فاحمل خراج مصر إليّ، فكتب إليه عبد العزيز: إني وإياك قد بلغنا سناً لم يبلغها أحدٌ من أهل بيتنا إلا كان بقاؤه قليلاً، وإنا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت ألا تُغَثِّث[1] عليّ بقيةَ عُمري؛ ولا يأتيني الموت إلا وأنت واصِلٌ لي فافعل.

فرقَّ له عبد الملك وقال: لا غَثَّثْتُ عليه بقيَّة عُمره، وقال لابنيه الوليد وسليمان: إن يُرِد الله أن يُعطيكموها لم يَقدر أحدٌ من الخلق على ردِّها عنكما، ثم قال: هل قارفْتُما حَراماً قطّ؟ قالا: لا والله، فقال: الله أكبر، نِلتماها وربِّ الكعبة.

ولما امتنع عبد العزيز من إجابة عبد الملك إلى ما التمس منه قال عبد الملك: اللهم إنه قد قَطَعني فاقطعْه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه، فدعا عليه فاستُجيبَ له[2].

[وقال ابن عساكر:] شهد عبد العزيز قتلَ عمرو بن سعيد الأَشْدَق، وكانت دار عبد العزيز بدمشق مُلاصقة الجامع، وهي اليوم دار الصّوفية، وكانت بعده لابنه عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه[3].

[أخبرنا مشايخنا، عن أبي الفضل بن ناصر بإسناده إلى محمد[4] بن الحارث المخزومي قال:] دخل رجل على عبد العزيز يشكو إليه صهراً له فقال: إن خَتَني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: مَن خَتَنَك؟ قال: الخَتَّان الذي يَختنُ الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: وَيحك ما هذا الجواب؟ فقال: أيها الأمير، إنك لَحَنْتَ، والرجل [لا]

---

(١) لا تفسد.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤١٢_٤١٤ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٧١_٣٧٤ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٦١_٢٦٢ .

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٢_١٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في (ص) وما بين معكوفين منها: أبي محمد، وهو خطأ، والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢١ ، و«تهذيب الكمال» (٤٠٦٠)، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٤ .

يعرف اللَّحن، وكان ينبغي أن تقول له: مَن خَتَنُك، بالضم، فقال عبد العزيز: أُراني أتكلم بكلام لا تعرفه العرب؟ والله لا شاهدتُ الناس حتى أعرفَ اللحن، وأقام في بيته جمعة لا يظهر؛ ومعه من يعلّمه العربية، فصلّى بالناس الجُمعةَ الأخرى وهو من أفصح الناس.

ثم كان بعد ذلك يُعطي على العربية، ويَحرم على اللحن، فجاءه قوم من قريش من أهل مكة والمدينة زُوّاراً، فجعل يقول للرجل منهم: من أنت؟ فيقول: من بني فلان، فيعطيه مئتي دينار، فسأل رجلاً منهم فقال: من بنو عبد الدار، فقال للكاتب: خُذها من جائزته، فأعطاه مئة دينار[1].

وكان يقول: مَن أمكنني من وَضْع مَعروفي عنده فيَدُه عندي أعظم من يدي عنده، وكان يترنّم بأبيات عبد الله بن عباس: [من الطويل]

إذا طارِقاتُ الهمِّ ضاجَعتِ الفتى ... وأعملَ فِكرَ الليل والليلُ عاكِرُ
وباكَرني في حاجةٍ لم يجدْ لها ... سِوايَ ولا يُوجَدْ لها الدهرَ ناصرُ
فكان له فَضْلٌ عليَّ بظَنِّه ... بيَ الخيرَ إنّي للّذي ظنَّ شاكرُ

وفي هذا المعنى يقول بشار بن برد: [من الخفيف]

ليس يُعطيكَ للرَّجاء ولا الخَوْ ... فِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ[2]

ومرض عبد العزيز، فدخل عليه كُثَيِّر عَزَّة فقال: [من الكامل]

ونَعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غيرِنا ... ليتَ التَّشَكّي كان بالعُوَّادِ
لو كان يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لفَديتُه ... بالمصطفى من طارفي وتِلادي[3]

وحدَّ عمرو بن سعيد الأشدق عبدَ العزيز في شرابٍ شربه، فوجد عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه لما ولي المدينة إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر في بيت خُلَيْدَة العرجاء، فحدَّه حدَّ الخمر، فقال له إسحاق: يا عمر، كلُّ الناس جُلِدوا في الخمر، يعرِّض بأبيه[4].

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١ وما سلفَ بين حاصرتين منه.
(٢) «العقد الفريد» ١/ ٢٣٠.
(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٢.
(٤) انظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦٨.

ذكر وفاته:

لما احتضر عبد العزيز قيل له: مالُك بمصر[١] يبلغ ثلاث مئة مُدْيٍ من ذهب، فقال: وَدِدْتُ أنه كان بَعراً حائلاً بنجد.

وتوفي بمصر في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين، وبلغ الخبر عبد الملك ليلاً، فلما أصبح دعا الناس إلى البيعة للوليد، ثم بعده لسليمان، وقدم كُثَيِّر عَزَّة مصر وورثة عبد العزيز يقتسمون ماله، فبكى وقال: [من البسيط]

أضحى تراثُ ابنِ ليلى وهو مُقْتَسَمٌ ... في أقربيهِ بلا مَنٍّ ولا ثَمَنِ
ورَّثْتَهم فتعزَّوا عنك إذ وَرِثوا ... وما وَرِثْتُك غيرَ الهَمِّ والحَزَنِ

فقال ورثته: لا جَرَم، والله لا تنصرف إلا بمثل نصيبِ واحدٍ منا.

ولكثيِّر فيه أشعار كثيرة منها: [من الطويل]

قليلُ الألَايا حافظٌ ليمينه ... فإن بَدَرَتْ منه الأَلِيَّةُ بَرَّتِ
حليمٌ رَزِينٌ ذو أناةٍ وإِرْبَةٍ ... بصيرٌ إذا ما كِفَّةُ الحربِ جُرَّتِ

ومنها: [من الطويل]

شهدتُ ابنَ ليلى في مواطنَ قد خَلَتْ ... يزيدُ بهذا الحلم حِلماً حُضُورُها
وإني لآتٍ قبرَه فمُسَلِّمٌ ... وإن لم يُكلِّم حُفْرَةَ مَن يَزورُها[٢]

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عمر رضي الله عنه، ولي الخلافة، وعاصم، وأبو بكر، ومحمد، درج، أُمُّهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب[٣].

والأَصْبَغ، وأم عثمان، وأم محمد لأم وَلَد.

وسُهيل، وسَهْل، وأُمُّ الحكم، أُمُّهم أم عبد الله [بنت عبد الله] بن عمرو بن العاص ابن وائل.

---

(١) في (ص): حكى أبو سعيد بن يونس أن عبد العزيز لما احتضر قيل كان له ملك بمصر. والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٥ من طريق ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حماد بن موسى الخشني.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٤.، وديوان كُثَيِّر ص٣٧٨ و٨٥ و١٦١ - ١٦٢ على الترتيب.

(٣) في (خ) و(د): بن أبي طالب وهو خطأ، والمثبت من (أ).

وزَبَّان، وجُزَيّ لأم ولد.

وأم البنين، وأمُّها ليلى بنت سُهيل بن حَنْظَلة كلابيّة.

روى عبد العزيز عن أبي هريرة، وكان ثقةً قليلَ الحديث(١).

عمران بن عصام(٢) الضُّبَعيّ

أبو عُمارة، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، كان قاضياً عليها، وكان إمامَ مسجد بني ضُبَيْعة، يختم بهم في رمضان كلَّ ثلاث ليال، وكان قد خرج مع ابن الأشعث، فلما قتل جيء به إلى الحجَّاج فقال له: اشهَدْ على نفسك بالكفر، فقال: ما كفرتُ بعد إيماني، ثم كشف رأسَه وإذا به مَحلوق، فقال: ومحلوق أيضاً؟ يعني أنه يرى رأيَ الخوارج، فقتله.

عمرو بن حُرَيْث

ابن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم، أبو سعيد.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان زياد يَستخلفه على الكوفة إذا خرج إلى البصرة.

حمله أبوه إلى رسول الله ﷺ فمسح برأسه، ودعا له بالبركة، وخطّ له بالمدينة داراً بقَوس(٣)، ومات رسول الله ﷺ وله اثنتا عشرة سنة.

وزعموا أنه أول قُرشيٍّ اتَّخذ بالكوفة داراً. وكان له قَدرٌ وشَرَف.

ومن حديثه أنه رأى النبي ﷺ يصلي في نَعلَين مَخْصُوفَين(٤).

ومات بالكوفة سنة خمس وثمانين.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) في النسخ: عاصم، والتصويب من تاريخ خليفة ص٢٨٢، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٨-٤٩٩، والعقد الفريد ٥/ ٥٤، و«تاريخ دمشق» ٥٢/ ٢٥٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣٥، وأخرجه أبو داود (٣٠٦٠) بنحوه، وقوس: وادٍ.

(٤) مسند أحمد (١٨٧٣٦).

وأبوه حُرَيث من الصحابة، روى عنه ابنُه عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكَمْأَةُ من المَنِّ، وماؤها شِفاءٌ للعين»(١).

[فصل: وفيها توفي]

واثِلة بن الأَسْقَع

ابن عبد العُزَّى بن عَبدِ ياليل بن ناشِب بن غِيَرة بن سعد بن لَيث، أبو قِرْصَافَةَ اللَّيثي.

من الطبقة الثالثة من المهاجرين(٢)، كان ينزل ناحية المدينة، فأتى رسولَ الله ﷺ فصلى معه الصُّبح، فكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف يتصفَّح وجوه أصحابه ينظر إليهم، فلما دنا منه أنكره فقال: مَن أنت؟ فأخبره، فقال: «ما جاء بك»؟ قال: جئتُ أبايع، قال رسول الله ﷺ: «على ما أحبَبْتَ وكَرهتَ؟!» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «فيما أطَقْتَ»؟ قال: نعم، فأسلم وبايعه. وكان رسول الله ﷺ يَتجهَّز يومئذ إلى تبوك.

فخرج واثلة إلى أهله، فلقي أباه الأَسْقَع، فلما رأى حاله قال: قد فعلتَها، قال واثلة: نعم، فقال أبوه: والله لا كَلَّمتُك أبداً، فأتى عمّه فكلمه فلم يكلمه وقال: قد فعلتَها، قال: نعم، فلامه لائمةً أيسرَ من لائمةِ أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تَسبقَنا بأمر.

وسمعت أختُ واثلة كلامَه، فخرجت فحيَّتْه بتحيةِ الإسلام، فقال لها واثلة: من أين لك هذا يا أُخَيَّة؟ قالت: سمعتُ كلامَك وكلامَ عمِّك، وكان واثلة ذكر الإسلام ووصفه لعمِّه فأعجب أُختَه فأسلمت، فقال لها واثلة: لقد أراد الله بك خيراً يا أُخَيَّة؛ فجهِّزي أخاك جهازَ غازٍ؛ فإن رسول الله ﷺ على جَناح سَفَر، فأعطته مُدّاً من دقيق وتمر.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٧) وأخرجه البخاري (٤٤٧٨) ومسلم (٢٠٤٩) من طريق عمرو بن حُريث عن سعيد بن زيد ﷺ وانظر في ترجمة عمرو بن حريث: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٣٤ و٨/ ١٤٦، و«السير» ٣/ ٤١٧ وما في حواشيه من مصادر.

(٢) بعدها في (ص): ولم يشهد بدراً ولا أحداً وإنما أتى رسول الله (ص) فأسلم على يده وهو يتجهز إلى تبوك وجعل يقول: من يحملني عقبة وله سهمي، فحمله كعب بن عجرة فحصل له قلائص فدفعها إلى كعب فلم يأخذها وقال: إنما حملناك لله تعالى، وقد ذكر القصة ابن سعد. والمثبت من النسخ (أ) و(خ) و(د).

وأتى المدينة ورسول الله ﷺ قد تحمَّل إلى تبوك، وبقي بقيَّةٌ من الناس، فجعل ينادي: مَن يَحملني وله سهمي؟ وسمعه كعب بن عُجْرَة فقال: أنا أحملك عُقْبَةً بالليل، وعُقْبةً بالنهار، ويدي ويدك[١]، وسهمُك لي، فقال واثلة: نعم، قال واثلة: فجزاه الله خيراً.

قال: وسار خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُوْمَة، وخرجتُ معه، فأصَبْنا فَيئاً كثيراً، وأصابني ستُّ قَلائص، فجئتُ أسوقُها إلى خيمة كعب بن عُجْرة فقلت: اخرج فاقبِضْ قلائصَك، فخرج وهو يتبسَّم ويقول: بارك الله لك فيها، ما حملتُك وأريد أن آخُذَ منك شيئاً.

ولما أسلم واثلةُ[٢] قال له رسول الله ﷺ: «اذهب فاحلق عنك شَعَر الكُفر، واغتسل بماءٍ وسِدر» ففعل.

[وذكر ابن عساكر وقال:] شهد واثلة فتح دمشق، وقتل عظيماً من عُظماء الروم وأخذ سَلَبَه، فدُفع له في سَرْجه عَشْرةُ آلاف[٣].

وقال خليفة[٤]: كانت له دار بالبصرة.

وذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة[٥].

واختلفوا في وفاته؛ وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الزاهرية قال: مات واثلة بن الأسقع بالشام سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة[٦].

وحكى ابن عساكر عن أبي حاتم قال: كان واثلة يشهد المغازي بدمشق[٧]. وحكى ابن سعد أيضاً أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ببيت المقدس[٨]. وقيل: إنه سكن

---

(١) في مغازي الواقدي ١٠٢٩، و«طبقات ابن سعد» ٥/ ١٣٠، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٧١٠ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٥: ويدك أسوة يدي.

(٢) في (ص): وقال الواقدي ولما أسلم. اهـ ولم أقف على الخبر من رواية الواقدي، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ (١٩٩)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٥٧٠، والخطيب في تاريخه ١٥/ ٨١، وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٣٢٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٩-٧١٠ من طريق معروف الخياط، عن واثلة، به.

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٤، ٧٠٥، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في طبقاته ٣١.

(٥) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١١.

(٦) «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٣٠ و٩/ ٤١١.

(٧) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٧.

(٨) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١٢.

البَلاط[1]؛ قرية من قرى دمشق على ثلاثة فراسخ منها، ثم تحوَّل فسكن البيت المقدس حتى مات به.

[وقال ابن عساكر أيضاً:] سكن دمشق إلى أن توفي بها، وهو مدفون بالحضيرة التي بمقابر الباب الصغير، فيها قبر معاوية[2].

وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق. وقيل: مات وهو ابن مئة وخمس سنين.

وكان يتغدَّى ويتعشَّى بفِناء داره، ويدعو الناس إلى طعامه.

وقيل: مات بحمص[3]، وقيل: اغتيل بين حمص ودمشق.

أسند عن رسول الله ﷺ ستة وخمسين حديثاً.

موسى بن عبد الله

ابن خازم السُّلَمي، خرج من مَرْو ببعض ثَقَل أبيه عبد الله أمير خراسان، وقطع النهر في عشرين ومئتي فارس، فأتى آمُل[4] وقد صار في أربع مئة فقاتلوه، فأتى بُخارى، فمنعه صاحبُها من دخولها وقال: لا مُقام لك عندي، ووصله بمال ودواب، وجعل يتنقّل في بلاد ما وراء النهر، واتَّفق عليه ملوك التُّرك، فأتى إلى التِّرمِذ وبها حصن حصين، فأقام بظاهرها، ولم يزل يُهادي صاحبها حتى صنع له طعاماً، ودعاه إلى البلد، فلما أكل الطعام قال له: اخرج، فقال: لا أجد مُقاماً أحصنَ من هذا، وقاتلهم فقتل منهم جماعة، وغلب على البلد، وأقام بها من سنة إحدى وسبعين يحارب الترك

---

(١) من قوله: وقال خليفة... إلى هنا من (ص)، وهي في (أ) و(خ) و(د) مختصرة.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، ولم أقف على الخبر في «تاريخ دمشق»، ولا في غيره، وقوله: الحضيرة، لعله: الحظيرة.

(٣) في (ص): قال الواقدي: وواثلة آخر من مات من الصحابة بدمشق، وقد حكاه ابن سعد أيضاً، قال: وكان يتغدى ويتعشى... وقيل مات بحمص والله أعلم. السنة السادسة والثمانون.

قلت: أخرج ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٧١٥ من طريق العباس بن الوليد، عن أبيه، عن سعيد بن بشير، عن قتادة قال: كان آخر أصحاب رسول الله (ص) موتاً بمكة عبد الله بن جابر... وآخرهم موتاً بدمشق واثلة بن الأسقع الليثي. ولم يذكر ابن سعد هذا الخبر، ولم أقف عليه للواقدي.

وأما قوله: كان يتغدى ويتعشى... فأخرجه ابن سعد في طبقاته ٩/ ٤١٢ عن الواقدي، عن الوليد بن مسلم، عن أبي المصعب مولى بني يزيد، به.

(٤) في (أ) و(خ) و(د): آمد، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٩٨.

ومُلوكَهم، وهم مجتمعون على حربه، وهو يَظهر عليهم، فقصدوه مرة فخرج إليهم فبيّتهم، فقتل منهم مَقتلةً عظيمة؛ بحيث إنه بنى من رؤوسهم جَوْسَقَيْن، وبلغ الحجاج حديث الوقعة فقال: الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين.

وكان المهلَّب مدةَ إقامته بخُراسان لا يعرض لموسى؛ لكونه في وجه بلاد الإسلام، وكذا يزيد بعده، إلى أن ولي المُفَضَّل بن المُهَلَّب، فجهّز إليه جيشاً كثيفاً، فحصروه مدَّةً، فخرج إليهم فأنكى فيهم، فعَرْقَبوا فرسَه وقتلوه، وفيه يقول بعض الشعراء في رجل اسمه موسى[1]: [من الطويل]

فما أنت موسى إذ يُناجي إلهه ولا واهِب البَدْرَاتِ موسى بنُ خازمِ

وكان جواداً مُمدَّحاً شجاعاً، قال أهل خراسان: ما رأينا ولا سمعنا بمثل موسى بن خازم، قاتل مع أبيه سنتين، ثم خرج يسير في بلاد خُراسان، حتى أتى ملكاً فغلب عليه، وأخرجه من مدينته، ثم سارت إليه جنود العرب وملوك الترك، فكان يقاتل العرب أول النهار، والترك آخره، وأقام في حصنه خمسة عشر سنة وملك ما وراء النهر.

ولما عَرْقَبوا فرسَ موسى أجهز عليه واصل العَنْبَرِيّ، وكان أمير جيش المفضَّل عثمان بن مسعود الثَّقفيّ، ومعه مُدْرِك بن المهَلَّب.

ولما قُتل موسى كتب المفضَّل إلى الحجاج بقتله متقرِّباً إليه.

ولما قُتل ضرب بعضُ الجُنْد ساقَه بسيف، فلما ولي قتيبة بن مُسلم دعا بذلك الجندي فقال له: ما حملك على ما صنعت بفتى العرب بعد موته؟ قال: قتل أخي، فأمر به قُتيبة فضربت عُنقه بين يديه.

السنة السادسة والثمانون

فيها غزا قُتيبة بن مسلم ما وراء النهر؛ قال علماء السير: خطب الناسَ فقال:

إن الله تعالى إنما أحلّكم هذا المحل لتُعزُّوا دينَه، ويَذُبَّ بكم عن الحُرُمات، ويزيد بكم للمال استفاضة، وللعدو قمعاً، ووعد نبيَّه ﷺ النَّصْرَ في الكتاب الصادق فقال تعالى: ﴿هُوَ

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠٩ : وكان بقومس رجل يقال له عبد الله يجتمع إليه فتيان يتنادمون فلزمه دين، فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعة آلاف، فأتى بها أصحابه، فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى.

ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الصف:٩]، ووعد المجاهدين في سبيله أحسنَ الذّكر وأعظمَ الأجر فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة:١٢٠]؛ ثم أخبر عمَّن قُتل في سبيله وأنه حي يرزق فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾الآية[آل عمران:١٦٩]، فتنجَّزوا موعدَ ربّكم، ووطّنوا نفوسكم على أقصى الأثَر، وأمضّ الألم، وإياكم والهُوَيْنى.

وكان قُدومُه خراسان والمفضَّل بن المُهَلَّب يَعرض الجُند ليَقطع النهرَ غازياً، فغزا بهم قتيبة، ولما قطع النهر بعدما وصل إلى الطَّالَقان تلقَّتْه الملوك بالهدايا، منهم تيش ملك الصَّغانيان، وكان في هداياه مفتاح بلده وكان من ذَهَب، وأذعن له الملوك بالانقياد، وأهل الطُّخارستان وغيرها فصالحوه، فخلَّف أخاه صالح بن مسلم في الجيش.

وعاد قتيبة إلى مَرْو، وفتح صالح بعد مسير أخيه إلى مرو فتوحات، وكان في جيشه نَصر بن سَيَّار، فأبلى بلاء حسناً، فأعطاه ضَيعة تُدعى تنجانة، ثم رجع صالح إلى مَرْو فاستعمله أخوه قتيبة على التِّرمذ.

وقيل: إن قتيبة أقام في هذه السنة على بَلْخ؛ لأن بعضَها كان مُنتقِضاً عليه، وقد حارب أهلُها المسلمين، فقاتلهم وسبى منهم، وكان فيمن سبى امرأة بَرْمَك ـ وكان بَرْمَك [على] النُّوبَهار ـ فصارت إلى عبد الله بن مسلم أخي قُتيبة، وكان به طَرفٌ من الجُذَام، ويُدعى بالفقير، فوقع عليها، ثم إن أهل بَلْخ صالحوا غَدَ ذلك اليوم الذي حاربهم قتيبة، فأمر بردِّ السَّبْي، فقالت امرأة بَرْمَك لعبد الله: إني قد عَلِقْتُ منك فلا تَرُدَّني، وأقامت عنده فاحتُضر، فأوصى أخاه قُتيبة أن يُلحق ما في بطنها بنسبه، ورُدَّت إلى بَرْمَك، فولدت عنده خالداً، وكان بَرْمَك يدَّعي أنه وَلَده، فيقال: إن ولد عبد الله ابن مسلم جاؤوا في أيام محمد المهديّ حين قَدِم الريّ ومعه خالد بن بَرْمَك[1]؛ فادَّعوا أن خالداً منهم، وأرادوا أن يُلحقوه بنسبهم، فقال مُسلم بن قتيبة: إن استلحقتموه فلا بُدَّ لكم أن تُزَوِّجوه، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم.

ويقال: إن بَرْمَك كان طبيباً فداوى مُسلم بن قُتيبة من مرضٍ كان به.

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/ ٤٢٥: حين قدم الرَّي إلى خالد بن برمك.

وقيل: إن قتيبة لما فارق الجند ركب في السفن، وانحدر على آمُل، فكتب إليه الحجّاج يُعَجِّزه حيث فارق جُنده وقال: إذا غزوتَ فكن في مُقَدَّم الناس، وإذا قَفَلتَ فكن في ساقَتِهم(١).

وفيها توفي عبد الملك بن مروان، وولي ابنُه الوليد.

الباب السادس

في ولاية الوليد بن عبد الملك

وكنيته أبو العبّاس، وأمه وَلّادة بنت العباس بن جَزء بن الحارث العَبْسيّ، ويقال لها: بنت السَّوداء لأن أمها كانت سوداء، وهي أم سليمان بن عبد الملك، وقيل: هي وَلّادة بنت خالد بن جَزْء بن الحارث بن زهير.

ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين سوى هذه، والثانية شاه فرند بنت فيروز بن يَزدَجرد الملقّب بكسرى، ولدت يزيد وإبراهيم ابني الوليد بن عبد الملك، والثالثة الخيزران ولدت الهادي والرشيد.

ذكر مولده:

واختلفوا فيه على أقوال، أحدها: في سنة خمس وأربعين بالمدينة، في دار عبد الملك بن مروان؛ وتدعى دار الإمارة.

والثاني: في سنة سبع وأربعين؛ ذكرهما الهيثم.

والثالث: في سنة خمسين، حكاه الواقدي.

والرابع: في سنة اثنتين وخمسين، ذكره ابن قتيبة(٢).

ذكر بيعته:

[قال الواقدي:] بويع بالخلافة يوم الخميس منتصف شوال، يوم مات أبوه.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢٤-٤٢٦، وساقَةُ الجيش: مؤخَّره.

(٢) من قوله: واختلفوا فيه... إلى هنا من (ص)، وجاءت في النسخ الأخرى مختصرة.

[وقال أبو عبيدة:] لاثنتي عشرة ليلة خلت منه. [قال:] وأول من بايعه عبد الله بن همّام السَّلولي(١).

ذكر صفته:

[قال الواقدي:] كان أسمر طُوالاً جميلاً، في وجهه أثر جدري، وفي أنفه فَطَس، وفي مُقدَّم لحيته شيب يسير، وليس في رأسه منه شيء، وكان جبَّاراً ذا سطوة شديدة، لا يتوقف إذا غضب، لَجوجاً، كثير الأكل والنكاح، مِطلاقاً، فيقال: إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة.

[وقال أبو اليقظان:] لما وَلي فرض للناس الأُعطية، وأعطى الجُذَماء وأغناهم أن يسألوا الناس، وأعطى كلَّ مُقْعَد خادماً يَخدمه، وكلَّ ضريرٍ قائداً يقوده، وكان صاحبَ بناء ومصانع، وكان عند أهل الشام عظيماً حتى سمَّوه أفضلَ الخلائف(٢).

[فصل:] وفيها ولّى الحجاج يزيد بن المُهَلّب على شُرطته(٣).

وحجَّ بالناس هشام بنُ إسماعيل المَخْزومي، فكان الحجاج على العراقَين والمشرق كله، وباشر بالبصرة أيوب بن الحكَم بن أبي عَقيل، وبخراسان قتيبة بن مسلم.

فصل: وفيها توفي

بَشير بن عَقْرَبة الجُهَنيّ

[وكنيته] أبو اليمان.

قال الواقدي: قُتل أبوه عَقربة يوم أُحُد، قال: فلقيني رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال: يا حبيب، ما يُبكيك؟ قلت: قتل أبي، فقال: أما ترضى أن أكون أنا أبوك، وعائشة أُمُّك، ومسح على رأسي بيده، فكان أثر يده من رأسي أسود وسائره أبيض، وكانت بي رُتَّة، فتفل فيها فانحلّت، وقال لي: ما اسمك؟ قلت: بجير، قال: لا بل بشير.

---

(١) ما بين معكوفين من (ص). وانظر الطبري ٦/ ٤٢٣ .

(٢) يعني الخلفاء، انظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٣ .

(٣) في الطبري ٦/ ٤٢٦ : وفيها حبس الحجاج يزيدَ بن المهلَّب، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته.

[قال الواقدي:] سكن بشير فلسطين، ومات بها سنة ست وثمانين[(١)].

سعيد بن وَهْب

الهَمْداني الكوفي، من الطبقة الأولى، كان يُقال له: القُراد لملازمته لعلي ﷺ، وروى عنه، وعن ابن مسعود، وخَبّاب، وسليمان، وابن عمر، وابن الزبير، وسمع من معاذ لما كان باليمن في حياة رسول الله ﷺ.

وكان عَريفَ قومه، وكان يَخضب بالصُّفرة، ومات بالكوفة في سنة ست وثمانين[(٢)].

وفيها توفي

أبو أُمامة الباهلي

واسمه صُدَيّ بن عَجْلان، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة من باهِلة، وهي امرأة أبوها صَعْب بن سعد العشيرة[(٣)].

صحب رسول الله ﷺ، وسمع منه، وروى عنه وتحوَّل إلى الشام فنزله، وشهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، وتوفي ﷺ وله ثلاثون سنة.

وشهد صفين مع علي ﷺ[(٤)]، ومات بحمص بعد أن أقام بمصر ودمشق، ورجع إلى حمص فمات بقرية من قراها يقال لها: دَنْوَة، على عشرة أميال من حمص، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام بحمص.

وقال: شهدتُ صفّين، فما كانوا يُجهزون على جَريح، ولا يطلبون مُوَلِّياً، ولا يَسلبون قتيلاً.

وكان يُصَفِّر لحيتَه، ويؤدّي الحديث كما سمع، ويقول: إن رسول الله ﷺ قد بَلَّغ إلينا ما أُرسل به، فبلِّغوا عنا أحسن ما تسمعون.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤٣٢، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٣٧٦ (مخطوط).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٢٩٠، و«السير» ٤/ ١٨٠.

(٣) من قوله: وفيها توفي أبو أمامة... إلى هنا من (ص)، وجاءت في النسخ الأخرى مختصرة. وانظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢١١.

(٤) في (ص): ثلاثون سنة ونزل الشام بعد أن حضر صفين مع علي.

وتوفي سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان[(١)].

وقال الهيثم: مات سنة إحدى وثمانين وهو ابن مئة وست سنين.

وكان من سَراة بني عَجْلان، ومرَّ برجلٍ يبكي[(٢)] في المسجد وهو ساجد فقال له: ما أحسن هذا البكاء لو كان في بيتك.!

[أسند أبو أُمامة عن رسول الله ﷺ أحاديث].

ومن مسانيده أنه ذكر أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سِياط كأنها أذنابُ البَقَر، يَغدون في سَخط الله، ويروحون في سَخَط الله» يعني الشُّرَط[(٣)].

[وفيها توفي]

عبد الله بن أبي أَوْفَى

الأسلميّ الخزاعي، [واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث، وكنيته أبو معاوية، وقيل: أبو إبراهيم.

وهو] من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكان ممن بايع تحت الشجرة، وشهد مع رسول الله ﷺ بني النَّضِير، والخندق، وقُرَيظة.

وقال: غزونا مع النبي ﷺ سبعَ غَزَوات نأكل فيهنّ الجَراد.

وقيل: أول مشاهده خيبر وما بعدها.

[وقال أبو نعيم:] أصابه يوم حنين ضَربةٌ في ذِراعه[(٤)].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١٥ .

(٢) في (ص): قال: ومرّ أبو أمامة برجل يبكي.

(٣) مسند أحمد (٢٢١٥٠)، وانظر ترجمة أبي أمامة في: «المعارف» ٣٠٩ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٢٨٩ (مخطوط)، و«السير» ٣/ ٣٥٩ .

(٤) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٠٦ ، و«تاريخ دمشق» ٣٦/ ٦٢٩ ، وما بين معكوفين من (ص).

وكان خِضابُه أحمر، وكانت له ضَفيرتان، وهو الذي صلّى رسول الله ﷺ على آله قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بصدقة، أو إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صلِّ عليهم»، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»، فمازلنا نعرف فينا خيراً كثيراً[(١)].

وقدم عبد الله على أبي عبيدة رضي الله عنه وهو محاصرٌ لدمشق بكتاب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وقال سعيد بن جُمهان: كنا نقاتل الخوارج مع عبد الله بن أبي أوفى، فلحق غلام له بهم، فناديناه: يا فيروز، هذا مولاك عبد الله، قال: نِعم الرجلُ هو لو هاجر، فقال ابن أبي أوفى: ما يقول عدوُّ الله؟ فأخبرناه فقال: هجرة بعد هجرتي إلى رسول الله ﷺ! ثلاث مِرار، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمَن قتلهم وقتلوه»[(٢)].

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: لم يزل عبد الله بن أبي أوفى بالمدينة[(٣)] حتى قُبض رسول الله ﷺ، فتحوّل إلى الكوفة، فنزلها حيث نزلها المسلمون، وابتنى بها داراً في أسلم، وكان قد ذهب بصره، وتوفي بالكوفة في سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة.

[قال:] وأحرم بالحج من الكوفة من مسجد الرَّمادة، وجعل يُلَبِّي.

أسند عن النبي ﷺ خمسة وتسعين[(٤)] حديثاً.

[فصل: وفيها توفي]

عبد الملك بن مروان

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩١١١)، وابن سعد ٥/ ٢٠٦، والبخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٩١٤٩)، وابن سعد ٥/ ٢٠٧، وابن عساكر ٣٦/ ٦٣٧.

(٣) في (أ) و(خ) و(د): وقال الواقدي لم يزل عبد الله بالمدينة، والمثبت من (ص)، والخبر في «طبقات ابن سعد» ٨/ ١٤٤.

(٤) في (أ) و(خ) و(د): وسبعين، وفي (ص): وتسعون؟! والمثبت من «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٣٦٥.

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف.

وكنية عبد الملك: أبو الوليد.

وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة [في قول ابن سعد].

وقال ابن سُمَيع: من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام.

وُلد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان بن عفان، وقيل: في سنة خمس وعشرين هو ويزيد بن معاوية، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين، وشَتا المسلمون بأرض الروم سنة اثنتين وأربعين، وهو أول مَشْتًى شَتَوه بها، فاستعمل معاوية عبدَ الملك على أهل المدينة، وهو يومئذ ابنُ ست عشرة سنة، فركب البحر بالناس.

[وقال أبو سعيد بن يونس:] وبعثه معاوية في سنة خمسين لغزو البحر، فدخل إفريقية مع معاوية بن حُدَيج وهو ابن أربع أو خمس وعشرين سنة[1].

ذكر طرف من أخباره:

[قال علماء السير:] كان حازماً لَبيباً، لا يكل أمرَه إلى غيره، بل يتولى الأمور بنفسه.

[وقال ابن سعد بإسناده عن شيخ من أهل المدينة قال:] جلس معاوية يوماً وعنده عمرو بن العاص، فمرَّ بهما عبد الملك، فقال معاوية: ما آدبَ هذا الفتى وأحسنَ مروءته! فقال عمرو بن العاص: إنه أخذ بخصال أربع، وترك خصالاً ثلاثاً، قال: وكيف؟ قال: أخذ بأحسن الحديث إذا حدَّث، وحسن الاستماع إذا استمع، وحُسْنِ البِشْرِ إذا لُقي، وخِفَّة المؤونة إذا خُولف، وتركَ من القول ما يُعتَذر منه، وتركَ مخالطة اللِّئام من الناس، وترك ممازحة من لا يُوثَق بعقله ولا مروءته.

[وقال ابن سعد:] كان عبد الملك قد جالس العلماء والفقهاء وحفظ عنهم، وكان قليل الحديث[2].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢١ ، و«تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤٤ ، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، وما بين معكوفين من (ص).

وقال إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه: تهيَّأ مصعب بن الزبير للقاء عبد الملك، وسار حتى نزل باجُمَيرا - قرية على شطّ الفرات دون الأنبار بثلاثة فراسخ - وجاء عبد الملك في جيوشه يَؤمُّ العراق لقتاله، فقال لرَوْح بن زِنباع وهو يتجهّز: والله إن في أمر هذه الدنيا لَعَجباً، لقد رأيتُني أنا ومصعب أفقده الليلة الواحدة من المكان الذي نجتمع فيه، فكأني والله وَالِهٌ، ويفقدني فيفعل مثل ذلك، ثم صرنا إلى السيف، ولكن هذا المُلك عَقيم، [ليس] أحد يُريده من وَلَدٍ ولا والد إلا كان السَّيف(١).

[وحكى ابن سعد عن الواقدي قال:] أول من أحدث ضَرْب الدنانير والدراهم ونقش عليها عبد الملك في سنة خمس وسبعين، وكانت مَثاقيل الجاهلية اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبَّة بالشامي، [قال:] وأقام الحج سنة خمس وسبعين للناس، فلما مرَّ بالمدينة نزل في دار أبيه، فأقام أياماً، ثم خرج وخرج معه الناس إلى ذي الحُلَيْفة، فقال له أبان بن عثمان: أَحْرِم من البَيْداء، فأَحْرَم [عبد الملك من البيداء.

قال:] وخطب في حجته في أربعة أيام: قبل التَّروية، ويوم عَرَفة، والغد من يوم النَّحْر، ويوم النفر الأول(٢).

وقال ثعلبة بن أبي مالك القُرَظيّ: رأيت عبد الملك صلى المغرب والعشاء في الشِّعْب، فأدركني دون جَمْع، فسرتُ معه فقال: صلّيتَ بعد؟ قلت: لا لَعَمري، قال: فما منعك من الصلاة؟ قلت: إني في وقت بعد، فقال: لا لعمري ما أنت في وقت، [قال: لعلك] ممن يَطعن على أمير المؤمنين عثمان؟ فأشهد على أبي أخبرني أنه رآه صلّى المغرب والعشاء في الشِّعب، فقلت: ومثلُك يا أمير المؤمنين يتكلم بهذا وأنت الإمام! ومالي وللطَّعنِ عليه وعلى غيره؟ قد كنتُ له مُلازماً، ولكني رأيتُ عمر رحمه الله لا يصلّي حتى يبلغ جَمْعاً، وليست سنّة أحبّ إليّ من سُنَّة عمر، قال: رحم الله عمر، فعثمان كان أعلم بعمر، ولو كان عمر فعل هذا لاتَّبعه عثمان، وما خالف عثمان عمر في شيء من سيرته إلا باللّين، فإن عثمان لان لهم حتى رُكب، ولو كان أغلظ لهم جانبه كما فعل عمر ما نالوا منه ما نالوا، وأين الناس الذين نسير فيهم بسيرة عمر بن

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٤ ، وما بين معكوفين منه، والخبر ليس في (ص).
(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ . وما بين معكوفين من (ص).

الخطاب، والناس اليوم يا ثعلبةُ كما علمت، إني رأيتُ سيرةَ السُّلطان تدور مع الناس، إن ذهب اليوم رجل يسير بتلك السيرة أُغير على الناس في بيوتهم، وقُطعت السُّبُل وتظالم الناس، وكانت الفتن، فلابدَّ للوالي أن يسير في كل زمان بما يُصلحه[١].

قال الواقدي[٢]: قال عبد الملك: يا أهل المدينة، إن أحق الناس أن يلزم الأمرَ الأوّل لأنتم، وقد سالت علينا أحاديث من قبل المشرق، لا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن، فالزموا ما في مُصحفكم الذي جمعكم عليه الإمام المظلوم رحمه الله.

وحفظ عبد الملك عن عثمان، وسمع من أبي هريرة، وأبي سعيد الخُدري، وجابر ابن عبد الله، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان عابداً ناسكاً قبل الخلافة، وقال نافع: لقد رأيت عبد الملك وما بالمدينة شابٌّ أشدَّ تشميراً ولا أطلبَ للعلم منه.

وقال ابن جُرَيج: سمعت ابنَ شِهاب يُسأل عن ربط الأسنان بالذَّهب، فقال: لابأس به، ربط عبد الملك أسنانَه بالذهب.

وقال رجل من هَمْدان: كنا مع مسلم بن عقبة لما قدم المدينة، فدخلْنا حائطاً بذي المَرْوَة، فإذا بشابٍّ حسنِ الوجه والهَيئة يصلّي، فطفنا في الحائط ساعة وفرغ من صلاته، فقال لي: يا عبد الله، أمن هذا الجيش أنت؟ قلت: نعم، قال: أتؤمُّون[٣] ابنَ الزُّبير؟ قلت: نعم، فقال: ما أحبُّ أن لي ما على وجه الأرض كلّه وأني سرتُ إليه، وما على ظهر الأرض اليوم أحدٌ خير منه، قال: فإذا هو عبد الملك بن مروان، فابتُلي به حتى قتله في المسجد الحرام.

وقال عبد الملك: ما غضبي على من لا أملك ويدي لا تنالُه، وما غضبي على مَن أملك ويدي تناله[٤].

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٩، بنحوه، وما بين معكوفين منه.

(٢) بإسناده إلى ابن كعب كما في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٠.

(٣) في النسخ: أتموت؟! والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٣.

(٤) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٢٥.

وكان إذا جهز جيشاً إلى الروم يقول للأمير عليهم: أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمُضَارِب الكيِّس؛ الذي إن وَجَد رِبحاً تجر، وإلا حفظ رأسَ المال، ولا تطلُب الغَنيمةَ حتى تحوزَ السَّلامة، وكن من احتيالك على عدوِّك أشدّ حذراً من احتيال عدوِّك عليك(١).

[وقال الشعبي: أول من قال على المنبر: اللهم أصلح عبدك وخليفتك].

وقال الزهري: كان عبد الملك من الدين والورع على باب واسع، فلما وَلي الخلافة تغيَّرت حالُه، وهو أول خليفة أمر بالمنكر ونهى عن المعروف(٢).

لما قتل ابنَ الزبير، واستقام له الأمر، وحجّ في سنة خمس وسبعين؛ قدم المدينة فوبَّخ أهلها وقال: أذكِّرُكُم بأيام الله، فناداه رجل: ننشدك الله الذي ذكَّرتَنا به، فغضب وقال: لست بالخليفة المُداهِن، يعني معاوية، ولا بالخليفة المأفون، يعني يزيد، ولا بالخليفة المُسْتَضْعَف، يعني معاوية بن يزيد، ألا وإني لا أُداري هذه الأمة إلا بالسيف لتستقيم لي قَناتُهم، ألا وإنكم تكلِّفونا أعمال المهاجرين الأوَّلين، ولا تعملون منها بشيء، وتأمرونا بتقوى الله وتنسون أنفسَكم، وإنني أقسم بالله يميناً برَّةً؛ لا يأمرني أحدٌ بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربتُ عنقه، ثم قرأ الزُّهري: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الآية[البقرة: ٢٠٦].

ولما قال هذه المقالة ناداه رجل: أما والله لولا نسبك من المُداهِن، وقُربك من المأفون، وسَبيلك(٣) من المُسْتَضْعَف؛ لكنتَ أبعدَ منها من العَيُّوق، والله ما أخذتَها بوراثة سابقة، ولا بدعوى صادقة، ولا بوصيّةٍ نافذة، ولا باستحقاق، فأُفحم عبد الملك.

[قال المدائني:] وخطب يوماً فقام إليه رجل من أهل اليمن فقال له: إن محمد بن يوسف يسفك(٤) الدم الحرام، ويأخذ المال الحرام، ويفعل ويفعل، فقال له: اسكت، فقد سمعتُ أنها تكون خلافةً، ثم مُلكاً، ثم جَبريّة، وهذه جَبريّة.

---

(١) «العقد الفريد» ١/ ١٣٢.

(٢) «المنتظم» ٦/ ٣٩. ووقع هذا القول في (ص) بعد قوله: وكان لعبد الملك إقدام على سفك الدماء... الآتي قريباً.

(٣) في «العقد الفريد» ٤/ ٩٠-٩١: سببك، وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣١٩.

(٤) في (أ) و(خ) و(د): من أهل اليمن يقال له محمد بن يوسف فقال تسفك، والمثبت من (ص)، والخبر في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣٩، وفيه أن القائل: تكون خلافة... هو الرجل اليمني.

وخطب يوماً فنهى عن المنكر وأمر بالمعروف، فناداه رجل من الصفّ لا يُعرف: يا عبد الملك، مهلاً مهلاً، إنكم تأمرون ولا تأتمِرون، وتنهون ولا تنتهون، وتَعِظون ولا تتَّعِظون، أفنقتدي بكم في سيركم في أنفسكم، أم نُطيع أمركم؟ فإن قلتم: أطيعوا أمرَنا، واقبلوا نُصحَنا؛ فكيف ينصح غيره مَن غشّ نفسه، أم كيف تجب طاعة مَن لم تثبت عدالته، ولا تجوز في الحكم شهادته؟! فإن قلتم: خذوا الحكمة حيث وَجدتموها، واقبلوا العِظة ممَّن سمعتموها؛ فعلام قَلَّدناكم أمورَنا، وحكَّمناكم في دمائنا وأموالنا؟! أما تعلمون أن فينا مَن هو أعرف بوجوه اللُّغات، وصنوف العِظات منكم؟! فإن كانت الإمامةُ تُستَحقُّ بذلك فتنحَّوا عنها، وأطلقوا عِقالها، وخلُّوا سبيلَها؛ يبتدرْها أهلها الذين شَرَّدتموهم في البلاد، وقتلتموهم في كلّ واد، أما إنها إن بقيت في أيديكم فلاستيفاء المدَّة، وبلوغ الغاية، ووقع المحنة، وإن لكلِّ قائم يوماً لا يَعدوه، ووقتاً لا يألوه، ثم يصير إلى يوم يندم فيه المخدوع المفتون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فأَبلس عبد الملك ونزل، وطُلب الرجل فلم يوجد، فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام.

[وقال الشعبي:] كان لعبد الملك إقدام على سفك الدماء، وكان عماله على مذهبه: الحجاج بالعراق، والمُهَلَّب بخراسان.

[وقال الهيثم:] كان عبد الملك يزور أم الدرداء بمسجد دمشق، فزارها يوماً فقالت: يا عبد الملك، بلغني أنك شرِبتَ الطِّلاءَ بعد النُّسْك والعبادة! فقال لها: وشربتُ الدِّماء أيضاً[1].

وقال الزهري: سَمَرْتُ عنده ليلة فقال: يا بن شِهاب، أتعرف مَهبَّ الرياح؟ قلت: لا، قال: مَهبُّ[2] الشَّمال من بنات نَعْشٍ إلى مطلع الشّمس، ومَهبُّ الصَّبا من مطلع الشمس إلى مطلع سُهَيل، ومَهبُّ الجَنوب من مَطلع سُهيل إلى مغرب الشمس، ومَهبُّ الدَّبور من مغرب الشمس إلى بناتِ نَعْش.

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٤٣/ ٢٢٧ من طريق يحيى الغساني، قال: كان عبد الملك...، وانظر «السير» ٤/ ٢٤٩، وما سلف بين معكوفين من (ص).

(٢) في (ص): تهب، في المواضع كلها.

[وقال الهيثم:] قدم بَرْمَك [أبو خالد] الشام، فدخل على عبد الملك يوم جلوسه، فلما وقعت عين عبد الملك عليه قال: إن مع هذا سَمُّ ساعة، فدعا به وقال: كيف دخلتَ مجلسي ومعك سم ساعة؟! قال: لأنّا ملوك ونخاف من الضَّيم، فإن أُضِمنا أكلْناه فنموت ونستريح، فأُعجب عبد الملك به، وقرَّبه واختصّ به.

وإنما علم عبد الملك بذلك لأنه كان في عَضُده دُمْلُج[1] من فضة، في وسطه تمثال ثَورين، فإذا حضر مجلسَه السَّم انتطح الثوران فيعلم بذلك.

[وقال ابن الكلبي:] أتي عبد الملك بسكران فقال له: وَيحك ما هذا؟ أشربتَ المسكر؟! فقال: [من الطويل]

شربتُ على الجَوزاء كأساً رَويَّةً ... وأخرى على الشِّعْرى إذا ما استَهلَّتِ
مُحَرَّمةً كانت قريش تصونُها ... فلما استحلُّوا قتلَ عثمان حَلَّتِ

فقال أطلقوه.

وقال: أفضل الرجال مَن تواضع عن رِفعة، وزهد عن قُدرة، وأنصف عن قوة.

وكتب إلى الحجاج: [من المتقارب]

ولا تُفْشِ سرَّك إلا إليك ... فإن لكلِّ نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ غُواةَ الرِّجا ... لِ لا يتركون أديماً صحيحاً[2]

[وقال الأصمعي: قال عبد الملك] يوماً لجلسائه: أي المناديل أفضل؟ فقال بعضهم: مناديل اليمن التي كأنها أزهار الربيع، وقال آخر: مناديل مصر التي تضاهي نجوم[3] السماء، وقال كل واحد شيئاً، فقال عبد الملك: ما أتيتم بشيء، أفضلُ المناديل مناديل عَبْدَة بن الطَّبيب حيث يقول: [من البسيط]

لمّا نزلْنا ضَرَبْنا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ ... وفار بالغَلْي للقوم المَراجيلُ
وَرْداً وأشقر لم يُنضِجْه طابخُه ... ما قارب النُّضْجَ منه فهو مأكولُ

---

(١) أي: سِوار.

(٢) «العقد الفريد» ١/ ٦٥، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥٩.

(٣) في (ص): التي كأنها نجوم.

ثم انثَنينا على عُوجٍ مُسَوَّمَةٍ　　　أعرافُهنّ لأيدينا مناديلُ[(١)]

وقال [الهيثم: قال] رجل لعبد الملك: لي إليك سرّ، فصرف جلساءه، فلما أراد الرجل أن يتكلّم قال له: لا تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني فإني أَمقُت الكذّاب، ولا تَغْتَب عندي أحداً فإني أكره الغيبة، ولا تَسْعَ إليّ بأحد فإني لا أقبل السِّعاية، فبُهت الرجل، قال: وإن شئتَ أقلتُك، قال: أَقِلني. فأقاله[(٢)].

وقال لجلسائه: لا تمدحوني في وجهي؛ فأنا أعلم بنفسي منكم، ولا تكذبوا فلا رأيَ لكَذوب، ولا تغتابوا عندي أحداً فإني أكره الغيبة، وقولوا ما شئتم.

واحتُضر له ولد وكان يحبّه، فجعل يقول: الحمد لله الذي يقتل أولادنا ونحن نحبه.

وبلغه أن عاملاً له ارتشى، أو أُهدي إليه هدية فقبلها، فكتب إليه: إن كنت أَثْبَتَ المُهدي من بيت مال المسلمين فقد خُنت، وإن كنت أثبتَه من مالك فقد أطمعتَ أهلَ عملك فيك، ثم عزله.

[وذكر ابن عساكر أن عبد الملك] استقضى على دمشق الحارث بن عمرو بن نَحّام الأشعري، فبلغه عنه شيء فكتب إليه: [من الطويل]

إذا رِشوةٌ من دار قوم تَقَحّمت　　　على أهل بيتٍ والأمانةُ فيه
سَعَتْ هرباً منه ووَلّت كأنها　　　حَليمٌ تولّى عن جِوار سَفيهِ[(٣)]

[قلت: ومن هذا المثل المضروب: إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الطاقة.

وقال الهيثم:] كان عبد الملك إذا جلس للحكم يقول: [من السريع]

نخافُ أن تَسفَه أحلامُنا　　　فنَخْمُلَ الدَّهرَ مع الخاملِ[(٤)]

---

(١) «العقد الفريد» ١/ ١٦٥، والورد: ما أخذ فيه النضج من اللحم، والأشقر: مالم ينضج، والعُوج: خيل جياد منسوبة إلى أعوج حصان لبني هلال.

(٢) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٦٩ـ٢٧٠ من غير طريق الهيثم، وما بين معكوفات من (ص).

(٣) «تاريخ دمشق» ٤/ ١١٦ـ١١٧ (مخطوط)، وانظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٧١، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤٧ـ٣٤٨، و«تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٦٧ـ٢٦٨، وما بين معكوفين من (ص).

ذكر جماعة من الوافدين عليه:

قال قَبيصة بن ذُؤيب: كان عبد الملك يحب الوافدين عليه من العلماء والشعراء، فيُذاكرهم ويُباسطهم ويَصِلهم، فمن الوافدين عليه:

أحمر بن سالم المُرِّي، قال أبو عبيدة مَعْمَر: قدم أحمر بن سالم على عبد الملك فأنشده[(١)]: [من الطويل]

مُقِلٌّ رأى الإقلالَ عاراً فلم يزل … يَجوبُ بلادَ الله حتى تَمَوَّلا
فلما أفادَ المُلكَ جادَ بفَضْلِه … لمن جاءه يَرجو نَداه مُؤَمِّلا
فأعطى جَزيلاً مَن أراد عطاءه … وذو البُخلِ مَذمومٌ يرى البُخلَ أفضلا

فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال له: إياك والإكثار؛ فإن مَن أكثر هذر، وإياك وأعراضَ الناس؛ فإن لك لساناً لا يَدعك حتى يُلقيك تحت كَلْكَل هِزَبْرٍ يَضْغَمُك ضَغْمةً لا بقيّةَ لك بعدها، فخرج إلى العراق فهجا الحجاج بأبيات منها: [من الطويل]

ثَقيفٌ بقايا من ثَمودٍ وما لَها … أبٌ ثابتٌ في قَيس عَيْلان يُنْسَبُ
وأنتَ دَعيٌّ يا بنَ يوسف فيهمُ … زَنيمٌ إذا ما حَصَّلوا يَتَذَبْذَبُ

وبلغ الحجاج فطلبه فهرب، فأدركه الطَّلبُ بهِيت، فأتي به إليه فقال: ما جزاؤك عندي إلا أن أُعذّبك بما اختاره الله لأعدائه من أليم عقابه، فأمر به فأُحرق، ثم ذُري في الهواء، وتمثَّل بقول هَمّام [بن قَبيصة] النُّميري في ابنِ مِخْلاة الطائيّ، وقُتل بمَرْج راهط: [من الطويل]

بما اجْتَرَمَتْ كفَّاك لاقيتَ ما ترى … فلا يُبعد الرحمن غيرَك هالِكا
كفرتَ نعيماً لم تكن أنت أهلَهُ … فصادفتَ ليثاً ثابتَ الرُّكْنِ تامِكا
فبُعداً لمن يَبكيك ما هَبَّتِ الصَّبا … وسُحقاً فقد لاقيتَ ليثاً مُعارِكا

[وتفسير الكَلْكَل: الصَّدْر، وكذا الكَلْكَال، والهِزَبْر: الأسد، والضَّغْمُ[(٢)]: العضّ، وتَمَك السَّنام يَتْمُكُ تَمْكاً: طال وارتفع.]

---

(١) في (أ) و(خ) و(د): ذكر جماعة من الوافدين عليه: أحمر بن سالم المري، وفد عليه فأنشده، والمثبت من (ص).

(٢) في (ص): والضمغ، وهو خطأ، وهذا الشرح منها. والخبر في الموفقيات ٥٠٦ـ٥١٠، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦٠٣ (مخطوط)، ومختصره لابن منظور ٣/ ٨٣.

ومنهم **الأخطل الشّاعر**، وَفد عليه كثيراً، وله فيه مدائح، قلت: واسم الأخطل غياث ابن غَوث، ويقال: ابن غُوَيث التَّغلبيّ النَّصراني، وكنيته أبو مالك[١]، وقال الجاحظ: اسمُه غياث بن مُغيث[٢]، والأوّل أصح.

وكان مُقدَّماً عند بني أمية، ومدح يزيد بن معاوية، وذَمّ الأنصار، وقد ذكرنا ذلك.

وكانَ يُلَقَّب بدَوْبَل، قال أبو الحسين بن فارس: الدَّوْبَل: حمارٌ صغير مُجتمع الخَلْق[٣]، وبه لُقِّب الأخطل.

وذكره محمد بن سلَّام في «طبقات الشعراء»[٤].

قال[٥]: ودخل على عبد الملك فحادثه وأنشده، فأعجبه فقال له: أسلمْ تَسْلَم، فقال: إن أحلَلْتَ لي الخَمر، ولا أحجُّ البيت، ولا أصوم رمضان أسلمتُ، فقال عبد الملك: إن أسلمتَ وقصَّرتَ في شيءٍ من الشَّرائع ضربتُ الذي فيه عيناك، فقال: ضَعْ عني صومَ رمضان، فقال عبد الملك: ليس إلى ذلك سبيل، فقال الأخطل: [من الوافر]

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعاً ... ولستُ بآكلٍ لَحْمَ الأضاحي
ولستُ براحلٍ عِيْساً بِكاراً ... إلى بطحاءِ مكّةَ للنَّجاحِ
ولستُ بقائمٍ أبداً أُنادي ... كمِثلِ العِيرِ حَيَّ على الفَلاحِ
ولكنِّي سأشربُها شَمولاً ... وأسجُدُ عند مُبْتَلَجِ الصَّباحِ

وللأخطل في عبد الملك وفي أخيه بِشر مدائح مشهورة.

وكان ماجِناً، وفد على عبد الملك، فدعاه الأعور بن بنان[٦] التَّغلبيّ إلى منزله وقد فرشه بأنواع الفُرش والرّيحان، وكانت امرأته بَرَّة من أحسن النساء، وكان هو من أقبح

---

(١) في (ص): أبو خالد، وهذا السياق إلى نهاية ترجمة الأخطل من (ص) خلا الشعر الآتي، فإنه من (أ) و(د) و(خ).

(٢) في «تاريخ دمشق» ١٤/ ١٤٥ (مخطوط): وقال الجاحظ: الأخطل اسمه غوث بن مغيث، وتفرد الجاحظ بهذا القول.

(٣) «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٢٧، و«مجمل اللغة» ٣٤٦.

(٤) ٢/ ٢٩٨ (٣٩٠)، وأخباره عنده في ٤٥١ (٦٢٢) وما بعده.

(٥) أخرج الخبر الآتي ابن عساكر ١٤/ ١٤٨ (مخطوط) من طريق ابن الأنباري، عن محمد بن المديني، عن أبي الفضل الربعي، عن أبي عثمان، عن الأصمعي.

(٦) في «الشعر والشعراء» ١/ ٤٨٥: بيان، والمثبت موافق لما في «العقد الفريد» ٥/ ٣٨٦.

الرجال، فلما استقرَّ به المجلس قال له الأعور: يا أبا مالك[١]، إنك تدخل على الملوك، فهل رأيتَ في منزلي عَيباً؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: أنت، قال: اخرج لَعنك الله، [الذَّنب لي حيث أدخلتُك منزلي]، وبلغ عبد الملك فضحك حتى استلقى على ظهره، فخرج الأخطل وهو يقول[٢]: : [من الطويل]

وكيف يُداويني الطَّبيبُ من الجَوى ... وبَــرَّةُ عــنــد الأعْــورِ بــنِ بَــنــانِ
فيُلْصِقُ بَطناً مُنتِنَ الرِّيح أبْجراً ... إلى بَطْنِ خَوْدٍ دائم الخَفَقانِ[٣]

ومنهم **أيمن بن خُرَيْم** بن فاتِك الأَسَديّ، وفاتك جدُّه الذي ينتهي إليه نسبه.

له صُحبة، واختلفوا في سماعه من رسول الله ﷺ. ذكره جدّي في «التلقيح» فيمن له صحبة ورواية، وكذا قال ابن عساكر.

وروى عن رسول الله ﷺ حديثين اختُلف في أحدهما.

وروى عنه الشَّعبيّ وغيره.

قال: وكان أيمن شاعراً يسكن دمشق في القَصّاعين، ثم تحول إلى الكوفة.

وقال الترمذي: لا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من رسول الله ﷺ[٤].

وقال ابن عبد البرّ: يقال: إن أيمن أسلم يوم الفتح وهو غلام[٥].

قلت: وقد أخرج عنه الإمام أحمد في «المسند»[٦] حديثاً، حدثنا بإسناده إلى أيمن ابن خُريم قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أيها الناس، عَدَلت شهادةُ الزُّور إشراكاً بالله» ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

---

(١) في (ص): يا با خالد.

(٢) في (أ) و(خ) و(د): فقال الأخطل، والمثبت من (ص).

(٣) الأَبْجَر: عظِم البطن، والخَوْدُ: الشابَّة الحسنة..

(٤) سنن الترمذي (٢٢٩٩)، والقول السالف قبله في تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٦٤، وتاريخ دمشق ١٠/ ٣٧ .

(٥) «الاستيعاب» (٧٨).

(٦) برقم (١٧٦٠٣) وضعَّف محقِّقوه وإسناده، ومن بداية ترجمة أيمن إلى هنا من (ص)، وجاء في غيرها مختصراً.

وقال الشعبي: قال مروان بن الحكم يوم المَرْج لأيمن بن خُرَيم: ألا تخرج معنا فتقاتل؟ فقال: لا، إن أبي وعمي سبرة شهدا بدراً مع رسول الله ﷺ عَهِدا إليَّ أني لا أُقاتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله، فإن أتيتَني ببَراءةٍ من النار خرجتُ معك، فسَبَّه مروان وقال: اذهب فلا حاجةَ لنا فيك، فقال: [من الوافر]

ولستُ مُقاتِلاً رجلاً يُصلّي   على سلطانِ آخرَ من قريشِ
له سلطانُه وعليّ إثمي   مَعاذَ الله من جَهلٍ وطَيْشِ
أأقتُلُ مُسلماً في غير شيءٍ   فلسْتُ بنافعي ما عشْتُ عيشي[1]

وله مع عبد الملك قصة حكاها قَبيصة بن ذُؤيب قال[2]: كان عبد الملك شديدَ الشَّغَفِ بالجِماع، فلما أسَنّ ضَعُفَ عنه، وازداد غَراماً بالنّساء، فدخل عليه يوماً أيمن ابن خُريم فقال له: كيف قُوَّتُك يا أيمن؟ فقال: آكل الجَذَعةَ من الضَّأْن بالصَّاع من البُرّ، وأشربُ العُسَّ أَغُبُّه غَبّاً، وأرتَحِل البعيرَ الصَّعب فأُنضيه، وأركبُ المُهْرَ الأَرِنَ فأُذَلِّله، وأفتَضُّ العَذراء لا يُقعدني عنها الكِبَر، فغاظ ذلك عبد الملك وحسده، فحرمه العطاء ومنعه إياه، فقالت له امرأته: اصدُقْني عن حالك، هل لك إليه جُرم؟ قال: لا والله، قالت: فما الذي دار بينكما آخرَ ما لَقيتَه؟ فقال: قال لي كذا وكذا، وقلت له كذا، قالت: فمن ههنا دُهِيت[3]، فدخلتْ على عاتكة زوجة عبد الملك، وقالت: أسألُكِ أن تسألي أمير المؤمنين أن يُعديني على زوجي[4]، قالت: وما الذي به؟ فقالت: لا أدري أرجل هو أم امرأة؟ ولي مدة لا أعرف له فراشاً، فسليه أن يُفرِّق بيننا، وأخبرت أيمن.

ودخل عليها عبد الملك فأخبرتْه، فاستدعى أيمن، وسأله عما قالت امرأتُه فاعترف، فقال: ألست القائل كذا وكذا؟! قال: إن الرجل لَيَتَجَمَّل عند سُلطانه، ويَتجلّد على أعدائه بأكثر مما وصفتُ، وأنا القائل: [من المتقارب]

لقيتُ من الغانياتِ العُجابا   لَوَ ادْرَكَ منّي النِّساءُ الشَّبابا

(١) الخبر ليس في (ص)، وانظره في «الشعراء والشعراء» ١/ ٥٤٢، و«تاريخ دمشق» ٣/ ٢٣٨ فما بعدها (مخطوط)، وردَّ الواقدي شهودَ خُرَيم أبي أيمن وسَبْرة عمِّه بدراً، انظر طبقات ابن سعد ٦/ ١٥٩ و٨/ ١٦١.

(٢) في (أ) و(خ) و(د): وقال قبيصة بن ذؤيب، والمثبت من (ص).

(٣) في (ص) و«الأغاني» ٢٠/ ٣٠٨: أتيت. وانظر «الشعر والشعراء» ١/ ٥٤٢-٥٤٣ ففيه الشعر الآتي.

(٤) في الأغاني: أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي.

إذا لـم يُـخـالَـطْـنَ كـلَّ الـخِـلا ... طِ أصْبَحْنَ مُخْرَنْطِماتٍ غِضابا

فضحك عبد الملك وقال: ما ترى في زوجتك؟ قال: قد أَجَّلْتُها أجَلَ العِنِّين، فإن استطعتُ قُربانها وإلا فارقْتُها، فأمر له بما فات من عطائه وأدناه.

ومن شعر أيمن في غَزالة وأهل العراق: [من المتقارب]

ألا يَـسـتـحـي الـلـهَ أهـلُ الـعـرا ... قِ إذْ قَلَّدوا الغانياتِ السُّمُوطا

وجـيـشُ غـزالـةَ يـغـتـالُـهـم ... ويقتل كَهْلَ الرِّجالِ الوَسِيطا[١]

سلمة بن زيد بن نُباتةَ الفَهْميّ، وفد على عبد الملك فقال له: أيّ الزمان أدركتَ أفضل؟ وأي الملوك رأيتَ أفضل؟ فقال: أما الزمان فمن شأنه أن يَرفع قوماً، ويَضع آخرين، يُبلي جديدَهم، ويُهرِم صغيرَهم، وكلٌّ ما فيه مُنقطع غير الأمل، وأما الملوك فهم بين مَذموم ومَمدوح، قال: ما تقول في قومك؟ فقال: [من الخفيف]

دَرَجَ الـلـيـلُ والـنَّـهـارُ عـلـى فَـهْـ ... ـمِ بنِ عَمرو فأصبحوا كالرَّميمِ

وخَـلَـتْ دارُهـم فـأضـحـتْ يَـبـابـاً ... بعد عِزٍّ وثَروَةٍ ونَعيمِ

وكـذاك الـزَّمـانُ يَـذهـب بـالـنـا ... سِ وتبقى ديارُهم كالرُّسومِ[٢]

أرطاة بن زُفَر بن عبد الله، من غَطَفان، وكنيته أبو الوليد، عاش ثلاثين ومئة سنة، دخل على عبد الملك فقال له: يا أرطاة، ما بقي من شعرك؟ فأنشد: [من الوافر]

رأيـتُ الـمـرءَ تـأكـلـه الـلـيـالـي ... كأكْلِ الأرضِ ساقِطةَ الحديدِ

ومـا تـبـغـي الـمـنـيَّـةُ حـيـن تـأتـي ... على نفسِ ابنِ آدمَ من مَزيدِ

وأعـلـمُ أنـهـا سَـتَـكُـرُّ حـتـى ... تُوفِّي نَذْرَها بأبي الوليدِ

فارتاع عبد الملك لأنه كان يُكنى أبا الوليد، فقال أرطاة: يا أمير المؤمنين، إنما عَنيتُ نفسي، فقال: يا أرطاة وأنا والله سيمرُّ بي الذي مرَّ بك[٣].

ومنهم **عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.**

---

(١) «الأغاني» ٢٠/ ٣١٤، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٥٩٨. والسُّموط جمع سِمْط، أي: القِلادة، وغَزَالة: زوجة شبيب بن يزيد رأسَ الخوارج. والوسيط: ذو المجد الرفيع.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢٠، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤٢. وفَهْم بن عمرو: أبو حيّ من قيس بن عَيْلان، والفَهْميّ نسبةٌ إليه.

(٣) «تاريخ دمشق» ٢/ ٦٦٠-٦٦١ (مخطوط).

ذكر إبراهيم بن المنذر الحِزَاميّ، [عن أبيه] قال: وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان[١]، فأقام عنده مدة، فسَمَر ذات ليلة عنده، فذكروا الغناء فذمَّه عبد الملك وقال: قبَّحه الله، ما أوضَعَه للمروءة، وأجرْحَه للعِرْض، وأهدمَه للشَّرَف، وأذهبه للبَهاء، وابن جعفر ساكت، وإنما قال ذلك يُعَرِّض به، وأعانه من حضر[٢]، فقال عبد الملك لعبد الله: يا أبا جعفر، ما بالُك لا تتكلّم؟ فقال: ما أقول ولَحمي يَتمزَّع، وعرضي يَتمزَّق، وإنك لتأتي بما هو أعظمُ منه؛ يأتيك الأعرابيّ الجِلفُ الجافي؛ فيقول الزُّور، ويَقذف المُحصَنات، فتأمر له بالألوف من بيت المال، وأنا أشتري الجاريةَ الحسناء فأُؤدِّبها، وأختار لها من الشعر أجودَه، ومن الكلام أحسنَه، فتورده عليّ بصوتٍ حسن، فهل في ذلك من بأس؟ فقال عبد الملك: لا، فأخبرني بشيءٍ من ذلك، فقال:

اشتريت جاريةً حسناء، فبَرَعت في الغناء، وسمع بها يزيد بن معاوية، فبَذل لي فيها أموالاً جزيلة، فلم أبِعْه إياها، فذكرتْ لي عجوز من عجائزنا أن فتى من أهلنا قد شُغِف بها، وأنه يأتي كلَّ ليلةٍ مُستتراً، فيقف تحت الدار فيسمع غناءها، فرَصَدْتُه، فجاء مُستتراً فقعد في مكان، ومَنَعْتُ الجاريةَ من الغناء في تلك الليلة، وقعد مكانه إلى السَّحَر، فغلبتْه عيناه فنام، فألبستُ الجاريةَ أفخرَ الثياب والحلي، وزيَّنْتُها، ونزلتُ بها إليه، فأيقظتُه فقام فزعاً مرعوباً، فقلت: لابأسَ عليك، خُذها فهي لك، فشَهق الفتى شَهقة خرَّ مَيتاً، فأُسقط في يدي.

فقال له عبد الملك: فما فعلتَ بالجارية؟ قال: تركتُها عندي، وكلما ذكرتُ الفتى لم أجد لها مكاناً من قلبي، وكرهتُ أن أبعثَ بها إلى يزيد؛ فيعرف حالها فيحقِدَ عليّ، وما زال حالي كذلك حتى ماتت.

ومنهم **عبد الله**[٣] **بن قيس** بن شُريح بن مالك بن ربيعة، من بني عامر بن لُؤيّ، من أهل الحجاز.

---

(١) في (أ) و(خ) و(د): عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وفد على عبد الملك بن مروان، والمثبت من (ص)، وما بين معكوفين من العقد الفريد ٦/ ٥٥ .

(٢) في (ص): تعريضاً به وإعانة من حضر.

(٣) كذا في النسخ وطبقات فحول الشعراء ٦٤٧ (٨١٩)، والمشهور أنه عبيد الله وانظر تعليق الشيخ محمود شاكر على الطبقات.

شاعر معروفٌ بجَزالَةِ الشِّعر، يلقَّب بالرُّقَيَّات لأنه كان يُشَبِّب برُقَيَّة بنت عبد الواحد ابن قيس، وابنة عم لها يقال لها رقية، وامرأة من بني أمية يقال لها رقية[(١)].

وكان هواه في رُقَيّة بنت عبد الواحد، وقيل: إن أباه هو الملقَّب بالرُّقَيّات لأنه تزوج عدّة نِساء؛ فوافق أسماؤهن رُقَيَّة.

وكان عبد الله شاعراً مُجيداً فصيحاً، خصيصاً بمصعب بن الزبير، ومدحه بقصائد منها قوله: [من الخفيف]

أقفَرَتْ بعد عَبد شَمْسٍ كَداءُ ... فكُدَيٌّ فالرُّكْنُ فالبَطْحاءُ
فمِنًى فالجِمارُ من عبد شمسٍ ... مُقْفِراتٌ فبَلْدَحٌ فحِراءُ
فالخِيام التي بعُسْفانَ فالجُحْـ ... ـفَةُ منها فالقاعُ فالأبْواءُ[(٢)]
قد أراهم وفي المواكبِ إذ يَغْـ ... ـدونَ حِلْمٌ ونائلٌ وبَهاءُ
كيف نَومي على الفِراشِ ولمّا ... تَشْمَلِ الشَّامَ غارةٌ شَعْواءُ
تُذهِلُ الشَّيخَ عن بَنيهِ وتُبدي ... عن خِدامِ العَقيلَةُ الحَمْراءُ
إنّما مُصْعبٌ شِهابٌ من اللـ ... ـهِ تَجلَّتْ عن وَجهِهِ الظَّلْماءُ
مَلِكٌ سَيِّدٌ جَوادٌ كريمٌ ... ليس فيه عُجبٌ ولا كِبرياءُ
يَتَّقي اللهَ في الأمورِ وقد أفْـ ... ـلَحَ مَن كان هَمُّهُ الاتِّقاءُ
أنا عنكُمْ بني أُميَّةَ مُزْوَرٌّ ... وأنتُم في نفسِيَ الأعداءُ[(٣)]

قال المصنّف رحمه الله ما معناه: إن هذه الأبيات مَدْحٌ لبني أمية[(٤)]، ثم ناقض عبد الله أوَّلها بقوله: أنا عنكم بني أُميةَ مُزْوَرٌّ... البيت، وبلغت عبد الملك فأهْدَرَ دَمَه.

---

(١) في (أ) و(خ) و(د): بن قيس وابن عمها يقال لها رقية، ورقية بنت الحسين، والمثبت من «الأغاني» ٥/ ٧٣ـ٧٤، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٣٨١، وانظر «طبقات فحول الشعراء»، و«الخزانة» ٧/ ٢٨٠.

(٢) هذه أسماء مواضع.

(٣) ديوانه ٨٧ـ٩٦ بتقديم وتأخير.

(٤) هذا تصرف من المختصِر، لأنه ذكر قبل الأبيات أن ابن قيس الرقيات كان خصيصاً بمصعب ومدحه بقصائد منها هذه، وقد أهدر عبد الملك بن مروان دمه من أجل هذه القصيدة، فكيف تكون مدحاً لبني أمية؟!

وقال الزبير بن بكار: حدثني عبد الله بن قيس الرُّقَيّات قال[١]: خرجتُ مع مصعب إلى قتال عبد الملك، فدعا مصعب بمالٍ ومَناطق، فألبسني منها، وأقمتُ معه حتى قُتل، وهربتُ إلى الكوفة، فاختفيتُ عند امرأة في مُسْتَشْرَفٍ لها سَنة، لا تسألني عن حالي ولا أخبرها بشيء، واشتدّ الطَّلَب، وكانت تأتيني بطعامٍ وشراب، فقالت: ما أكره مُقامك عندي، ولكني أخاف عليك فاذهب، فخرجتُ وقتَ السَّحَر، وإذا براحلتين وعبد وطعام، ودفعتْ إلى العبدِ نفقةً وقالت: أنفق على مولاك، وقالت: العبد والراحلتان لك، فخرجت إلى مكة، فأتيتُ منزلي ليلاً فقالوا: ما أشدَّ طلبَ القوم لك! فخرجت إلى المدينة، فأتيت عبد الله بن جعفر وقت المساء وأنا مُتَلَثِّم، وهو على المائدة، فأكلتُ معه، فلما خرج أصحابُه كشفتُ لِثامي، فقال: ابنَ قيس؟ قلتُ: نعم، قال: ما أشدَّهم في طلبك! فقلت: جئتُك عائذاً بالله وبك، فقال: ما أحرصهم على الظَّفَرِ بك! وقد أجرتُك، وسأكتبُ لك إلى أمِّ البَنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد؛ فإن لها منزلة عند عبد الملك.

فكتب له، وخرج بكتابه فأوصله إليها، فلما دخل[٢] عليها عبد الملك سألها حوائجَها وقال: قد قَضيتُ لك كلَّ حاجة إلا ابن قيس الرقيات، فقالت: ما أريد إلا هو، فإن أبي قد كتب إليّ فيه، يعني عبد الله بن جعفر، فنفض يدَه في وَجهها فأصاب حُرّ وَجهها، فوضعت يدها على عينها، فرقّ لها فقال: قد قضيتُ حاجتَك وهو آمن، فمُرِيه فليحضر العَشيَّة مجلسي.

فحضر الناس وحضرتُ، فلما أخذوا مجالسَهم قال عبد الملك: يا أهلَ الشام، هل تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا ابنُ قيس الرُّقَيَّات الذي يقول:

كيف نَومي على الفِراش

---

(١) كذا، والخبر في «الأغاني» ٥/ ٧٦ من طريق الزبيري، عن عبد الله بن البصير البربري مولى قيس بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه قال.

(٢) في (أ) و(د) و(خ): فكتب إليها فلما دخل، والمثبت من (ص).

فقالوا: يا أمير المؤمنين، اسقِنا دَمَه، فقال: الآن وقد صار على بِساطي وأَمَّنْتُه، وإنما أَخَّرتُ الإذنَ له كي تقتلوه فلم تفعلوا. فاستأذنتُه في الإنشاد فأَذِن، فقلت: [من المنسرح]

عـادَ لـه مـن كَـثـيـرةَ الـطَّـربُ فـعَـيـنُـه بـالـدُّمـوعِ تَـنـسَـكِـبُ
إن الأغـرَّ الـذي أبـوه أبـو الـ ـعـاصي عـلـيه الـوَقـارُ والـحُـجُـبُ
يَـعـتـدِلُ الـتَّـاجُ فـوق مَـفْـرِقِـهِ عـلـى جَـبـيـنٍ كـأنَّـه الـذَّهَـبُ

فقال: تَمدحُني بالتَّاج كأني من العَجَم، وتقول في حقِّ مُصعب: إنما مُصعب شهاب من الله؟! أما الأمان فقد حصل لك، ولكن لا أُعطيك والله عطاءً أبداً. وهذه رواية الزبير بن بكار.

وأما الهيثم بن عدي فإنه قال[1]: قال عبد الله: لما أهدر عبد الملك دمي نادى مناديه: مَن جاء به فله ألف دينار، فكنتُ أَتَنَقَّل في البلدان، وخرجتُ إلى دمشق، فسمعتُ مُناديه ينادي بذلك، فدخلتُ دَرْباً وإذا بباب مَفتوح، فدخلتُه وصَعِدتُ الحُجرة، فنظرتْ إليّ صاحبةُ الدَّار فقالت لجاريتها: أَصْعِدي له طَهوراً ـ ظناً منها أنني أحتاج إليه ـ ففعلتْ، فأبطأتُ عنها، فقالت المرأة: هذا رجل خائف، قومي له بالضِّيافة، فأصعدت الجارية إليّ بساطاً وفراشاً وطعاماً، فأقمت عندهم أربعةَ أشهر يُغدى عليَّ بما أحتاج إليه ويُراح، فأرسلتْ إليّ بمئتي دينار وقالت: لا فائدةَ لك في المقام ههنا، اخرج إلى عبد الله بن جعفر فإن فَرَجَك عنده.

قال: فخرجتُ إلى ابن جعفر، فأخبرتُه خبري فقال: أقم عندي، فأقمتُ عنده في داره، ثم خرج عبد الله إلى عبد الملك وأخذني معه وقال: إذا أُدخِلنا عليه فكُلْ أَكْلاً شَنيعاً.

قال: فلما دخلتُ عليه جعلتُ آكُل من هنا وهنا، فقال عبد الملك: مَن هذا؟ فقال ابن جعفر: هذا الذي يقول: [من المنسرح]

مـا نَـقَـمـوا مـن بـنـي أمـيَّـةَ إلا أنَّـهـم يَـحـلُـمـون إن غَـضِـبـوا

قال: هذا الخبيثُ ابن قيس؟ قال: نعم، وقد استجار بي، فإن قتلتَه كان كاذباً فيما مدحكم به من الحلم، وإن استبقيتَه كان صادقاً، فقال: هو آمن، إلا أنني لا أُعطيه

---

(١) من قوله: وهذه رواية الزبير... إلى هنا من (ص).

شيئاً، فقال: قد وَهبتَه أعزَّ من المال وهو النفس، أفتبخَلُ عليه بما هو أهون منه، فقال: قد أمرتُ بعطائه.

وقال الزبير: قال عبد الملك: والله لا أُعطيه شيئاً أبداً، فلما خرجا من عنده قال ابن قيس لابن جعفر: ما نفعني أماني وقد تركني حيّاً كميت، لا آخذ مع الناس عطاءً، قال له ابن جعفر: كم بلغتَ من السنّ؟ قال: ستّين سنة، قال: وكم تُؤَمِّل أن تعيش؟ قال: عشرين سنة، قال: كم عطاؤك في كل سنة؟ قال: ألفان، فأعطاه أربعين ألفاً وقال: إن عشتَ بعد الثمانين أعطيتك شيئاً آخر[١].

ومنهم **عُبَيد بن حُصَين** بن جَنْدَل، أبو جندل، الرّاعي النّميري الشاعر، [من بكر بن هوازن]، ولُقِّبَ الراعي لكثرة وصفه للإبل.

[وذكره ابن سلّام] من الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين[٢]، وكان يَعتَسِفُ الفَلاةَ بغير دليل[، ومعناه: لا يحتذي شعر شاعر].

وهو القائل لعبد الملك يشكو بعض عُمَّاله: [من البسيط]

أمّا الفَقيرُ الذي أمْسَتْ حَلُوبَتُه وَفْقَ العِيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ
واختلَّ ذو المالِ والمُثْرونَ قد بَقيتْ على التَأَثُّل من أموالهم عُقَدُ
فإن رفَعْتَ بهم رأساً نَعَشْتَهمُ وإن لَقُوا مثلَها في عامِهم فَسَدوا[٣]

وكان عبد الملك يقول: انكحوا إلى هذا الشيخ فإني أراه مُنجِباً.

وكان الراعي في عصر جرير والفرزدق، وله معهما وقائع، فكان تارةً يُفضِّل جريراً، وتارةً الفرزدق، فالتقاه يوماً جرير فقال: لا تدخل بيني وبين ابن عمي[٤]، وفيه يقول جرير: [من الوافر]

---

(١) «الأغاني» ٥/ ٨١ـ٨٢ ، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٣٨٦ـ٣٨٨ .

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وقوله: من بكر بن هوازن، وقع فيها بعد هذا الموضع، فصار من كلام ابن سلّام، وليس كذلك، فأعدته إلى حاق موضعه. وانظر «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٠٢ (٦٩٢).

(٣) ديوانه ٦٤ـ٦٥ ، و«طبقات فحول الشعراء» ٥١١ ، و«تاريخ دمشق» ٤٥/ ٢٤ . السبد: الوبر، يعني لم يترك له شيء، عقد: بقايا قليلة.

(٤) في (ص): فكان تارة يفضل هذا على هذا وتارة هذا على هذا... لا يدخل بيني وبينك أحد ابن عمي؟!

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

[وقال أبو الفرج الأصفهاني:] وكان ابنه[(١)] جَندل شاعراً، وهو القائل: [من الطويل]

طَلَبْتُ الهوى العُذْرِيَّ حتى بلغتُه وسَيَّرتُ في نَجْدِيَّةٍ ما كفانيا

وقلتُ لحِلمي لا تَزِعْني عن الصِّبا وللشَّيبِ لا تَذْعَر عليَّ الغَوانيا

ومنهم **عَزَّة بنت حُمَيْد**[(٢)] بن وَقَّاص بن حفص بن إياس[(٣)] الغِفاري، صاحبة كُثَيِّر.

[قال أبو بكر الخرائطي بإسناده قال:] دخلت عَزَّةُ على عبد الملك وهو لا يعرفها ترفع ظُلامةً لها إليه، فلما سمع كلامَها أعجبه، فقال له بعض جُلَسائه: هذه عَزَّة، فقال لها: إن أحببْتِ[(٤)] أن أَرُدَّ إليك مَظْلِمَتَك فأنشديني ما قال فيك كُثَيِّر، فاستحيت وقالت: سمعتُهم يَحكون عنه أنه قال: [من الطويل]

قَضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوَفَّى غَريمَه وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَريمُها

فقال عبد الملك: ليس عن هذا سألتُك، ولكن أنشديني قوله: [من الطويل]

وقد زعمتْ أنّي تَغيَّرتُ بعدَها ومَن ذا الذي يا عَزُّ لا يَتَغيَّرُ

تَغيَّر جسمي والخَليقةُ كالتي عَهِدْتِ ولم يُخْبَر بسِرِّك مُخْبَرُ

ما كان ذاك السرّ؟ قالت: قد سمعتُ هذا، ولكني سمعتُ الناس يحكون عنه أنه قال: [من الطويل]

كأني أُنادي صَخرةً حين أَعرضَتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ

صَفوحٌ فما تلقاك إلا بَخيلَةً فمَن رامَ منها ذلك الوَصْلَ ملَّتِ[(٥)]

فقضى حاجتها، وردَّ مَظلِمَتَها، ووصلها وقال: أدخِلوها على الجواري يأخذن من أدبها.

---

(١) في (ص) وما بين معكوفين منها: أبوه. وهو خطأ، والخبر في «الأغاني» ٢٤/ ٢١٨.

(٢) في (ص): جميل، وانظر «تاريخ دمشق» ٢٤٠ (تراجم النساء).

(٣) كذا في النسخ خلا (ص) فليس فيها النسب، وفي «تاريخ دمشق»: عزة بنت حُميل بن حفص بن وقاص بن إياس.

(٤) في (ص): أردت.

(٥) في «تاريخ دمشق» ٢٤١-٢٤٢ (تراجم النساء): فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت.

ومنهم عَمرو بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، وكنيته أبو قَطِيفَة، وكان مغنياً، وذكره أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»، وهو صاحب الشّعر، دخل على عبد الملك فأنشده قصيدة، منها[١]:

نُـبِّـئْـتُ أن ابـن الـقَـلَـمَّـسِ عـابَـنـي ... ومَن ذا من الناسِ الصَّحيحُ المُسَلَّمُ

فـأبـصِـرْ سـبـيـلَ الـرُّشْـدِ سَـيِّـدَ قـومِـه ... وقـد يُـبْـصِـرُ الـرُّشْـدَ الـرَّئـيـسُ الـمـعَـمَّـمُ

فـمـن أنـتـمُ هـا خَـبِّـرونـا مـنَ انْـتُـمُ ... وقـد جـعـلـتْ أشـيـاءُ تَـبـدو وتُـكْـتَـمُ

فقال له عبد الملك: ما كنت أرى أن مثلنا يقال له: من أنتم؟! أما والله لولا ما تعلم لقلتُ قولاً ألحقكم بأصلكم الخبيث، ولضربتُك حتى تموت، ثم أمر بإخراجه[٢].

ومنهم الطِّرِمَّاح[٣] بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْر بن قيس، الشاعر، [قال الأصمعي: وكنيته أبو ضَبِيْنَة]، الطائي، شامي المولد، ونشأ بالكوفة، وكان فصيحاً.

[والطِّرِمَّاح: الطويل القامة.

وكان من شعراء الإسلام، وقال أبو الفرج الأصفهاني[٤]: كان من الخوارج، يرى رأيَ الأزارقة.

وجدُّه قيس له صُحبة.

قال الأصمعي:] وفد على عبد الملك بن مروان وأنشده: [من الكامل]

لا تَـنْـهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأتـيَ مِـثْـلَـه ... عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلـتَ عَـظـيـمُ[٥]

ودخل يوماً عليه وعنده الفرزدق، وهو مُقبلٌ عليه فقال: يا أمير المؤمنين، مَن هذا الذي ألْهاك عني؟! فغضب الفرزدق وقال: [من الوافر]

---

(١) في (أ) و(خ) و(د): بن أبي معيط أبو قطيفة دخل على عبد الملك فأنشده، والمثبت من (ص).

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢١، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥٢، و«الأغاني» ١/ ٣٧، وانظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٠٠.

(٣) وقعت ترجمة الطرماح في (ص) قبل أخبار عزة، وما سيرد بين معكوفات في النص منها.

(٤) في «الأغاني» ١٢/ ٣٥.

(٥) «تاريخ دمشق» ٨/ ٥٠٦ (مخطوط)، ونسب البيت إلى أكثر من شاعر، انظر «الخزانة» ٨/ ٥٦٥.

أقولُ لـه وأُنكِـرُ بـعـضَ حـالـي ... ألـم تَـعـرفْ رِقـابَ بـنـي تَـمـيـمِ

فقال الطِّرِمَّاح: [من الوافر]

بـلـى أعـرفْ رِقـابَ مُـخَـيَّـسـاتٍ ... رقـابَ مَـذَلَّـةٍ ورقـابَ لُـؤْمِ

إذا مـا كـنـتَ مُـتَّـخِـذاً خـلـيـلاً ... فـلا تـجـعـلْ خـلـيـلَـك مـن تـمـيـمِ

بَلَوْتُ[1] صَميمَهم والعبدَ منهم ... فـمـا أدري الـعَـبيـد مـن الـصَّـمِـيـمِ

[وكان الطِّرِمَّاح يَذمُّ بني تميم]، فقال: [من الطويل]

تـميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدى من القَطا ... ولو سَلكَتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

ولـو أنّ بُـرغـوثـاً عـلـى ظَـهْـرِ قَـمـلَـةٍ ... رأتْـه تـمـيـمٌ يـومَ زَحْـفٍ لَـوَلَّـتِ

ولـو جَـمـعـتْ يـومـاً تـمـيـمٌ جُـمـوعَـهـا ... عـلـى ذَرَّةٍ مَـعـقـولَـةٍ لاسـتَـقَـلّـتِ[2]

[وقال الأصمعي: عاش الطرماح إلى أيام هشام بن عبد الملك، ومدح خالد بن عبد الله القَسْرِيّ، فقال من قصيدة: [من الطويل]

وإن رجـال الـمـال أضـحَـوْا ومـالُـهـم[3] ... لـهـم عـنـد أبـوابِ الـمـلـوكِ شَـفـيـعُ

أمُـخْـتَـرِمـي رَيـبُ الـمَـنـونِ ولـم أَنَـلْ ... مـن الـمـالِ مـا أَعـصـي بـه وأُطِـيـعُ

فأعطاه خالد عشرين ألفاً وقال: اذهب فاعْصِ به وأطِع.

ومنهم **عمرو بن عُبيد بن وُهَيب**، الحَزِين الشّاعر، أبو حَكَم[4] الحجازيّ، قدم على عبد الملك ومدحه، ولأخيه[5] عبد العزيز، وسنذكره.

ومنهم **عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة**، الشاعر المَخْزوميّ، ويُلَقَّب ذا الرُّمْحَين لأنه كان طويلاً كأنه يمشي على رُمْحَين، وقيل: إنه كان يُقاتل برُمحين.

---

(١) في (أ) و(خ) و(د) و«تاريخ دمشق» ٨/ ٥٠٥: يكون. والمثبت من (ص).

(٢) ديوان الطرماح ٥٩، ٦٣-٦٤ والمصادر فيه.

(٣) في (ص): رجال المال إذ تجود بمالهم، والمثبت من ديوانه ٣١٥، و«الأغاني» ١٢/ ٤٣.

(٤) في (ص): وهب... حكيم، والمثبت من «الأغاني» ١٥/ ٣٢٣، و«تاريخ دمشق» ١٣/ ٥٧٢ (مخطوط)، وما بين معكوفين منهما.

(٥) كذا؟!

ذكره ابن سلّام في الشعراء الإسلاميين وقال: شاعر مُجيد من أهل مكة، كان يَقدم على بني أمية: عبد الملك وغيره، وأدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر وَلّى أباه اليمن، وسنذكره إن شاء الله.][(١)]

ومنهم **محمد بن عبد الله** بن نُمَيْر الثَّقفيّ الشّاعر [وكنيته أبو نُمير].

كان يُشَبِّب بزَينب أخت الحجّاج بن يوسف، فأراد الحجاج قتلَه، فهرب فاستجار بعبد الملك، فأجاره وقال: أنشدني ما قلتَ في زينب، فأنشده: [من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعْمان إذ مَشتْ ... بـه زيـنـبٌ فـي نـسـوةٍ عَـطِـراتِ

فكتب له كتاباً إلى الحجاج يقول: لا سبيلَ لك عليه، فلما قدم بكتابه على الحجاج لم ينظر فيه وقال: أنا بريء من بيعة أمير المؤمنين لئن لم تُنشدني ما قلتَ في زينب لأقتلنّك، فأنشده: [من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطنُ نَعْمان إذ مَشَتْ ... بـه زيـنـبٌ فـي نِـسـوةٍ عَـطِـراتِ

فقال له الحجاج: كذبتَ، ما كانت تتطيَّب إذا خرجت من بيتها، فقال:

يُـخَـمِّـرْنَ أطرافَ الـبَـنـانِ مـن الـتُّـقـى ... ويَـخْـرُجْـنَ بـالأسْـحـارِ مُـعْـتَـجِـراتِ

فقال: هكذا تفعل الحُرَّة العفيفة[(٢)]، فقال:

مَـرَرْنَ بـفَـخٍّ ثـم رُحْـنَ عَـشِـيَّـةً ... يُـلَـبِّـيْـنَ لـلـرَّحـمـن مُـعْـتَـمِـراتِ

فقال الحجاج: هكذا المسلمات، فقال:

تـهـادَيْـنَ مـا بـيـن الـمُـحَـصَّـب مـن مِـنـى ... فـأقـبَـلْـنَ لا شُـعْـثـاً ولا غَـبِـراتِ

فقال الحجاج: ذاك من سَترهن، ثم قال:

خَـرجْـنَ إلـى الـبـيـتِ الـعَـتـيـقِ لـعُـمْـرَة ... نَـواصِـبُ فـي سُـجْـفٍ ومُـخْـتَـمِـراتِ

(١) هذه الترجمة والتي قبلها من (ص)، وفي ترجمة عمر بن أبي ربيعة أوهام ثلاثة:
أولها: قوله: يلقب ذا الرحين، فإن هذا لقب جده أبي ربيعة.
وثانيها: قوله: ذكره ابن سلام، ولم يذكره ابن سلام ولا ترجم له.
وثالثها: قوله: أدرك عمر بن الخطاب، وذكر مترجموه أنه ولد ليلة استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تابع المصنف في ذلك ابن عساكر، انظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٦٨، و«الأغاني» ١/ ٦٦، و«السير» ٤/ ٣٧٩ وما فيها من مصادر.

(٢) في (ص): هكذا تفعل الحرائر العفيفات.

فـلـمـا رأتْ رَكْـبَ الـنُّـمَـيْـريِّ راعَـهـا   وكُـنَّ مـن الـلُّـقـيـا لـه حَـذِراتِ

فقال الحجاج: حُقَّ لها أن تَرتاع، [أي: كانت تكره لقاءه لما شاع عنه أن يُشَبِّب بها، ولهذا قال له الحجاج:] وكيف لا ترتاع وهي صَوَّامةٌ قوّامة، وما كان ركبك؟ قال: كنت على حمارٍ هَزِيل، ومعي رفيق على حمار مثله، ومعنا حمار آخر عليه القَطِران كنا نَجلُبه فنبيعه، فقال له الحجاج: لقد عَظَّمتَ رَكْبك، ثم عفا عنه[1]. [وسنذكر أبا نمير في ترجمة الحجاج.]

وقد وفد على عبد الملك خلق كثير[، وقد ذكرناهم في أيّامه فيما تقدّم].

ذكر وفاته:

حكى ابن أبي الدنيا، عن سعيد بن المسيب وقيل له[2]: إن عبد الملك يقول: قد صِرتُ لا أفرح بالحسنة أعملها، ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال: الآن تكامل موتُ قلبه، فمات بعد أيام.

[وقال أبو اليقظان:] قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن موسى عليه السلام قد ظهر بالشام وبيده عصا. فقال: الله أكبر، مات والله فرعونها، فجاء الخبر بعد أيام بموت عبد الملك بن مروان.

[وحكى ابن عساكر عن هشام بن عمار قال:] مرض عبد الملك بوجع الكَبِد، فكان يشرب الماء فلا يروى، [فمنعوه إياه، فاشتد عطشه.

وقال المدائني:] قال الأطباء: إن شرب الماء مات من ساعته، فازداد به العطش، فقال لابنه الوليد: اسقِني، فقال: لا أُعين عليك، فقال: يا فاطمة ـ لابنته ـ اسقيني، فمنعها الوليد، فقال: دَعْها وإلا خلعتُك، فسقته فمات.

وقال أبو العباس[3]: نقلت عن أبان بن عثمان قال: لما ثقُل عبد الملك أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله [بن خالد] بن أَسِيد، فحضرا فقال: قد كان

---

(١) «الأغاني» ٦/ ١٩٢ـ١٩٨، و«تاريخ دمشق» ٦٣/ ٥٢ـ٥٦.

(٢) في (أ) و(خ) و(د): وقال سعيد بن المسيب، والمثبت من (ص). والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٧٨.

(٣) هو ثعلب، والخبر في مجالسه ٤٤٣ـ٤٤٥، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٤٨٢ـ٤٨٣، وما بين معكوفين منهما، وانظر «المنتظم» ٦/ ٢٧٤.

من بيعة الوليد وسليمان ما قد علمتُما، فإن شئتما أقلتُكما، قالا: فكيف تُقيلنا وقد جعلتَ لهما في أعناقنا مثل السَّواري، وفي رواية أنه قال لهما: قد حضر من الأمر ما تريان، فهل في أنفسكما من بيعة الوليد شيء؟ فقالا: والله ما نرى أحداً أحق بها منه بعدك، فقال: والله لو قلتما غير هذا لقدَّمتكما أمامي، ثم رفع فراشه فإذا سيف مَسْلُولٌ تحته.

وقال الشعبي: أرسل إليَّ عبد الملك في مرض موته، فدخلتُ عليه فقلت: كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: كما قال زهير بن أبي سُلمى[1]: [من الطويل]

كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عني عِذارَ لجامي
رَمَتْني بناتُ الدهر من كلِّ جانبٍ ... فكيف بمن يُرمى وليس برام
فلو أنني أُرمى بسَهمٍ رأيتُه ... ولكنني أُرمى بغيرِ سِهام
إذا ما رآني الناسُ قالوا ألم يكن ... حَديداً شَديدَ البَطْشِ غيرَ كَهامِ[2]
فأفنى وما أُفني من الدّهر ليلةً ... ولم يُغْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ
على الرَّاحتَين مرةً وعلى العصا ... أنوءُ ثلاثاً بعدهُنَّ قِيامي

فقلت له: لا، ولكنك كما قال لَبِيد بن ربيعة أخو بني جعفر بن كلاب: [من البسيط]

باتت تَشكّى إليَّ النَّفسُ مُجْهِشَةً ... وقد حملتُكِ سَبعاً بعد سَبعينا
فإن تُزادي ثلاثاً تُحرِزي أملاً ... وفي الثلاثِ تَمامٌ للثمانينا

فعاش حتى بلغ التسعين فقال: [من الطويل]

كأني وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّةً ... خلعتُ بها عن مَنكِبَيَّ ردائيا

فلما بلغ المئة قال: [من الطويل]

أليس ورائي إنْ تراختْ مَنِيَّتي ... لُزومُ العصا تُحْنَى عليها الأضالِعُ
أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضَتْ ... أدِبُّ كأنّي كلما قمتُ راكعُ

فلما بلغ مئة وعشراً قال: [من البسيط]

وإن في مئةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفي تكامُلِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

---

(١) وكذا نسبه إلى زهير: ابن عبد ربه في العقد ٢/ ٧٧ و٣/ ٥٥، ونُسب إلى عمرو بن قميئة في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٥٩، و«الأغاني» ١٨/ ١٤٢، و«تاريخ دمشق» (عاصم ـ عائذ) ٢٠٠، و٤٣/ ٢٨٤.

(٢) غير بطيء عن النُّصْرَة.

فلما بلغ عشرين ومئة قال: [من الكامل]

ولقد سَئمتُ من الحياةِ وطُولها ... وسؤالِ هذا الناس كيف لَبيدُ

فلما بلغ ثلاثين ومئة قال: [من الطويل]

تمنَّى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما وقولا بالذي تَعرفانِه ... ولا تَخْمِشا وَجْهاً ولا تَنتفا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذي تعرفانه ... وما خانَ يوماً للخليل ولا غَدَرْ
إلى الحولِ ثمَّ اسْمُ السَّلامِ عليكما ... ومن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

فقال: إيه حَدِّثني يا شعبي. رجاء أن يعيشها، وفارقته في تلك الليلة فمات فيها.

وجمع عبد الملك بنيه وأوصاهم فقال: يا بَنِيّ، عليكم بتقوى الله فإنه أزين حُلَّة، وأحصن كهف، وأن يَعطِف الكبير على الصغير، وأن يعرف الصغير حقَّ الكبير، وإياكم والفُرقة والاختلاف؛ فإن به هلك الأولون، وذَلَّ به ذوو العزّ، وعليكم بمَسْلَمة فاصدروا عن رأيه؛ فإنه مِجَنُّكم الذي تتّقون به، ونابُكم الذي تَفْتَرُّون عنه، وكونوا بني أم واحدة، ولا تُدنوا العقاربَ منكم، وكونوا في الحروب أحراراً، وللمعروف مناراً، فإن الحرب لا تُدني مَنيَّةً قبل وقتها، واحلَولُوا في مرارة، ولِينوا في شدّة، وضعوا الصَّنائع عند ذوي الأحساب، فإنهم أشكر لما يؤتى إليهم[1].

ثم تمثّل بأبيات ابن عبد الأعلى الشَّيباني: [من الكامل]

فانْفُوا الضَّغائنَ والتَّخاذُلَ عنكمُ ... عند المَغيبِ وفي حُضورِ المَشْهَدِ
بصَلاحِ ذات البَيْنِ طُولُ بَقائكم ... إن مُدَّ في عُمري وإن لم يُمْدَدِ
وتكون أيديكم معاً في عَونكم ... ليس اليَدان لذي التَّعاوُنِ كاليَدِ
إن القِداحَ إذا اجتمعْنَ فرامَها ... بالكسْرِ ذو حَنَقٍ وعِزٍّ أَيِّدِ
عَزَّتْ فلم تُكسَر وإن هي بُدِّدَتْ ... فالكسرُ والتَّوهينُ للمُتَبَدِّدِ

ثم قال: يا وليد، اتَّقِ الله فيما استخلفتُك عليه، واحفظ وصيَّتي، وانظر إلى أخي معاوية فإنه ابن أُمّي، وقد أُصيبَ في عقله، ولولا ذلك لاستخلفتُه، وأخي محمد فأقِرَّه

---

(١) «مروج الذهب» ٥/ ٣٦٩-٣٧٠، و«المنتظم» ٦/ ٢٧٤-٢٧٥، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨٧.

على الجزيرة ولا تعزِلْه، وأخوك عبد الله لا تؤاخذه، وأقِرَّه على مصر، وانظر إلى ابنِ عمِّنا علي بن عبد الله بن عباس؛ فإنه قد انقطع إلينا بمودَّته، وله نسبٌ وحقٌّ وفضل، فاعرف حقَّه وقَدْرَه، وأحسن صُحبته وجِواره، واحفظ الحجاج فإنه هو الذي وَطَّأ لنا البلاد، وذلّل لنا العباد، وهو سيفُك ويدُك على مَن ناوأك، ولا تسمعنَّ فيه قول قائل، وخذ سيفي هذا، فبه قتلتُ عَمراً، وخذ الناس بالبيعة، فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا. ثم تمثلَ بقول عَديٍّ بن زيد العِباديّ: [من الوافر]

فـهـل مـن خـالـدٍ إمّـا هَـلَـكْـنـا وهـل بـالـمـوتِ يـالَـلـنـاسِ عـارُ

يا وليد، ليس بين السلطان وبين أن يملك رعيَّته أو تملكه إلا حَزْمٌ أو تأنٍّ، يا وليد، كلّكم يترشَّح لهذا الأمر، ولا يَصلُح له إلا من كان له سيفٌ مَسْلول، ومال مَبذول، وعَدلٌ تطمئن إليه النفس، وصدقٌ تميل إليه القلوب.

ولما احتُضر كان في مَنْظَرَةٍ له تُشرف على بردى، فنظر إلى غَسَّالٍ يغسل الثياب فقال: يا ليتني مثلَ هذا الغسَّال، أكتسب ما أعيش به يوماً بيوم، ولم أَلِ الخلافة. ثم تمثّل بقول أمية بن أبي الصلت: [من الخفيف]

كـلُّ عـيـشٍ وإن تـطـاولَ يـومـاً صـائـرٌ أمـرُه إلـى أن يَـزولا

لـيـتـنـي كـنـتُ قـبـل مـا قـد بـدا لـي فـي قِـلالِ الـجِـبـالِ أرْعـى الـوُعـولا

فبلغ قوله أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم وقتَ الموت يتمنَّون ما نحن فيه، ولم يجعلنا نتمنّى ما هم فيه.

وقال الشعبي: بلغني أنه قال عند الموت(١): [من الطويل]

لَعَمري لقد عُمِّرتُ في المُلْكِ بُرْهَةً ودانـتْ لـيَ الـدُّنـيـا بـوقْـعِ الـبَـواتِـرِ

فأضحى الذي قد كان مما يَسُرُّني كَلَمْحٍ مضى في البارقات الغوابِرِ

فياليتني لم أَغْنَ في الملك ساعةً ولم أَلْهُ في اللَّذاتِ عيش النَّواضِرِ

وكنتُ كذي طِمْرَيْن عاش ببُلْغَةٍ من العيشِ حتى زار ضَنْكَ المقابِرِ

ثم جعل يبكي ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ـ٢٩].

---

(١) في (أ) و(خ) و(د): وقال عبد الملك عند الموت يتمثل، والمثبت من (ص). والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٧٦ عن غير الشعبي.

[وقال الشعبي:] دخل عليه الوليد يوماً عائداً، وفاطمة ابنته عنده تبكي، فقال لها الوليد: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فأنشد عبد الملك: [من الكامل]

كم عائدٍ رجلاً وليس يعودُه إلا ليعلم أنه سَيَموتُ[١]

ثم أنشد: [من الطويل]

ومُسْتَخْبِرٍ عنّا يُريد بنا الرَّدَى ومُسْتَعْبِراتٍ والعيونُ سَواجِمُ

وأشار بالنّصف الأول إلى الوليد، وبالثاني إلى فاطمة ومَن كان معها من النساء، ثم قال: قبَّح الله الدنيا، طويلها قصير، وقصيرها أقصر من قصير، وكثيرها يسير، والوليد يبكي فقال له: يا وليد، أتحنُّ حَنينَ الحمامة [والأمة] إذا تأيَّمت؟! قم فشَمِّر، والبسْ جلدَ النَّمِر، وضع سيفك على عاتقك، ومن أبدى لك صَفحَته فاضرب عُنقه.

وقال المدائني: تمثّل عند موته فقال: [من الرجز]

إن بَنيَّ صِبيةٌ صَيفيُّونْ أفلحَ مَن كان له رِبعيُّونْ[٢]

إن بَنيَّ صِبيةٌ صِغارُ أفلحَ مَن كان له كِبارُ

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ عنده، فقال عمر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥][٢].

[قال الشعبي:] ودخل عليه قَبيصَةُ بن ذُؤيب فقال: كيف تَجدُك؟ قال: كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤][٣] ولم يسمع منه كلام بعدها، وأُغمي عليه، فصاح ولده هشام وبكى وقال: [من الطويل]

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قوم تَهدَّما

فلطمه الوليد وقال: اسكت يا ابن الأشجعيَّة؛ فإنك أحول أكشف، تنطق بلسان شيطان، وأنشد الوليد: [من الطويل]

إذا مُقْرَمٌ منّا ذَرى حَدُّ نابِه تَخَمَّط منّا نابُ آخر مُقْرَمِ[٤]

---

(١) في «مروج الذهب» ٥/ ٣٦٩، و«المنتظم» ٦/ ٢٧٣: إلا ليعلم هل يراه يموت.

(٢) في العقد الفريد ٣/ ١٠٣: الولد الصيفيّ الذي يُولد للرجل وقد أسنّ، والرِّبْعيّ الذي يولد له في عنفوان شبابه، أُخِذ من ولد البقرة الصيفيّ والرِّبعي. والخبر في أنساب الأشراف ٦/ ٣٨٧.

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٨١.

(٤) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٧٦، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٨٤٢-٨٤٣ (مخطوط)، والقرم: الفحل، وذرى حد نابه: انكسر.

واختلفوا في المكان الذي توفي فيه؛ فحكى ابن سعد، عن الواقدي قال: حدثني أبو معشر نجيح قال[١]: مات عبد الملك بدمشق يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين.

[وقال المدائني فيما حكاه عنه البلاذري[٢]: إنه] مات بالصِّنَّبْرَة من أعمال الغَور، كان يَصِيف ببعلبك، ويقيم أيام الربيع بدمشق، ويُشتي بالصِّنَّبْرَة فمات بها، وقيل: بالجابية وحمل إلى دمشق.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» ـ وهو كتاب حسن، حدثنا بالكتاب غير واحد عن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي ـ بإسناده عن ابن سابط الجُمحيّ[٣]: أنه خرج من قِنَّسْرين وهو قافلٌ، قال: فأشار لي إنسان إلى قبر عبد الملك، فوقفتُ أنظر، فمرَّ عِباديّ[٤] فقال: لمَ وقفتَ ههنا؟ قلت: أَنظرُ إلى قبر هذا الرجل الذي قدم علينا مكة في سلطان وأمر عجيب، ثم عجبتُ إلى ما رُدَّ إليه، فقال: ألا أُخبرك خبرَه لعلك تَرهب؟ قلت: وما خبره؟ قال: هذا ملك الأرض، بعث إليه ملك السماء والأرض فأخذ روحه، فجاء به أهلُه فجعلوه ههنا، حتى يأتي يوم القيامة مع مساكين أهل دمشق.

وقال هشام بن عمار: مات عبد الملك بمَنْظَرَةٍ له على بردى من أرض عاتكة، ودُفن بالباب الصغير عند قبور أهله.

وقال قَبيصَةُ بن ذُؤيب: ولما خرجوا بجنازته صلّى عليه ابنه الوليد، ونظر إلى سعيد ابن عمرو بن سعيد الأشدق يحمل سريره، فصاح به الوليد: أشماتةً بأمير المؤمنين يا ابن اللَّخْناء؟ ثم ضربه بقَضيب كان في يده فانصرف[٥].

---

(١) من قوله: واختلفوا في المكان... إلى هنا من (ص).

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٤٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) من قوله: وذكر ابن أبي الدنيا... إلى هنا من (ص)، جاء بدله في النسخ: وروى سعيد بن أبي حسين، عن ابن سابط الجمحي. اهـ وفيه سقط، والصواب: عمر بن سعيد . . . كما في الاعتبار (٥٤).

(٤) نسبة إلى العِباد، قوم من قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية فأنفوا أن يتسموا بالعبيد وقالوا: نحن العباد. ينظر اللسان (عبد).

(٥) انظر «المنتظم» ٦/ ٢٧٦ .

واختلفوا [في سنّه على] أقوال؛ أحدها ستون سنة، حكاه ابن سعد عن الواقدي، ورواه الواقدي عن أبي مَعْشَر.

والثاني: أنه مات ابن ثمان وخمسين سنة، حكاه الواقدي أيضاً[١].

والثالث: ثلاث وستون سنة، ذكره المدائني[٢].

والرابع: ثلاث وخمسون سنة، حكاه البلاذري[٣].

وقيل: ثلاث وسبعون.

وقال الواقدي: والأوّل أثبت لأنه موافق لمولده، لأنه ولد سنة ست وعشرين.

وأجمع الناس على خلافته في سنة ثلاث وسبعين، وكان قد بويع في سنة خمس وستين، قاتل ابن الزبير فيها تسع سنين، فكانت خلافته من يوم بويع إلى أن مات إحدى وعشرين سنة.

وقال المدائني: كانت خلافته بعد ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً، وقيل: ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر.

ذكر خطبة الوليد بعد وفاة أبيه:

[حكى الواقدي عن أشياخه قالوا:] لما رجع الوليد من دَفْن أبيه [خارج باب الجابية] لم يأت منزله، بل أتى جامع دمشق، فصَعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا مُقَدِّم لما أخَّر الله، ولا مُؤخِّر لما قدَّم الله، وقد كان من قضاء الله وسابقِ علمه وما كتب على أنبيائه وملائكته وحَمَلَةِ عَرْشه الموت، وقد صار أمير المؤمنين إلى منازل الأبرار، وأدّى الحق الذي عليه من إقامة منار الإسلام، وشعار الإيمان، وحج البيت، وغزو الثغور، والشّدَّة على المُرِيب، واللين لأهل الحق، ولم يكن عاجزاً ولا مُفَرِّطاً، فعليكم بالسَّمع والطاعة، ولُزوم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الفرد أو الفَذّ.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٢ .

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤١٩ .

(٣) الذي في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٨٧ أنه توفي ابن ثلاث وستين سنة.

أيها الناس، من أبدى لنا صَفْحَتَه ضربْنا الذي فيه عيناه، ومَن اعترف لنا بالطاعة أكرمناه، ومَن سكت عنا سكت على مَضض مات بدائه[١]، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

وقيل: إنه لما صعد المنبر استرجع وقال: والله المستعان على مُصيبتنا بأمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة، قوموا إلى البَيعة، فكان أول من قام عبد الله بن هَمَّام السَّلوليّ الشاعر، فارتجز:

الله أعطاك التي لا فَوقَها وقد أراد الحاسدون عَوْقَها
عنك ويَأبى الله إلا سَوْقَها إليك حتى قَلَّدُوك طَوقَها

ثم بايعه وبايعه الناس.

وقال أبو مَعْشَر: قال الوليد على المنبر: أيها الناس، إنها مصيبة ما أعظَمَها، ونعمة ما أَجَلَّها، فإنا لله وإنا إليه راجعون على الرَّزِيَّة، والحمد لله على العَطيّة، فقام رجل من ثقيف ـ والناس لا يدرون كيف يُعزُّونه ويُهَنِّئونه ـ فقال: يا أمير المؤمنين، أصبحتَ قد رُزئتَ خيرَ الآباء، وتسمَّيتَ بخير الأسماء، وأُعطيت خير الأشياء، فبوَّأك الله الصَّبر، وأعظم لك الأجر، وأوزعك حُسنَ الثَّواب على المصاب، فأعجبَ الوليد فقال: كم عطاءك؟ فقال: مئة، بالنصب، وكان الوليد لُحَنَة، فقيل للرجل: لمَ لَحَنْتَ؟ فقال: لأن الوليد لحن فوافقتُه، ثم نزل الوليد من المنبر فعزّاه الناس بأبيه، ثم هنَّؤوه بالخلافة، ووصل الرجلَ وزاد في عطائه[٢].

ذكر قصة عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن الحسين، حدثنا رستم بن أسامة، عن عبد السلام[٣] بن حرب قال: لما تَصدَّع الناس عن قبر عبد الملك وقف عليه

(١) لعلَّ قوله: سكتَ على مضض ـ إن صحَّ السياق ـ تفسيرٌ لقوله: سكتَ عنا. وعبارة المصادر: ومن سكتَ مات بدائه. ينظر تاريخ الطبري ٦/ ٤٢٣، واليعقوبي ٢٨٣، والعقد الفريد ٤/ ٩١.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٤/ ١٥٨ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٧٦ـ٢٧٧. وليس فيهما ذكر اللحن، ورُوي نحوه بين الشعبي والحجاج، ينظر وفيات الأعيان ٣/ ١٥.

(٣) من قوله: قال ابن أبي الدنيا... إلى هنا من (ص). والخبر في «الاعتبار» (٥٥) لابن أبي الدنيا عن الحسن بن عثمان سمعت أبا العباس الوليد يقول: عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلاً لعبد الملك... ولم أقف على الخبر بإسناد المصنف.

عبد الرحمن ابن يزيد ـ وكان خِلًّا لعبد الملك لا يروم الخلافة، وكان مشغولاً بالعبادة[١] ـ فقال: يا عبد الملك، أنت الذي كنت تعدُني فأرجوك، وتُوعدني فأخافك، أصبحتَ والله وليس معك من مُلكك سوى ثوبين وأربعة أذرُع في عرض ذراعين. ثم انكفأ إلى مسجده، وتعبَّد حتى صار كالشَّنِّ البالي، فعاتبه مَسْلَمة بن عبد الملك على انقطاعه عن الدنيا، فقال: يا مَسْلَمة، أسألك عن شيء أتصدُقني؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن حالك التي أنت عليها أترضاها للموت؟ قال: لا، قال: فهل عزمتَ على الانتقال منها إلى غيرها؟ قال: أنا في ذلك، قال: أفتأمن أن يأتيك الموت على الحال التي أنت عليها؟! قال: لا، قال: فبعد الدارِ التي تعمل[٢] فيها دار أخرى[٢]، قال: نعم، قال: فهذه حالةٌ ما أقام عليها عاقل، ثم عاد إلى مُصلَّاه.

ذكر أولاد عبد الملك:

[قال ابن سعد:] فولد عبد الملك: الوليد وسليمان وليا الخلافة، ومروان الأكبر، درج، وداود، درج، وعائشة، أمُّهم أمُّ الوليد ولَّادة بنت العباس[٣] بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جَذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث، من بني بَغيض.

ويزيد ولي الخلافة، ومروان، ومعاوية، درج، أمُّهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

وهشام ولي الخلافة، وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن [هشام بن] الوليد بن المغيرة المخزومي.

وأبا بكر، وهو بكّار، وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي.

والحكم، درج، وأمُّه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفّان، وأمها أم الحكم بنت ذؤيب بن حَلْحَلَة، من بني سلول.

وعبد الله، ومَسْلَمة، وعَنْبَسَة، ومحمداً، وسعيدَ الخير، والحجّاج، لأمهات أولاد شتّى.

---

(١) في (ص): بنفسه.

(٢) المثبت من (ص)، وفي غيرها: يكمل، وعبارة المصدر السالف: فبعد الدار التي أنت فيها معتمل...

(٣) في النسخ: النعمان، وهو خطأ، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢١، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٤١٩، و«نسب قريش» ١٦٢، وما بين معكوفين من (ص).

وفاطمة، تزوجها عمر بن عبد العزيز، وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة[١].

وقبيصة، ومروان الأصغر، وعائشة تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية.

وأم كلثوم: قال هشام: أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

وأما الوليد وسليمان ويزيد وهشام فولُوا الخلافة، وهشام آخِرُ من وليها منهم، وقال المدائني: وأم هشام: بنت هشام بن إسماعيل المخزومية، واسمها عائشة، رأى عبد الملك في منامه كأنها لَطَعَتْ من رأسه عشرين لَطْعَة، فأرسل إلى ابن المسيب فسأله فقال: تلد منه ولداً يملك عشرين سنة، فولدت هشاماً فولي عشرين سنة[٢].

وقال هشام بن محمد: رأى عبد الملك في منامه كأنه بال في المحراب أربع مرات، فساءه ذلك، فأرسل إلى ابن المسيب أو إلى ابن سيرين مع عمر بن حبيب بن قُلَيع الجعفي المدني، فقصّه عليه فقال ابن المسيب: يخرج من صُلبه أربعة يملكون الناس[٣]. ولا يعرف أربعة أخوة ولُوا الخلافة غيرهم.

وأما أبو بكر وهو بكار بن عبد الملك؛ فأمه عائشة بنت موسى بن طلحة، وهي التي قال لها عبد الملك: لولا أن أبي أخبرني أنه قتل طلحة ما تركتُ على ظهرها طلحيّاً إلا قتلتُه، وكان مروان ينسب ما جرى على عثمان رضي الله عنه إلى طلحة، وطلقها عبد الملك فتزوَّجها علي بن عبد الله بن عباس، وقد ذكرناها.

وكان بكار أحمق؛ طار له بازيّ بدمشق فقال: أغلقوا أبواب البلد، قتله عبد الله بن علي، وله عقب، وحج ماشياً من المدينة إلى مكة على اللَّبون.

وفاطمة بنت عبد الملك؛ زوجها أبوها بعمر بن عبد العزيز، وأعطاها الدرّة اليتيمة وقرطي مارية.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢١ . ويختلف سياق الكلام فيما بين النسخ، والمثبت من (ص).

(٢) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٨ و٧/ ٣١٨ .

(٣) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٦٧ ، ونسب قريش ١٦٣ . وتاريخ دمشق ١٢/ ٧٠٠ (مخطوط).

وحجَّ مروان مع الوليد بن عبد الملك والوليد يومئذ خليفة، فلما كان بوادي القُرى جرى بينه وبين أخيه مروان محاورة، وأغلظ له، فقال له الوليد: يا ماصّ... فأراد مروان أن يُمصَّه(١)، فأمسك عمر بن عبد العزيز على فيه، فقال مروان: قتلتَني يا عمر، ردَدْتَ غيظي في جوفي، فما برحوا من وادي القرى حتى دفنوه، فحزن عليه سليمان، وندم عمر(١).

وروي أن مسلمة بن عبد الملك بعث أخاه مروان إلى يزيد بن عبد الملك يبشره بقتل يزيد بن المهلب(٢).

ومروان الذي بعثه مسلمة هو مروان الأكبر، أما الأصغر فقد مات في أيام الوليد أو سليمان كما ذكرنا.

وأما الحكم بن عبد الملك فكان جواداً وفيه يقول رؤبة بن العجَّاج: [من الرجز]

يا حَكَمُ الوارثُ عن عبد الملك ... ميراثَ أحسابٍ وجُودٍ مُنْسَلِكْ
إليك أشكو عَضَّ دَهْرٍ مُنْتَهِكْ ... بالمنكِبَيْنِ والجِرانِ مُبْتَرِكْ(٣)

وأما عبد الله بن عبد الملك فكان شجاعاً جَواداً، أجملَ قُرشيٍّ في زمانه، وكان ناسكاً يختم القرآن في كلِّ جمعة.

وذكره ابنُ سُمَيع في الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام.

وقال الزبير بن بكار: وأمه أم ولد، وكان يوصف بحسن الوجه وحسن المذهب(٤).

وحجَّ فأوصاه أبوه وقال: إنه سيأتيك الحَزِين الشاعر بالمدينة، فإياك أن تمنعه، فلما قدم جاءه الحزين، فلما رأى حُسنه وجمالَه وبيده قضيب خَيزران بُهت إليه، فقال له: مالك؟ فقال: أبهرني حُسنك وجمالك، وقد قلتُ ما حضرني، فقال: قل، فقال: [من البسيط]

---

(١) أي: أراد أن يَرُدَّ عليه بمثل ما قال له. وينظر «نسب قريش» ١٦٢، وذكرها البلاذري بين سليمان ومروان، انظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٥٦، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ٥٠٦.
(٢) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٤.
(٣) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٤-٣٠٥. وفي ديوان رؤبة ١١٧-١١٨ أنه مدح بها الحكم بن عبد الملك بن بشر بن مروان، ورجح البغدادي في شرح أبيات المغني ١/ ٦٠-٦١ ذلك.
(٤) «تاريخ دمشق» ٣٥/ ٥٦، و«نسب قريش» ١٦٤.

فـي كَفِّـه خَـيـزرانٌ ريـحُـهـا عَـبِـقٌ مـن كـفِّ أزهـرَ فـي عِـرنـيـنِـه شَـمَـمُ
يُغْضي حَياءً ويُغضَى من مَهابته فـمـا يُـكَـلَّـم إلا حـيـن يَـبْـتَـسِـمُ

فأجازه فقال: أَخْدِمْني خادماً ـ وعلى رأس عبد الله غُلامان ـ فقال: اختر أحدهما، فأخذ واحداً فقال: خذ الآخر، فأخذه(١).

وهذا البيت الأخير للفرزدق من أبيات قالها في زين العابدين، وسنذكره في ترجمته.

وقيل: إن الأبيات للحَزين الشاعر في عبد العزيز بن مروان، منها هذه الأبيات(٢):

قـالـوا دمـشـقُ يُـنَـبِّـيك الـخـبـيـرُ بـهـا ثـمَ ائْـتِ مـصـرَ فـثَـمَّ الـنـائـلُ الـعَـمَـمُ
لـمـا وقـفـتُ عـلـيـه فـي الجُـمـوعِ ضُـحًـى وقـد تـعـرَّضَـتِ الـحُـجَّـابُ والـخَـدَمُ
حَـيَّـيـتُـه بـسَـلامٍ وهـو مـرتَـفِـقٌ وضَـجَّـةُ الـقـومِ عـنـد الـبـاب تَـزْدَحِـمُ

في كفّه خَيزرانٌ... البيتين.

[وعبد الله هذا هو الذي بعثه أبوه مع مروان بن محمد إلى العراق في نوبة الحجاج وابن الأشعث، وقد ذكرناه.

وولّاه أبوه مصر في سنة خمس ـ أو أربع ـ وثمانين، وكان أبوه قد ولاه حمص، وذكره خليفة في عمال عبد الملك على حمص.

وقال خليفة: وفي سنة اثنتين وثمانين فتح عبد الله حصنَ سنان بالروم من ناحية المَصِّيصَة.

قال: وفي سنة ثلاث وثمانين غزا عبد الله الروم، فلقي الرُّوم بسورية فهزمهم.

وفي سنة أربع وثمانين غزا عبد الله الروم فبلغ طُرَنْدَة.

وفيها بنى عبد الملك المَصِّيصَة.](٣)

وقال الليث بن سعد: عبد الله هو الذي بنى المَصِّيصَة في سنة خمس وثمانين(٤).

---

(١) «نسب قريش» ١٦٤، و«الأغاني» ١٥/ ٣٢٤ـ٣٢٥، و«تاريخ دمشق» ٣٥/ ٥٨ـ٥٩. والعِرْنين: أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين.

(٢) من قوله: وهذا البيت الأخير... إلى هنا من (ص)، وانظر نسبة الأبيات والاختلاف فيها في «الأغاني».

(٣) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «تاريخ خليفة» ٢٩٨، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١ (على الترتيب)، و«تاريخ دمشق» ٣٥/ ٥٦ـ٥٨ والذي فيهما أن عبد الله بن عبد الملك هو الذي بنى المصيصة لا أبوه.

(٤) نقل ابن عساكر ٣٥/ ٥٧ عن الليث: أن عبد الله بن عبد الملك غزا المصيصة في سنة خمس وثمانين، لا أنه بناها.

وقال ابن عساكر: كان له بدمشق دار عند باب الجامع بمحلَّة القباب.

وكانت وفاته بمصر، [قتل في هذه السنة.

وحكى ابن عساكر قال: مات عبد الله بن عبد الملك] وترك سبعين مُدْياً من ذهب، ومات بُسر بن سعيد ولم يُخَلِّف كَفناً، وبلغ عمر بن عبد العزيز فقال: لأن أعيش بعيش بُسر وأكون معه في درجته أحبّ إلي من أن أعيش بعيش عبد الله بن عبد الملك، فقيل لعمر: إنهم أهلك! فقال: لا يمنعني ذلك أن أذكر أهل الفضل بفضلهم(١).

[وقال الزبير بن بكار:] وإلى عبد الله ينسب المسجد الذي بمصر في باب المعافِر، وكان مسجداً حسناً، ولما دخلت المسوِّدة مصر مرَّ به صالح بن علي في موكبه، فأعجبه فقال: مَن بناه؟ قالوا: عبد الله، فقال: أوَبقيَ لهم ذكر؟! لا أبرح من مكاني وفيه شيء قائم، فهدموه، وبقي خراباً إلى أيام هارون الرشيد، فولّى على قضاء مصر عبد الرحمن بن عبد الله العمري، فبناه ظنّاً منه أنه مسجد عبد الله بن عمر بن الخطاب.

[واختلفوا في وفاته؛ فحكى الحافظ ابن عساكر بإسناده أن عبد الله بن عبد الملك ابن مروان توفي في سنة مئة.

قال: وقال خليفة: قتل عبد الله في سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

وقال الحافظ: هذا وهم، والصحيح أنه مات قبل عمر بن عبد العزيز(٢).

وقال ابن عبد البر(٣): كانت ولايته على مصر ثلاث سنين وعشرة أشهر.]

وأما المنذر بن عبد الملك فسماه عبد الملك باسم رجل من أهل الشام كان ناسكاً، شهد المنذر قتال حُبَيْش بن دُلْجَة.

وأما عَنْبَسَة فمن ولده الفَيْضُ بن عنبسة، ولا عقب له.

وأما سعيد بن عبد الملك فقتله عبد الله بن علي بنهر أبي فُطْرُس مع من قتل من بني أمية.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣٥/ ٥٥، ٦٢ـ٦٧.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣٥/ ٦٧.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٣٥/ ٦١ أن القائل أبو عمر محمد بن يوسف الكندي.

وولده عبد الله بن سعيد كنيته أبو صفوان، وأُمُّه أمُّ جميل بنت عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية، ولما قُتل سعيد لحقت بمكة.

وكان عبد الله هذا عالماً زاهداً فاضلاً، سمع أباه، وابن جُريج، ومُجالد بن سعيد، ومالك بن أنس وغيرهم.

وروى عنه الشافعي، وأحمد، وعلي بن المديني وغيرهم، وهو من رجال صحيح البخاري، وقال علي بن المديني: هو أَقْعَدُ قرشيٍّ رأيتُه.

ووثّقه ابن معين، والدارقطني، وأبو مسلم المُسْتَمليّ وغيرهم(١).

وأما الحجاج [فقال أبو اليقظان:] سمّاه أبوه عبد الملك باسم الحجاج بن يوسف، وقال: [من الرجز]

سَمَّيتُه الحجَّاجَ بالحجّاجِ ... النَّاصحِ المعاونِ الدُّمَّاجِ

نُصْحاً لَعَمري غيرِ ذي مُداجِ

فوهب له الحجاج بن يوسف داراً بدمشق [تعرف بدار الحجاج. وقال ابن عساكر:] وبالحجاج بن عبد الملك سمي قصر حجاج ظاهر باب الجابية.

وقيل: إن أم الحجاج بن عبد الملك بنتُ محمد بن يوسف أخي الحجاج(٢).

وأما قَبيصة فسماه أبوه عبد الملك باسم قَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيِّ، وولد لقَبيصة بن عبد الملك الوليد بن قبيصة، ولا عَقِب له(٣).

ذكر نساء عبد الملك بن مروان:

قد ذكرنا المشهورات منهن، وقال المدائني: كان له سوى مَن ذكرنا: شَقراء ابنة سَلَمة بن حَلْبَس الطَّائيّ، وابنة لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر(٤).

---

(١) «تاريخ دمشق» ٩/ ٣٥٩ (مخطوط)، و«تهذيب الكمال» (٣٢٩٤). وهو أيضاً من رجال مسلم.

(٢) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٣، و«تاريخ دمشق» ٤/ ٢٠٠ (مخطوط).

(٣) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٣.

(٤) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٢٠، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠٥.

قال المصنف رحمه الله: ولا يصحُّ أنه تزوّج ابنةً لعلي بن أبي طالب، ولا لابن جعفر.

وقال الهيثم: خطب عبد الملك بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقالت: والله لا تزوَّجتُ أبا الذبَّان أبداً، وخطبها عمه يحيى بن الحكم فتزوَّجته، فغضب عبد الملك وقال: لقد تزوَّجَتْك أسود أَفْوه ـ يعني كبير الفم ـ فقال له يحيى: لقد أحبَّت مني ما كرهتْه منك[1].

وكان قَبيصة بن ذُوَيب على خاتم عبد الملك وبيت المال، وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني إلى أن مات في سنة ثمانين، وكاتبه رَوْح بن زِنْباع حتى مات سنة ثلاث وثمانين، وحاجبه يوسف مولاه، وصاحبُ شُرطته أبو الزُّعَيْزِعة.

أسند عبد الملك الحديث عن عثمان، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، ومعاوية ﷺ وغيرهم، وروى عنه عروة بن الزبير، ورجاء بن حَيْوة وغيرهما.

[فصل: وقال جدي في «التلقيح»[2]: عبد الملك بن مروان ستة: أحدهم عبد الملك بن مروان صاحب هذه الترجمة.

والثاني: عبد الملك بن مروان بن الحارث المديني.

والثالث: عبد الملك بن مروان أبو يزيد الكوفي.

والرابع: عبد الملك بن مروان بن قيراط الحذّاء.

والخامس: عبد الملك بن مروان البصري مؤذن مسجد أبي عاصم.

والسادس: عبد الملك بن مروان أبو بشر الرقي.

هذا صورة ما ذكره جدّي.

قلت[3]:] وفي الأعيان جماعة اسم كل واحد منهم عبد الملك بن مروان، منهم:

---

(١) «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣٠ ، و«العقد الفريد» ٤/ ٢٥ ، وبعدها في (ص): وقد ذكرنا هذا بمعناه فيما تقدم.

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٦١٧ .

(٣) بدلها في (أ) و(خ) و(د): قال المصنف رحمه الله. والمثبت من (ص) وما بين معكوفين منها.

عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، قتل مع أبيه في الجيش الذي طلب بدم الوليد بن يزيد.

ومنهم: عبد الملك بن مروان بن محمد [بن مروان] بن الحكم، كان مع أبيه مروان لما غزا الخَزَر، وكان صاحبَ ميمنته، ومات بالرقَّة في أيام أبيه مروان، وله عقب.

ومنهم: عبد الملك بن مروان بن موسى بن نُصَير اللَّخْميّ مولاهم، وفد على مروان ابن محمد بن مروان فولّاه مصر، وهو آخر مَن وليها لبني أمية، وكان من أعدل ولاتهم، وقد أثنى عليه الليث بن سعد بالعَدْل، وكان جواداً، ولما دخلت المُسَوِّدة مصر ـ وكان والياً عليها ـ أكرمه صالح بن علي لما بلغه من عدله وعفافه وحسن سيرته، ولما خرج صالح بن علي إلى العراق أخرجه معه، وأثنى عليه عند أبي جعفر، فولّاه فارس[1]. [انتهت سيرة عبد الملك بن مروان

فصل: وفيها توفي]

المِقدام بن مَعْدِي كَرِب

ابن عمرو بن يزيد بن سيّار[2] بن عبد الله ابن وَهْب بن الحارث بن معاوية بن ثَور بن مُرَتِّع الكندي.

[ذكره ابن سعد في موضعين:] في الطبقة الرابعة من الصحابة الوافدين على رسول الله ﷺ، وفيمن نزل الشام من الصحابة[3].

وكان يسكن حمص، وكنيته أبو يحيى]. وحضر مع رسول الله ﷺ عدة غزوات.

واختلفوا في وفاته؛ فقال هشام: في سنة ست وثمانين، وقال ابن سعد: سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة[4].

---

(١) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٩١ـ٢٩٣ وما سلف بين معكوفين منه. ومن قوله: منهم عبد الملك بن مروان بن عبد الله... إلى هنا ليس في (ص).

(٢) في «طبقات ابن سعد»: شيبان، والمثبت موافق لما في «تاريخ دمشق» ١٧/ ١٥٣ (مخطوط).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٥٢ و٩/ ٤١٨.

(٤) انظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١٨، و«الاستيعاب» (٢٥٠٢)، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ١٥٩، و«السير» ٣/ ٤٢٧. ومن قوله: واختلفوا في وفاته... إلى هنا من (ص)، وجاء مختصراً في النسخ الأخرى.

أسند المقدام الحديث عن رسول الله ﷺ.

[أخرج له الإمام أحمد ستة عشر خديثاً، وأخرج له البخاري حديثين عن خالد بن مَعْدان، عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب عن النبي ﷺ.]

فمن مسانيده قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عَمل يده، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده». انفرد بإخراجه البخاري رحمه الله(١). [وليس في الصحابة مَن اسمه المقدام غيره.]

السنة السابعة والثمانون من الهجرة

[قال الواقدي:] وفيها عزل الوليد هشام بن إسماعيل المخزومي عن المدينة، وولّى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة، فقدمها في شهر ربيع الأول في ثلاثين راكباً، فنزل دارَ جدِّه مروان.

وكانت ولايةُ هشام عليها أربعَ سنين إلا أياماً، وكان عزلُه ليلةَ الأحد لسبعِ ليالٍ خلون من ربيع الأول عند قدوم عمر المدينة.

وكان الوليد سيِّىء الرأي في هشام، فكتب إلى عمر أن أَوقِفْه للناس، وكان قد ضرب سعيد بن المُسيّب، وآذى عليَّ بن الحسين أذًى شديداً، فلما أمر الوليد بذلك قال هشام: ما أخاف إلا من علي بن الحسين وسعيد بن المسيب، فأما علي فتقدَّم إلى خاصته وأهله وقال: لا تتعرَّضوا بكلمة، وفعل سعيد بن المسيب مثل ذلك وقال: تركتُ ما فعل بي لله وللرحم، ومرَّ علي بن الحسين على هشام وهو واقف فلم يكلِّمه، فناداه هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

[قال الواقدي:] وأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإنه لما قدم المدينة صلى الظهر، ثم دعا عشرةً من فقهاء المدينة: سالم بن عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، وعبيد الله ابن عبد الله ابن عُتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وسليمان بن يَسار، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وعبد الله بن عبد الله ابن عمرو، فلما دخلوا عليه حَمِد الله وأثنى عليه وقال: إني إنما دعوتُكم لأمرٍ تُؤجرون

---

(١) يعني: عن مسلم، وهو في صحيح البخاري (٢٠٧٢)، ومسند أحمد (١٧١٨١).

عليه، وتكونون فيه أعواناً للحق، ما أريد أن أقطع أمراً دونكم، ولا أفعل شيئاً إلا برأيكم، وإن رأيتُم أحداً يتعدَّى، أو بلغكم عن عامل ظُلامة، فأُحرِّج على مَن بلغه ذلك إلا يُبلِّغني، فدَعَوا له وشكروه، وجَزَوْه خيراً، وعلموا أنه قد فُتح عليهم بابُ خير.

فأقام والياً على المدينة سبع سنين وخمسة أشهر، يُحضرهم ويستضيء برأيهم فيما يفعل.

وفيها صالح قتيبة بن مسلم نَيْزَكَ التُّركي، واستنقذ منه ألوفاً من الأسرى، وكتب إلى نيزك أن يَقدم عليه، وإنما أراد إذلالَه، وتوعَّده في كتابه وتهدَّده إن لم يَقدم، فقدم عليه فأكرمه وأحسن إليه.

ثم غزا قتيبة بِيْكَنْد ـ وهي أدنى مدائن بُخارى إلى النهر، ويقال لها: مدينة التُّجَّار، وهي على رأس المفازة من بخارى ـ فلما نزل بِعَقْوَتِهم[١] استنصروا بالصُّغْد، واستنجدوا مَن حولهم، فأتوهم في جمع كبير، وأخذوا على قتيبة الطُّرُق والمضايق، فلم يصل إليه رسول، ولا قدر على إنفاذ رسول مدَّة شهرين، وأبطأ خبرُه على الحجّاج، فأشفق عليه وعلى مَن معه، فأمر الناسَ بالدعاء له، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم.

وكان لقتيبة عين فيهم يقال له: تندر؛ أعجمي، فدفع إليه أهل بُخارى مالاً على أن يدفع عنهم قتيبة، فأتاه فقال: أخْلِني، فأخلى المجلس فقال: قد عزل الحجاج عن العراق، وهذا عامل جديد يقدم عليك، فارجع بالناس إلى مرو، وكان عند قُتيبة ضرار ابن حُصَين الضَّبِّي، فقال قتيبة لغلامه: اقتل تندر، فضرب عنقه وقال لضرار: والله لئن علم أحدٌ بهذا الحديث قبل أن تنقضي حربُنا لألحقنَّك به؛ فإن انتشار مثل هذا الحديث يَفُتُّ في أعضاد المسلمين.

ثم أصبح الناس على راياتهم، وأنكروا قتل تندر وقالوا: كان ناصحاً للمسلمين، فقال قتيبة: بل كان غاشّاً فأحانه الله بذَنْبه، ثم تقدَّم فقاتل، وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم، ومنح الله قتيبة أكتافهم أَسْراً وقتلاً، ووصلوا خلفهم إلى بِيكَنْد فتحصَّنوا بها، وأمر الفَعَلَة فشرعوا في تعليقها[٢] ليَهدمَها، فسألوه الصُّلح على مال فصالحهم، واستعمل عليهم عاملاً.

---

(١) العَقْوَة: المَحَلَّة. ينظر القاموس (عقا).

(٢) في تاريخ الطبري ٦/ ٤٣١: في أصلها.

فلما سار عنهم قتيبة مقدار خمسة فَراسخ قتلوا العامل ومَن معه، وبلغ قتيبة فعاد إليهم فعَلّق المدينة[١]، فسألوه الصلح فلم يفعل، وهدم سورها، ودخلها عَنوة فقتل مقاتليها، وكان فيها رجل أعور، وهو استَجاشَ التُّرك، فأخذه قتيبة فقال: أنا أفدي نفسي بخمسة آلاف حَريرة قيمتها ألف ألف درهم، فاستشار قتيبة أصحابه فيه فقالوا: نرى أن فداءه زيادةٌ في غنائم المسلمين، وما عسى أن يَبلغ من كيد هذا؟! فقال قتيبة: والله لا تركته يُرَوِّع مسلمةً أبداً، ثم ضرب عنقه.

وأصاب قتيبة ببِيْكَنْد من الذهب والفضة والجواهر والغنائم ما لم يُصبْه في بلد آخر، وكان فيها صنم فأذابوه، فخرج فيه خمسون ومئة ألف مثقال من الذهب، ورجع قتيبة إلى مرو وقد قسم الغنائم، وأعطى المقاتلة السلاح الذي كان في المدينة، وكتب إلى الحجاج بالفتح.

وفي ذلك اليوم يقول الكميت[٢]: [من البسيط]

ويومَ بِيكَنْدَ لا تُحصى عجائبُه وما بُخاراء مما أخطأ العَددُ

وأقام قتيبة بمرو إلى زمن الربيع، ثم سار في عدّة حسنة إلى بخارى، فعبر النهر من ناحية آمُل من عند زَمّ، فوصل إلى نومُشَكَث من أعمال بُخارى، فأرسلوا إليه فصالحوه على ما أراد.

واختلفوا فيمَن غزا الروم في هذه السنة على قولين:

أحدهما: مَسلمة بن عبد الملك، ففتح حصوناً كثيرة.

والثاني: هشام[٣] بن عبد الملك، ففتح حصن بولَق، والأَخْرَم، وبولس وغير ذلك، وكانت المستَعْرِبة في طريقه، فقتل منهم ألف مقاتل، وسبى نساءهم وذراريهم.

[فصل]: وفيها شرع الوليد في عمارة جامع دمشق.

---

(١) في الطبري ٦/ ٤٣١ : ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم.

(٢) في النسخ: الحصيب، والمثبت من الطبري ٦/ ٤٣٢ ، و«تاج العروس» (كند).

(٣) من قوله: واختلفوا... إلى هنا من (ص)، بدله في النسخ: وغزا مسلمة بن عبد الملك الروم ففتح حصوناً كثيرة، وقيل: غزا هشام.

[حكى ابن عساكر عن] خالد بن يزيد بن أبي مالك[1]: أن معاوية أراد أن يبني جامع دمشق، فقال له كعب الأحبار: ذاك أخنس قريش وما اجتمع أبواه بعد، وكان معاوية يومئذٍ أميراً على دمشق.

وقال المغيرة مولى الوليد: دخلت عليه يوماً فرأيته مَغموماً، فقلت: ما الذي بك يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا مغيرة، إنه قد كثر المسلمون، وضاق بهم المسجد، وقد بعثتُ إلى النصارى أصحاب هذه الكنيسة فأقطعتهم القطائع، وبذلت لهم الأموال لأُدخلها في المسجد فأبوا، فقلت له: لا تهتم، فإن عندي ما يُزيل همَّك، قال: وما هو؟ قلت: قد دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان، فنماسحهم إلى أي موضع بلغ السيف؟ فإن يكن لنا حقٌّ أخذناه، وإلا داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة، فنُدخلَه في المسجد، فقال الوليد: فرَّجْتَ عني فرَّج الله عنك، فتولَّ أنت ذلك بنفسك.

فتولّاه المغيرة، ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية، فبلغت المساحة إلى سوق الرَّيحان حتى حاذت من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسر بالقاسميّ، فدخلت الكنيسة في المسجد، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال: هذا حق جعله الله لنا، ولم نأخذه ظلماً، فقالوا: قد أقطعتَنا القطائع، وأعطيتَنا الأموال فأبينا، فصالحهم على كنيسة مريم، وكنيسة حُميد بن درّة، وكنيسة المصلّبة، وكنيسة أخرى عند سوق الجُبن.

[وفي رواية:] ولما قام عمر بن عبد العزيز جاء النصارى إليه، وشَكَوا فعل الوليد، فقال عمر: ما كان خارجاً من دمشق فُتح عنوة، فنحن نردُّ عليكم كنيستكم، ونهدم كنيسة باب توما لأنها خارج البلد، ونبنيها مسجداً [فلما قال لهم ذلك] قالوا: بل ندع لكم ما هدمه الوليد، وتدعوا لنا كنيستنا بباب توما، فأجابهم عمر رضي الله عنه.

[رجع الحديث إلى الأول:] ثم أصبح الوليد غادياً وعليه قَباءٌ من خزٍّ، وقد شدَّ وَسَطه بمِنطَقة، وبيده فأس، وكان في أعلى الكنيسة تمثال يقال له: الشّاهد، فقال له

(١) في النسخ: مليكة، وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٥ (مخطوط)، وما بين معكوفين من (ص).

بعض الرهبان: احذر الشّاهد، فقال: أول ما أضع فأسي في رأس الشاها ، ثم كبّر الوليد، ثم ضربه فهدمه.

[وفي رواية:] ولما أراد أن يهدم الكنيسة قال له كبير النَّصارى: مَن يهدم هذه الكنيسة يُجَنّ، فقال الوليد: أنا أولى مَن جُنَّ في الله، ثم أرسل إلى اليهود فجاؤوا بتوراتهم وأحبارهم فهدموها[١].

وحكى ابن عساكر، عن أبي الحُسين الرّازي قال[٢]: قرأت في كتاب «أخبار الأوائل» أن الدار المعروفة بالمطبق والدار المعروفة بدار الخيل مع موضع المسجد الجامع؛ أقاموا وقت بنائها يأخذون الطّالع ثماني عشرة سنة، وقد حفروا أساس الحيطان، حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن لا يخرب أبداً، ولا يخلو موضع المسجد من العبادة أبداً.

قال المصنف رحمه الله[٣]: وقد ذهب المطبق ودار الخيل فلا عين ولا أثَر، ولم ينفع الطّالع مع جَريان القَدَر.

ولما هدم[٤] الوليد الكنيسة شقَّ ذلك على ملك الروم، وجمع القِسّيسين والرهبان وأكابر دين النصرانية وقال لهم: ما ترون؟ فقالوا: اكتب إليه، لقد هدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك بقاءها، ولم يجدِّد ما قد شرعتَ فيه، فإن كان أبوك على الحقّ فقد خالفتَه، وإن كان على الباطل فقد أخطأ، فجمع العلماء وقال: ما ترون في جوابه؟ فلم يحضرهم جواب، فدخل الفرزدق الشاعر فقال له: يا أمير المؤمنين، اكتب إليه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[الأنبياء: ٧٩]، فحشا الوليد فاه بالجوهر، وكتب بها إلى ملك الروم.

وسنذكر تمام عمارة جامع دمشق في سنة ست وتسعين.

---

(١) «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٧ـ٣٠٨ . وما بين معكوفات من (ص).

(٢) في (أ) و(خ) و(د): وقال أبو الخير الرازي، والمثبت من (ص)، والخبر في «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٨ .

(٣) في (ص): قلت.

(٤) في (ص): وقال أبو الحسين الرازي ولما هدم. والخبر الآتي في «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٨ـ٣٠٩ من طريقين ليس فيهما ذكر الرازي.

[فصل] وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة، وكان على قضاء المدينة من قِبله: أبو بكر بن عَمرو بن حزْم، وعلى العراق والمشرق كله الحجاج، وخليفته على البصرة الجرَّاح بن عبد الله الحَكَميّ، وعلى قضائها عبد الرحمن[١] بن أُذينة، وخليفته على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البَجَليّ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى، وعلى خراسان قُتيبة بن مُسلم.

[فصل] وفيها توفي

أمية بن عبد الله

ابن خالد بن أَسيد بن أبي العِيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمُّه أمُّ حُجَير بنت شَيبة بن عثمان بن أبي طَلحة بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ.

[ذكره ابن سعد] من الطبقة الثالثة من أهل مكة. [قال:] وكان قليلَ الحديث[٢].

هذا صورة ما ذكره ابن سعد.

وأمية هو الذي ولاه عبد الملك خراسان.

وقال المدائني: مات أمية بن عبد الله في سنة سبع وثمانين[٣]، وكان عظيمَ الكِبْر، شديدَ التِّيه، مرض صاحب له فلم يَعُدْه، وقال: لو عُدنا أحداً لعُدناك.

وقال سعيد بن عبد العزيز: دعا عبد الملك يوماً بغدائه وقال: ادع خالد بن يزيد، قالوا: مات، قال: ادع أمية بن عبد الله، قالوا: مات، قال: ادع رَوح بن زِنْباع، قالوا: مات قال: ارفع ارفع.

قال المصنف رحمه الله: هذه الرواية وهم؛ لأن خالد بن يزيد مات في سنة تسعين، وأمية في سنة سبع وثمانين.

كان أمية جواداً مُمدَّحاً، مدحه نَهار بن تَوْسِعَة فقال: [من الطويل]

أميَّةُ يُعطيك اللُّها[٤] ما سألتَه وإن أنت لم تسأل أميةَ أَضْعَفا

---

(١) في الطبري ٦/ ٤٣٣، و«المنتظم» ٦/ ٢٧٩: عبد الله.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٣٩ وما بين حاصرتين من (ص).

(٣) من قوله: هذا صورة... إلى هنا من (ص)، وانظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٣٠ (مخطوط).

(٤) جمع لُهوة، وهي أفضل العطايا وأجزلها.

ويعطيك ما أعطاك جَذلانَ ضاحكاً إذا عَبَسَ الجَزْلُ[(١)] اليدين وقَفقفا
هنيئاً مريئاً جُودَ كَفِّ[(٢)] ابنِ خالدٍ إذا المُمْسِكُ الرِّعْدِيدُ أعطى تَكَلُّفا

أسند أمية عن ابن عمر، وروى عنه عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وأبو إسحاق السَّبيعي، والمهلَّب بن أبي صُفرة.

[وقال ابن عساكر:] وهو الذي روى أن النبي ﷺ كان يستفتح العدوَّ بصعاليك المهاجرين[(٣)].

[وفيها توفّي]

عبد الله بن بُسر

ابن صفوان المازنيّ [وكنيته] أبو صفوان.

[وذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة، قال:] كان يصفّر رأسه ولحيته، وكان إذا مرّ بحجرٍ في الطريق نحّاه، وكان في جبهته أثر السجود.

قال: وقال محمد بن عمر: توفي سنة ثمان وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يوم مات ابنَ أربع وتسعين سنة[(٤)].

[هذا صورة كلام ابن سعد. وقال ابن البَرْقيّ: كنيته أبو بُسْر[(٥)]، وأسلم هو وأبوه وأمه.

وقال ابن عساكر: قال أبو زُرعة الدِّمَشقيّ: نزل الشام هو وعطيّة.]

وقال أبو نُعيم: [هو آخر من مات من الصحابة بالشام،] وصلى إلى القبلتين، ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه، وبارك عليه، ودعا له، ومات بحمص وهو يتوضأ للصلاة[(٦)].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٩ : الكز، وهو الأشبه، والكزُّ: قليل الخير.

(٢) في النسخ: كف جود، والمثبت من «تاريخ دمشق».

(٣) «تاريخ دمشق» ٣/ ١٢٨ وما بين معكوفين من (ص)، وجاء بعد ذلك فيها: قال: وذكر البخاري هذا الحديث في ترجمة أمية بن عبد الله. قلت: ولم يذكر البخاري هذا الحديث في ترجمة أمية من تاريخه الكبير ٢/ ٧ .

(٤) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١٦ ـ ٤١٧ وما بين معكوفين من (ص).

(٥) كذا قال، والذي في «تاريخ دمشق» ٤٣٥ (عبادة ـ عبد الله) أن ابن البرقي كناه بأبي صفوان.

(٦) «تاريخ دمشق» ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، وما بين معكوفين من (ص).

وقال الواقدي: سكن حمص، وغزا مع معاوية في البحر.

واختلفوا في وفاته؛ فحكينا عن ابن سعد أنه قال: مات سنة سبع وثمانين، وأنه عاش أربعاً وتسعين سنة. وقيل: مات سنة تسع وثمانين، وقيل: سنة سبع وستين، وقيل: في سنة أربع وتسعين أو ست وتسعين. قال أبو نعيم: عاش مئة سنة[١].

أسند عن النبي ﷺ أحاديث نحواً من عشرين.

ومن مسانيده [قال الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن بسر] أن النبي ﷺ قال: «بين المَلْحَمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح في السابعة»[٢].

عُمارة بن خُزيمة

ابن ثابت بن الفاكِه الأنصاري، أبو محمد، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمه الصَّعْبة بنت عامر بن زَيْد الخَطْمي[٣]، وكانت وفاته بالمدينة في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة.

سمع أباه، وعمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وعمرو بن العاص وغيرهم، وكان ثقةً قليلَ الحديث. وكان له من الولد: إسحاق، درج، وأمُّه عُبيدة بنت عبد الله بن ثابت، ومحمد وصفية، وأمهما وديعة بنت عبد الله بن مسعود بن عبد الله الخَطْمي، ومَنيعة وحَمَّادة لأم ولد.

فصل: وفيها توفي

قَبيصَة بن ذُؤيْب[٤]

ابن حَلْحَلَة بن عَمرو الخُزاعي.

وهو من الطبقة الأولى من أهل المدينة وفي الطبقة الثانية من أهل الشام من التابعين، ويكنى أبا إسحاق.

---

(١) من قوله: وقال الواقدي... إلى هنا من (ص)، وجاءت في النسخ مختصرة، وانظر «تاريخ دمشق» ٤٥١-٤٥٤، ٤٢٩.

(٢) مسند أحمد (١٧٦٩١) وما بين معكوفين من (ص).

(٣) كذا، وفي «طبقات ابن سعد» ٧/ ٧٤: وأمه صفية بنت عامر بن طعمة بن زيد الخطمي.

(٤) هنا ينتهي السقط في (ب) الذي أشير إليه في أواخر ترجمة المهلب سنة (٨٣).

وكان على خاتم عبد الملك بن مروان، وكان ثقة.

روى عنه الزهري، وتوفي قَبيصة بالشام سنة ست أو سبع وثمانين في آخر خلافة عبد الملك بن مروان.

وأما في طبقة المدينة فنسبه[١] إلى خزاعة. سمع من عثمان، وله دار بالمدينة في التمَّارين في زقاق النقَّاشِين، وتحول إلى الشام.

وكان آثَرَ الناس عند عبد الملك بن مروان، وكان على خاتمه، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على البريد، ثم يدخلها على عبد الملك فيخبره بما فيها.

ومات قبيصة بالشام سنة ست وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان.

وكان لأبيه ذُؤيب صُحبة، وكان يسكن قُديداً، وشهد الفتح مسلماً، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وله صحبة ورواية[٢].

وكان قبيصة ثقة مأموناً كثير الحديث.

هذا صورة ما ذكره ابن سعد، وقال ابن عساكر: قال أبو عبد الله[٣] الحاكم: ولد قبيصة على عهد رسول الله ﷺ عام الفتح، فأتي به رسول الله ﷺ فدعا له، وكان من علماء هذه الأمة.

وقال ابن عساكر: كان الزهري يقول: إنه معلّم كتَّاب[٤].

قال: وذكره أبو بكر بن عيّاش في العُور من الأشراف وقال: ذهبت عينه يوم الحرَّة[٥].

وقال أبو الزناد: كان قبيصة من فقهاء المدينة.

---

(١) يعني ابن سعد في طبقاته ٩/ ٤٥٠ و٧/ ١٧٤ ، وترجمة قبيصة أثبت فيها سياق (ص)، لتسلسله ووضوحه، وجاء في النسخ الأخرى دون هذا الترتيب والسياق.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٨٨ .

(٣) في «تاريخ دمشق» ١٤/ ٣٩٥ (مخطوط): أبو أحمد.

(٤) في «تاريخ دمشق»: عن جعفر بن عون قال: كان قبيصة بن ذؤيب معلم كتاب. وعن عبد الرحمن بن يوسف قال: قبيصة بن ذؤيب كان معلماً، والزهري كان معلماً.

(٥) «تاريخ دمشق» ١٤/ ٣٩٦ ، وانظر «البرصان» للجاحظ ٦٠٧ ، و«المعارف» ٥٨٦ .

وقال ابن عساكر: كانت له دار بدمشق بباب البريد موضع دار الحكم.

أسند قبيصة الحديث عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عوف، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، وابن عباس وغيرهم، وروى عنه ابنه إسحاق، ومكحول الشامي، ورجاء بن حَيْوة، وأبو الشَّعثاء، وأبو قِلابة وغيرهم.

وسكن دمشق، وليس له عَقِب[١].

[فصل: وفيها توفي]

مُطَرِّف بن عبد الله

ابن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحَريش، من بني عامر بن صَعْصَعة، أبو عبد الله الحَرشيّ، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة.

[وأثنى عليه العلماء؛ منهم ابن سعد فإنه قال:] كان له فضلٌ ووَرَعٌ ورواية وعقلٌ وأدب، وكان بعيداً من الفتن، قال: كنتُ في فتنة ابن الزبير تسعَ سنين، ما أخبرت فيها بشيء، ولا استخبرت عنها.

[وروى ابن سعد عنه أنه] قال: ما أوتي أحدٌ من الناس شيئاً أفضلَ من عقل، وعقول الناس على قَدْر زمانهم.

[قال:] وكان يقول: كأن القلوب ليست معنا، وكأن الحديث يُعنى به غيرنا، ولأن أُعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر.

وكان الطاعون إذا وقع تنحَّى.

وكان يخضب رأسَه ولحيته بالحِنَّاء والكَتَم، [وفي رواية: وكان يصفِّر لحيته[٢].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده إلى] سليمان بن المغيرة قال: كان مطرف بن عبد الله إذا دخل بيته سَبَّحت معه آنيةُ بيته[٣].

(١) انظر «المنتظم» ٦/ ٢٨٠، و«السير» ٤/ ٢٨٢، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ٣٩٢ (مخطوط).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٤٢_١٤٥ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) «الزهد» لأحمد ٢٩٦، وعنه أبو نعيم في حليته ٢/ ٢٠٥، و«المنتظم» ٦/ ٢٨١.

وقال ابن سعد: كان مطرف يلبس البَرانِسَ والمطارف، ويركب الخيل، ويغشى السلطان، غير أنك كنت إذا أفضيتَ إليه أفضيتَ إلى قُرَّةِ عين، وتزوَّج امرأة على عشرين ألفاً وزيادة(١).

[وروى عنه أبو نعيم أنه] قال: ما مَدحَني أحدٌ إلا تصاغَرت نفسي إليّ(٢).

[وروى عنه ابن أبي الدنيا أنه] وقف بعرفة وقال: اللهم لا تَرُدَّ هذا الجمعَ من أجلي.

ومات له ابن اسمه عبد الله، فخرج على الناس في ثيابٍ حسنة وقد ادَّهن، فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله ويخرج في مثل هذه الثياب؟! فقال: أفأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال؛ كلّ خَصلة أحب إليّ من الدنيا وما فيها، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة: ١٥٦](٣).

وكان يقول: حال ذِكْرُ النارِ بيني وبين الجنة.

[وروى عنه ابن أبي الدنيا أنه كان يقول:] لو علمتُ متى أَجَلي لخشيتُ على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنّى أحد بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

وكان يقول: إذا استوت علانية العبد وسريرتُه قال الله تعالى: هذا عبدي حقاً.

[وروى عنه أبو نعيم أنه] كان يقول: اللهم ارضَ عنا، فإن لم ترضَ عنا فاعفُ عنا؛ فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راضٍ عنه(٤).

وقال: إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة.

وكان مجاب الدعوة؛ [وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين بإسناده إلى] حُميد بن هلال قال: كان بين مطرِّف وبين رجل من قومه شيء، فكذب على مُطرِّف، فقال له مطرِّف: إن كنت كاذباً فعَجَّل الله حَتْفَك. فمات الرجل مكانَه، فاستعدى أهلُه

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٤٥ .

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ١٩٨ .

(٣) «المنتظم» ٦/ ٢٨١ ، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٤٩ .

(٤) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٠٧ وما بين معكوفين من (ص).

زياداً على مطرِّف، فقال لهم زياد: هل ضربه، هل مسه بيده؟ قالوا: لا، قال: دعوة رجل صالح وافقت قَدَراً، فلم يجعل لهم شيئاً(١).

وقال أبو نعيم: كان مطرِّف يسير بالليل [فأضاء له سَوْطه، وفي رواية:] فخرج النور من سَوْطِه.

[وروى أبو نعيم عنه أنه] قال لبعض إخوانه: إذا كان لك حاجة فلا تخاطبني بها، ولكن اكتبها في رقعة ثم ارفعها إلي؛ فإني أكره أن أرى في وجهك ذُلَّ السُّؤال، وقد قال الشاعر: [من الكامل]

ما اعتاضَ باذلُ وَجْهه بسُؤاله ... عِوَضاً وإن نالَ الغِنى بسُؤالِ
وإذا السؤالُ مع النَّوال وزنْتَه ... رجَحَ السُّؤالُ وخفَّ كلُّ نَوالِ
فإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وَجْهِك سائلاً ... فابذُلْه للمُتَكَرِّمِ المِفضالِ(٢)

[وحكى عنه ابن أبي الدنيا أنه] قال: إن هذا الموت قد نَغَّص على أهل النعيم نعيمَهم، فاطلبوا نعيماً لا موتَ فيه(٣).

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها، فقال ابن سعد: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أبو المَليح، حدثني رجل من أهل البصرة، عن ثابت البناني ورجل آخر قد سماه، أنهما دخلا على مطرِّف وهو مُغمًى عليه(٤)، فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالهم ذلك فقالوا: كيف تجدك؟ قال: صالحاً، قالوا: لقد رأينا شيئاً هالنا، قال: وما هو؟ قالوا: أنوار سطعت منك، قال: وقد رأيتم ذلك؟ قالوا: نعم، قال: تلك ﴿الٓمٓ تنزيل﴾ السجدة، وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صَعدت لتشفع لي، وهذه تبارك تحرسني.

(١) «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٥٤ وما بين معكوفين من (ص).
(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٠٥ و٢١٠، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٦٠-٤٦١.
(٣) «الزهد» لأحمد ٢٩٢، و«الحلية» ٢/ ٢٠٤، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٦٢، ٤٦٣.
(٤) في (أ) و(ب) و(خ) و(د): دخل عليه ثابت البناني ورجل آخر وهو مغمى عليه، والمثبت من (ص).

[وقال ابن سعد: قالوا:] ومات في ولاية الحجاج على العراق بعد الطاعون الجارف، وكان الطاعون في سنة سبع وثمانين في خلافة الوليد(١).

وكان أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة، وكان قد احتفر لنفسه قبراً، فكان كل يوم ينزل فيصلي فيه، ويقرأ القرآن، وأوصى أن لا يُؤْذَنَ بجنازته أحد(٢).

أسند عن عثمان، وعلي، وأُبيّ بن كعب، وأبي ذرّ، وأبيه عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهم.

وقال: أتيتُ الشام فدخلت المسجد، فإذا برجل يصلي يركع ويسجد ولا يَفْصِل، فقلت: لو قعدتُ حتى أُرشد هذا الشيخ، فلما سلَّم قلتُ له: يا عبد الله، أعلى شَفْعٍ انصرفتَ أم على وتر؟ قال: قد كُفيتَ؟ قلت: ومَن يكفيك؟ قال: الكرام الكاتبون، إني لأرجو ألا أكون ركعتُ ركعة، ولا سجدتُ سجدة؛ إلا كتب الله بها لي حسنة، وحطَّ عني سيئة أو خطيئة، فقلت: ومَن أنت؟ قال: أبو ذَرّ، فقلت: ثَكِلَتْ مُطَرِّفاً أُمُّه، يُعَلِّم أبا ذر صاحبَ رسول الله ﷺ السُّنَّة(٣)!.

وكان لمطرِّف إخوة، منهم: يزيد أبو العلاء، وهانىء، وكانا صالحين تقيين.

مات يزيد في سنة إحدى عشرة ومئة.

[وفيها توفي]

نَوْفَل بن مُساحِق

ابن عبد الله بن مَخْرَمَة القُرشيّ، [من بني عامر، وكنيته أبو مُساحِق، وذكره ابن سعد] من الطبقة الثانية من أهل المدينة، وولي القضاء بالمدينة(٤).

[وقال ابن عساكر:] كانت له دار بدمشق عند دار ابن أبي العقب [بسوق البزوريين،] وكان فاضلاً ورعاً.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٤٦ ، وانظر «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٦٥_٤٦٧ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٨٢ ، و«السير» ٤/ ١٩٤ .

(٢) هنا تنتهي ترجمته في (ص).

(٣) «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٤٢٢ .

(٤) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٨ وما بين معكوفين من (ص).

[وحكى الزبير بن بكار قال: كانت له منزلة من الوليد بن عبد الملك بن مروان،] وكان يلي الصّدقات فلا يدفع إلى الأمراء شيئاً، بل يصرفها إلى أربابها.

[وقال الزبير بن بكار:] كان الوليد مُغرًى بحبِّ الحَمام يلعب بها، فاتفق أن نوفلاً جاء يوماً إلى الوليد في أمر، والوليد عند الحمام، فأذن له فدخل، فلما رأى الحمام وَجَم، فقال له: يا نوفل، قد خصصتُك بدخولك علي وأنا على هذه الحالة لمنزلتك عندي، فقال: والله ما خَصَصْتَني ولكن خَسَسْتَني؛ لأن هذه عورة، وليس لمثلي أن يدخل عليك في مثل هذه الحالة، فغضب الوليد وسيَّره إلى المدينة[١].

أسند نوفل عن سعيد بن زيد [بن عمرو] رضي الله عنه وغيره، وكان صالحاً ثقة، وقيل: تأخر موته عن ذلك.

فصل: وفيها توفي

أبو الأبيض العَبْسِي[٢]

وقيل: اسمه عيسى، والأصح أنه مشهور بكنيته، وهو من التابعين[٣]، كان كثير الغَزْو.

[وحكى ابن عساكر قال:] غزا مَسْلمة والعباس بن الوليد الطُّوانة، وخرج معهما [أبو الأبيض]، فجاء رجل من الليل فقال: يا أبا الأبيض، رأيتُك في المنام وفي يدك قناة يضيء سِنانها مثل الكوكب، فقال: هي والله الشهادة، فلما أصبح لقي العدو، فانهزم المسلمون، فقاتل حتى قُتل.

[قال ابن عساكر:] حدّث عن أنس وحُذيفة واختصّ به فروى عنه الكثير، وروى عن أبي الأبيض إبراهيم بن أبي عَبْلة، وربعي بن حِراش، وكان ثقةً.

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٦٨٢، و«المنتظم» ٦/ ٢٨٢ وما بين معكوفات من (ص).

(٢) كذا في «تاريخ دمشق» ٦٦/ ٨، ومختصره ٢٨/ ١٢٦، وفي «تهذيب الكمال» (٧٧٨٧): العنسي.

(٣) من قوله: فصل وفيها توفي... إلى هنا من (ص)، وجاء في النسخ الأخرى مختصراً على: أبو الأبيض العبسي من التابعين.

السنة الثامنة والثمانون

[قال الواقدي:] وفيها ورد كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز في شهر ربيع الأول بهدم مسجد رسول الله ﷺ وبيوت أزواجه وإدخالها في المسجد.

قال الواقدي: فحدثني محمد بن جعفر بن وَرْدان بما في الكتاب، وفيه[1]: أن يشتري ما حول المسجد ونواحيه، حتى يكون مئتي ذراع في مثلها، ويأمره بتقديم القبلة، وأن يُقوّم الأماكن التي حول المسجد ويدفع الأثمان إلى أربابها؛ فقد سلف لنا في ذلك سلف صدق: عمر وعثمان. وبعث الوليد بالفَعَلة من الشام، فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس، وكان فيهم سالم، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجه بن زيد، وعبد الله بن عبد الله بن عمر وغيرهم، وأوقفهم على كتاب الوليد [وشرعوا في هَدْمه.

وأما هشام فروى عن أبيه قال: لما قرأ عليهم عمر كتاب الوليد] شقَّ عليهم، وهمّوا بالشَّغَب، فكتب عمر إلى الوليد يخبره ويقول: قد شقّ ذلك على المسلمين، وهذه حُجَر قصيرة السُّقوف، وسقوفها من جَريد النَّخْل، وحيطانها من اللَّبِن، وعلى أبوابها المُسوح، وتَرْكُها على حالها أولى؛ لينظر الحجاج والزوَّار والمسافرون إلى حُجَر أزواج رسول الله ﷺ، وعيش رسول الله ﷺ، فينتفعون بذلك، فلم يُجبه الوليد.

وكان الوليد قد كتب إلى ملك الروم يُخبره بذلك، فبعث إليه أربعين حِملاً من الفُسيفساء، وبمئة ألف دينار، ومئة صانع، فبعث الوليد بالجميع إلى عمر، وقال: اهدمْه، فلم يجد من هدمها بُدّاً، فلما شرعوا في الهَدْم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم صيحةً واحدة، مثل يوم مات فيه رسول الله ﷺ، وقال حبيب بن عبد الله بن الزبير: ناشدتك الله أن تهدم آية من كتاب الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية [الحجرات: ٤].

---

(١) من قوله: قال الواقدي فحدثني... إلى هنا من (ص)، بدله في النسخ: وفي الكتاب. وانظر الطبري ٦/ ٤٣٥ .

[وقيل: إن حبيباً كان بدمشق، فقال للوليد: لا تهدم آيةً من كتاب الله تعالى، فضربه الوليد حتى مات. والأصح أن حبيباً مات بالمدينة سنة ثلاث وتسعين.]

ودعا عمر أصحابَ المنازل التي أدخلها في المسجد، فدفع إليهم أثمانَها، ومن امتنع منهم أودع الثَّمن في بيت المال، فأخذوه بعد ذلك.

ثم جاء كتاب الوليد أن يبنيَ في المسجد بِرْكةً بفوّارة، ويساق إليها الماء من ظاهر المدينة ففعلوا. وقيل: إنما عمل عمر البِرْكَةَ ظاهر المسجد عند دار مروان، فلما حج الوليد رآها فأعجبته، فأقام عليها قُوَّاماً.

[قال الواقدي:] وفيها فُتح حصن الطُّوانة ـ وهو حصن عظيم ـ على يد مَسْلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وكانت الهزيمة أولاً على المسلمين، فكشف العباس رأسه وصاح: يا أهل القرآن، إليّ إليّ، فأقبلوا إليه فهزموا العدوّ، وكان الفتح. وكان فتحها في جمادى الآخرة، وشَتَوا بها.

[فصل]: وفيها وُلد الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

وفيها غزا قُتيبة ما وراء النهر، واستخلف على مَرْو بشار بن مسلم، ووصل إلى أعمال نُومُشَكَث، فأرسل إليه أهلها فصالحوه، فانصرف عنهم.

وكان على ساقته عبد الرحمن بن مسلم الباهلي، وجاء أهل فَرْغانة والسُّغْد فقاتلوه، فأرسل إلى قتيبة يخبره وبينهما قَدْر مِيل، فعاد قتيبة إليهم وعبد الرحمن يقاتلهم، وكان نيزك يومئذ مع قتيبة، فقاتل قتالاً شديداً، فانهزم العدو وكانوا في مئتي ألف، عليهم ابن أخت ملك الصين، ويقال له: كوربغانون، وعاد قتيبة سالماً غانماً، فقطع النهر من التِّرمِذ، ثم أتى إلى مَرْو.

[فصل]: وفيها كتب الوليد إلى البلدان بأن يُجرى على المُجَذَّمِين والعميان أرزاقاً، ولمن يقودهم ويقوم بحوائجهم ومصالحهم.

واختلفوا فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة على أقوال؛ أحدها: عمر بن عبد العزيز، قاله الواقدي[١]،

وأحرم من ذي الحُلَيفة، وأحرم معه وجوه الناس، وساق بُدْناً، فلما كان بالتَّنْعيم لقيه عبد الله بن أبي مُلَيكة، فأخبره أن مكة قليلة الماء والمطر، وأنهم يخافون على الحاجّ العطش، فقال عمر ﷺ: فالمَطْلَب ههنا بيِّن، فتعالوا نَدْعُ الله، فدعا وأمَّنوا، فما وصلوا البيت إلا وقد جاءت سحابة، وسال الوادي سيلاً خافوا منه الغرق، ومُطِرت مِنًى وعَرفة وجميع تلك الأماكن، وأخصبت مكّة.

والثاني: عمر بن الوليد بن عبد الملك، قاله أبو مَعْشر[٢].

والثالث: الوليد بن عبد الملك، حكاه المسعودي، والأوّل أصحّ.

وكان العمال في هذه السنة الذين كانوا في السنة الماضية.

فصل: وفيها توفي

عبد الله بن أبي قتادة

ابن رِبْعيّ بن بَلْدَمة الأنصاريّ الخَزْرَجيّ، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه سُلافَة بنت البراء بن مَعْرور [بن صَخر، من بني سَلِمة]، وكانت وفاتُه بالمدينة.

أسند عن أبيه، وكان ثقةً قليلَ الحديث، وكُنيته أبو يحيى، وله عَقِب.

وأخوه ثابت بن أبي قتادة، [وكنيته] أبو مصعب، من الطبقة الثانية أيضاً، وتوفي في خلافة الوليد بن عبد الملك [أيضاً].

وأخوهما: عبد الرحمن بن أبي قتادة، قُتل يوم الحَرَّة [وقد ذكرناه][٣].

---

(١) في النسخ خلا (ص): وحج بالناس عمر بن عبد العزيز ﷺ.

(٢) من قوله: والثاني... إلى هنا من (ص)، بدله في النسخ: وقيل حج عمر بن الوليد وقيل الوليد بن عبد الملك، والأول أصح. وانظر «الطبري» ٦/ ٤٣٧-٤٣٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٨٨.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٦٩-٢٧٠ وما بين معكوفين من (ص).

السنة التاسعة والثمانون

[قال الواقدي:] وفيها افتتح العباس بن الوليد ومَسْلَمة [بن عبد الملك] سورية وعَمُّوريَّة وهِرَقْلَة وغيرها، ووصل مسلمة إلى أَذْرَبيجان، وبلغ قلعة باب الأبواب، وفتح حصوناً كثيرة.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بُخارى وما وراء النهر، وفتح راميثنة، والتقى بوَردان خُداه ملك بخارى، واقتتلوا على مكان يقال له: خَرْقَان، وقال نهار بن تَوْسِعة: [من الطويل]

وباتت لهم[1] منا بخَرْقان ليلة ... وليلتُنا كانت بخَرقانَ أطوَلا

ورجع قتيبة إلى مَرْو.

[وقال الواقدي:] وفيها ولّى الوليد خالد بن عبد الله القَسْرِيّ مكة، فلما قدمها خطب فقال: أيها الناس، أيُّما أعظم: خليفةُ الرجل على أهله، أم رسولُه إليهم؟ وإن إبراهيم خليل الرحمن استسقى، فسقاه الله مِلْحاً أُجاجاً، واستسقى الخليفة اللهَ فسقاه عَذْباً فُراتاً ـ أشار إلى بئرٍ حفرها الوليد بين ثَنِيَّة طُوى وثَنِيَّة الحَجُون، فكان يُنقل ماؤها فيوضع في حَوضٍ من أَدَم إلى جنب زَمْزم، ليُعرف فَضْلُه على زمزم، ثم غارت البئر، وذهب ماؤها فلم يوقف له على خَبر.

وقيل: لما قال خالد ذلك القول أصبح الناس وقد عُدمت البئر؛ فلا يُدرى أين كانت.

وقيل: إنما كانت ولاية خالد مكة سنة إحدى وتسعين[2].

وحجّ بالناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالاتّفاق.

(١) في النسخ غير (ص) فليس فيها الخبر: يناهم، والمثبت من الطبري ٦/ ٤٣٩.

(٢) وإلى ذلك ذهب ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٢٩٩، وتابع المصنف الطبري في ذكره هنا، انظر تاريخه ٦/ ٤٤٠.

فصل: وفيها توفي

عبد الله بن ثعلبة

ابن صُعَير بن عمرو، أبو محمد العُذْريّ.

[ذكره ابن سعد] في الطبقة الخامسة فيمن مات رسول الله ﷺ وهم أحداث[(١)] الأسنان، [ونسبه إلى قضاعة، قال: وكان أبوه ثعلبة بن صُعَير شاعراً. قال: وقد رأى عبد الله رسول الله ﷺ.

وقال ابن سعد بإسناده إلى الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير] قال: أعْقِلُ مسحةً مسحَها رسول الله ﷺ على رأسي.

[وقال ابن سعد بإسناده إلى الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير] قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أخرجوا زكاة الفطر صاعاً من بُرٍّ، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تَمر، عن كلِّ صغير وكبير، حرٍّ أو عبد».

وقد روى عبد الله بن ثعلبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

ومات في سنة سبع وثمانين بالمدينة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. [هذا صورة ما قاله ابن سعد[(٢)]]. وقيل: سنة تسع وثمانين وله ثلاث وتسعون سنة.

[واختلفوا فيه؛] فقيل: ولد عام الفتح، وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين أو أربع.

[وحكى ابن عساكر عن المفضّل بن غسّان قال:] هو ابن أخت أبي هريرة وحليفُه، وكان حليفاً لبني زُهرة، فمن هنا قال الزهري: حدثنا ابنُ أختٍ لنا[(٣)].

---

(١) في (ص): حدثاء، وما بين معكوفين منها، وانظر «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٥٥.

(٢) في طبقاته ٦/ ٥٥٦.

(٣) جمع المصنف هنا في نقله عن ابن عساكر بين خبرين، أولهما من طريق ا لأحوص بن المفضل الغلابي، عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري حدثني عبد الله بن ثعلبة بن صعير وقد كان النبي ﷺ مسح وجهه زمن الفتح، وهو ابن أخت أبي هريرة وحليفه، «تاريخ دمشق» ٣١/ ٤٨٠-٤٨١.
والثاني من طريق الأحوص بن المفضل، عن أبيه، عن الواقدي قال: كان عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليفاً لبني زهرة وأمه منهم، وقد مسح النبي ﷺ على وجهه فمن ههنا قال الزهري: حدثني ابن أخت لنا. «تاريخ دمشق» ٣١/ ٤٧٥.

[وقال ابن أبي خيثمة[١]:] وسبب مجالسة الزهري لعبد الملك أنه تعلم النسب من عبد الله بن ثعلبة.

قال: وقال الزهريّ: تعلَّمنا منه الأنساب وغيرها، وسألتُه عن شيء من الفقه فقال: عليك بهذا الشيخ، يعني: سعيد بن المسيّب.

[فصل: وفيها توفي]

عِمْران بن حِطّان

السَّدوسيّ الخارجي، كان شاعر الخوارج[٢].

[وقال أبو بكر الخرائطي بإسناده إلى أبي الحسن المدائني قال:] دخل عمران يوماً على امرأته جَمْرة وقد تزيَّنت، وكانت جميلة حسناء، وكان عمران قبيحاً دميماً قصيراً، فلما نظر إليها ازدادت في عينه حُسناً، فجعل يُديم النَّظرَ إليها، فقالت: ما شأنُك؟ فقال: قد أصبحتِ والله جميلة، فقالت: أبشِر فإني وإياكَ في الجنة[٣]، قال: ومن أين علمتِ؟ قالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وابتُليتُ بمثلك فصبرتُ، والصابر والشاكر في الجنة، فقال لها وقد خجل: لا، بل مَثَلي ومَثَلُكِ كما قال الأحوص: [من البسيط]

إن الـحُـسـامَ وإن رَثَّـتْ مَـضـارِبُـه ... إذا ضـربْـتَ بـه مَـكـروهَـةً قَـتَـلا

فإياك العَوْدَ إلى مثلِ ما قلتِ مرةً أُخرى.

أسند عمران الحديث عن أبي موسى، وابن عمر، وعائشة، وروى عنه محمد بن سيرين[٤].

---

(١) عن مصعب بن عبد الله كما في «تاريخ دمشق» ٣١/ ٤٨١ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) بعدها في (أ) و(خ) و(ب) و(د): روى عن أبي موسى وعائشة ﵄ وغيرهما. وسأثبتها آخر الترجمة نقلاً عن (ص) فسياقها أتم.

(٣) هنا ينتهي ما لدينا من نسخة (ب).

(٤) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٥٥، و«تاريخ دمشق» ٥٢/ ٢٣٨، و«المنتظم» ٦/ ٢٩١، و«السير» ٤/ ٢١٤.

[فصل: وفيها توفي]

يحيى بن يَعْمَر

أبو سليمان اللّيثيّ البَصريّ، وهو أول من نقط المصاحف.

وكان عالماً بالقرآن والعربية.

[وقد ذكرنا أن الحجاج أخرجه إلى خراسان،] وولاه قضاء مرو، فأقام بها، وكان يقضي بالشاهد واليمين.

وقال موسى بن يَسار: رأيتُ يحيى قاضياً بمرو، وربما رأيتُه يقضي في السوق والطريق، وربما جاءه الخصمان وهو راكب على الحمار، فيقف فيقضي بينهما.

وكانت وفاته بمرو، وقيل: بالبصرة، والأول أصح.

أسند الحديث عن ابن عمر، وابن عباس، وأخذ العربية عن أبي الأسود الدُّؤلي، وروى عنه عبد الله بن بُرَيدة، وإسحاق بن سُوَيد[١].

السنة التسعون من الهجرة

وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله عن مصر، وولّى عليها قُرَّة بن شَريك، فولّى قُرَّة أبا عبد الرحمن الخَولاني على قضاء مصر، واسم الخولاني: عبد الله بن عبد الرحمن بن حُجَيْرة[٢]، وكان أبوه قاضي مصر، وقيل: إنما ولّاه الوليد.

وهو الذي قدم على سليمان وعمر بن عبد العزيز ببيعة أهل مصر، وكان زاهداً عابداً ورعاً.

[وحكى ابن عساكر عن] إبراهيم بن نَشيط قال: دخلتُ عليه وهو على قضاء مصر، فقدّم إليّ عدساً بارداً على طبق من خُوص، وفيه كعك يابس، فقلت: ما هذا؟ فقال: بُلَّ الكعك بالماء، وكُلْه بالعدس، فلم تتركنا إقامة الحقوق نشبع الخبز.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٣٧٢ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٢ ، و«السير» ٤/ ٤٤١ والمصادر في حواشيهما، وما بين معكوفين من (ص).

(٢) في (أ) و(خ) و(د): فولى قرة عبد الله بن عبد الرحمن بن صخرة الخولاني، والمثبت من (ص)، وانظر أخبار الخولاني في مختصر «تاريخ دمشق» ١٢/ ٣٣٥ ، و«تهذيب الكمال» (٣٣٦٥) وفروعه.

وصُرف بالقاضي عِياض بن عبد الله الأَزديّ من قبل قُرَّة في سنة ثلاث وتسعين، فكانت ولايتُه ثلاث سنين، وأقام عياض أربع سنين، ثم صُرف عنها، فوليها عبد الله ابن حُجَيرة[1] ثانياً في رجب سنة سبع وتسعين من قبل الأمير عبد الملك بن رِفاعة، ثم صرف عنها في سنة ثمان وتسعين.

وكان ثقةً من التابعين.

وفيها فتح قُتيبة بن مُسلم بُخارى، ولما قطع قتيبة النهر قاصداً بخارى استنجد عليه وَرْدان خُداه صاحبها السُّغْدَ والتُّركَ ومَن حوله، فأتوه، فسبقهم قتيبة فحصرهم، وجاءت الأمداد، وخرج وَرْدان خُداه، وحملوا جميعاً على المسلمين فحطموهم، ودخلوا الخيام، وقاتلهم النساء، ثم عاد المسلمون عليهم فأخرجوهم وألحقوهم بمواقفهم.

ورجع قتيبة إلى مرو بعد أن فض جموع أهلِ بخارى، وصالح ملك السُّغْد، وعاد نيزك مع قتيبة.

وقيل: إنه فتح بُخارى وحصونَها في هذه السنة.

ولما رأى نيزك ما فتح قتيبة خاف على بلاده، واستأذنه في العود إلى بلاده فأذن له، فلما سار متوجهاً إلى بلاده قال لأصحابه: إن العربي بمنزلة الكلب، إن ضربتَه نبح، وإن أطعَمتَه بَصْبَص، وقتيبة كذا، يقصد الملوك، فإن أعطوه شيئاً أخذه ورجع عنهم.

ثم إن قتيبة ندم على ترك نيزك، فأرسل خلفه رسولاً ففاته، ولما وصل نيزك إلى مأمنه كاتب ملوك ما وراء النهر، واتفقوا على غزو قتيبة في أيام الربيع، ويقال: إن قتيبة سار إلى الطَّالَقان، فقاتلهم فنُصر عليهم، فنصب منهم[2] سِماطَين أربعة فراسخ على أسلوب واحد، وقيل: إنما كان ذلك سنة إحدى وتسعين.

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج إلى الشام، وكان قد حبسهم وضيّق عليهم، وقيل: كان ذلك في سنة أربع وتسعين، وهو الأصح وسنذكره هناك.

وحجّ بالناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان على المدينة.

---

(١) نسبه إلى جده، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة. السالف ذكره.

(٢) في الطبري ٦/ ٤٤٧ : فصلب منهم.

وكان على مكة والطائف خالد بن عبد الله القَسْرِيّ[١]، وعلى العراق والمشرق الحجاج، وعلى مصر قُرَّة بن شَريك، وعلى الجزيرة محمد بن مروان.

وكان العباس بن الوليد ومَسْلَمة بن عبد الملك قد دخلا بلاد الروم، وقيل: إن مَسلمة كان في ناحية القُسطَنطينيّة، وبلغ [العباس بن] الوليد إلى أَرْزَن الروم[٢].

[فصل] وفيها توفي

أبو ظَبْيان

حُصَين بن جُنْدب الجَنْبِيّ المَذْحِجِيّ الكوفيّ.

[وذكر ابن سعد أبا ظَبيان] في الطبقة الثالثة [من أهل الكوفة] من التابعين[٣].

[وقال الواقدي:] غزا الصائفة مع يزيد بن معاوية سنة خمسين حتى بلغ القسطنطينية.

[وقال ابن سعد:] توفي سنة تسعين، وقيل: سنة خمس وتسعين.

أسند عن علي، وعثمان، وسلمان، وأسامة بن زيد، وجرير، وابن عباس رضي الله عنهم.

وروى عنه ابنه قابوس، والنَّخَعي، والشَّعبيّ، والأعمش. وكان ثقة.

[فصل: وفيها توفي]

خالد بن يزيد

ابن معاوية [بن أبي سفيان، وكنيته] أبو يزيد[٤]، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الشام، وأمه أمُّ هاشم بنت [أبي هاشم بن] عُتبة بن ربيعة[٥]. وهي ابنة خال معاوية ابن أبي سفيان، ويقال لها: أم خالد.

---

(١) كذا، وفي الطبري ٦/ ٤٤٧، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٦ أن عمر بن عبد العزيز كان عامل الوليد على المدينة ومكة والطائف.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٤٢ وما بين معكوفين منه.

(٣) كذا نقل عن ابن سعد، والذي في طبقاته ٨/ ٣٤٤ أنه في الطبقة الأولى من أهل الكوفة ممن روى عن علي عليه السلام، وفي «تاريخ دمشق» ٥/ ١٤٩ (مخطوط) نقلاً عن ابن سعد أنه في الطبقة الثانية. وما بين معكوفين من (ص)، وانظر «السير» ٤/ ٣٦٢.

(٤) في مصادر ترجمته: أبو هاشم، انظر «المعارف» ٣٥٢، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٩، و«تاريخ دمشق» ٥/ ٥٧٩، و«تهذيب الكمال» (١٦٤٩)، و«السير» ٤/ ٣٨٢ والمصادر في حواشيه، وما بين معكوفين من (ص).

(٥) ما بين معكوفين من «نسب قريش» ١٢٨، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥.

[قد ذكرنا من أخباره عند بيعة مروان بن الحكم.

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو بكر الصولي أنه كان مولعاً بالكيمياء، وكذا قال جدّي في «المنتظم» لأنه قال:] كان من رجالات قريش، والمعدودين من كبرائهم سماحة وفصاحة وعقلاً، وكان قد شغل نفسه بالكيمياء، فضاع زمانُه[١].

وقيل: إن له في الكيمياء قصيدة طويلة.

وقد أنكر قوم هذا؛ فقال المَرْزُباني: كان خالد أعقل من ذلك، وإنما كان له مال كثير فنسب إلى ذلك، وإلا فهو أجلُّ من أن يُضيع عمره في ما لا محصول له، ويذهب بالمال والدين والعرض، وقد قيل عنه: إنه كان يشتغل بالنجوم.

وقال الشعبي: قدم الحجاج على عبد الملك، فمر بخالد وهو يتبختر في مشيته، فقال رجل لخالد: مَن هذا؟ فقال خالد كالمستهزىء به: هذا عمرو بن العاص، وسمعه الحجاج فالتفت إلى خالد وقال: ما أنا عمرو بن العاص، ولكني ابن الغَطاريف من ثَقيف، ضربتُ بسيفي مئةَ ألف؛ كلُّهم يَشهدون أن أباك وجدَّك في النار، ثم لم أجد لذلك عندك شُكراً إلا أن تستهزىء بي! فقال له خالد:

أما قولك: إنك ابن الغَطاريف؛ فما أنت إلا عبد من عبيد ثقيف من بقايا ثمود، وينتهي نسبُك إلى أبي رِغال، وأما قولك: إنك ضربتَ بسيفك مئة ألف؛ فما كان سيفك، وإنما كان سيف عبد الملك، وإلا فاذكر طَعنات غزالة في قَفاك وهي على باب القصر في خمسين فارساً، وأنت في خمسين ألفاً، ثم لك عندي بشارتان، قال: وما هما؟ قال: إخبار رسول الله ﷺ أنك مُبير، والثانية النار، فوَجَم الحجاج ومضى.

وقال هشام[٢]: أمهر الحجاجُ ابنةَ عبد الله بن جعفر سبعين ألف دينار، فزوّجه إياها، وبلغ خالداً، فطرق باب عبد الملك ليلاً، فأذن له فقال: يا أبا يزيد، ما هذا الطُّروق؟ قال: أمر لا يُنتَظرُ له الصّباح، قال: وما هو؟ قال: هل علمتَ أن أحداً كان

---

(١) «المنتظم» ٦/ ٢٣٦ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) الخبر في «العقد الفريد» ٦/ ١٢٢ عن العتبي، عن أبيه.

بينه وبين أحد من العداوة مثل ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير؟ قال: لا، قال: فقد تزوَّجتُ منهم، وما في الدنيا اليوم قبيلة أحبّ إليّ منهم، فكيف تركتَ الحجاج يتزوج إلى بني هاشم، وهو سَهْمٌ من سهامك، وقد علمتَ ما يقال لبني هاشم: إنهم يملكون الناس في آخر الزمان، وقد ولَّيتَ الحجاج على نصف الدنيا، وبيده الأموال، وعنده الرجال؟! فجزاه عبد الملك خيراً وقال: وصلتك رَحِم، وكتب إلى الحجاج يَعْزِم عليه بطلاق بنت ابن جعفر، فطلّقها.

وبلغ الحجاج الخبر فأخذ يذم خالد بن يزيد ويقول: صيَّر الأمر إلى من هو أولى منه، ولم يكن لذلك أهلاً، فقال له عَمرو بن عُتبة بن أبي سفيان: ليس كما قلت، إن خالداً أدرك مَن كان قبله، وأتعب مَن بعده، ولو رام الأمر لما فاته، ولكنه رأى أن يُسلمه إلى من سَلّمه إليه، فخجل الحجاج وقال: يا عمرو، إنا نَخْبُرُكم بأن نعتب عليكم، ونستنطقكم لننال منكم، وقد علمنا أنكم تحبون الحلم فعرضنا عليكم ما تحبون(١).

وقال الزهري(٢): غضب عبد الملك على خالد بن يزيد، وكان يخاف منه لميل الناس إليه، فمنعه العطاء، ومنع آل حرب أيضاً، وضيّق على خالد فلم يلتفت خالد وقال: أيتَهَدَّدُني عبد الملك بالحرمان ويد الله فوق يده، وعطاؤه مَبذولٌ دون عطائه، ومن سأل غيره فقد بذل نفسه أكثر مما أخَذَ لها.

وقال هشام بن الكلبي: أجرى عبد الله بن يزيد بن معاوية ـ وهو أصغر الأصاغر، ويُلقَّب بالأُسْوار ـ خيلَه مع خيل الوليد بن عبد الملك، فسبقه عبد الله، فلقي الوليد خيلَ عبد الله فعقَرها، فقال عبد الله لأخيه خالد: لقد هممتُ اليوم أن أقتل الوليد، فقال خالد: بئس ما هَمَمْتَ به، أتقتل ابنَ أمير المؤمنين ووليَّ عهد المسلمين؟ فقال: إن خيلي سبقت خيله فعقَرها، فدخل خالد على عبد الملك فقال له: إن الوليد عَقَر

(١) في «العقد»: إنا نسترضيكم بأن نعتب عليكم، ونستعطفكم بأن ننال منكم، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا فتعرضنا للذي تحبون.

(٢) هذا الخبر وتاليه في «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٤-٥٨٥ (مخطوط) عن المدائني، وما سيرد بين معكوفين منه.

خيلَ أخي! فقال عبد الملك: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[النمل: ٣٤]، فقال خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾[الإسراء: ١٦]، فقال له عبد الملك: أتُناظر عن أخيك وهو لُحَنَة، قد أعياكم تقويمُ لسانه؟! فقال خالد: أعيانا ما أعياك من الوليد ـ وكان لُحَنَة ـ فقال عبد الملك: إن يكن الوليد لَحَّانا فإن سليمانَ لفصيح، فقال خالد: إن يك عبد الله لحاناً فإن خالداً لا يَلْحَن، فقال عبد الملك: حُقَّ لمن قتل عَمرو[1] أن يفخر، يريد نفسه، فقال له خالد: إن الغَدْرَ سُبَّة، ولَمَروان كان أطولَ باعاً، يعني أن أُمَّه قتلته[2]، فقال عبد الملك: إنني لأرى ثأري في مروان صباحاً ومساءً، ولو شئتُ لأزلتُه، يعني أن أم خالد قتلته، فقال له خالد: إذا شئت أن تطفىء ثُؤَرَتك فافعل، فقال عبد الملك: يا خالد ما أجرأك علي! خلني عنك، فقال خالد: لا والله ألم تسمع قول القائل: [من الخفيف]

ويــجــرُّ الــلِّــســانُ مــن أَسَــلَاتِ الــحَــرْ ـبِ مــا لا يَــجُــرُّ [مــنــهــا] الــبَــنــانُ

وكان الوليد بن عبد الملك حاضراً فقال له: يا خالد، أتتكلّم ولستَ في العِير ولا في النَّفير؟ فقال خالد: يا وليد أنا والله ابنُ العِير والنَّفير، سيد العير جَدِّي أبو سفيان، وسيد النَّفير جدي عُتبة بن ربيعة، ولكن اذكروا غُنَيمات وحُبَيلات بالطائف، وترحّموا على ابن عفان ـ أشار إلى نَفْي رسول الله ﷺ الحكم جدّ عبد الملك إلى الطائف، يرعى غُنيمات، ويأوي إلى حُبَيلات، وهي الكُرُوم، جمع حَبَلة ـ فقال عبد الملك: يا وليد، إياك أن تعبث بعدها بأخيك وابن عمك خالد، فإن أباه كان يُكرم أباك، وكان جده يُكرم جدَّك.

وقال أبو اليقظان: كان خالد على حمص فبنى جامعَها، وكان له فيه أربع مئة عبد يعملون، فلما فرغوا من العمل وتم البناء أعتقهم.

وقال الزبير بن بكار: كان خالد وأخواه عبد الله وعبد الرحمن من صالحي القوم،

(١) يعني ابن سعيد الأشدق. وانظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٢ ، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٧ـ٣٤٨ .

(٢) وكانت أمُّ خالد بن يزيد غَمَّتْ (أو سَمَّتْ) زوجَها مروان بن الحكم لَمَّا عيَّر ابنَها خالداً بها. ينظر أنساب الأشراف ٤/ ٤٠٣ .

وجاءه رجل فقال: قد قلتُ فيك بيتين، فقال: أنشِدْهما، فقال: على حُكمي؟ قال: نعم، فأنشده: [من الطويل]

سألتُ النَّدى والجُودَ حُرَّانِ أنتُما ... فقالا جميعاً إننا لعَبيدُ
فقلت فمَن مولاكما فتطاولا ... عليَّ وقالا خالدُ بنُ يزيدِ[1]

فأعطاه مئة ألف.

[قلت: وقد جرى مثل هذا ليحيى بن خالد بن برمك.]

وقال العُتْبيّ: لزم خالد بيته، وترك مجالسة الناس، فقيل له في ذلك فقال: وهل بقي إلا حاسِدُ نعمةٍ، أو شامتٌ بنَكْبَة[2].

وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً، ذكر البَلاذريُّ من شعره[3]: [من مجزوء الكامل]

قَصْرُ الجديدِ بِلًى وقَصْرُ الـ ... ـعَيشِ في الدنيا انقِطاعُهْ
مَن نال في الدنيا متا ... عاً ثم دامَ به انتِفاعُهْ
أم أيُّ شِعْبٍ ذي التئا ... مٍ لم يُشَتِّتْه انصِداعُهْ
والأوَّلُ الماضي الذي ... حَقٌّ على الباقي اتِّباعُه
قد قال في أمثالِه ... يَكفيك من شَرٍّ سَماعُه

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها؛ ذكر الواقدي أنه] مات في سنة تسعين بدمشق، فمشى الوليد في جنازته، وصلى عليه وقال: لتُلْقِ بنو أمية أرديتَها على خالد، فلن يَحسروها على مثله[4].

[وقال هشام:] مات بالصُّبَيْرة[5] في أيام عبد الملك سنة أربع وثمانين هو وأمية بن عبد الله بن خالد بن أَسيد، والأول أصح.

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٥٨٤ (مخطط). وفي البيت الثاني إقواء.

(٢) «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٤، ٥٨٦ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٧.

(٤) «تاريخ دمشق» ٥/ ٥٨٧ وفيه: فلن يتحسروا على مثله.

(٥) في النسخ: بالصَّنَّبْرَة، والمثبت من (ص) وما بين معكوفين منها، والصنبرة: موضع بالأردن. والصبيرة: موضع بالشام. ينظر معجم البلدان ٣/ ٣٩٢ و٤٢٥.

ذكر أولاده وأزواجه:

كان له من الولد: سعيد، وأُمُّه أَمَة[١] بنت سعيد بن العاص، وأمُّها أمُّ عمرو بنت عثمان بن عفان، وأمها رَمْلَة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وقيل: اسمها آمنة بنون[٢]، طلَّقها خالد وقال: [من الكامل]

أعطيتُ آمنةَ الطَّلاقَ عَزيمةً[٣] عندي ولم يَكْبُرْ عليَّ طَلاقُها

ولأَضْرِبَنَّ بحَبْلِ أُخرى فوقَها يوماً إذا لم تَستَقِمْ أخلاقُها

فتزوَّجها الوليد بن عبد الملك، وهي أخت عمرو بن سعيد الأشدق، ولما مات عبد الملك لم تَبْكِ عليه، فقال لها الوليد: أشماتةً بأمير المؤمنين؟ هلا بكيتِ عليه؟ فقالت: حتى يقتل لي أخاً آخر[٤]، فقال الوليد: والله لقد كسرنا ثناياه، فقالت: لقد علمتَ مَن قنعت السيوفُ رأسَه، والرماحُ اسْتَه، ـ تعني الوليد يوم قُتل عمرو ـ فقال لها: الحقي بأهلك، فقالت: ألذُّ من الدنيا وأُسَرّ.

وكان لخالد من الولد: يزيد بن خالد، لأمّ وَلَد، وكان جواداً مُمَدَّحاً، أحد وجوه بني حَرْب، بايع مروان بن محمَّد الجَعْديّ بالخلافة سنة سبع وعشرين ومئة.

وقف موسى شَهَوات ليزيد بن خالد في الطريق، فلما مَرَّ به أخذ بعِنان دابَّته وقال: [من الخفيف]

قُم فَصَوِّت[٥] إذا أتيتَ دِمَشْقاً يا يزيدَ بنَ خالدِ بن يزيدِ

يا يزيدَ بنَ خالدٍ إن تُجِبْني يَلْقَني طائري بسَعْدِ السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال: كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك، فقال موسى:

---

(١) «تاريخ دمشق» ص ٤١ (تراجم النساء)، وفي «الأغاني» ١٧/ ٣٤٥: أمية، وهذا الفصل بتمامه ليس في (ص).

(٢) وهي كذلك في «نسب قريش» ١٣٠، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٥.

(٣) كذا، وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٦، و«تاريخ دمشق» ٤١ (تراجم النساء): كريمة، وهو الأشبه.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٤٢ (تراجم النساء): وما أقول له إلا أن أدعو الله أن يحييه حتى يقتل لي أخاً آخر.

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٥: ثم صوت، وفي «نسب قريش» ١٣٠، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٧١ (مخطوط): ثم نادي.

كـنـتُ أرجـو نَـدَاكَ والـشـامُ دونـي كـرَجـاءِ الأسـيـرِ فَـكَّ الـقُـيـودِ
ثـم لـم يُـخـلـف الـرّجـاءَ ولـكـن زاد فـوق الـرَّجـاءِ كـلَّ مَـزيـدِ

ومن أولاد خالد: حَرْب بن خالد لأُمِّ ولد، وكان جواداً مُمَدَّحاً، قدم عليه داود بن سَلْم الشاعر، فقام غلمانه إليه، فأخذوا دوابَّه، وأنزلوه وأكرموه، فقال: [من المتقارب]

ولـمـا دفـعـتُ لأبـوابـهـم ولاقـيـتُ حَـرْبـاً لـقـيـتُ الـنَّـجـاحـا
وَجَـدْنـاه يَـحْـمَـدُه الـمُـرْتَـجـون ويـأبـى عـلـى الـعُـسْـرِ إلا سَـمـاحـا

فأجازه جائزةً سَنيّة، وارتحل فلم يقم إليه أحد من غِلمانه ولا عاونوه، فقال: ما بالكم؟ فقالوا: نحن نُكرم من ينزل بنا، أما إذا رحل عنا فلا.

فلما قدم داود المدينة حكى للغاضِرِيّ فِعلَ غلمان حَرْب، وأنشده البيتين، فقال: والله إنَّ فِعلَ غِلمانه معك أحسن من شعرك فيه[١].

قال ابن عساكر: وكان لخالد ولد يقال له[٢]: عبد الله لأم ولد، وكان له ولد اسمه علي بن عبد الله، يُعرف بأبي العَمَيْطَر، خرج في أيام المأمون بدمشق، وسنذكره.

قصة تزويج خالد بن يزيد برَمْلَة بنت الزبير بن العوَّام:

ذكر الخرائطي ـ وقد تقدم إسنادنا إليه ـ فقال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، حدثنا هشام، عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى قال[٣]: حجّ عبد الملك بن مروان، وحج معه خالد بن يزيد ـ وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ـ فبينا هو يطوف بالبيت إذ بَصُر برَمْلَة بنت الزبير، فعشقها عِشقاً شديداً، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكّناً.

فلما أراد عبد الملك القُفول همَّ خالد بالتخلف عنه، فوقع بعبد الملك تُهمة، فبعث إليه فسأله عن أمره فقال: يا أمير المؤمنين، رَمْلَة بنت الزبير، رأيتُها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عِيل صبري، ولقد عرضت النّومَ على

(١) «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٦ـ٤٠٧ ، و «تاريخ دمشق» ٤/ ٣١٧ـ٣١٨ (مخطوط).
(٢) في (أ) و(د): ولد اسمه. وانظر «تاريخ دمشق» ٣٣/ ٢٣٥ .
(٣) من قوله: ذكر الخرائطي... إلى هنا من (ص)، بدله في النسخ: قال معمر بن المثنى.

عيني فلم تَقبَلْه، والسُّلُوَّ على قلبي فامتنع منه، فأطال عبد الملك التعجُّبَ من ذلك وقال: ما كنت أقول إن الهوى يَستَأسِر مثلَك، فقال خالد: وإني والله لأشَدُّ تعجُّباً من تعجُّبِك مني، ولقد كنت أقول: إن الهوى لا يتمكَّن إلا من صِنفين من الناس: الشعراء والأعراب.

فأما الشعراء فإنهم قد ألزموا قلوبَهم الفِكرَ في النساء والغَزَل، فمال طَمَعُهم إلى النساء، فضَعُفَتْ قلوبُهم عن دَفْعِ الهوى، فاستسلموا إليه مُنقادين.

وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته، فلا يكون الغالب عليه غير حبِّه لها، ولا يشغله عنها شيء، فضَعُفوا عن دفع ذلك، فتمكَّن من قلوبهم.

وجملةُ أمري أنني ما رأيتُ نَظرةً حالت بيني وبين الحَزْم، وحسَّنت عندي ركوبَ الإثم مثل نظرتي هذه، فتبسم عبد الملك وقال: أوكلّ هذا قد بلغ بك؟! فقال: والله ما عَرفَتْني هذه البليَّة قبلَ وقتي هذا.

فوجه عبد الملك إلى آل الزُّبير يخطب رَمْلَة على خالد، فذكروا لها ذلك فقالت: لا والله أو يُطلِّقَ نساءه، فطلَّق امرأتين كانتا عنده؛ إحداهما من قريش، والأخرى من الأَزْد، وظَعَن بها إلى الشام، وفيها يقول خالد: [من الطويل]

ألـيـس يـزيـدُ الـشَّـوقُ فـي كـلِّ لـيـلـةٍ وفـي كـلِّ يـومٍ مـن حَـبـيـبَـتِـنـا قُـرْبـا
خـلـيـلـيَّ مـا مـن سـاعـةٍ تـذكُـرانـهـا مـن الـدَّهـرِ إلاَّ فَـرَّجَـتْ عَـنِّـيَ الـكَـرْبَـا
أُحـبُّ بـنـي الـعَـوَّامِ طُـرّاً لـحُـبِّـهـا ومن أجلها أحببتُ أخْوالَها كَلْباً
تَـجـولُ خَـلاخـيـلُ الـنِّـسـاءِ ولا أرى لـرَمْـلَـةَ خَـلْـخـالاً يَـجـولُ ولا قُـلْـبـا

[هذا آخر ما ذكر الخرائطي في حديث رَمْلَة، وقال أبو عبيدة مَعْمَر:] فيقال إن عبد الملك زاد فيها:

فـإنْ تُـسْـلِـمي نُـسْـلِـم وإن تَـتَـنَـصَّـري يَـدُقُّ رجـالٌ بـيـن أعـيُـنـهـا صُـلْـبـا!

وبلغ قوله خالداً فقال لعبد الملك: ما هذه الشَّناعة؟ قال: وما هي؟ قال: قولك: يدقُّ رجالٌ بين أعينها صُلْبا، قال: ما قلتُه، فقال خالد: فقَبَّح الله قائلَه[1].

(١) الخبر والأبيات في «المنتظم» ٦/ ٢٣٦ـ٢٣٨، والأبيات فقط في «الأغاني» ١٧/ ٣٤٤، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٠.

وبعث الحجاج إلى خالد لما بلغه أنه خطب رَمْلَة حاجبَه، فقال له: ما كنت أرى أنك تخطب إلى آل الزُّبير حتى تُشاوِرَني، وكيف خطبتَ إليهم وليسوا بأكفائك؟ وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورَمَوه بكلِّ قبيحٍ وقبيحة؟ فقال للحاجب: لولا أنك رسولٌ لضربتُ عُنقك، قل لابن أبي رِغال: ما كنتُ أظن أن الأمر بلغ بك حتى تؤهِّل نفسَك لأن تُشاوَر في مناكح قريش، وأما قولك: قارعوا أباك ورموه بكل قبيح، فإنها قريش يُقارع بعضُها بعضاً، فإذا أقرَّ الله الحقَّ مَقَرَّه تعاطفوا وتراحموا، وأما قولك: ليسوا بأكفائك، فقبّحك الله يا حجّاج ما أقلَّ علمَك بأنساب قريش، أيكون العوَّام كُفؤاً لعبد المطلب بن هاشم حتى زوَّجه صفيّة، وتزوج رسول الله ﷺ خديجة، أفلا تراهم أكفاء لآل أبي سفيان.

ولما تزوّج خالد رَمْلَة قال بعض شعراء قريش يحرِّض عبد الملك على خالد:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تُحبُّ صُدودُ

إذا ما نَظَرْنا في مَناكِحِ خالدٍ ... عَرَفْنا الذي يَنوي وأين يُريدُ[١]

وأشار إلى رَمْلَة، وأمِّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فإنه رُوي أنه تزوّجها، وإلى أمة بنت سعيد بن العاص.

[وقال الزبير: كانت رَمْلَة أخت مصعب لأبيه وأمه، أمُّهما الرَّباب بنت أُنَيْف، كلبيَّة، وكانت قبلَه عند عثمان بن عبد الله بن حَكيم بن حِزام، وكانت معروفةً بالعقل والفضل والجمال، ولما قَتل عبد الملك مصعباً خطبها من أخيها عروة، فنهاه عنها وقال: بالأمس قتلتَ شقيقَها واليوم تخلو بها، لا آمَنُها عليك، فتركها، فلما تزوّجها خالد دخلت على عبد الملك يوماً، فقال لها: يا رَمْلَة، لقد غرَّني منك عروة، فقالت: لم يَغُرَّك ولكن نصحك[٢].

ومن شعر خالد في رَمْلَة: [من المتقارب]

ألا مَن لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بحُبِّ المُحِلَّةِ أُختِ المُحِلّ

---

(١) «نسب قريش» ٤٣٥، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٢، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٧.

(٢) انظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠١-٤٠٢، و«الأغاني» ١٧/ ٣٤٦، و«المنتظم» ٦/ ٢٣٨.

تــراءَتْ لــنــا بــيــن فَــرْعِ الأَراكِ وبــيــن الـعِـشــاءِ وبــيــن الأُصُــلْ(١)

أسند خالد الحديث عن دِحْيَة بن خَليفة الكَلبيّ، وأبي أُمامة البَاهِلِيّ، وروى عنه رجاء بن حَيوة، والزُّهري.

وكان أهل الشام قد عزموا على بيعته بعد أخيه معاوية، فاستصغروه، فولَّوا مروان ابن الحكم، وأخذوا عليه العهود، واستوثقوا منه بالأيمان على أن يجعله وليَّ عهده، فغدر به مروان، وخلعه وبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز [وقد ذكرناه.

فصل: وفيها توفي]

أبو العالية الرِّياحيّ

واسمُه رُفَيع بن مِهران، وإنما قيل له: الرِّياحي لأن امرأة من بني رِياح بن يَربوع [أعتقته.

وذكر الواقدي أن امرأة من بني رياح] اشترته، ودخلت به المسجد يوم الجمعة والإمام على المنبر، فقبضت على يده وقالت: اللهم إني أَذْخَرُه عندك ذَخِيرة، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبةٌ لله، لا سبيلَ لأحدٍ عليه، قال: فتركتْني وذهبت، فما تراءينا بعد ذلك.

[وذكر ابن سعد بمعناه، وذكره في] الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة، [وحكى عنه أنه] قال: ما مَسِسْتُ ذكري بيميني منذ سبعين سنة.

[قال: وقال أبو العالية:] لو مَرَرْتُ بصرَّافٍ وعَشَّارٍ ما شربتُ من مائه.

[قال:] وأوصى بثلث ماله في سبيل الله، وبثلثه في أهل رسول الله ﷺ، وبثلثه في فقراء المسلمين، فقيل له: فأين مواليك، فقال: أنا سائبة، والسَّائبة يضع نفسه حيث شاء.

وكان إذا دخل على ابن عباس بالبصرة أجلسه معه على سريره، قال: وكان قميصه وعمامته ورداؤه بخمسة عشر درهماً، وكان يشتري الكِرباسة(٢) بخمسة دراهم، فيقطعها ثلاثة.

---

(١) نسب البيتان إلى النميري وأبي شَجرة السُّلَمي وعمر بن أبي ربيعة، انظر «الأغاني» ٦/ ٢٠٦-٢٠٧، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٤ والمصادر فيه، والأول في «الكامل» ١١٩٣، و«العقد الفريد» ٤/ ٤١٣ دون نسبة.

(٢) ثوب غليظ من القطن، ومن قوله: قال وكان قميصه... إلى نهاية الترجمة أثبت سياق (ص) لتمامه ووضوحه.

وحكى ابن سعد أيضاً عن أبي خَلْدَة قال: دخلتُ على أبي العالية، فقرَّب إليَّ طعاماً فيه بَقْل وقال: كل فإن هذا ليس من البقل الذي تخاف أن يكون فيه شيء، هذا أرسل به إليّ أخي أنس بن مالك من بستانه، قلت: وما شأن البقل؟ قال: إنه ينبت في مَنبت خَبيث تعلم ما هو، قلت: وما هو؟ قال: البول والحيض والنّجاسة.

وحكى عن أبي خَلْدة أيضاً أنه قال: رأيت أبا العالية يسجد على وِسادة وهو مريض على فراشه.

قال ابن عساكر: وذكره ابن مَنده في كتاب «معرفة الصحابة» فقال: أدرك أبو العالية زمان رسول الله ﷺ، وأسلم بعد وفاته بسنتين، ودخل أصبهان مع أبي موسى في الفتح، وهو مولى أُميّة بنت سُمَيّة[١]، وقيل: إنه أسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ بعام.

وقال أبو نعيم[٢]: أدرك أبو العالية الجاهلية والإسلام، فهو مخضرم.

وكان إذا دخل على ابن عباس أخذ بيده، وأجلسه معه على سريره، وقريش تحت السرير، فيتغامزون ويقولون: هو مولى، فيقول ابن عباس: إن هذا العلم يزيد الشريف شَرفاً، ويُجلس المماليك على الأَسِرَّة.

وأخرج هذا الأثر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» عن محمد بن الحارث ثم أنشد: [من الطويل]

رأيتُ رفيعَ الناس مَن كان عالماً ... وإن لم يكن في قومه بحَسيبِ
إذا حلَّ أرضاً عاش فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدةٍ بغريب[٣]

وقال الشعبي: كان أبو العالية عالماً فاضلاً زاهداً، يختم القرآن في كل يومين.

وقال: قرأتُ القرآن قبل أن يُقتل عثمان بن عفان بخمس عشرة سنة، وقبل أن يولد الحسن البصري بسنة.

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٣ (مخطوط): بنت بيضة.
(٢) في (ص): وقال ابن منده، والمثبت من «تاريخ دمشق».
(٣) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٩ (مخطوط).

وكان إذا جُلس[١] إليه أكثر من أربعة قام، يعني أنه كان يخاف الشهرة.

[وروى أبو نعيم، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية] قال: كنتُ أرحَل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أَتَفَقَّد من أمره صلاته، فإن وجدتُه يُقيمها ويُتمّها أقمتُ عنده، وسمعت منه، وإن وجدتُه يُضيّعها رجعتُ ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع.

[وروى أبو نعيم أيضاً، عن عثمان، عن أبي العالية] قال: لا تعمل لغير الله فيَكِلَكَ الله إلى مَن عملتَ له[٢].

وقال الزهري: هو أول مَن أَذَّن وراء النهر حين دخل خُراسان[٣].

ذكر وفاته:

[روى ابن أبي الدنيا[٤]، عن العباس بن يزيد، عن يعلى بن عبد الرحمن العَنْبريّ، عن] سيّار بن سلامة قال: دخلتُ على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أنت؟ فقال: إنَّ أحبَّه إليّ أحبُّه إلى الله تعالى.

وحكى ابن عساكر عن أبي عبد الله بن خَفيف قال: وقعت الأَكْلَةُ في رجل أبي العالية، فدبّت إلى ساقه، فأشاروا عليه بقطعها [وقالوا: نخاف أن تسري، فقال: اجمعوا حملة القرآن، فاجتمعوا وشرعوا في القراءة، وركبوا المنشار عليها] فقطعوها وهو ساكت، فقالوا له: ما وجدتَ ألمها؟ فقال: شَغَلني بَرْدُ مَحبَّة الله عن حرارة المنشار، ثم أخذ رجله بيده، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إن تسألْني يوم القيامة: هل مشيتَ بها منذ أربعين سنة في شيء لم أرضه؟ لقلت: لا، وأنت تعلم أني لصادق[٥].

---

(١) في (ص): وروى عبد الله بن الإمام أحمد، عن عاصم قال: كان أبو العالية إذا جلس... والخبر في «حلية الأولياء» ٢/ ٢١٨، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٢ من طرق عن عاصم والليث.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٢٢٠ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) وقع قول الزهري في (ص) بعد قول الشعبي السالف.

(٤) في (ص) وما بين معكوفين منها: ابن أبي نعيم، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٤.

(٥) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧١، وما بين معكوفين من (ص).

[قلت: لم يذكر ابن سعد في «الطبقات» هذه الحكاية، ولا أبو نعيم ولا ابن منده، ولا جدي في «الصفوة»، الذي ذكر ابن سعد في «الطبقات» في وفاة أبي العالية قال:] توفي أبو العالية يوم الاثنين في شوال سنة تسعين، وأوصى إلى مُوَرِّق العِجْليّ أو إلى بُريدة الأَسلَميّ أن يُوضع في قبره جريدتان، ومات بأدنى خراسان، فلم توجدا إلا في جوالق حمّار، فلما وضعوه في قبره وضعوهما معه.

[هذا صورة ما ذكره ابن سعد، وأشار بالسَّعَفَتَين إلى الحديث المشهور، يدفع عنه عذاب القبر[١].

وذكر جدي في «الصفوة» أنه مات يوم الاثنين في شوال سنة تسعين، ولم يذكر الجريدتين.

وقال الواقدي: مات يوم الاثنين ثالث شوال.

وحكى ابن عساكر عن] البخاري أنه قال: مات في سنة ثلاث وتسعين.

وقال المدائني: في سنة ست ومئة، وقال محمد بن إسحاق: سنة إحدى عشرة ومئة.

[والأصح أنه مات في سنة تسعين كما ذكر ابن سعد، وقد نصّ عليه ابن حَنْبل في رواية عنه.][٢]

أسند أبو العالية عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي أيوب، وأُبيّ بن كعب، وأبي موسى، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة وخلق كثير، وأرسل الحديث عن بعضهم.

وروى عنه: قتادة، وعاصم بن سُليمان الأحول، وداود بن أبي هند، والربيع بن أنس، ومحمد بن واسع، وثابت البُناني، وعمرو بن [عُبيد، وخالد بن] دينار، وحَفْصة بنت سيرين في آخرين[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٠)، والبخاري (٢١٨) من حديث ابن عباس، وأحمد (٩٦٨٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه أحاديث أخرى انظرها ثمة.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٩/ ١١١ـ١١٦ ، وتاريخ البخاري الكبير ٣/ ٣٢٦ ، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢١٢ ، و«تاريخ دمشق» ٦/ ٢٧٥ـ٢٧٦ (مخطوط)، و«السير» ٤/ ٢١٣ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٩٧ .

(٣) «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٦٠ وما بين معكوفين منه، وانظر «تهذيب الكمال» (١٩٠٧)، و«السير» ٤/ ٢٠٧ .

واتّفقوا على صِدقه، وثقته، وأمانته، وزهده، ووَرَعه، قال أبو حاتم: أبو العالية مُجمعٌ على ثقته ودينه وورعه[١].

وقال الفِرَبْرِيّ: أخرج عنه البخاري في «صحيحه».

ولم يتكلّم فيه غير الشافعي رحمة الله عليه فإنه روي عنه أنه قال: حديث أبي العالية الرياحي ريح.

قال البيهقي: إنما تكلم فيه لأجل حديث القهقهة في الصلاة، وكان لسلامة صدره يُرسِل الحديث[٢].

وقال ابن سعد: كان أبو العالية ثقة كثير الحديث[٣].

عبد الرحمن بن المِسْوَر

ابن مَخْرَمَة بن نَوفل بن أُهَيْب بن عبد مَناف بن زُهرة، وأمه أَمَةُ الله بنت شُرَحْبيل بن حَسَنَة، المدني[٤].

و[عبد الرحمن بن] المِسْوَر من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، وتوفي بها سنة تسعين، وكان قليل الحديث.

وكان شاعراً، وهو القائل: [من الخفيف]

بينما نحنُ من بَلاكِثَ بالقا ... عِ سِراعاً والعِيْسُ تهوي هُوِيّا
خَطَرتْ خَطرةٌ على القلبِ من ذِكْـ ... ـراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيّا
قلتُ للشُّوقِ إذ دعانِيَ لَبَّيْـ ... ـكَ وللحادِيَيْنِ كُرّا المَطِيّا

(١) نسب هذا الكلام المزي في «تهذيبه» (١٩٠٧) إلى أبي القاسم اللالكائي، ولم أقف عليه لأبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٣/ ٥١٠.

(٢) انظر «ميزان الاعتدال» (٢٦٦٧)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٦١١.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٩/ ١١٦.

(٤) المدني نسبة عبد الرحمن بن المسور، أما شرحبيل بن حسنة فهو الكندي، انظر «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٩، و«تاريخ دمشق» ٤١/ ٤١٢ وما سيرد بعده بين حاصرتين استدراكٌ لصحّة السياق.

وقيل: إن الشعر لولده عبد الله(١).

وقدم عبد الرحمن الشام مع سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: فأقمنا معه شهرين بعَمّان البَلْقاء، فكان سعد يَقصُرُ الصّلاة ونحن نُتِمّ، فسألناه عن ذلك فقال: نحن أعلم.

أسند عبد الرحمن عن سعد بن أبي وقاص، وأبي رافع مولى رسول الله ﷺ، وأبيه المِسْوَر.

وروى عنه الزُّهري، وحَبيب بن أبي ثابت، والشَّعبي وغيرهم(٢).

السنة الحادية والتسعون

وفيها غزا المسلمون جزيرة الأندلس.

[واختلفوا فيمن افتتحها على قولين: أحدهما موسى بن نُصير، والثاني: طارق مولى موسى بن نُصير.

وقال هشام بن محمد والهيثم وأبو اليقظان وغيرهم على اختلاف بعضهم بين الروايات:] إن موسى بن نُصير سار في جيوشه في هذه السنة، فعبر إلى طُلَيْطُلَة مدينة الأندلس بعد أن استولى على الجزيرة، وافتتح حصونَها، ودخل طُلَيطُلَة عَنْوَةً، فوجد في دار المملكة مائدة سليمان عليه السلام، وهي من خليطين ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ وجوهر(٣).

وقال الهيثم إنما فتحها طارق في سنة اثنتين وتسعين(٤)، عبر إلى الجزيرة في اثني عشر ألفاً، فلقي أدرينوق ملك الجزيرة، فقتله في رجب، [قال:] وادعى موسى بن نُصير بين يدي

---

(١) نسبها ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٢٩٧-٢٩٨ لعبد الرحمن، وابن قتيبة في «الشعراء» ٥٦٤ لأبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور، وابن عبد ربه في «العقد» ٦/ ٤٧ للمسور بن مخرمة، والمرزوقي في شرحه للحماسة ١٢٤٥ لبعض القرشيين، وياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٤٧٨ لكثير، وانظر ديوان مجنون ليلى ٢٩١ . قوله: بلاكث، هي قارَة (حَرَّة) عظيمة فوق ذي المَرْوَة (قرية بوادي القرى) وهي عيون ونخل لقريش. ينظر معجم البلدان ١/ ٤٧٨ و٥/ ١١٦ .

(٢) من قوله: أسند عبد الرحمن ... إلى هنا ليس في (ص). وينظر تهذيب الكمال ١٧/ ٤٠٢ .

(٣) ذكره الطبري ٦/ ٤٨١ سنة (٩٣) عن الواقدي.

(٤) وكذا ذكر الطبري ٦/ ٤٦٨ .

الوليد أنه افتتح الأندلس وطُلَيْطُلَة، وقال طارق مولاه ـ وقيل: كان مولى للوليد ـ: أنا فتحتُها، فقال له ابن نُصير: كذبتَ، فقال طارق: أحضِروا المائدة، فأحضروها للوليد، فقال طارق للوليد: يا أمير المؤمنين، انظر إليها. فنظر وقال: كلها متساوية إلا رِجْل واحدة فإنها لا تشبهها، فقال طارق: سَلْه عنها فإن أتاك بها فهو صادق، فسأل موسى عنها فقال: هكذا وجدتُها، فأخرج طارق الرِّجل، فحظي عند الوليد، وسقطت منزلة موسى.

وقال محمد بن أبي نصر الحُمَيديّ: إن طارقاً فتح الأندلس، وكان أمير الجيش موسى بن نُصير، فحسده موسى على الفتح والغنائم، وكونه انفرد بتلك، فكتب إليه: أقم مكانَك ولا تتجاوزه إلى غيره، ثم ركب موسى زقاق الأندلس[1]، واستخلف على القيروان ولده عبد الله بن موسى، وذلك في سنة ثلاث وتسعين، وخرج معه وجوه البَربر والموالي في عسكر ضخم، وطارق بقُرطبة، فالتقى بابن نصير وقد قتل طارق لُذَرِيق ملكها، فعاتبه ابن نُصير حيث عبر الزّقاق بغير إذنه، فقال له طارق: إنما أنا مولاك ومن قِبَلك، ولاحت الفُرصة فانتهزتُها، فقبض على طارق، واستخلف على الأندلس ابنَه عبد العزيز بن موسى، ورجع موسى إلى القيروان ومعه الغنائم والأموال، وبلغ الوليد قبضه على طارق، فبعث إليه يقول: والله لئن قتلتَه لأقتلنّك، فأطلقه، وخرج معه إلى الشام، وجرى بينهما ما ذكرناه. ويقال: إن موسى أدرك الوليد وقد مات، فحمل ما كان معه إلى سليمان، والأول أصحّ.

واختلفوا في فتوح الأندلس [في أي سنة كان، وقد بيّنّا اختلافهم] فبعضهم يقول: سنة إحدى وتسعين، وبعضهم يقول: سنة اثنتين، وبعضهم يقول: سنة ثلاث.

وفيها بعث الوليد بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القَسْري بثلاثين ألف دينار، فضربها صفائح على باب الكعبة والميزاب، وكان جماعة من الأنصار يَقدمون مكة، فينزلون على أهلها، ويذكرون مَثالبَ بني أمية وظلمَهم، وما هم عليه من إظهار البدع، وإماته السنن، وبلغ خالداً القسري فخطب وقال: أيها الناس إن هذه بلاد الله، وفيها

(١) في جذوة المقتبس ٣ للحميدي، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٨٢ (مخطوط): وأما الذي فتحها وكان أمير الجيش السابق إليها فطارق، وكان والياً على طنجة من المدن المتصلة ببر القيروان بينها وبين الأندلس خليج من البحر يعرف بالزقاق رتّبه فيها موسى بن نصير أمير القيروان. وانظر «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٦٨، ٤٨١.

حَرَمُه، وهي التي اختارها الله على جميع البلدان، ووضع فيها بيته، وكتب على عباده زيارتَه، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإياكم والخيانة، فوالله ما أوتى بأحدٍ طعن على إمامه إلا قتلته في الحرم، فلا تقولوا: كيت وكيت، فإن الله جعل الخلافة في الموضع الذي جعلها فيه، وقد بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم، وينزلون في منازلكم، فإياكم وإياهم، ومتى بلغني أنكم أنزلتموهم هدمتُ منازلَكم، وإياكم والفُرقة فإنها بلاء عظيم، فانتهى الناس.

وكان خالد يقول: والله لو علمت أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لا تُقِرُّ بالطّاعة لأخرجتُها منه[١].

وفيها قتل قتيبة بن مسلم نيزك طَرخان ملك الترك، وكان قد أمّنه، وحلف له قتيبة، ثم اجتمعا فغدر به وقتله، وبعث برأسه إلى الحجاج على يد رجل يقال له: سليم النَّاصح[٢]، فعزَّ على الحجاج وقال: بعثتُ بقتيبة فتًى غِرّاً، أفنى ملوك خُراسان، ما زدتُه ذِراعاً إلا زادني باعاً.

وتلخيص القصة: أن قتيبة سار من خراسان غازياً إلى مَرْو الرُّوذ يريد نيزك، وكان قد خلعه وغدر به، وبلغ مَرزبان مَرو الرُّوذ إقباله، فانهزم إلى بلاد فارس، وقدم قتيبة مَرو الرُّوذ فقتل وَلَدي المرزبان وصلبهما، ثم قدم الطَّالَقان، فلم يحاربه صاحبها، واستعمل عليها عمرو بن مسلم، ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملكُها سامعاً مطيعاً، فلم يَعرِض له ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها رجلاً من باهلة، وسار إلى الجُوزجان، فتركها مَلِكُها وهرب إلى الجبال، ولما قدمها قتيبة خرج إليه أهلها سامعين مطيعين، فلم يعرض لهم، وولى عليهم عامر بن مالك الحِمَّاني، ثم أتى بَلْخ فدخلها ولم يقم بها إلا يوماً.

وقصد نيزك ببَغْلان، وقد نزل أصحابه على فم الشِّعب ـ وفي الشِّعب قلعة عظيمة، ويقال للشِّعب: شِعب خُلْم ـ فأقام أياماً، فقاتلهم ولا يعرف طريقاً يمضي به إلى نيزك إلا الشِّعب، أو مفاوز لا تحتمل العساكر، فتحيَّر في أمره.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٦٤ـ٤٦٥ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) كذا، والذي في الطبري ٦/ ٤٥٨ أنه بعث برأسه مع محفن بن جزء الكلابي وسوَّار بن زهدم الجرمي، وأن سليماً الناصح استنزل نيزك واحتال عليه حتى أدخله على قتيبة.

فبينا هو كذلك إذ قدم عليه الرُّوب خان ملك الرُّوب وسِمِنْجان، فاستأمنه على أن يَدلّه على مدخل قلعة نيزك التي من وراء الشِّعب، فأمّنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة في الليل، فطرقوهم فقتلوهم، وهرب الباقون.

ودخل قتيبة الشِّعب، ومضى إلى سِمِنْجان، فأقام أياماً وبينه وبين نيزك مفازة، ونيزك ببَغْلان، فقدَّم بين يديه أخاه عبد الرحمن بن مسلم، وسار خلفه، وبلغ نيزك فارتحل من بَغلان، فقطع وادي فَرْغانة، وبعث بأهله وأمواله إلى كابُل شاه، ومضى حتى نزل الكَرْز وعبد الرحمن يتبعه، فتحصّن بالكَرْز، وليس إليه مَسْلك إلا من وجه واحد ولا تطيق الدواب سَلوكَه، وجاء قتيبة إلى قريب من عبد الرحمن، وأقام يحاصر نيزك شهرين، فقلَّ ما عند نيزك من الطعام، وأصابهم الجُدَريّ، وخاف قتيبة الشتاء، فأرسل سُليماً الناصح إلى نيزك وقال: اجتهد أن تأتيني به بغير أمان، فإن أبى فأمِّنه، ووالله لئن لم تأتني وهو معك لأقتلنَّك[1]، قال: فاكتب إلى أخيك عبد الرحمن لا يُخالفني.

وكان بين قتيبة وعبد الرحمن مقدارَ فَرْسَخ، وعبد الرحمن قريباً من العدوّ، فكتب له، فلما وصل إلى عبد الرحمن قال له: ابعث رجالاً يكونوا على فم الشِّعب، فإذا خرجتُ أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشِّعب، فبعث عبد الرحمن خيلاً فوقفوا في المكان المعيّن، وحمل سُليم معه فنون الأطعمة والحلاوات التي تبقى أياماً، ووصل إلى نيزك فقال له: خذلتَني يا سليم - وكان هو الواسطة بينه وبين قتيبة - فقال له سليم: ما خذلتُك؛ وإنما أنت غدرتَ، وخلعتَ قتيبة، وخرجتَ عليه، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تأتيه، وإلا مكانَه يشتو وتهلك أنت ومن معك[2]، قال: على غير أمان؟ قال: ما أظنُّه يُؤمّنك وقد ملأتَ قلبَه غيظاً، ولكن أرى أن لا يَعلم بك حتى تَضعَ يدَك في يده، فإني أرجو إن فعلتَ ذلك أن يرضى عنك، فقال نيزك: الذي يغلب على ظني أنه متى رآني قتلني، قال: قد قلت لك.

---

(١) في (أ) لئن عدت وليس هو معك لأقتلنك، والقصة بطولها ليست في (ص)، وانظر الطبري ٦/ ٤٥٤-٤٥٧.

(٢) كذا، ! وفي الطبري: قد اعتزم على أن يشتو بمكانه.

ودعا بذلك الطعام، فبسطه بين يدي نيزك، فرأى أصحابه طعاماً لا عهد لهم بمثله، فنهبه التُّرك أصحاب نيزك، فقال له سليم: أرى أصحابك قد جهدوا، وأخاف إن طال بهم أمر أن يُسلموك، فاذهب معي إلى قتيبة، قال: لا أذهب إليه بغير أمان، فأمّنّي وأرِحْني، قال: قد أمَّنتُك، وخرج معه، فلما وصل إلى فم الشّعب حالت الخيل بين نيزك والشِّعب، فقال: هذا أول الشر، وجاؤوا بنيزك إلى عسكر قتيبة، فحبسه عند ابن بسّام اللّيثي في قُبَّة، وخَندق عليه، وحبس أصحابه، وبعث إلى الكُرْز، فاستخرج ما كان لنيزك به من متاع، وهرب الباقون.

وكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك، وأقام أربعين يوماً، وجاءه كتاب الحجاج بقتله، فدعا به، فقال الناس: ما يَحلُّ قتلُه؛ قد أعطيتَه أماناً، وقال بعضهم: اقتله فما نأمنه على المسلمين، فقال له قتيبة: أين أمانُك؟ قال: عند سليم، قال: لا أمانَ لسُليم، قال: الغدر قبيح، فقال: اقتلوه، فقتله وقتل معه سبع مئة من أعيان أصحابه.

والمشهور أن قتيبة قَتل نيزك غَدْراً، وأن الحجاج لم يأمره بقتله، وأنه أنكر عليه كما ذكرنا في أول القصة.

[وقال علماء السير:] ولما قتل قتيبة نيزك بعث إليه ملك الجُوزجان يطلب الصلح ـ وكان قد هرب من الجوزجان كما ذكرنا ـ فأمّنه على أن يأتيه فيصالحه، فطلب ملك الجوزجان رهناً يكون في يده، ويعطي هو أيضاً رهائن، فبعث إليه قتيبة حبيبَ بنَ عبد الله بن عمرو بن حُصَين الباهِليّ، وبعث ملك الجوزجان إلى قتيبة رُهوناً من أهله، وجعل ملك الجوزجان حبيباً في بعض حصونه، وقدم على قتيبة فصالحه، ورجع إلى بلاده فمات بالطَّالَقان، فقال أهل الجوزجان: سَمَّه قتيبة، فقتلوا حَبيباً، وقتل قتيبة الرُّهون الذي كانوا عنده، فقال نَهار بن تَوْسِعة لقتيبة: [من الوافر]

أراك اللـه فـي الأتـراك حُـكـمـاً ... كـحُـكْـم فـي قَـرَيْـظَـةَ والـنَّـضِـيـرِ
قَـضـاءٌ مـن قُـتـيـبـةَ غـيـرُ جَـوْرٍ ... بـه يُـشـفَـى الـغَـلـيـلُ مـن الـصُّـدورِ
فـإن تـر نـيـزكـاً[1] خِـزيـاً وذُلًّا ... فـكـم فـي الـحـرب حُـمِّـقَ مـن أمـيـرِ

(١) في تاريخ الطبري ٦/ ٤٦٠: فإن يَرَ نيزكٌ.

ثم فتح قتيبة نَسَف في هذه السنة، وحصوناً كثيرة من وراء النَّهر.

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك بن مروان. وقد ذكر حجَّتَه الواقديّ بإسناده إلى صالح بن كيسان قال(١):

لما حضر قدوم الوليد أمر ابن عمه عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من وجوه قريش يخرجون معه لتلقي الوليد، فخرجوا معه، منهم: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وأخوه محمد بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، فلقوا الوليد بالسُّويداء على ظَهْر، فقال لهم الحاجب: انزلوا لأمير المؤمنين فنزلوا، ثم أمرهم فركبوا، ودعا الوليد عمر فسايره حتى نزل بذي خُشُب، ودعا بالغداء، وحضروا فتغدَّوا عنده، وراح من ذي خُشُب، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد لينظر إلى بنائه، فأخرج الناس فما ترك فيه أحداً، وبقي سعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الناس يخرجه، وما عليه إلا رَيطتان تساوي خمسة دراهم، وهو جالس عند سارِيته في مُصلّاه، فقال له أصحابُه: لو قمتَ إليه وسلمتَ عليه، فقال: والله لا أقوم إليه، قال عمر بن عبد العزيز: فجعلتُ أَحيد بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال: من ذاك الشيخ الجالس؟ أهو سعيد بن المسيب؟ فجعل عمر يقول: نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك، وهو ضعيف البصر، قال الوليد: قد علمتُ حالَه، ونحن نأتيه فنسلّم عليه، فدار في المسجد حتى انتهى إلى سعيد فوقف عليه فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟! فوالله ما تحرّك سعيد ولا قام، فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حالُه؟ فقال الوليد: بخير والحمد لله. ثم انصرف الوليد وهو يقول لعمر: هذا بقيَّةُ الناس، فقال له عمر: أجل يا أمير المؤمنين.

قال الواقدي: وقسم الوليد بين الناس رَقيقاً كثيراً عُجماً، وآنية من ذهب وفضة، وأموالاً، وطيَّب مسجد رسول الله ﷺ بألفي مثقال من أنواع الطِّيب، وخطب يوم الجمعة وصلى بالناس.

---

(١) من قوله: وحج بالناس... إلى هنا من (ص)، وجاء سياقها في النسخ مختصراً.

ولما صعد منبر رسول الله ﷺ صفَّ جُنده صَفَّين من المنبر إلى آخر المسجد، بأيديهم العُمُد على العواتق، وخطب في دُرَّاعة وقَلَنْسُوة، ما عليه رداء، ولما صعد المنبر سكت وأذن المؤذّنون بين يديه، فلما فرغوا خطب الخطبة الأولى وهو جالس، ثم خطب الثانية قائماً.

قال إسحاق بن يحيى: فلقيتُ رجاء بن حَيْوة وهو معه، فقلت: هكذا تصنعون! قال: نعم، وهكذا صنع معاوية إلى هَلُمَّ جَرّا، قال: فقلت: أفلا تكلّمه؟ قال: أخبرني قَبيصةُ بنُ ذُؤيب أنه كَلّم عبد الملك في هذا، فأبى أن يفعل وقال: هكذا خطب عثمان، قال إسحاق: فقلتُ: والله ما خطب عثمان إلا قائماً، قال رجاء بن حَيْوَة: قد رُوي لهم هذا فأخذوا به، قال إسحاق: لم نر منهم أحداً أشدّ تَجبُّراً منه، يعني الوليد.

ولما رأى سعيد بن المسيّب قد خطب قاعداً قال: والله ما خطب رسول الله ﷺ إلا قائماً، وكذا الخلفاء بعده[١].

[قلت: وقد اختلف الفقهاء في الخطبة قائماً، فقال أبو حنيفة: القيام سنة، حتى لو خطب قاعداً جاز، وقال مالك والشافعي: القيام شرط، وعن أحمد روايتان[٢]، واحتجوا بما روي أن النبي ﷺ كان يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بالجلوس. متفق عليه[٣].]

وقال البَلاذري: إن عمر بن عبد العزيز لما تلقّى الوليد ومعه الأشراف وضع لهم الوليد أربعة كراسي، فجلس عليها أربعة من أشراف قريش، أمُّ كلٍّ واحدٍ منهم من بني عَديّ بن كعب، وهم: عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، ويُسمَّى المُطْرَف لجماله، وأمُّه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومحمد بن المنذر بن الزُّبير، وأمُّه عاتكة بنت سعيد بن زيد، وطلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهري، وأمُّه ابنة مُطيع بن الأسود العَدَويّ، ونَوفَل بن مُساحق، وأمُّه مريم بنت مطيع، وهذا نوفل ذكرناه في سنة سبع وثمانين، وهذه الرواية تدلُّ على تأخُّرِ وفاته[٤].

(١) القصة بتمامها في تاريخ الطبري ٦/ ٤٦٥ - ٤٦٧ دون قول ابن المسيب الأخير.

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٣/ ١٧١-١٧٢ .

(٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٩٢٠)، ومسلم (٨٦١)، وأحمد (٤٩١٩). وما بين معكوفين من (ص).

(٤) «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٧٨ .

[وقال الواقدي:] ولما دخل: الوليد مكة، ورأى ما يصنع بنو شَيبة بالناس، عزم على أخذ مفتاح البيت منهم، فقيل له: إن رسول الله ﷺ أعطاهم إياه، فردَّه عليهم، ومنعهم أن يأخذوا من الناس شيئاً وعوَّضهم.

وقيل: إن الحجاج حج في هذه السنة [مع الوليد]، جاء من العراق، فلما منعهم الوليد من البيت، وأن يأخذوا من الناس شيئاً، جاؤوا إلى الحجاج، وشكوا إليه، فقال للوليد: علام تدع هؤلاء وهدايا الكعبة؟! فقال الوليد: فامنعهم، فقال: كنتُ شاورتُ أمير المؤمنين عبد الملك في هذا فلم يفعل، فقال الوليد: فأنا بريء مما برىء منه أبي، ولم يَعرض لهم[1].

[فصل]: وفيها قدم محمد بن يوسف أخو الحجاج من اليمن بهدايا [إلى الوليد، وحلف بين الركن والمقام أنها حلال، وكانت هدايا] عظيمة، وتُحَفاً كثيرة، فأرسلت أم البنين بنت عبد العزيز إلى محمد: فقالت: أرسل إليَّ بالهديَّة، فقال: لا حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت، ورآها الوليد فبعث بها إليها، فقالت: لا حاجةَ لي إليها فقد غصبها من أموال الناس، وأخذها ظُلماً، فسأله الوليد فقال: مَعاذَ الله، فأحلفه بين الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما ظلم أحداً ولا غصبه، فأخذها الوليد وبعث بها إلى أمِّ البَنين، ورجع محمد إلى اليمن، فأصابه داء، فتقطَّعت منه أعضاؤه ومات[2]، وسنذكره [في هذه السنة].

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار بحالهم في السنة الماضية.

فصل: وفيها توفي

سَهْل بن سعد

ابن مالك بن خالد بن ثَعْلَبة بن حارثة بن عمرو بن الخَزْرَج بن ساعدة السَّاعِديّ، وأمه أُبيّة[3] بنت الحارث، من خَثْعم، وكنيته أبو العباس.

(١) أنساب الأشراف ٧/ ١٤.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٢٠، و«المنتظم» ٦/ ٣٠١.

(٣) في (أ) و(د): أمة، وفي (خ): آمنة، وهذه الترجمة ليست في (ص)، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٧٥.

وهو من الطبقة الثالثة من الأنصار، قال: كنت أصغر أصحابي في تبوك، وكنت شَفْرَتَهم، أي: خادمهم(١)، وكان يُصَفِّر لحيتَه.

وهو آخر من مات بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان ابنَ مئة سنة.

وكان له من الولد: العباس، ومصعب، وعائشة، وأمهم عائشة بنت خُزَيمة، من قيس عَيلان. وعَمْرو، وأمه من كِنْدَة، والأشعث، وخَديجة، وأم كُلثوم، وأمُّهم أُبَيَّة بنت مِحْصَن، من بني سُلَيم، وأمّ كُلثوم الصُّغرى لأم وَلَد.

أسند سهل عن رسول الله ﷺ خمسةً وأربعين حديثاً، وأخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» سبعةً وثلاثين حديثاً.

ومن مسانيده: قال يحيى بن ميمون: وقف علينا سهل بن سعد فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة»(٢).

[فصل: وفيها توفي]

محمد بن يوسف

ابن الحَكَم بن أبي عقيل الثَّقَفيّ، أخو الحجاج، قدم صنعاء سنة اثنتين وسبعين قبل مقتل ابن الزبير، ولّاه عبد الملك أميراً على اليمن، ولما قُتل ابن الزبير بعث الحجاج بكفِّه إليه، فعلَّقها بصَنعاء.

وكان طاوس ووَهْب بن مُنَبِّه يصلّيان خلفه، واستعمل طاوسَ اليماني على الصَّدقات، ثم قال له: ارفع حسابَك، فقال: وأيّ حساب لك عندي، أخذتُها من الأغنياء ودفعتها إلى الفقراء.

[وقال ابن عساكر:] كان محمد هذا يَسبُّ علياً رضوان الله عليه على المنابر، ويأمر بذلك.

---

(١) قال صاحب اللسان: في المَثَل: أصغرُ القوم شَفْرَتُهم، أي: خادمُهم، شُبِّه بالشَّفْرة لأنها تُمْتَهَنُ في قَطْع اللحم وغيره. وينظر النهاية (شفر).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٨١٢)، وانظر في ترجمة سهل: «الاستبصار» ١٠٥، و«تهذيب الكمال» (٢٥٩٧)، و«السير» ٣/ ٤٢٢.

[وحكى عن أحمد العِجليّ قال:] أخذ محمد حُجراً المَدَرِيّ[1] - وكان رجلاً صالحاً - فأقامه عند المنبر وقال: سُبَّ أبا تُراب، فقال: إن الأمير محمداً أمرني أن أسُبَّ علياً، فالعنوه لعنه الله، فتفرَّق الناس على ذلك، ولم يفهمها إلا رجلٌ واحد.

وكان علي عليه السلام قال[2] لحجر هذا: كيف بك إذا قمتَ مقاماً تُؤمر فيه بلعنتي؟ قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم، سُبَّني ولا تتبرَّأ مني.

ومحمد بن يوسف هذا هو الذي أشار إليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكان يقول: الحجاج بالعراق، وأخوه محمد باليمن، وعثمان بن حَيَّان بالحجاز، والوليد بالشام، وقُرَّة بن شَريك بمصر، امتلأت بلاد الله جَوراً[3].

[وقد ذكرنا أن محمد بن يوسف لما رجع إلى اليمن أصابه داء، فتقطعت أعضاؤه ومات.]

وولده يوسف بن محمد خال الوليد بن يزيد، ولّاه الوليد الحَرَمَين والطائف سنة خمس وعشرين ومئة، وحجّ بالناس فيها، ثم عزله عنها، واستعمل عليها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[4].

السنة الثانية والتسعون

وفيها غزا قتيبة سِجستان بجيوشه، وسار من مَرْو في جيشٍ كَثيف، فأرسل إليه رُتبيلُ فصالحه على ما أراد قتيبة، ورجع إلى مرو.

[فصل]: وفيها فُتحت الأندلس على قول الواقدي، قال[5]: وكان عليها ملك يقال له أدرينوق، فسار إليه طارق، وقطع زقاق الأندلس، والتقاه أدرينوق في جمع عظيم،

---

(١) في النسخ: المدني، وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ولحجر ترجمة في «طبقات ابن سعد» ٨/ ٩٥ . وهو حُجْر بن قيس، من رجال تهذيب الكمال ٥/ ٤٧٥ .

(٢) في (ص): وقال ابن عساكر عن أحمد العجلي أن علياً عليه السلام قال، والخبر في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٣٣٠ من طريق ليس فيها ذكر للعجلي، وذكر ابن حجر الخبر بنحوه في اللسان ٥/ ٣٥٨ من طريق آخر (ترجمة عبيد ابن قنفذ) وقال: خبر باطل.

(٣) تاريخ دمشق ٦٥/ ٣٣٦ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٩٣ ، وما بين معكوفات من (ص).

(٥) في النسخ: على بعض الأقوال، والمثبت من (ص).

وأبرزوا سريرَه، ولبس تاجَه، واقتتلوا فنصر الله طارقاً، وقُتل الأردينوق وأصله من أصبهان، وهم ملوك عَجَم الأندلس [ودخل طارق قُرطبة، ثم سار إلى طُلَيْطُلَة، وقد ذكرناه.

فصل] وفيها غزا عمر بن الوليد ومَسْلَمة بن عبد الملك بلد الروم، وفتح مَسلمة حصوناً كثيرة، ويقال: إنه بلغ إلى الخليج، وفتح سُوْسَنة.

وحج بالناس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان عمال الأمصار على حالهم.

فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن يزيد

ابن شريك بن تَيم الرِّباب التَّيْميّ، [وكنيته] أبو أسماء.

[وذكره ابن سعد] في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الكوفة، وكان يَقُصُّ على الناس، وإنما حمله على القصص لأنه رأى مناماً.

[قال ابن سعد بإسناده إلى سفيان، عن أبيه قال: إنما حمل إبراهيم] على القَصَص أنه رأى في المنام أنه يقسم رَيحاناً، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: الرَّيْحان ريحُه طيّب، وطعمُه مُرّ[1].

[وقال أبو نعيم بإسناده عن] الأعمش قال: كان إبراهيم التيمي إذا سجد تجيء العصافير فتنقر ظهره كأنه جِذْم حائط[2].

[وروى أبو نعيم أيضاً عن الأعمش] قال: قلت لإبراهيم التَّيمي: بلغني أنك تمكث شهراً لا تأكل شيئاً! قال: نعم، وشهرين، ما أكلتُ منذ أربعين ليلة إلا حَبَّةَ عِنَب، ناولتني أهلي فأكلتُها ثم لَفَظْتُها.

[وروى أبو نعيم عن] سفيان قال: قال إبراهيم التيمي: كم بينكم وبين القوم! أقبلتْ عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرتْ عنكم فاتبعتموها.

[قال:] وكان يقول: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٨/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٢) «حلية الأولياء» ٤/ ٢١٢ وفيه: فتستقر على ظهره، وهو الأشبه، وما بين معكوفين من (ص).

[قال:] وما رفع رأسه إلى السماء ولا خاض في شيء من أمر الدنيا.

[وروى أبو نعيم أيضاً أنه] قال: من أعظم الذَّنب عند الله أن يُحدِّث العبد بما ستره الله عليه[١].

[قال ابن أبي الدنيا بإسناده إلى سفيان بن عيينة قال: قال إبراهيم التيمي:] مَثَّلْتُ نفسي في الجنة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأُعانق أبكارها، ومثلت نفسي في النار، آكل من زَقُّومها، وأشرب من صَديدها، وأُعالج سَلاسلها، فقلت لنفسي: أَيْ نفس، أيش تريدين؟ فقالت: أُردّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، فقلت: أنت في الأُمنية فاعملي[٢].

[وقال ابن سعد:] توفي إبراهيم التَّيمي في حبس الحجاج، وسبب حبسه: أن الحجاج طلب إبراهيم النَّخعي، فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه يريد إبراهيم النخعي، فلم يستحلّ أن يَدُلّه عليه، فأتي به الحجاج، فحبسه في الدِّيماس، ولم يكن له ظِلٌّ من الشمس، ولا كِنٌّ من البَرد، وكان كلّ اثنين في سلسلة، فتغيّر إبراهيم، فجاءته أُمُّه فلم تعرفه حتى كلّمها، فمات في السجن، فرأى الحجاج قائلاً يقول في منامه: مات الليلة رجلٌ من أهل الجنة في هذه البَلدة، فلما أصبح سأل: هل مات الليلة أحد بواسط، قالوا: نعم، إبراهيم التَّيمي مات في الحبس، فقال: حُلْمٌ ونَزْغَةٌ من نزغات الشيطان، وأمر به فألقي على الكُناسة[٣].

[وقال الشعبي: أقام في السجن مدّةً،] ولما دخل السجن نادى: يا أهل السجن، بلاء الله في عافيته، وأهل عافيته في أهل بلائه، اصبروا، فصاحوا جميعاً وبكوا.

وقيل: إنه مات بالكوفة.

أسند عن أبيه، والحارث بن سُويد وغيرهما. وروى عنه سفيان الثَّوري، والأعمش، والشّعبي وغيرهم.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢١٢ـ٢١٥ .

(٢) المنتظم ٦/ ٣٠٥ ، والحلية ٤/ ٢١١ ، وما بين معكوفين من (ص)، وجاء الخبر فيها آخر ترجمة إبراهيم.

(٣) طبقات بن سعد ٨/ ٤٠٢ .

[فصل: وفيها توفي]

أنس بن مالك

ابن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُنْدَب ابن عامر بن غَنْم بن عَديّ بن النَّجار.

من الطبقة الثالثة من الأنصار، وكناه رسول الله ﷺ أبا حَمزة، وقيل: كنيته أبو ثُمامة، وثمامة أكبر ولده، وأم أنس أمُّ سُلَيم بنت مِلْحان من بني النّجار، [واسمها مُلَيْكَة] وأمُّها الرُّمَيْصاء [وقد ذكرناها، وقيل: إن مُليكة جدة أنس، وقد ذكرناها في صدر الكتاب][1].

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذت أم أنس بيده، وجاءت به إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، خُوَيْدِمُك أنس ادْعُ له، فقال: «اللهم أكْثِرْ مالَه وولَده، وأطِلْ عُمره، واغفر ذَنبه، وبارك له فيما أعطيتَه» أخرجاه في «الصحيحين» بمعناه[2].

وقال أنس [في رواية ابن سعد عنه:] فدفنتُ من صُلبي مئة ولد، وإن نخلي تُثمر في السنة مرتين، ولقد عشتُ حتى استحييتُ من أهلي [أو سئمت الحياة]، وأنا أرجو الرابعة، يعني المغفرة.

[وفي رواية] قال: خدمتُه عشر سنين، فما قال لشيءٍ لم أَصْنعه: لِمَ لم تصنعه، ولا قال لشيء صنعتُه: لم صنعتَه، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة[3].

وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال: دفن أنس من صُلبه إلى مَقْدَم الحجّاج بضعاً وعشرين ومئة ولد[4].

[وقد ذكرناه في السيرة، وأن رسول الله ﷺ قال لأنس: «يا بُنَيّ»[5]]

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، وفي «طبقات ابن سعد» ١٠/ ٣٩٥ أن أم سليم بنت ملحان يقال لها الرميصاء، واختلفوا في اسمها فقيل سهلة، وقيل رملة، وقيل أنيفة، وقيل رميثة، وأمها مليكة.

(٢) صحيح البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

(٣) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥-٣٢٦ و٩/ ١٩ .

(٤) «تاريخ دمشق» ٣/ ١٦٠ (مخطوط)، وأخرجه البخاري (١٩٨٢).

(٥) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٧-٣٢٨ .

شهد أنس الحُدَيبية، وخيبر، وعُمرة القضاء، والخندق، والفتح، وحُنيناً، والطائف، وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وروي عن مولًى لأنس أنه قال له: شهدتَ بدراً؟ فقال: لا أُمَّ لك، وأين غِبْتُ عن بدر؟

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس مع رسول الله ﷺ حين توجّه إلى بدر، وهو غلام يخدم رسول الله ﷺ[١].

قال المصنف رحمه الله: وعامة الرواة على أنه لم يشهد بدراً ولا أحداً[٢].

[وقال ابن سعد بإسناده إلى معتمر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعت أنساً يقول:] ما بقي أحدٌ ممن صلى إلى القِبلتين غيري.

وقال ابن سعد: كان يصلي حتى تتفطَّر قدماه دَماً.

وكان مجاب الدعوة؛ يدعو فينزل الغيث.

وكان إذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله وعيالَه وولده فيختم بحضرتهم.

وكان إذا خرج إلى قصره صلى على حماره تطوُّعاً، يُومىء إيماءً.

وكان عنده قَدَحٌ من خَشب، فكان يقول: سَقَيْتُ النبي ﷺ بهذا القَدَح أكثر من مئة مرة من كل الشراب: الماء واللبن والعسل.

[قال: وقال رسول الله ﷺ: يا أبا عُمير ما فعل النُّغَير]

قال: وكان يقول: ما من ليلة إلا وأرى فيها حبيبي، ثم يبكي.

[قال:] واستعمل ابن الزُّبير أنساً على البصرة، فاستعمل أنس مولاه أنس بن سيرين على البصرة[٣]، فقال له: أتريد أن تجعلني عَشَّاراً؟! فقال له أنس: أفترضى كتابَ عمر ابن الخطاب؟ فأخرجه فإذا فيه: أن يأخذوا من تجار المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، ومن تجار أهل الحرب من كلّ عشرة دراهم درهماً.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٧.

(٢) قال الذهبي في «السير» ٣/ ٣٩٧: لم يعدَّه أصحاب المغازي في البدريِّين لكونه حضرها صبيًّا ما قاتلَ، بل بقي في رِحال الجيش، فهذا وجه الجمع.

(٣) في «طبقات ابن سعد»: على الأُبُلَّة. وما بين معكوفين من (ص).

[وروى ابن سعد عن صالح بن] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: دخل علينا أنس يوم جمعة ونحن نتحدّث والإمام يخطب، فقال: مَهْ، فلما أُقيمت الصلاة قال: إني أخاف أن أكون قد أبطلتُ جُمعتي بقولي لكم مَهْ.

[وقال ابن سعد:] قال أنس: يقولون: لا يجتمع حبُّ عليّ وعثمان في قلب رجل مؤمن، كذبوا والله، لقد جمع الله حُبَّهما في قلوبنا [أو في قلبي].

ولما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال: يا أبا حَمْزة، إنك قد صحبتَ رسول الله ﷺ، ورأيتَ من عمله وسيرته ومنهاجه، فهذا خاتمي فليكن في يدك فأرى برأيك، فلا أعمل شيئاً إلا بأمرك، فقال له أنس: أنا شيخ كبير قد ضَعُفتُ ورَقَقْتُ، وليس فيّ اليوم ذاك، فقال: قد عملتَ لفلان وفلان فما بالي أنا؟ فانظر أحد بنيك[١] ممَّن تثق بدينه وأمانته وعقله، فقال: ما في بَنيّ مَن أثق لك به، حتى كثر الكلام بينهما.

وروى ابن سعد عن ثابت قال:[٢] كنا مع أنس يوم جمعة، فأخّر الحجاج الصلاة، فقام أنس ليُكَلِّمه في ذلك، فنهاه إخوانه وقالوا: نخاف عليك وعلى ولدك وأهلك، فخرج وركب دابته وانطلق نحو الزاوية وهو يقول: والله ما أعرف شيئاً مما كنا فيه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فقال له رجل: فالصلاة يا أبا حمزة؟ فقال: قد صليتُم الظهر عند المغرب، أفتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ[٣]؟!

ذكر قصة أنس بن مالك مع الحجاج[٤]:

قال ابن سعد بإسناده إلى عليّ بن زيد بن جُدعان قال: كنت في دار الإمارة والحجاج يَعرض الناس أيام ابن الأشعث، فدخل أنس بن مالك، فلما دنا من الحجاج قال الحجاج: يا خُبَثَة، جَوّال في الفِتن، مرّة مع علي بن أبي طالب، ومرة مع ابن

(١) في النسخ غير (ص) فليس فيها الخبر: فانظر كان في بيتك، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٣٩.
(٢) في النسخ: وقال ثابت، والمثبت من (ص).
(٣) انظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥-٣٤٠ و٩/ ٢٠. ووقع بعد هذا الخبر في (أ): تم المجلد الثامن بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ويتلوه في المجلد التاسع قصة أنس مع الحجاج. وغفر الله تعالى لمالكه وكاتبه وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.
(٤) القصة التالية سياقها في النسخ (خ د) مختلف عما في (ص)، غير أنها في (ص) أتم وأوضح، فالمثبت منها.

الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، والله لأَسْتَأْصِلَنَّك كما تُستأصل الصَّمغَة، ولأُجَرِّدَنَّك كما يُجَرَّد الضَّب[1]، فقال له أنس: مَن يعني الأمير أصلحه الله؟ فقال: إياك أعني أصمَّ الله سمعك، فاسترجع أنس، وشُغل عنه الحجاج، فخرج أنس فتبعتُه وقلت: ما منعك أن تُجيبه؟ فقال: والله لولا أني ذكرتُ كَثْرَةَ وَلَدي، وخشيت عليهم؛ لأسمعتُه في مقامي هذا ما لا يُستحسن لأحد بعدي[2].

ثم قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: وقد فعل الحجاج ذلك بغير واحد من الصحابة يريد أن يُذلَّهم بذلك، وقد مضت لهم العِزَّة بصحبة رسول الله ﷺ.

وقد ختم الحجاج أنساً في عُنقه.

وقال ابن سعد [بإسناده] عن أبان بن أبي عيَّاش قال: لما بنى الحجاج واسطاً، وفرغ من ابن الأشعث، دعا أنساً وبين يديه خيلٌ تُعرض عليه فقال: أيها الشيخ، هل رأيتَ مع محمد مثل هذه الخيل؟ فقال: وما هذه الخيل؟! رأيتُ مع رسول الله ﷺ خيلاً غُدُوُّها ورَواحُها في سبيل الله، إنما الخيل ثلاثة: فما كان منها في سبيل الله ففيه من الأجر كذا وكذا، حتى أَرْواثُها في موازين أهلها، وما كان للفَحْلَة فهي في سبيل الله، وشَرُّها وأخبثُها ما كان للفخر والرياء[3]، فقال الحجاج: لقد عِبتَ فما تركْتَ شيئاً، ولولا خِدمتُك لرسول الله ﷺ، وكتابُ أمير المؤمنين فيك؛ لكان لي ولك شأن من شأن ـ وقد ذكرنا حديث الخيل فيما تقدم ـ فقال أنس: هيهات ـ أو أيهات ـ إني لما خدمتُ رسول الله ﷺ علَّمني كلمات لا يَضرُّني معهنَّ عُتُوُّ جَبّار ـ وذكر ابن سعد كلاماً آخر ـ فقال له الحجاج: يا عمّاه، لو عَلَّمْتَنيهِنّ، فقال: لستَ لذلك بأهل، فدس إليه الحجاج ابنَه محمداً ومعه مئتا ألف درهم، ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات.

---

(١) في (ص): الضرب، وسيشرحها المصنف في نهاية الخبر كما وردت في (ص)، والمثبت من النسخ وهو موافق لما في «طبقات ابن سعد» والمصادر.

(٢) في «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٠ : لكلمته بكلام في مقامي لا يستحيينى بعده أبداً، وفي نسخة منه أشار إليها محققه: ما لا يستخشن لأحد بعدي.

(٣) في (ص): والخيلاء.

قال: والكلمات هي: بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كلِّ شيءٍ أعطاني، بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه داء، بسمِ الله افتتحتُ، وعلى الله توكَّلتُ، الله ربي لا أشرك به أحداً، اللهم أنت جاري من كلِّ سُوء، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، الآية، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، ومن تحتي.

هذا بمعنى ما ذكر ابن سعد(١) عن قصة أنس مع الحجاج.

وذكر الواقدي أن عبد الله بن أنس بن مالك خرج مع ابن الجارود على الحجاج، وقُتل معه، ولما خرج ابن الأشعث كان أنس في جُملة القُرَّاء يُحَرِّض الناس على قتال الحجاج، فقال الحجاج: ما أرى أنساً إلا يُعين علينا، فلما انقضت أيامُ ابن الأشعث، ودخل الحجاج البصرة، استصفى أموالَ أنس، ووَضع منه، فدخل أنس على الحجاج فسلّم عليه، فقال: لا مرحباً ولا أهلاً، إيه يا شيخ خُبَثَة، تارة مع أبي تُراب، وتارة مع ابن الجارود، وتارة مع ابن الأشعث، والله لأُجَرِّدَنَّك جَرْدَ القَضيب، ولأَعْصِبَنّك عَصْبَ السَّلَمة، وذكر بمعنى ما تقدّم.

قال: فقام أنس فخرج من عنده، وكتب إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وصاحبِه، أما بعد، فإن الحجَّاج قال لي هُجْراً من القول، وأسمعني نُكراً، ولم أكن لما قال أهلاً، إنه قال لي كذا وكذا، وإني أَمُتُّ بخدمتي لرسول الله ﷺ عشر سنين كوامل، ولولا صِبيةٌ صغار ما باليتُ أيَّ قِتلة قُتلت، والله لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيّهم لأكرموه، فخذ لي على يده، وأعنّي عليه، والسلام.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب استشاط غَضَباً، وكتب إلى الحجاج: أما بعد، فإنك عبدٌ من ثَقيف، طَمِحت بك الأمور، فعلوتَ فيها وبغيتَ وطغيتَ، حتى عَدَوْتَ قَدْرَك، وتجاوزْتَ طَورَك، يا بن المُسْتَفْرِمَةِ بعَجَم الزَّبيب، لأَغْمِزَنَّك غَمْزَة اللَّيث، ولأَخْبِطَنَّك

(١) في طبقاته ٥/ ٣٤١_٣٤٢.

خَبْطَةً، ولأَرْكُضَنَّك رَكْضَةً تَودُّ معها لو أنك رجعت في مَخرجك من وِجار[١] أُمّك، أما تذكر حال آبائك ومكاسبَهم بالطائف، وحفرَهم الآبار بأيديهم، ونقلَهم الحجارة على ظهورهم، أم نسيت أجدادك في اللؤم والدَّناءة وخَساسة الأصل، وقد بلغ أمير المؤمنين ما كان منك إلى أبي حَمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ القريب، وصاحبه في المَشهد والمغيب، جُرْأَةً منك على الله ورسوله، وأميرِ المؤمنين والمسلمين، وإقداماً على أصحاب رسول الله ﷺ، فعليك لعنة الله من عَبدٍ أَخْفَشِ العَينين، أَصَكِّ الرِّجْلَين، ممسوح الجاعِرَتَين، لقد هممتُ أن أبعثَ إليك من يَسحبُك ظهراً لبطن، أو بطناً لظهر، حتى يأتي بك أبا حمزة، فيحكم فيك بما يراه، ولو علم أمير المؤمنين أنك اجتَرَمْتَ إليه جُرْماً، أو انتهكْتَ له عِرضاً غير ما كُتب به إليك[٢]؛ لَفُعل ذلك بك، فإذا قرأتَ كتابي هذا فكُن له أَطوعَ من نَعْله، واعرف حقَّه، وأكرمه وأهلَه، ولا تُقَصِّرن في شيءٍ من حوائجه، فوالله لو أن اليهود رأت رجلاً خدم العُزَيْر، ولو رأت النصارى رجلاً خدم المسيح، لوَقَّروه وعظَّموه، فتبّاً لك، لقد اجترأتَ ونسيتَ العهد، وإياك أن يبلغني عنك خلافُ ذلك، فأبعث إليك مَن يضربُك بَطْنا لظهر، ويَهتكُ سِترك، ويُشْمِت بك عدوَّك، والْقَه في منزله مُتَنَصِّلاً إليه، وليكتب إليَّ برضاه عنك، ولكلِّ نبأ مُسْتَقَرّ وسوف تعلمون.

وكتب عبد الملك إلى أنس: لأبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ من عبد الملك، سلامٌ عليك، أما بعد، فإني قرأتُ كتابَك، وفهمتُ ما ذكرتَ في أمر الحجاج، وإني والله ما سَلَّطْتُه عليك، ولا على أمثالك وقد كتبتُ إليه ما يبلغك، فإن عاد لمثلها فعَرِّفني حتى أُحِلَّ به عُقوبتي، وأُذِلَّه بسَطوتي، والسلام عليك.

ثم دعا إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ـ وكان صديقاً للحجاج ـ قال إسماعيل: فدخلتُ عليه في ساعة لم يكن يَبعثُ إليّ فيها، وهو أشدُّ حَنَقاً وغَيظاً فقال: يا إسماعيل، ما أشدّ علي إلا أن تقول الرَّعِيّة: إني ضَعُفْتُ وضاق ذَرْعي عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، لا يَقبل له حسنة، ولا يتجاوز له عن سيئة، فقلت: وما ذاك؟

---

(١) أي: جُحْر.

(٢) في (ص): غير ما كنت به إليه.

فقال: أنس بن مالك؛ كتب إليّ بكذا وكذا، فاذهب بهذين الكتابين إلى أنس بن مالك والحجاج، وابدأ بأنس، وقل له: أمير المؤمنين يُسلّم عليك ويقول: قد كتبت إلى عبد بني ثَقيف كتاباً إذا قرأه كان أَطْوَع لك من أمتك، واستعرِضْ حوائجه.

قال إسماعيل: فركبت على خيل البريد، وسِرْتُ حتى قَدِمتُ على الحجاج فقال: مرحباً بمن كنتُ أحبُّ لقاءَه، فقلت له: وأنا كذلك إلا في هذه المرة، قال: ولم؟ قلت: تركتُ عبد الملك عليك حَنقاً، ورميتُ بالكتاب إليه، فجعل يقرؤه ويَتَمَعَّر وَجهُه، ويَرشَحُ عَرَقاً، ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم قال: نمضي إلى أنس، فقلت له: على رِسلك، ثم مضيتُ إلى أنس وقلت: يا أبا حمزة، قد فعل أمير المؤمنين معك ما فعل، وهو يقرأ عليك السلام ويَستعرض حوائجَك، فبكى أنس وقال: جزاه الله خيراً، كان أعرفَ بحقّي، وأبرَّ بي من الحجاج، قلت: وقد عزم الحجاج على المجيء إلى منزلك، فإن رأيتَ أن تتفضَّل عليه فأنت أولى بالفضل.

فقام أنس ودخل على الحجاج، فقام إليه واعتنقه، وأجلسه معه على سريره، وقال: يا أبا حمزة عَجَّلْتَ عليّ بالملامة، وأغضبتَ أمير المؤمنين، وأخذ يعتذر إليه ويقول: قد علمتَ شَغَب أهل العراق، وما كان من ابنك مع ابن الجارود، ومن خروجك مع ابن الأشعث، فأردتُ أن يعلموا أني أسرع إليهم بالعقوبة إذ قلت لمثلك ما قلت، فقال أنس: ما شكوتُ حتى بلغ مني الجهد، زعمتَ أننا الأشرار، واللهُ سمّانا الأنصار، وزعمتَ أننا أهل النّفاق، ونحن الذين تبوَّأنا الدّار والإيمان، والله يحكم بيننا وبينك، وما وَكَلْتُك إلى أمير المؤمنين إلا حيث لم يكن لي بك قوة، ولا آوي إلى ركن شديد، ودعا لعبد الملك وقال: إن رأيتُ خيراً حمدتُ، وإن رأيت شراً صبرتُ، وبالله استعنت.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ولا أعدمناه، وصَلَني الكتاب تذكر فيه شَتْمي وتعييري بما كان من قَبْل نُزول النِّعمة بي من أمير المؤمنين، ويذكر استطالتي على أنس جُرأةً مني على أمير المؤمنين، وغِرَّةً مني بمعرفة سَطَواته ونَقِماته، وأمير المؤمنين أعزّه الله في قرابته من رسول الله ﷺ أحقّ مَن أقالني عَثرتي، وعفا عن جَريمتي، ولم يُعَجِّل عقوبتي ورأيه العالي في تفريج كُربتي،

وتسكين روعتي، أقاله الله العَثَرات، وقد رأى إسماعيل بن أبي المهاجر خضوعي لأنس، وإعظامي إياه، واعتذر اعتذاراً كثيراً[(١)].

قول الحجاج: لأَقْلَعَنَّك قَلْعَ الصَّمْغَة؛ [يريد: أستأصلُك] لأن الصَّمْغَ إذا قُلع لم يَبْقَ له أَثَر.

وقوله: لأُجَرِّدَنّك جَرْدَ الضَّرَب؛ وهو العَسَل الأبيض.

وأما المُسْتَفْرِمَةُ بعَجَم الزَّبيب؛ [فيريد أنها تعالج به فَرْجَها] حتى يضيق، كذا ذكر الجوهري، وأنشد: [من الرجز]

مُسْتَفْرِمَاتٍ بالحَصى جَوافِلا

وفسّره فقال: يقول: من شدّة جريها يدخل الحصى في فرجها. قال: وكتب عبد الملك إلى الحجاج: يابن المستفرمة بعجم الزبيب[(٢)]، بتحريك الجيم.

وقال ابن قتيبة: لست أدري من أيِّ شيءٍ أُخذ هذا الحرف، إلا أنه يقال: استَفْرَمَتِ البَغِيُّ؛ إذا فعلت ذلك.

وقال الفَرْوِيّ: الفَرْمُ أن تُضيِّق المرأةُ فَرْجَها بالعَفِصَة ليَسْتَحْصِف.

وأما الجاعِرَتان فموضع الرَّقْمَتين من اسْتِ الحمار. قال الجوهري: وهو مَضْرِبُ الفَرس بذَنَبه على فخذيه[(٣)]. قلت: وهذا اللفظ مستحقر من عبد الملك مع فصاحته وتحفظه في مقالته، وقد قيل: إنه ما عرف لعبد الملك كتاب أفحش من هذا.

وحكى ابن عساكر[(٤)]، عن أبي مُسْهِر قال: قدم أنس دمشق على الوليد لما استُخلف سنة ست وثمانين، وقيل: في سنة اثنتين وتسعين.

وقال مكحول: رأيت أنساً يمشي في جامع دمشق.

---

(١) انظر «الأخبار الطوال» ٣٢٣، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤١٠، و«تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٣ (مخطوط)، و٦/ ٢٦٨، و«المنتظم» ٦/ ٣٣٧، و«العقد» ٥/ ٣٦ـ٤١.

(٢) «الصحاح» (فرم) ٥/ ٢٠٠٤.

(٣) «الصحاح» (جعر) ٢/ ٦١٥، وانظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٣ـ١٧٤ (مخطوط) وما بين معكوفين منه.

(٤) من قوله: قول الحجاج لأقلعنك... إلى هنا من (ص).

وقال الزهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أعرف شيئاً مما كنا فيه على عهد رسول الله ﷺ إلا الشهادة، قلت: فالصلاة؟! قال: قد علمتَ ما صنعوا فيها[١].

[وحكى ابن سعد، عن] عيسى بن طَهمان قال: رأيت أنساً دخل على الحجاج وعليه عِمامة سوداء، وقد خَضَب لحيتَه بالصُّفرة.

وقال ابن سعد: ضَعُف أنس عن الصوم في رمضان، فكان يُطعم كلّ ليلةٍ ثلاثين مسكيناً الخبز واللحم، وقيل: ستين مسكيناً.

وكان نقش خاتمه: محمد رسول الله، فإذا دخل الخلاء وضعه.

وقيل: كان نقش خاتمه أَسَد رابِض، وقيل: ثعلب، وقيل: أرنب.

وكان يلبس الخَزَّ والمُعَصْفَر.

وقال سعيد بن جبير: لو رآه السَّلَف لأوجعوه[٢].

ذكر وفاته:

[وقد اختلفوا فيها؛ فحكى ابن سعد، عن عفان بن مسلم بإسناده إلى] النَّضْر بن أنس بن مالك وأنس يومئذ حيّ قال: قال أنس بن مالك: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَتمنَّيَنّ أحدكم الموت» لتمنَّيتُه.

وقال ابن سعد: أوصى أن يُغَسِّلَه محمد بن سيرين، وكان محمد محبوساً، فكلَّم عمر بن يزيد المرأةَ التي حبسته، فأخرجته من السجن، فغسله ثم عاد إلى الحبس، وكان ابن سيرين يَشكرها لآل عمر بن يزيد حتى مات.

وجعلوا في حَنوطه مِسْكاً وشَعَراً من شعر رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن يزيد الهلالي: حضرتُ[٣] أنساً مات بالبصرة سنة اثنتين وتسعين، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣/ ١٥١_١٥٢ (مخطوط).

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٢_٣٤٧ وما بين معكوفين من (ص).

(٣) في (ص): وقال ابن سعد بإسناده قال حضرت، وما سلف بين معكوفين منها.

وقال ابن سعد: سألتُ القاضي محمد بن عبد الله الأنصاري: ابنُ كم كان أنس يوم مات؟ فقال: ابن مئة وسبع سنين.

وقال موسى السَّبَلانيّ: قلت لأنس: أنت آخر مَن بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قد بقي قوم من الأعراب، فأما من الصحابة فأنا آخر مَن بقي[(١)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: مات أنس في سنة ثلاث وتسعين قبل موت الحجاج بسنتين.

وقال الهيثم: سنة تسعين، وقال ابن عبد البر: مات أنس بقصره بالطَّفِّ على فرسخين من البصرة[(٢)].

وصلى عليه محمد بن سيرين بوصيَّة من أنس [وكان محبوساً، فكلّم عمر بن يزيد بن عُمير - وكنيته أبو حفص - أصحابَ الدَّين فأذنوا له، فخرج فغسَّلَه وصلّى عليه ودفنه عند قَصْره.

وقال ابن عساكر: وهذا عمر بن يزيد ولي شرطة البصرة للحجاج بن يوسف، ووليها خالد[(٣)] بن عبد الله القَسْري.

وكان فاضلاً، قتله خالد بن عبد الله القسري لشيء بلغه عنه، وإنما قتله مالك بن المنذر بن الجارود[(٤)].

واختلفوا في سنّ أنس؛ فحكينا عن ابن سعد قولين: أحدهما تسعاً وتسعين سنة، والثاني: مئة وسبع سنين.

وقال حُميد الطّويل: عاش مئة سنة، وقيل: مئة وعشرين، وقيل: مئة وثلاث سنين.

وقد ذكرنا عنه أنه قال: مات رسول الله ﷺ ولي عشرون[(٥)].]

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) «الاستيعاب» (٤٣).

(٣) في (ص): وهذا عمر بن يزيد ولّى شرطته البصرة الحجاج بن يوسف ووليها الخالد، وهذا نص سقيم، ذلك أن عمر بن يزيد ولي شرطة البصرة هو وأبوه للحجاج، ثم ولي البصرة خالد بن عبد الله القسري فجعل على شرطتها مالك بن المنذر، انظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٣١٢، ٣١٦.

(٤) كذا وقع السياق، وقد قتلَه مالك بن المنذر بأمر من خالد القَسْريّ، وكان على شرطته بالبصرة، ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٦، وتاريخ دمشق ٢٤/ ٣١٦.

(٥) ما بين معكوفين من (ص)، وانظر «تاريخ دمشق» ٣/ ١٧٥-١٨٠ (مخطوط).

ذكر أولاده:

قد حكينا عن ابن عساكر أنه قال: دفن من صُلبه إلى مَقدم الحجاج البصرة بضعاً وعشرين ومئة ولد، [والحجاج قدمها في سنة خمس أو ست وسبعين، وقد ذكرناه.

وقال ابن سعد: أخبرني بعض أهل العلم أنه وُلد لأنس] من صُلبه ثمانون ولداً، ويقال: مئة.

قال ابن سعد: والذي أحْصَوا لنا من ولده: عبد الله وأمُّه الفارغة بنت المثنى.

وعبد الله من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، وكان ثقة قليل الحديث.

وزيداً، وعُبيد الله قُتل يوم الحَرَّة، وأمُّهما كريمة بنت وَعْلة.

ويحيى قُتل يوم الحَّرة، وخالداً، وموسى، وأمهم من أهل اليمن.

وموسى من الطبقة الثانية، وكان ثقةً قليلَ الحديث.

والنّضْر من الطبقة الثانية وله أحاديث.

وأبا بكر لأمٍّ ولد.

والعلاء، وأمه رَمْلَة بنت نُعَيم بن وِاقد، من بني جُشَم.

والبراء وأبا عُمير، وأمهما من بني يَشْكر.

وعُمر[(١)]، وأمه بنت الجارود بن عبد القيس.

ورَمْلَة لأم ولد، وأُميمة لأم ولد، وأم حرام لأم ولد. ومالك بن أنس بن مالك من الطبقة الثانية من أهل البصرة[(٢)].

والمشهور أنه كان لأنس رضي الله عنه مئة ولد، مات منهم في الطاعون الجارف ثمانون.

[وقال هشام:] وقد كان لجماعة مئة ولد؛ منهم: أبو بَكْرَة نُفَيع مولى رسول الله ﷺ، وخَليفة السَّعدي، وعبد الله بن عُمير اللَّيثي، وجعفر بن سُليمان الهاشمي[(٣)]، ولم

---

(١) في (خ) و(د): عميراً، والمثبت من «طبقات ابن سعد».

(٢) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٢٥ و٩/ ١٩٠-١٩١.

(٣) انظر «المنتظم» ٦/ ٣٠٥.

يمت[١] كلّ واحد منهم حتى رأى من صُلبه مئة ولد، ويقال: إنه لا يعرف لهم سادس.

[وليس في الصحابة من أسمه أنس بن مالك سوى اثنين؛ أحدهما هذا، والثاني كنيته أبو أمية الكعبي، له صحبة ورواية[٢].]

ذكر مسانيده:

أسند أنس عن رسول الله ﷺ ألفي حديث ومئتي حديث وستة وثمانين حديثاً.

أخرج له في «الصحيحين» ثلاث مئة وثمانية وثلاثون حديثاً، اتفقا على مئة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بثمانين، ومسلم بتسعين[٣].

وأخرج له الإمام أحمد رحمة الله عليه أربع مئة ونيفاً وثمانين، منها مُتَّفق عليه، ومنها أفراد.

وروى أنس عن الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وابن مسعود، وحُذيفة، ومعاذ، وأبي ذرّ، وأبي الدّرداء، وعُبادة بن الصامت وغيرهم.

وروى عنه أعيان التابعين؛ فمن أهل البصرة: قتادة، وثابت البُناني، وحُمَيد الطَّويل، وأبو قِلابة، والحسن، وابن سِيرين في خَلْقٍ كثير.

ومن أهل الكوفة: عبد الرحمن بن أبي لَيلى، والشّعبي، وأبو مالك الأشعري وأقرانهم.

ومن أهل الشام: مَكحول وغيره.

ومن أهل المدينة: الفقهاء السبعة وأقرانهم، وبنو أنس: عبد الله وموسى ويحيى.

ومن مسانيد أنس قال: قيل يا رسول الله، متى نَدَعُ الائتمارَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر؟ فقال: «إذا ظهر فيكم مثل ما ظهر في بني إسرائيل؛ إذا كانت الفاحشة في كباركم، والملك في صغاركم، والعلم في رُذَّالِكم».

---

(١) في (خ) و(د) و(ص): وخليفة ابن ولم يمت؟!

(٢) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٦٠٢ وما بين معكوفين من (ص) وتنتهي فيها ترجمة أنس، وتبدأ السنة الثالثة والتسعون.

(٣) «تلقيح فهوم أهل الأثر» ٣٦٣ و٣٨٨ وفيه: أخرج له في «الصحيحين» ثلاث مئة حديث وثمانية عشر حديثاً... ومسلم بسبعين، وهو خطأ.

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فَسِيلة فلْيَغْرِسْها»[١].

بلال بن أبي الدّرداء

أبو محمد، الأنصاري، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام، وكان قاضياً على دمشق في زمن يزيد بن معاوية وبعده، حتى عزله عبد الملك، وولّى أبا إدريس الخَولاني.

وكان بلال أميراً على الشام، ومات في سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وتسعين.

وأمه أم محمد بنت أبي حَدْرَد الأَسْلميّ.

روى عن أبيه، وعن أم الدَّرداء، وروى عنه إبراهيم بن أبي عَبْلَة وغيره.

وكان لا يضرب شاهد الزُّور بالسَّوط، ولكن يَقِفُه على دَرَج دمشق ويقول: هذا شاهد زور فاعرفوه[٢].

عبد الرحمن بن يزيد

ابن جارية بن عامر بن مُجَمِّع، أبو محمد الأنصاري.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمه جَميلة بنت ثابت بن أبي الأَقْلَح، وأخوه لأمه عاصم بن عمر بن الخطاب.

ولد عبد الرحمن على عهد رسول الله ﷺ، وروى عن عثمان رضوان الله عليه، وولي القضاء على المدينة لعمر بن عبد العزيز، ومات بها سنة ثلاث وتسعين، وكان ثقة كثير الحديث[٣].

وكان له أولاد؛ منهم: عيسى قُتل يوم الحَرَّة، وإسحاق، وجَميلة، وأمّ عبد الله، وأم أيوب، وأم عاصم، وأمهم حَسنة بنت بُكير بن جارية، وجميل لأم ولد، وعبد الكريم وعبد الرحمن، وأمهما أُمامة بنت عبد الله، مَخْزوميّة.

---

(١) مسند أحمد (١٢٩٤٣) و(١٢٩٠٢) على الترتيب.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٩٧ (مخطوط).

(٣) في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٨٦ : روى عن عمر... وكان ثقة قليل الحديث.

مالك بن أوس

ابن الحَدَثان، البَصريّ، أبو سعيد، أحد بني نَصْر بن معاوية.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، أدرك رسول الله ﷺ ولم يره، وركب الخيل في الجاهلية، وكان قديماً، ولكنه تأخّر إسلامُه، ومات سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة إحدى وتسعين.

وكان عريفَ قومه في زمن عمر بن الخطاب، وشهد خُطبة عمر بالجابية، وفتوح القُدْس معه، قال: دخلت القدس، فجعل عمر الصَّخرةَ خلف ظهره وقال: هذه قبلة اليهود، فقال له عبد الله بن سَلَام: فخالِفْهم، فخالَفَهم.

وقال ابن عبد البر: روى عن العشرة المبشَّرين، والعباس بن عبد المطلب.

وعاش أربعاً وتسعين سنة. وروى عنه عكرمة بن خالد، ومحمد بن جُبَير بن مُطْعِم، والزُّهري، وأبو الزُّبير، ومحمد بن المُنْكَدِر وغيرهم[١].

السنة الثالثة والتسعون

[قال علماء السير:] وفيها فتح قُتيبة بن مسلم خُوارزم وسَمَرْقَنْد، وسُكّانها [يقال لهم:] الصُّغْد، وبنى بها مسجداً، وخطب بنفسه، وأخذ من أهلها عن رؤوسهم ستة آلاف ألف وثلاثين ألفاً، ووجد في سمرقند جارية من ولد يَزْدَجِرد، فبعث بها إلى الحجاج، فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك، فأولدها يزيد بنَ الوليد.

ذكر تلخيص القصة:

كان ملك خُوارزم قد غلب عليه أخوه خُرَّزاذ، واستولى على الممالك، وكان إذا بلغه أن عند أحد من أصحاب أخيه جارية أو دابة أو متاعاً، أو كان لبعض أصحاب الملك خُوارزم شاه أخت أو ابنة جميلة أرسل خُرَّزاذ فأخذها غَصْباً، فخاف أخوه منه، فكتب إلى قُتيبة يدعوه إلى بلاده، وشرط عليه أن يُسلم إليه أخاه خُرَّزاذ، وكُلّ عدوٍّ له، يرى فيه رأيَه، ولم يُطلع أحداً على مُكاتبته قتيبة، فأجابه قتيبة إلى ما سأل، وجاء زمان

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٦٠ ، و«الاستيعاب» (٢٣٢٦)، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٧ ، و«السير» ٤/ ١٧١ .

الغزو، فسار قتيبة في جيوشه، وأظهر أنه يريد السُّغْد، ولم يتعرض لبلاد خُوارزم شاه، ثم عطف عليها، ونزل قريباً منها، فقال خُوارزم شاه لأصحابه: ما ترون؟ فقالوا: نقاتله، فقال: لا ولكن نصالحه، قالوا: افعل، فصالحه قتيبة على عشرة آلاف رأس، ومال ومتاع وغير ذلك، ووفى له قتيبة، ورجع طالباً السُّغْد وملكها ـ ويقال له: طرخون ـ وكان قد نقض العهد، وجَهّز أخاه عبد الرحمن بن مُسلم في عشرين ألفاً، وسار مع قتيبة عسكرُ خُوارزم شاه وبُخارى في جمع عظيم، فحصرهم شهراً.

وكتب أهل الصُّغد إلى ملوك الشّاش وفَرَغانة أن العرب قد أحاطوا بنا، وإذا فرغوا منا جاؤوا إليكم، فأرسلوا إليهم: نحن واصلون فاشغلوهم في ناحيتكم حتى نُبَيّتهم. وانتخَبوا من أبناء الفرسان والأساوِرة المَرازِبة والشُّجعان جيشاً[1]، وأمروهم أن يُبَيّتوا المسلمين.

وجاءت عيون قتيبة فأخبرته، فجهّز إليهم ست مئة من أبطال المسلمين، عليهم صالح بن مسلم، وأمره أن يقف في الطريق الذي يأتون منه، فخرج صالح ففرَّق أصحابَه ثلاث فِرق؛ فرقتين كمينين في موضعين، ونزل هو على قارعة الطريق في فرقة، وطرقهم الكفار ليلاً وهم آمنون؛ لعلمهم أن ذلك الطريق الذي عليه صالح لا تُسلك. وثار صالح، وخرج الكمينان والتقوا، وقاتل الكفار قتالاً لم يقاتله غيرهم، وصبروا فنصر الله المسلمين عليهم، فقتلوهم وحزُّوا رؤوسَهم، وأسروا الباقين، وسألوا الأسارى: مَن قَتَلْنا؟ فقالوا: ما قتلتم إلا ابنَ ملك، أو عظيماً أو شجاعاً، فكتبوا أسماءهم على رؤوسهم، وساروا إلى عسكر قتيبة عند الصباح، فدخلوا والرؤوس مُعلَّقة في رقاب خيولهم، وقد غنموا شيئاً كثيراً من مناطق الذهب المجوهرة وغيرها.

وبلغ السُّغد فانكسروا، ونصب عليهم المجانيق والرّمايات، وجدّ في قتالهم قتيبة بنفسه، ونصح أهلُ خوارزم وبخارى.

فبعث إليه الملك يقول: أنت إنما تقاتلني بأهلي من الأعاجم، فأخرج إليّ العرب، فغضب قتيبة، وأمر العرب أن يقاتلوهم دون العجم، وثلموا في السور ثُلمة، فسدُّوها

(١) في الطبري ٦/ ٤٧٣ : وانتخبوا فرساناً من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الأبطال.

بغرائر الدُّخن[1]، وصاحوا: الصلح؛ لما رأوا الغلبة، فصالحهم قتيبة على ألفي ألف ومئتي ألف في كل عام، و على أن يُعطوه في تلك السنة ثلاثين ألف رأس؛ ليس فيهم صبي ولا شيخ، وعلى أن يُخلوا المدينة لقتيبة، ويُخرجوا منها المقاتلة، ويدخلها قتيبة فيبني بها مسجداً ويصلّي فيه ويخطب ويتغدّى ويخرج منها، فأجابوه، فقال: ابعثوا إلينا ما صالحناكم عليه، فأرسلوا إليه بالمال والرؤوس، فقال قتيبة: الآن ذَلُّوا حين صار أولادهم وإخوانهم في أيدينا.

ثم أخلَوا المدينة، وبنوا جامعاً، ونصبوا منبراً، وانتخب قتيبة أربعة آلاف فارس ودخلها، فأتى المسجد، وصلّى وخطب ثم تغدّى، وأرسل إلى أهلها: لستُ بخارج منها فخذوا ما أعطيتمونا. وكان قتيبة يُعَيَّر بالغدر بأهل سمرقند.

وفي رواية: صالحهم على مئة الف رأس، وبيوت النيران، وحِلية الأصنام، فأحضرت الأصنام بين يديه ـ وكانت عظيمة ـ فأمر بإحراقها، فجاءه ملك الصُّغْد والأكابر وقالوا: إن فيها أصناماً مَن حرقها هلك، فقال قتيبة: أنا أحرقها بيدي، وقام وأخذ بيده شعلة نار، وكَبّر وأحرقها، فوجدوا ما كان فيها من بقايا مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مِثقال، ثم وجدوا جاريةً من بنات يَزْدَجِرد، فقال قتيبة: أترون ابنَ هذه يكون هجيناً؟ قالوا: نعم، يكون هجيناً من قبل أبيه، فأرسل بها إلى الحجاج، فبعث بها إلى الوليد، فولدت يزيد بن الوليد.

وفي رواية: أن قتيبة لما نازل سمرقند، واشتدّ القتال، فقال قتيبة ليلةً يخاطب نفسه: حتى متى يا سمرقند يُعَشِّش فيك الشيطان؟! أما والله لئن أصبحتُ لأُحاولَنّ من أهلِك أقصى غاية، فكان كما قال؛ قاتلهم في صبيحة تلك الليلة قتالاً عظيماً، قُتل من الفريقين خلق كثير.

وكتب قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند مع رجل من أهل خراسان، فبعث برسوله إلى الشام يُبَشِّر الوليد، قال: فدخلتُ مسجدَ دمشق قبل طلوع الشمس، فجلست وإلى جنبي رجل ضرير، فسألتُه عن شيء من أمر الشام فقال: إنك لغريب؟ قلت: أجل، قال: من أين أنت؟ قلت: من خراسان، قال: ما أقدمك؟ قلت: أُبشّر بفتح سمرقند،

---

(١) الغرائر: جمع غِرارة، وعاء من الخيش ونحوه، يوضع فيه القمح ونحوه. والدُّخْن: حبٌّ معروف. المصباح المنير والمعجم الوسيط.

فقال: والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها إلا غدراً، وإنكم يا أهل خراسان الذين تَسلُبون بني أمية مُلكَهم، وتنقضون دمشق حَجَراً حجراً.

ودعا قتيبة نَهارَ بنَ تَوْسِعة فقال: يا نهار، أين قولُك: [من الطويل]

ألا ذهب الغَزْوُ المُقَرِّبُ للغِنى ... ومات النّدى والجُودُ بعد المُهَلَّبِ
أقاما بمَرْوالرُّوْذِ رَهْنَ ضَريحِه ... فقد غُيِّبا من كلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبِ

فغَزْوٌ هذا يا نهار؟ قال: نعم، هذا أحسن، وأنا الذي أقول: [من الطويل]

و ما كان مُذْ كنا ولا كان قبلنا ... ولا هو فيما بعدنا كابن مُسْلِمِ
أعَمّ لأهل التُّرك قَتْلاً بسَيفه ... وأكثَرَ فينا مَقْسِماً بعد مَقْسِمِ

وارتحل قتيبة راجعاً إلى مَرْوِالرُّوذ، واستخلف على سَمَرْقَند أخاه عبد الله بن مسلم في جند كَثيف، وأوصاه فقال: لا تَدَعَنّ كافراً يدخل البلد إلا مَختومَ اليَدِ، فإن جَفَّت الطِّينةُ قبل أن يخرج فاقتله، ومن وجدتَ معه حديدةً فاقتله، ومن بات بها منهم فاقتله.

وقيل: إنه فتح خُوارزم أيضاً في هذه السنة، ثم عاد إلى مرو.

[فصل]: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلادَ الرُّوم، ففتح حصنَ الحَديد، وقلعة غَزالَة، وغزا أيضاً العباسُ بنُ الوليد، ففتح سمسطة[1] وطُوس، والمرزبان، وكاشه، وغزا مروانُ بنُ الوليد فبلغ خَنْجرة.

وفيها أجدبت إفريقية، فاستسقى موسى بن نصير، ودعا وسأل الله، فقيل له قبل أن ينزل من المنبر: ألا تدعو لأمير المؤمنين؟ فقال: ليس هذا يوم ذاك، فجاء الغيث سَحّاً، وسُقُوا سَقْياً كفتهم زماناً.

قال الواقدي: وفيها غضب موسى بن نُصير على طارق بن زياد، وشخص إليه في رجب ومعه حَبيب بن عقبة بن نافع الفِهْرِيّ، واستخلف على إفريقية ابنَه عبد الله بن موسى، وقطع موسى الزقاق في عشرة آلاف، فتلقاه طارق واعتذر إليه، فقبل عذره ورضي عنه، وبعثه من قُرطبة إلى طُلَيطُلَة ـ وبينها وبين قرطبة عشرون يوماً ـ ففتحها، واستخرج منها مائدة سليمان عليه السلام، وقد ذكرناه.

(١) في الطبري ٦/ ٤٦٩ : سمسطية.

وفيها عَزل الوليد بنُ عبد الملك عمر بنَ عبد العزيز عن المدينة.

[واختلفوا في عزله على قولين: أحدهما] أن عمر كتب[1] إلى الوليد يخبره بظُلم الحجّاج، وسفكه الدّماء، وما يفعل بأهل العراق، وخوَّفه عواقبه، وبلغ الحجاج فحقدها، وكتب إلى الوليد أن مُرَّاق العراق وأهل الشقاق قد التجؤوا إلى المدينة، وذلك وهن، فكتب إليه الوليد أن أَشِرْ عليَّ برجُلَين، فكتب إليه الحجاج أن عليك بخالد بن عبد الله القَسْري، وعثمان بن حَيّان، فولّى عثمان بن حيّان المدينة، وعزل عنها عمر.

[والثاني حكاه الواقدي قال:] كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يقول: اضرب خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمس مئة سَوط[2]، وصُبَّ على رأسه قربةً من ماء في يوم بارد، فامتنع، وجاء كتاب الوليد ثانياً ففعل عمر، فمات خبيب من يومه، فكتب عمر إلى الوليد يَستقيله من الولاية، ولم يزل عمر خائفاً طول عُمُره، وكان إذا مُدِح يقول: وكيف وخُبيب على الطريق ينتظرني؟! ووَدى عمر خُبيباً، وأعتق ثلاثين رَقَبة. [وسنذكر خبيباً.

قال الواقدي:] وكانت ولاية عمر على المدينة سبع سنين وشهوراً.

ولما كان عمر بالسُّويداء قال لمولاه مُزاحم: أخاف أن أكون ممّن نَفَتْه المدينة.

وكان خروجه منها في شعبان، وقيل: عُزل في سنة أربع وتسعين، واستخلف عليها أبا بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم الأنصاري، حتى قدمها عثمان بن حَيَّان للَيْلَتين بقيتا من شوال.

واختلفوا فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة على أقوال:

أحدها: عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، قاله أبو مَعْشَر.

والثاني: عثمان بن حيان وكان على المدينة.

والثالث: محمد بن الوليد[3].

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): وسببه أن عمر كتب.

(٢) الذي في الطبري ٦/ ٤٨٢ أنها خمسين سوطاً، وفي «المنتظم» ٦/ ٣٠٩ خمسين أو مئة.

(٣) من قوله: واختلفوا فيمن حج... إلى هنا من (ص)، وجاءت مختصرة في (خ) و(د). وانظر الطبري ٦/ ٤٨٢.

[فصل] وفيها توفي

خُبَيب بن عبد الله بن الزبير

وأمّه بنتُ مَنْظور بنت زَبّان بن سَيّار الفَزاري، من الطبقة الثالثة من أهل المدينة[1].

قال ابن سعد: وكان عالماً، بلغ الوليد بن عبد الملك عنه أحاديث كرهها، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يَضربه مئة سَوْط، فضربه مئة سَوط، ثم صبَّ عليه قِربةً من ماء بارد بُيِّتَتْ من الليل، فمكث أياماً ثم مات. هذا صورة ما ذكره ابن سعد في ترجمة خُبيب.

وأما هشام فقال: كان خُبيب مُقيماً بالمدينة، يذكر مَساوىء بني أمية وعُيوبَهم، وبلغ الوليد فكتب إلى عامله عمر بن عبد العزيز أن يَفعل به ذلك فامتنع، وجاء كتاب الوليد ثانياً ففعل به عمر ذلك، فأقام أياماً ومات، وندم عمر كما ذكرنا.

وحكى الموفّق رحمه الله عن مصعب الزُّبيريّ قال: كان خُبيب من النُّسَّاك، وكان عالماً بالأنساب أنساب قريش، طويلَ الصلاة، قليلَ الكلام، قال مصعب: قال أصحابنا: كان يعلم علماً لا يعرفون وَجْهَه، ولا مَذْهَبُه يُشبه ما يدَّعيه الناس من علم النّجوم.

قال: فروى موسى بن عُقَيبة ـ أو عُقْبَة[2] ـ قال: كنت أمشي مع خُبيب وهو يُحدِّث نفسَه؛ إذ وقف وقال: قُتل عَمرو بن سعيد الساعة، فكان كما قال. وليس لخُبيب عَقِب.

قال البَلاذُريّ: كان عبد الله بن خازم السُّلَمي عامل عبد الله بن الزبير على خُراسان، فلما قُتل ابن الزبير خطب ابن خازم لولده خُبيب بالخلافة، وبقي ذلك في نفس عبد الملك، ولم يعرض له، فلما ولي الوليد وبلغه أن خُبيباً يذكر مساوىء بني أمية وعيوبَهم وينال منهم حرَّك ذلك ما كان كامناً في قلبه، فأمر به فضُرب.

وقد أنكر قوم هذا وقالوا: مات عبد الله بن خازم قبل قتل عبد الله بن الزبير.

---

(١) وقع بعد هذا خلاف بين النسخ في أخبار خبيب، وسنثبت ما في (ص)، ونضم إليها من (خ) و(د) ما ليس فيها. وانظر في ترجمة خبيب: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٠٥، و«جمهرة نسب قريش» ٣٦ـ٣٨، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢٧، و«المنتظم» ٦/ ٣١٠، و«التبيين» ٢٥٨، و«تهذيب الكمال» (١٦٧٧).

(٢) في «التبيين»: موسى بن عقبة، وفي «جمهرة نسب قريش» و«تهذيب الكمال»: يعلى بن عقيبة.

فصل: وفيها توفي

زُرارة بن أَوفى[١] الحَرَشِيّ

من بني الحَرِيش، أبو حاجب.

ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، حدثنا عفان[٢]، بإسناده إلى قتادة: أن زُرارة بن أوفى كان قاضياً على البصرة.

كذا وقع في نسخة ابن سعد، وفي غيرها.

قال: وكان يُصلّي في منزله الظهر والعصر، ثم يأتي الحجّاج للجمعة.

وقال ابن سعد: مات زُرارة بن أوفى فُجاءةً في سنة ثلاث وتسعين في خلافة الوليد ابن عبد الملك، وكان ثقةً له أحاديث.

وقال ابن سعد بإسناده إلى بَهْزِ بن حَكيم: أن زرارة بن أوفى أَمَّهم في الفجر في مسجد بني قُشَير، فقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨ـ١٠] خرَّ ميتاً، قال بَهْز: فكنتُ فيمن حَمَلَه.

قال: وكان يَقصُّ في داره، وهذه رواية أبي نُعيم[٣]، قال: وقدم الحجَّاج البصرة وهو يَقُصُّ في داره.

وقد روى جدي[٤] أنه كان يَقُصُّ، وابن سعد قال: كان قاضياً، ولعلّه تصحيف.

وفي رواية أنه لما قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ شَهق شَهقةً فمات.

أسند زُرارة عن جماعة من الصحابة؛ منهم: أبو هريرة، وعمران بن الحُصَين، وابن عباس[٥].

---

(١) في النسخ: زرارة بن أبي أوفى، في كل المواضع، وهو خطأ، والمثبت من المصادر. هذا وقد جاءت ترجمة زرارة مختصرة في (خ) و(د)، والمثبت من (ص) لوضوحها وتمامها.

(٢) في (ص): عثمان، وهو خطأ، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٩/ ١٥٠.

(٣) في «الحلية» ٢/ ٢٥٨ـ٢٥٩ من طريق بهز بن حكيم، وقول بهز: وكان يقص في داره، هو في رواية أبي نعيم كما أشار المصنف، ولم يرد في رواية ابن سعد، انظر طبقاته ٩/ ١٥٠ـ١٥١.

(٤) في «صفة الصفوة» ٣/ ٢٣٠.

(٥) انظر «المنتظم» ٦/ ٣١٢، و«تهذيب الكمال» (١٩٦٢)، و«السير» ٤/ ٥١٥.

[فصل: وفيها توفي

وَضَّاح اليَمَن

واختلفوا في اسمه على قولين، أحدهما:] عبد الله[١] بن إسماعيل بن عبد كُلال، من أهل صنعاء من الأبناء، والثاني: عبد الرحمن بن إسماعيل، من خَوْلان.

ووَضَّاح لقبٌ له لجماله وبياضه وحُسنه، [قال الجوهري[٢]: الوضَّاح: الرجل الأبيض اللون].

قصته مع أم البَنين:

[واختلفوا فيها على قولين، أحدهما أن صاحبته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، والثاني امرأة أخرى يقال لها: أم البنين بنت المختَزِم من أهل اليمن.

وجه القول الأول ما رواه الخرائطي بإسناده عن أبي مُسْهِر] قال[٣]: كان وضّاح اليمن نشأ هو وأم البنين صغيرين، فأحبّها وأحبته، وكان لا يصبر عنها، حتى إذا بلغت حُجبت عنه، فطال بهما البلاء، فحجّ الوليد فبلغه جَمال أم البنين وأدبها، فتزوجها ونقلها إلى الشام معه، فذهب عقل وضّاح عليها، وجعل يذوب ويَنحل، فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام، فجعل يُطيف بقصر الوليد كلّ يوم ولا يجد حيلة، فرأى يوماً جارية خارجة من القصر، فلم يزل حتى تأنّس بها، فقال لها: أتعرفين أم البنين؟ قالت: نعم، هي مولاتي، فقال: إنها ابنة عمي، وإنها تُسَرُّ بموضعي لو أخبرتِها، فمضت الجارية فأخبرتها فقالت: أو حيٌّ هو؟ قالت: نعم، فقالت لها: قولي له: كن مكانك حتى يأتيك رسولي، فلن أدع الاحتيال لك، فاحتالت فأدخلته إليها في صندوق، فمكث عندها حيناً، فكانت إذا أَمِنت أخرجته فقعد معها، وإذا خافت عَينَ رقيب أدخلته الصندوق.

---

(١) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): وضاح اليمن واسمه عبد الله.

(٢) في «الصحاح» (وضح) ١/ ٤١٦.

(٣) ما بين معكوفين من (ص)، بدله في (خ) و(د): قال أبو مسهر. والخبر في «اعتلال القلوب» للخرائطي ٢٥٩_٢٦٠.

فأهدي للوليد يوماً جوهر له قيمة، فقال لبعض خَدمه: امض بهذا الجوهر إلى أمّ البنين، وقل لها: هذا هدية، فدخل الخادم من غير استئذان ووضّاح معها، فلمحه ولم تشعر، فبادر إلى الصندوق فدخله، وأدّى الخادم الرسالةَ إليها وقال: هبي لي منه حَجَراً، فقالت له: لا أمَّ لك، وما تصنع أنت بهذا؟ فخرج وهو حنِق عليها، فجاء إلى الوليد فأخبره، ووصف له الصندوق الذي فيه وضاح، فقال الوليد: كذبتَ لا أمَّ لك.

ثم نهض مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت، وفيه عدة صناديق، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وصفه الخادم، فقال لها: يا أم البنين، هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه، فقالت: يا أمير المؤمنين: هي وأنا لك، فقال: ما أريد غير هذا الذي تحتي، فقالت: إن فيه شيئاً من أمور النساء، فقال: ما أريد غيره، فقالت: هو لك، فأمر به فحمل، ودعا بغلامين؛ فأمرهما بحفر بئر، فحفرا حتى بلغا الماء، فوضع فمه على الصندوق وقال: أيها الصندوق، قد بلغنا عنك شيء، فإن كان حقاً فقد دفنَّا خَبَرَك، ودَرَسْنا أثرك، وإن كان كذباً فما علينا في دفن صندوق من خشب حَرَج، ثم أمر به فألقي في الحُفيرة، وأمر بالخادم فقَذف به فوقه، وطمّ عليهما التراب جميعاً.

قال: فكانت أم البنين توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت يوماً مكبوبة على وجهها.

وهذه رواية الخرائطي، وأخرجها أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه»(١)، وأخرج في «تاريخه» أن القصة كانت مع يزيد بن عبد الملك بن مروان(٢). وإن أم البنين كانت زوجة الوليد من غير خلاف.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني(٣) بمعناها عن هشام بن الكلبي، وقال في آخر القصّة بعد دفن الصندوق: فلم يُرَ وَضّاح بعد ذلك اليوم، ولم تَرَ أمُّ البنين في وجه الوليد أثراً حتى فرَّق الموت بينهما.

---

(١) «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨١ـ٣٨٢، وأخرجها عن الخرائطي أيضاً ابن الجوزي في «المنتظم» ٦/ ٣٠٦ـ٣٠٧. ومن قوله: وهذه رواية الخرائطي... إلى نهاية الترجمة من (ص)، وجاءت في (خ) و(د) مختصرة وفيها تقديم وتأخير.

(٢) «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨٢ـ٣٨٣ من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

(٣) في «الأغاني» ٦/ ٢٢٦.

وذكر البَلاذُريّ القصة فقال: كانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان عند الوليد بن عبد الملك، وكان مُعجباً بها، وكانت امرأةً بَرْزَةً عَفيفة، تحب الشعر والأدب، حجَّت مع الوليد فسمعت إنشادَ وَضَّاح اليمن ـ وكان فصيحاً جميلاً من أبناء أهل اليمن ـ فوصَلَتْه، ثم صحبهم، وجعل يدخل عليها سرّاً، ويُنشدها من وراء السّتر، وبلغ الوليد فغمَّه ذلك، وقال لخادم: اذهب إليها، فإن وجدْتَه عندها فاقتله، فجاء الخادم فوجده عندها، فأدخلتْه في صندوق وأقفلَتْه، [فأخذ الخادم الصندوق] وحفر له حُفيرة، وألقاه فيها وطَمَّه[١].

وقال الرّياشي: لما بلغ الوليد قصّة وَضّاح سكت حتى شبَّب وَضّاح بفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز، فأخذه فدفنه حيّاً[٢]، فلما كان في أيام بني العباس تشاحّ رجلان أحدهما من ولد الوليد، والآخر من شيعة بني العباس، فحفر الرجل داراً، فوجد فيها صندوقاً، ففتحه وإذا فيه وضّاح اليمن قد بَلي، فشَنّع على أم البنين بوَضّاح.

وقيل: إن الوليد غَرَّق وضّاحاً في الماء وأمّ البنين تراه، وخرجت إلى مكة حاجّة.

وجه القول الثاني: ذكره البلاذري أيضاً وقال: إن أم البنين صاحبة وضاح اليمن ليست بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وإنما هي أم البنين بنت المختزم، وكانت امرأة جميلة من أهل اليمن وكانت من حِمْيَر، وكانت جميلة، عشقها وضاح وعشقته، فتزوجها وخرج بها إلى مكة فطلقها[٣]، فحج الوليد وهي بمكة، فبلغه حسنها وجمالها، فتزوجها وخرج بها إلى الشام، وخرج وضاح خلفها، ففعل به الوليد ما فعل.

وقال ابن الكلبي: قدم وضّاح على الوليد فأحسن إليه، وقد رُوي له خبر ظَريف في صحته نظر.

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١ . وقوله: امرأة بَرْزَة، أي: تُجالس الرجال.

(٢) انظر «الأغاني» ٦/ ٢٢٧ ، و «تاريخ دمشق» ٣٢/ ٣٨٤ـ٣٨٥ .

(٣) كذا في النسخ، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٢ : وكانت أم البنين امرأة جميلة فعشقها وأحبته، وكان زوجها من حمير... فطلقها، وهو الصواب.

قلت: وهذا هو الصحيح؛ لأن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز؛ كانت من العفائف العابدات، ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب «العوائد»، والموفَّق في «التوابين»[(١)].

وقول الخرائطي: إنها وُجدت مَيتة على الحُفرة لا يصحّ؛ لأن أم البنين توفيت في سنة سبع عشرة ومئة باتفاق أهل السِّيَر، والوليد مات في سنة ست وتسعين.

وكذا قول الخرائطي: إن الوليد تزوج أم البنين بنت عبد العزيز بمكة خطأ؛ لأن أباه زوَّجه بها في حال حياته، وذكرنا أن عبد الله بن جعفر كتب إليها لتَشفعَ في ابن قيس الرّقيّات عند عبد الملك بن مروان، وهذا ما انتهى إلينا، والله أعلم.

ومن شعر وَضّاح قوله: [من البسيط]

لا قُـوَّتـي قُـوَّةُ الـرّاعـي قَـلائـصَـهُ ... يـأوي فـيـأوي إلـيـه الـكـلـبُ والـرُّبَـعُ
ولا الـعَـسِـيـفُ الـذي يَـشـتَـدُّ عُـقْـبَـتَـهُ ... حـتـى يَـبـيـتَ وبـاقـي نَـعـلِـه قِـطَـعُ
لا يَـحـمـلُ الـعـبـدُ فـيـنـا فـوق طـاقَـتِـه ... ونـحـن نـحـمِـلُ مـا لا تـحـمـلُ الـقَـلَـعُ
مـنّـا الأنـاةُ وبـعـضُ الـقـومِ يَـحـسـبُـنـا ... أنَّـا بِـطـاءٌ وفـي إبـطـائـنـا سَـرَعُ[(٢)]

---

(١) في خبر أورده لها ص ١٦٨ مع عزة صاحبة كثير.

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٦٤٥-٦٤٧ . قوله: والرُّبَعُ: ما نُتج في الربيع، والقلائص: النُّوق الشابّة الفتية، والعَسِيف: الأجير، والعُقْبَة: قيل: فرسخان، ويشتد: يعدو، والقَلَع: جمع قلعة، وهي الهضاب العظام.

الفهرس

فهرس الموضوعات